الأنبا شنوده الثالث

دنيا .. ودين

سناء السعيد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

البابا شنودة الثالث

دنيا .. ودين



البابا شنودة الثالث

دنيا .. ودين

سناء السعيد



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٥

DL

الغلاف
والإخراج الفنى :

للفنان سعيد المسيرى

مقدمة استهلالية
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الدكتور/ محمد سيد طنطاوى

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ومن والاه .. وبعد ..

علاقتي بالبابا شنودة الثالث علاقة تقوم على التناصح، والتعاون، وا لمحبة الخالصة لوجه الله عز وجل.

لقد لمست في قداسة البابا شنودة الثالث العقل الراجح، والفكر السليم، وسعة الأفق، والعلم الغزير، والحب الصادق لمصر، والحرص على أن تقوم العلاقة بين أبناء مصر جميعًا ـ من مسلمين ومسيحيين ـ على الأخوة الصادقة وعلى تبادل المنافع التى أحلها الله بكل مودة وإخلاص.

لذا فأنا أشكر الأستاذة «سناء السعيد» على تأليف هذا الكتاب، الذي يتحدث عن قداسة البابا شنودة عبر أكثر من موضوع عكسته الأحداث ، ومن خلال قضايا على قدر كبير من الأهمية.

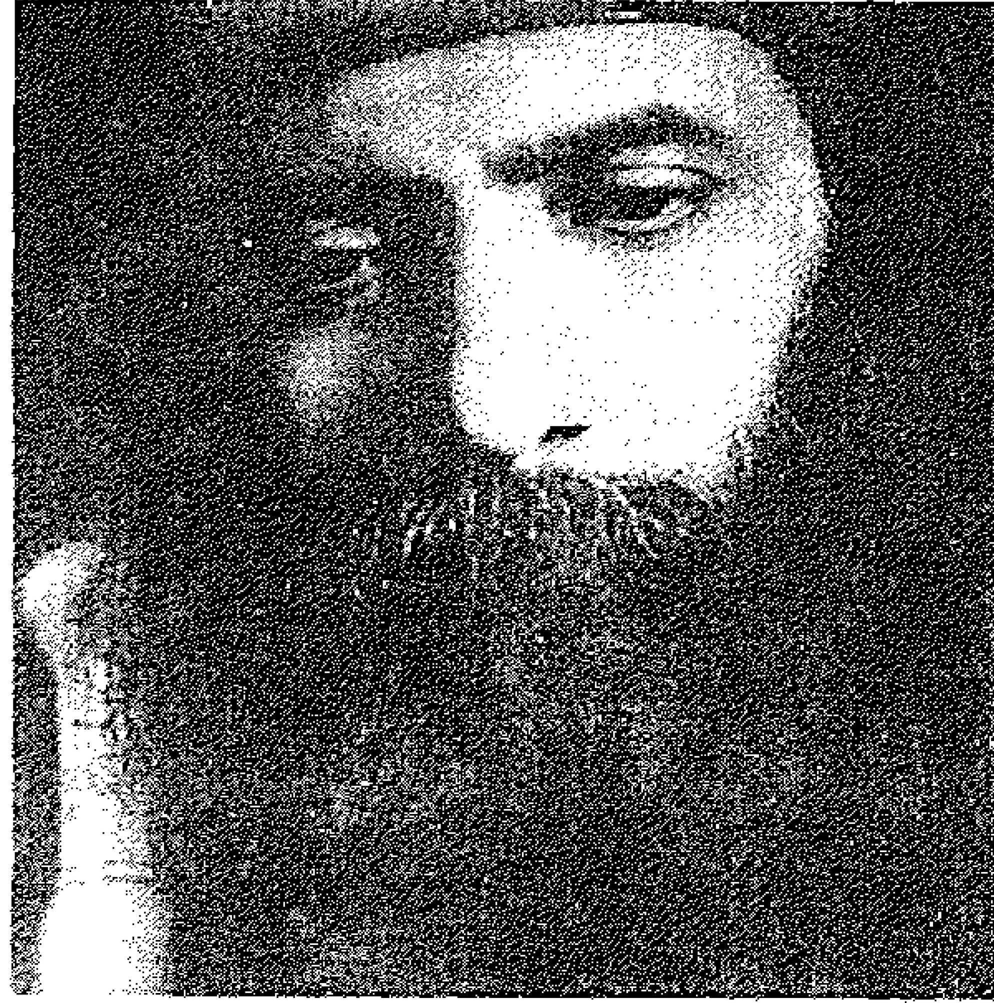
مقدمة

قداسة البابا شنودة الثالث الإنسان، الراهب، الأديب، والشاعر، والمفكر، الصحفى، والموسوعة التى لا تنضب. يتحدث فى كل الموضوعات، وطنى حميم، لايضن بوقته على قضايا وطنه مصر ولا أمته العربية، فهو مشارك وصاحب رأى، يتحدث فى شتى النواحى الاجتماعية والروحية والعقائدية والفكرية. صاحب رصيد ضخم من المؤلفات؛ فكتبه تزيد على تسعة وتسعين كتاباً، ترجم منها الكثير إلى لغات العالم.

قداسة البابا شنودة البابا الوحيد من خريجي الجامعة المصرية سنة ١٩٤٧م والجامعة اللاهوتية سنة ١٩٤٩م. وكان ضابطا بالقوات المسلحة. منحته جامعات الغرب أربع شهادات دكتوراه فخرية فى العلوم الإنسانية واللاهوت فضلا عن شهادات تقدير كثيرة من دول زارها. فى عام ١٩٤٩م كان أول خريجي الكلية الإكليريكية، وفى الوقت نفسه باشر التدريس بها. تم ترسيمه أسقفا سنة ١٩٦٢م، وصار بابا الإسكندرية وبطريركا للكرازة المرقسية فى ١٤ نوفمبر عام ١٩٧١م. ظل على تواصله مع أبنائه فى المهجر؛ من خلال بناء الكنائس خاصة فى الولايات المتحدة وكندا واستراليا والكثير من بلاد أوربا. بل لقد بلغ عدد الكنائس القبطية فى أمريكا وحدها أكثر من مائة وخمسين كنيسة، بالإضافة إلى الكنائس التى أسسها فى البلاد العربية وفى إفريقيا السوداء.

زار قداسة البابا بولس السادس سنة ١٩٧٣م فى الفاتيكان؛ حيث وقعا اتفاقًا مشتركاً، وشكلت لجنة الحوار اللاهوتى، واتفق على موضوع طبيعة المسيح مع الكنيسة الكاثوليكية والتى كانت سبباً فى الانقسام فى منتصف القرن الخامس الميلادي. أجرى حوارا مع الكنائس اليونانية الأرثوذكسية البروتستانتية والكنائس الإنجليكانية. وقع الاختيار عليه ليكون أحد رؤساء مجلس الكنائس العالمى. أكثر باباوات الإسكندرية طوال تاريخها زيارة لدول العالم. فهو أول بابا للإسكندرية زار أمريكا وكندا واستراليا، وأيضا أول بابا زار جنوب إفريقيا، وأول بابا للإسكندرية وقف يخطب فى أحد المساجد كما حدث في مسجد «أبو النور» في دمشق سنة ١٩٩٧م حيث تحدث إلى حوالى عشرين ألفا من المصلين، وهو أول بابا قبطي زار «أبوظبي» حيث تحدث هناك فى قضية القدس، كما أنه زار مسجد لندن ومسجد باريس وبعض المؤسسات الإسلامية فى أمريكا.

الباب الأول



- شنودة.. ملامح شخصية
- الطفولة والشباب
- بداية الطريق
- الطريق إلى الرهبنة
- رجل الدين والحكم
- البابا والسادات..؟!
- أنا ومبارك

شنودة..ملامح شخصية

أحلك فترة فى حياته كانت عندما حددت إقامته، ولكنى عندما أسأله يجيب قائلا: «كان ذلك بالنسبة للناس، ولكن تحديد الإقامة بالنسبة لى لم يكن كذلك لسبب بسيط، وهو أننى تعودت حياة الوحدة، بل لقد شعرت يومها كإنسان حبسوه فى الجنة، نعم كان وجودى بوادى النطرون نوعا من الحبس ولكنه حبس فى الجنة». ويمضى البابا شنودة مردفا : «الرئيس السادات يومها اعتقل ثمانية مطارنة وأودعهم السجن، أما أنا فحظيت بمعاملة مختلفة؛ حيث حددت إقامتى بدير وادى النطرون».

ومع أن البابا شنودة يصف محبسه بأنه كان بمثابة الجنة إلا أنه يصف موقف الرئيس السادات منه بالأزمة؛ ومع ذلك فعندما مات السادات شعر البابا شنودة بالحزن والألم، يقول لى : «مر على أسبوع كانت الصلاة الثابتة عندى هى يارب سترك على البلد».

البابا شنودة ناسك يميل إلى الوحدة بطبعه، بل إن أمنيته التى سعى إلى تحقيقها كانت أن يستمر فى حياة الوحدة فى الجبل؛ ومع ذلك فهو يحب الاختلاط بالناس، ويسعد حينما يلتقى بأبنائه من الناس، وأيضا يسعد كلما صدر له كتاب جديد؛ فهو امتداد للتواصل بينه وبين الآخرين، وهو يؤمن بأن الحياة ليست عبثا وليست خواء وإنما يرى الحياة الدنيا مجرد إعداد للحياة الأخرى الباقية، وإذا شعر الإنسان أن الحياة على الأرض مجرد فراغ فينبغى أن يملأ هذا الفراغ بالله ويعد نفسه لملاقاة الله فى الأبدية، ولهذا فالحياة ليست عبثا وإنما هى عمل مستمر،ولا يعتنق البابا شنودة الفلسفة القائلة: «ماذا نترك بعد الحياة ولمن وهل هناك من يستحق ؟! يحسم ذلك قائلا: «كل الناس يستحقون وبخاصة هؤلاء الذين ليس لهم أحد يذكرهم».

البابا شنودة رجل الدين عاشق لحياته الروحية دائم الحنين لها، أسأل قداسته إذا عدتم إلى سنوات الصبا هل كنتم ستختارون نفس المسار؟.. ويردف «لكل مرحلة اتجاهاتها، ففى مراحل الصبا كنت أشتهى باستمرار الأولوية فى الدراسة والتفوق فيها، وفي فترات الصبا كتبت الشعر، ولكن من الصعب أن نرجع الصبا بمشاعر الشيخوخة، إنما نتكلم عن الصبا كنوع نفسية الإنسان فيه».. ثم يطلقها صريحة: «إننى سعيد؛ لأننى اخترت طريقى كرجل دين».

أسأله عن الأب الروحي بالنسبة له، يقول: «لايوجد».

أسأله عن مثله الأعلي ثم القدوة يقول: «من الصعب أن نجد شخصاً يتركز فيه كل شيء، إنما قد نجد مجموعة من الناس فى كل واحد منهم صفة معينة يمكن اقتباسها، كالنحلة التى تحط علي الزهور الكثيرة لتمتص من كل واحدة رحيقا».

نتحدث عن الحرام أقول له: في عالمنا اليوم بات الحرام نسبيًّا بمعنى ماكان محرما بالأمس لم يعد محرما اليوم، أو علي الأقل هذا ما يتراءى للناس على ضوء اختفاء القيم وانحدار السلوك في المجتمع، يقول: «هناك ثوابت للحلال والحرام، فكل ما يتنافى مع الحق والبر فهو حرام، أما النسبيات فتكون علي درجة الحرام ونوعيته».

أسأله: هل تنظر إلي الوراء في غضب؟ فيقول: «أنا دائمًا أنظر إلي الأمام وليس إلي الوراء».

الطفولة والشباب

السنوات الأولى من حياة «نظير» تحمل له صورة طفل يتيم صغير، ماتت أمه بحمى النفاس بعد ولادته، لم يرضع منها، ولذا فإن كلمة أمومة بالنسبة له لاتوجد إلا فى القاموس أو فى حياة الآخرين، قضى سنواته الأولى فى الريف فى إحدى قرى أسيوط (سلام)، لايذكرها بالطبع، كل ما يتذكره والده كان عطوفا عليه للغاية، وفى مرحلة الروضة لم يكن هناك اهتمام بمتابعة الدراسة، وكثيرا ما سأله والده: هل حفظت ألف باء؟.. ويأتى جوابه: لا.. لم أحفظ.

يتذكر «نظير» أخاه الأكبر كان موظفا بدمنهور، وأخذه معه لرعايته. فترة الروضة كلها أخذها فى سنة دراسية واحدة كانت تسمى (تحضيرى)؛ والسبب كما يقول لى: «إما أننى كنت مجتهدا، أو أن المدرسة حازمة»، فى هذه المرحلة كان يجلس مع الكبار، فشقيقه موظف وأصدقاؤه كبار، كان يجلس ويستمع إلى ما يقال. فى السنة الأولى الابتدائية كان يقرأ الصحف، وبعد ذلك كان يقرأ أى كتاب فى البيت، فى الاجتماع، الطب، المعلومات العامة، فى أى شيء، يذكر أنه قرأ كتاب «قادة الفكر» لطه حسين بعد حصوله على الابتدائية. لم يكن لطفولته أية علاقة باللعب واللهو. كتب الشعر فى الثانية الثانوية، كان ينظمه على الفطرة بدون معرفة بالأوزان والبحور، وكان يخجل من أن يسميه شعرا، واعتبره شعرا منثورا أو نثرا مشعورا، إلى أن درس قواعد الشعر فى كتاب بدار الكتب عنوانه «أهدى سبيل إلى علمى الخليل» كان ذلك فى عام ١٩٣٩م وكان عمره وقتئذ ستة عشر عاما، بدأ ينظم القصائد موزونة، ويجاهر بأنه شعر، حتى أن موضوعات الإنشاء فى المدرسة كان يكتب نصفها شعرا ونصفها نثراً، يتذكر أستاذه فى اللغة العربية (محمود محمد سعد) كان يحبه كثيرا، وكان ذا مركز فى نقابات العمال للنبيل (عباس حليم) من أمراء الأسرة المالكة، فطلب منه أن ينظم له

نشيدا للعمال، كان «نظير» فى ذلك الوقت فى الرابعة الثانوية أى ما يقابل «الثقافة العامة» فى ذلك الوقت، وفعلا وضع نشيدا للعمال.

أما الأبيات التى يرددها ولا ينساها، فهى تلك التى نظمها فى عام ١٩٣٩م، يتحدث فيها عن والدته المتوفاة تقول القصيدة :

أحقًا كانَ لِى أمٌّ فماتتْ ... أمَ انِّى قدْ خلقتُ بغيرِ أم
رمانِى اللهُ فى الدنيا غريبًا ... أحلِّقُ فى فضاءٍ مدلهمٍّ
وأسألُ يا زمانى أينَ أحظى ... بأختٍ أو بخالٍ أو بعمٍّ
وهلْ أقضى حياتى ثمَّ أفنى ... وهذا القلبُ فى عَتَمٍ ويتمِ
وأسألُ عن صديقٍ لا أجِدْهُ ... كأنى لستُ فى أهلى وقومى

فى الرابعة الابتدائى ذهب إلى أسيوط، وكان هناك واعظ مشهور يدعى «إسكندر حنا» مع مطران متدين اسمه ا لأنبا «مكاريوس» صار فيما بعد البابا «مكاريوس الثالث». هذه السنة تركت تأثيراً دينياً كبيرا على حياته، وعلى حياة أخيه الأكبر منه مباشرة وهو «شوقى جيد» (حاليا القمص «بطرس جيد») فانشغلا بالحياة الدينية فى الكنيسة، وضاع العام الدراسى فلا قدم «شوقى» على شهاد ة الكفاءة ولا قدم «نظير» على شهادة الابتدائية، بيد أن تأثير هذا العام لم يضع، جاء شقيقهما الأكبر «روفائيل جيد»، وأعادهما معه إلى بنها التى كان يعمل بها، ومنها حصل «نظير» على الشهادة الابتدائية، أما شوقى فاتجه إلى كلية اللاهوت فى القاهرة حيث تخرج منها فيما بعد وكان الأول.

ظل «نظير» عامين بلا دراسة بعد الابتدائية، لم تكن هناك سوى مدرسة ثانوية أميرية، وكان لابد كى يلتحق بها من تقديم أوراق رسمية مثل (شهادة الميلاد)، ولم تكن لديه شهادة ميلاد؛ لأنهم سجلوه فى سواقط القيد بعد وفاة والدته، واضطرته الظروف إلى أن يلجأ إلى الأطباء من أجل التسنين، يومها ذهب إلى الطبيب كان فى الحادية عشرة من عمره، وقال له: «أوعى تقع فى غلطة يا دكتور»، فتعجب الطبيب من هذا الطفل الذى يحذره من الخطأ، وقال له: أى خطأ تقصد ؟!، وهنا قال له «نظير»: من الممكن أن يولد الإنسان بعد وفاة أبيه

إذا كان الأب قد ترك زوجته حبلى، ولكن لا يمكن أن يولد بعد وفاة والدته، وشهادة وفاة والدتى معروفة بالتاريخ، والفرق بين ولادتى وبين وفاتها أيام؛ فاحذر أن تكتب تاريخ ميلادى بعد وفاة والدتى، ويومها كتب الطبيب التاريخ بالضبط وهو ٣ أغسطس عام ١٩٢٣م.

فى العامين اللذين قضاهما فى البيت بدون دراسة قرأ الكثير من الكتب؛ فالقراءة هوايته المفضلة، ولذا حينما التحق بالتعليم الثانوى كان أكثر نضجا فى الفكر من جميع زملائه، كان الأول في دراسته، متفوقا للغاية فى الرياضيات واللغات والعلوم، وفى الثالثة الثانوية درس الشعر، وشغل به كثيرا عن باقى العلوم، وكتب فى الصحافة المدرسية قصصا وزجلا وشعرا، أما موضوعات شعره فكانت بسيطة كنوع من الوصف أو تهنئة مدرس. فى هذه المرحلة نشأت صداقة عميقة بينه وبين زملائه فى الدراسة، كانوا يلجئون إليه لحل مشاكلهم. وكا ن الطابع السائد فى شخصيته حبه لروح المرح والفكاهة، ورغم أنه كان خجولا إلا أن خجله كان يتبدد فى الخطابة والحفلات.

عقدته الرسم.. يتذكر فى شهادة «الثقافة العامة» كان بينه وبين أول «الثقافة العامة» على القطر ثمانى درجات، والسبب أن الأول حصل على ١٨ درجة من عشرين فى الرسم، بينما حصل «نظير» على ست درجات فقط، أى أنه كان سيتفوق عليه لولا الرسم، ولربما أهمل الرسم بسبب الشعر.

التحق نظير بالتوجيهى قسم علمى، واستمر حتى منتصف السنة، ثم بدأ يفكر فى مستقبله وتساءل: «ما الذى سأفعله عندما أتخرج من القسم العلمى ؟ الأفضل أن أصبح طبيبا، ولكنى لم أكن أحتمل إطلاقا آلام الناس، ويردف قائلا لى: « كنت لا أستطيع أن أرى أحدا يأخذ حقنة، كنت أغادر الغرفة فورا، أنا أعرف نفسى، لم أكن أصلح لأن أكون طبيبا، ولهذا طلب من أخيه الأكبر أن يحوله إلى القسم الأدبى، والتحق فى نصف السنة بمدرسة حرة، ويومها عقدت المدرسة امتحانا فتفوق على طلبة الأدبى، منحه الله نعمة الاستيعاب، وقوة الذاكرة بالنسبة لتلقى المعلومات وحفظها واستيعابها، وفى هذه الأثناء قدم أحد زملائه على وظيفة وقبل، وفكر «نظير» لماذا لا ألتحق بوظيفة مثله ؟! وبالفعل قبل فى وظيفة، بيد أن أخيه الأكبر حذره قائلا: «ستضيع مستقبلك بذلك خاصة وأنك فى توجيهى، فطمأنه، وقبلت المدرسة بالأمر فلقد كانت تضمن نجاحه، وحصل «نظير» على التوجيهية وهو موظف، وعندما التحق بالجامعة منح مجانية التفوق طوال دراسته الجامعية.

دخل «نظير» فى خدمة الكنيسة فى «مدارس الأحد»، كان ذلك فى عام ١٩٣٩م، كان يومها فى الثالثة الثانوية أى ما يقابل حاليا (الأولى الثانوية)، طلب منه بعض الكبار أن يقوم بالتدريس وارتبط بخدمة الكنيسة وبالجو الدينى، أما فى الجامعة فكان طالبا متفوقًا مرحا يقود حفلات الكلية ورحلاتها، وكثيرا ما لجأ إليه الطلبة للاستعانة به فى أمور دراسية وبحوث.

التحق بكلية الآداب قسم تاريخ، كان الأول فى السنة الأولى، ولكنه لم يحتفظ بهذا التقدير بعد ذلك، يتذكر «نظير» أساتذته: «على إبراهيم حسن»، و«حسن إبراهيم حسن»، و«أحمد بدوى»، و«محمد عوض محمد».

يتذكر عندما كان فى السنة الأولى من الجامعة دعى لأحد الاجتماعات السياسية وهناك ألقى قصيدة فنالت شهرة؛ ولكن لم يلبث أن شعر بأن العمل السياسى لا يتفق مع مثالياته الدينية فتركه وودعه بالأبيات التالية :

قدْ كنتُ فى غربةٍ أو كنتُ فى ظَعْنِ   ثمَّ انثنيتُ وبى شوقٌ إلى وطنى

قدْ خدَّرونى بألفاظٍ منمقةٍ   وظلَّ سحرُهم ينصبُّ فى أذنى

حتى انخدعتُ بما قالوا وما سردوا   يومَ انْخدعتُ بهم كمْ كانَ أبرأنى

ومنذ ذلك الحين أصبح شعره فى الحياة الروحية والنسكية، إلا القصائد التى ينظمها لحفلات الكلية والتى كانت تغلب عليها روح المرح.

بدايـة الطريق

خلال هذا الجو الاجتماعى الذى عاشه «نظير جيد» فى الكلية، وخلال هذا التفوق فى الدراسة – كانت هناك عوامل أخرى داخلية فى القلب تقوده إلى حياة النسك، وكانت قمة هذا الأمر تكمن فى حياة الرهبنة، غير أن الفكرة عن الرهبنة لم تكن مجرد انعزال أو بعد عن المجتمع، وإنما كان حنيناً إلى الله وإلى الانفراد به بعد أن تغلب هذا الشعور على أى نجاحات فى الحياة لـ «نظير جيد». لقد بدأ وخلال فترة دراسته بنشر قصائد فى الحياة النسكية، وبخاصة ما بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٧ منها قصيدة غريب ، وفيها يقول :

غـريبا عـشت فى الدنيا   نـزيـلا مـثـل آبائـى
غـريبـا فـى أساليـبى   وأفـكـارى وأهـوائـى
غـريبـا لم أجـد سـمـعـا   أفـرغ فـيـه آرائـى

ثم يقـول :

تركـت مـفـاتـن الدنيا   ولم أحـفـل بناديهـا
ورحـت أجـر تـرحـالى   بعـيدا عـن مـلاهيـهـا
خلـى القـلب لا أهـفـو   لشىء مـن أمـانيـهـا

ويقـول أيضـا :

أقـول لـكـل شـيـطـان   يـريـد الآن إغـرائـى
حـذارك إنـنى أحـيـا   غـريبـا مـثـل آبائـى

اهتم «نظير» بالبحوث التى كانت تقدم كأعمال سنة؛ فيلجأ إلى مكتبة الكلية والجامعة ودار الكتب ويقضى شهورا عديدة فى البحوث والتى كانت تصب فى مصلحة مادة واحدة وهى مادة «أعمال السنة»، وفى إحدى المرات فقد هذه المادة أيضا، فعلى الرغم من حصوله على امتياز فى ثلاثة بحوث إلا أنه حصل على صفر فى مادة أخرى كان يدرسها له الأستاذ الدكتور «أحمد بدوى» يقول البابا شنودة لى: «كنا قد تغيبنا عن بعض محاضراته، فأراد أن يرد لنا بالمثل فكان فى كل محاضرة يمتحن بعضًا منا فى اختبار شخصى يعتبره أعمال سنة، وما زلت أذكر ذلك الامتحان - سألنى هل «أمحتب» له مؤلفات؟ فقلت له: نعم له ثلاث كُتبْ فقال لى: كُتُبْ أم كُتِبْ؟ ذلك أن كُتِب فعل ماض مبنى للمجهول، وانتهى الامتحان بصفر مع أن المعلومات صحيحة.

فيما بعد صار رئيسا لجامعة القاهرة، ومن خطباء الثورة المعروفين، ووضع كتابا فى التاريخ القديم تحت عنوان «فى مواكب الشمس»، وكان ينشر لنا كتب الأستاذ «سليم حسن»، وهو من علماء التاريخ القديم صدرت له مجلدات عديدة عن مصر القديمة، فذاكرت له هذه المجلدات اتقاء لحدوث مفاجآت فى الامتحان الشفهى فى آخر العام، كما قرأت مراجع أخرى عديدة، وفى امتحان آخر العام سألنى الدكتور «أحمد بدوى» سؤالا فأجبته بإجابة مستفيضة فتعجب وسألنى من أين لك هذه المعلومات؟! قلت «سليم حسن»، وسألنى سؤالا آخر فأجبته بمعلومات أكثر اتساعا، فسألنى من أين؟! فقلت له من «جيمس هنرى»، وله كتاب من أشهر كتب التاريخ القديم، وطرح علىّ سؤالاً ثالثاً وسألنى عن مصدر معلوماتى فقلت له من كتاب ألمانى مترجم وعندئذ فوجئت بالسؤال الرابع الذى حيرنى وأتعبنى، إذ قال لى: وماذا عن مذكراتى؟! فقلت له طبعا هى الأصل، فقال: أنا أعرف كيف كنتم تحضرون محاضراتى، وأعطانى مجرد درجة القبول (٦) من عشرين، وبدا لى ذلك محاولة منه للانتقام، كنا فى هذا العام الدراسى (١٤٠) طالبا نجح منا (٢٣) فقط ونجحت، ولكن فقدت الامتياز.

ويمضى البابا شنودة يستعرض أيام الدراسة، يتحدث عن «عباس عمار»، يقول: كان أستاذنا فى الأنثروبولوجى، وصار وزيرا للشئون الاجتماعية بعد ذلك ثم وزيرا للتعليم، فى أحد المرات وكنا فى الامتحان النهائى أجاب أحد الطلاب على سؤالين فقط من أربعة ومنحه الدكتور «عباس عمار» تقدير جيد جدا، وقال رغم أنه أجاب فقط على نصف الأسئلة إلا أن

إجابته أظهرت لى رجاحة عقله، فهذه العقلية لا تستحق أقل من جيد جدا، وهذا هو الفرق بين الأستاذ والديكتاتور.

كانت للبابا شنودة أيضا علاقة طيبة مع الدكتور «على إبراهيم حسن» أستاذ التاريخ الإسلامى، وكان شقيقه الدكتور حسن إبراهيم حسن أستاذاً للتاريخ الإسلامى ورئيسا لقسم التاريخ وعميدا للكلية وصاحب مؤلفات عن تاريخ الإسلام السياسى، ولم يحدث فى سنة من السنوات أن حصل البابا شنودة على أقل من ممتاز فى مادتيهما، وكانت له أيضا علاقة كبيرة بالدكتور «جمال سرور» والذى كان يدرسه التاريخ الإسلامى فى السنة الثانية بالكلية، يقول البابا شنودة: وعندما كان أميرا للحج فى هذه السنة وأقامت له الكلية حفلة عند عودته ألقيت قصيدة فى تحيته، وهناك الأستاذ الدكتور «محمد عوض محمد» كان رئيسا لقسم الجغرافيا، وكان عبقريا فى الأدب العربى وكان أحد مؤلفى كتاب «الأدب التوجيهى» المقرر على الثانوية العامة، وأحد عمالقة الكلية جسماً وعلماً، ثم أسس معهد السودان الذى عرف فيما بعد باسم «معهد النيل» وتولى رئاسته ومن بعده تولاها الدكتور «محمد محمود الصياد»، والتحقت بهذا المعهد وفى حفل افتتاحه وقف الدكتور «محمد عوض» يتحدّث فى بلاغة وطلاقة عن المعهد وأهميته ومنهجه وأثناء حديثه دخل الدكتور «طه حسين» وجلس على مقعد يستمع، وهنا رأيت الدكتور«عوض» تهتز بلاغته فى حضور الدكتور«طه حسين»، ولا عجب فلقد كان «طه حسين» فلتة من فلتات الزمن يتمتع بشخصية جبارة وكذلك كان جبارا فى إنتاجه الأدبى وإدارته وأتذكر أننى قرأت له - وعمرى خمسة عشر عاما - كتاب «قادة الفكر» وأعجبت بفكره وأسلوبه السهل السلس؛ ولذا ما إن يمسك إنسان بكتاب من كتبه إلا ويقرؤه كاملا، وللأسف اصطدم طه حسين بالعقاد فى وقت من الأوقات، وكانت بينهما أطروحات فكرية وخصومات، ومن ذلك ما قاله طه حسين: «ما للأعمى والمرآة، وما للأكسح والممشاة، وما للعقاد والأدب».

ويتحدث البابا شنودة عن العقاد فيرى أن الخاصة يمكن أن يقرءوه؛ لأن أسلوبه عميق يحتاج إلى عقلية عميقة لتفهمه،ويتذكر أنه قرأ للعقاد فى مستهل شبابه كتابه «سارة» وهى قصة مشهورة، نال بسببها مركزاً أدبياً كبيراً، كان يتمتع بعقلية فى منتهى الذكاء، وكان يستقى المعرفة من كل مصادرها، كان يتمتع بالمعرفة التى لا علاقة لها بالشهادات العلمية وقد يحصل من قراءاته الخاصة أكثر بكثير مما يناله طالب علم فى معهد من المعاهد.

يتذكر البابا شنودة عندما كان طالبا فى السنة النهائية بكلية الآداب، كان طالبا وفى نفس الوقت كان مدرسا فى مدرستين: مدرسة إنجليزية بجدول كامل، ومدرسة مصرية أهلية بجدول جزئى، وفى نفس الوقت كان طالبا فى السنة الأولى بالكلية اللاهوتية، كانت له أنشطته العديدة، وما كان من الممكن أن يسمى نفسه طالبا متفرغا، فى نفس الوقت كان مهتما جدا بالبحوث الخاصة بالكلية ولعل أهم ما خرج به من دراسته الجامعية هو القدرة على البحث العلمى والتعرف على المراجع وترجمة الأجنبى منها، وفى نفس العام التحق بالضباط الاحتياط وكان الأول على دفعته، ويتحدث البابا شنودة عن ذلك فيقول: كنا نتلقى تدريبات عسكرية كل يوم ودراسة عسكرية مركزة فى الصيف، واستفدنا كثيرا، تعلمنا النظام والدقة والاستيقاظ مبكرا والعناية بأنفسنا والجدية فى الحياة وطاعة الرؤساء وحصلنا على معلومات كثيرة جدا ما كنا لنحصل عليها فى المحيط الجامعى.

الطريق إلى الرهبنة

يتحدث البابا شنودة عن رحلة الوصول إلى خدمة الرب، يقول البابا حول ذلك: «بدأت أكرس نفسي لخدمة الرب، فبعد تخرجي من كلية اللاهوت تم اختياري لأكون مدرسا في هذه الكلية عام ١٩٤٩م، وأيضا صرت مسئولا عن «مجلة مدارس الأحد»، كمدير للتحرير ثم كرئيس للتحرير، وكانت لي مسئوليات كثيرة من حيث التدريس وسط الشباب، ثم أيضا تم اختياري مدرسا بمدرسة الرهبان بحلوان وأنا علماني، الخلاصة أنني أصبحت معروفا في الجو الكنسي ولم تبق إلا الخطوة الأخيرة وهي الرهبنة، فكل ما سبق كان مقدمات وخطوات في الطريق، وأصبح موضوع الرهبنة ينتقل من كلمة «هل» إلى كلمة «متى»، في تلك الفترة عرض على أكثر من مرة أن أكون قسيسا فاعتذرت؛ لأن قسسنا متزوجون وأنا لا أريد هذه الحياة، كنت أشعر أن حياة البتولية فيها حرية أكثر بحيث يستطيع الإنسان أن ينتقل حينما يشاء، ويختار نوع الحياة الذي يناسبه في استخدام وقته كما يحب وفي استخدامه لنوع المعيشة الذي يروقه حتى في أكله وصومه دون شريك له في الحياة يسائله ويراقبه ويتدخل في خصوصياته، بل يعتبرها من خصوصياته هو، ويردف البابا شنودة: في تلك الفترة أيضا كنت أتردد على الأديرة وبخاصة وادي النطرون وبالذات «دير العذراء» الشهير بالسريان؛ وأصبحت لي صلة وثيقة بالدير وبرئيسه ورهبانه، كنت أقضي كل الأعياد في الدير وليس وسط أسرتي، وكلما كنت أجد فراغا كنت أقضيه في الدير، واعتادت الأسرة هذا الجو مادمت أروح وأجيء، كنت أشعر أنّ على واجبا حيال أسرتي ينبغي أن أؤديه، فلما جاء الوقت الذي شعرت فيه أن تركي للأسرة لا يؤثر عليها إلا من الناحية العاطفية فقط شعرت أنّ الوقت قد جاء.

وهكذا كان البابا شنودة يسافر إلى الدير ويرجع إلى أسرته التي تعودت ذلك ولكن في المرة التي قرر فيها أن يسافر بحيث لا يعود قابل أخاه الأكبر. قلت له: «أنا مسافر - إن شاء

الله ـ إلى الدير، فقال تصحبك السلامة، ولكن متى ترجع، قلت لا أعرف متى، ولكنى مسافر، فأخذها بحسن نية وسافرت فى عام ١٩٥٤م.

● **الرهبنـــة :**

الفترة الأولى من الرهبنة هى فترة خدمة فى الدير، المقصود بها أن يعيش الراهب وسط الرهبان، ويقوم بمسئولية معينة فى خدمة الدير، وعن طريق الاختلاط يتعرف على نفسه من الداخل ويتعرف عليه الرهبان، فإن كان فيه خطأ يتنبه إليه ويصلحه، ولكن لا يلجأ الراهب إلى الوحدة مباشرة؛ لئلا تكون فى نفسه أخطاء يغلق عليها فى مكان وحدته وتثبت فيه وتنمو، وقد أعطيت فى الرهبنة مسئولية مكتبة الدير ومطبعة الدير واستقبال السواح الأجانب بالإضافة إلى العمل العام فى الدير مع التعود على مواعيد الصلاة فى الدير والاشتراك فيها يوميا.

وأتيحت له الفرصة فى الدير كى يتعرف على ما تكشف عنه الطباع، والنماذج كثيرة منها هل يسرع الراهب للذهاب إلى الكنيسة للصلاة إذا دق الجرس نصف الليل أم يتكاسل ويكمل نومه؟؟ هل إذا تصرف معه راهب آخر بطريقة أتعبته هل يغضب أم يتحمل وإذا غضب هل يفقد أعصابه ويخطئ بلسانه وبتصرفه أم يحتفظ بهدوئه ؟؟

أما عن فترة الرهبنة فيقول البابا شنودة: إنها لا تقاس بالأيام والسنين وإنما تقاس بحالة القلب من الداخل، فإذا تنقى القلب تماما وسكنه الهدوء والحب نحو الجميع، وإذا ما تدرب على الطاعة دون تذمر وإذا ما تدرب أيضا على الصلاة حينئذ يمكن أن يدخل إلى حياة الوحدة ويستطيع أن يدخلها تدريجيا.

وأسأله ما الذى يعنيه بالتدرج فيقول: أقصد بالتدرج على الصلاة أن الإنسان حينما يأتى من العالم مباشرة لا تكون له القدرة على مداومة الصلاة ولا يكون قد وصل إلى متعة الحديث مع الله وإنما يدخل فى هذا الأمر تدريجيا بحيث تزداد صلواته طولا وعمقا، طو لا من حيث المدة التى يقضيها فى الصلاة، وعمقا من حيث نوعية الصلاة حيث تكون صلاة بفهم وبحرارة وبإيمان وبخشوع وبحب نحو الله، وبحيث إذا انتهت صلاته يعز عليه أن يختمها فهو يشتاق لأن يستمر فيها، إذا وصل إلى هذا الوضع يمكنه عندئذ أن يبقى فى الوحدة.

المختصر المفيد فإن الرهبنة تعنى مقاومة النفس والانتصار عليها.

رجـل الديـن والحـكـم

على الرغم من أنه اُتهم فى عهد الزعيم الراحل، «أنور السادات» بأنه يتدخل فى السياسة ويمزج بين السياسة والدين؛ إلا أن البابا يتبنى مبدأ يبعده عن شهوة السياسة وشهوة الحكم.

ـ سألته مرة:

هل لرجل الدين أن يحكم؟ ذلك أن منطق العصر يجعل الحديث عن الدين امتداداً طبيعيا للحديث عن السياسة، فلماذا نمارس الفصل بينهما؟

ـ فقال لى:

بأن المسألة ليست فى تعبير الدين والسياسة وإنما فى تعبير رجال الدين ورجال السياسة؛ ولا يختلف أحد فى أن تكون السياسة متدينة ولكن يختلفون فى أن رجال الدين يصبحون هم رجال السياسة فهذا هو الاختلاف.

وأسأله هل معنى هذا أن السياسة تترجم هنا على أنها الحكم ومن ثم لا يُراد لرجل الدين أن يصل إلى الحكم؟ فقال: نعم، هذه نقطة من النقاط، والنقطة الثانية أن رجل الدين من الجائز أن يفكر فى ماهية القواعد الدينية التى تحكم وليس الأحكام الدستورية والقانونية، فيصبح المقابل لرجل الدين قواعد الحكم ذاته والدستور والقانون، وكل هذه أمور ستدخل وتختلط.

البابا والسادات..؟!

الانطباع الذى يمنحه البابا شنودة لكل من يعرفه ويقترب منه ـ أنه إنسان هادئ علاقته بالناس علاقة محبة وليست علاقة عراك وكثير من المشاكل يحلها بأسلوبه وهو مزيج من الفكاهة والدعابة، لايدخل فى مشاكل، إذا أحب أعطى وأجزل العطاء وإذا عادى أحدا لا يستطيع أن يغيره. يقول لى البابا شنودة تعقيبا على ذلك: «ولكن يمكن أن أكون صريحا تماما مثل موقفى مع الرئيس السادات ومع اليهود كنت صريحا معهم ولم أضرهم».

سؤال: الانطباع الذى عكسه البابا شنودة فى عهد الزعيم الراحل السادات أنه يناصب السلطة العداء؟

ـ أنا كإنسان مسيحى يحترم سلطة الدولة ولا يقاومها، ولم يحدث فى يوم من الأيام أن تحديت السلطة أو قاومتها.

سؤال: ولكنكم وقفتم ضد السلطة ممثلة فى الرئيس السادات ؟

ـ أنا لم أقف ضد سلطة الدولة ولكن السلطة وقفت ضدى، وفى خطاب أرسلته للرئيس السادات قلت له فيه: «يا سيادة الرئيس نحن باستمرار نتخذك حكما لا خصما»، ولكن المشكلة أنه فضل أن يكون خصما لا حكما، كنا فى موقف المعتدى عليه ولجأنا إليه كحكم وحاكم؛ فاعتبر الشكوى تصعيدا للأمور ومبالغة بينما أثبتت الوقائع فيما بعد أننا كنا مجرد جرس إنذار يقول للرئيس: « احترس هناك خطر» فلم يحترس واعتبر النصيحة عداوة وأثبتت الأحداث صحة ما توقعناه فكان ضحية لمن شكوناهم إليه، وفعلا زاد الخطر حتى وصل إلى حادث المنصة الذى يؤسف له.

ويتذكر البابا شنودة ما كان، حينما أخرج السادات المتطرفين من السجون وسجن مراكز القوى فيما سمى بحركة التصحيح، و قال

السادات أنا حاأفرجهم، فلقد ردد الإخوان المسلمون يومها شعارا يقول: «أفرم أفرم يا سادات دول ناس خونة جبانات».

سؤال : رؤيتكم فيما قيل من أن السادات قرب إليه الإخوان لمقاومة الشيوعية ؟!

ـ أولا لم تكن الشيوعية تهدد مصر؛ لأن شعب مصر متدين في جملته، المسلمون متدينون والشيوعية ملحدة. النقطة الثانية: هي أن السادات في ذلك الحين لم يكن له حزب ولا قاعدة شعبية؛ لأن مصر كان فيها حزب واحد هو الاتحاد الاشتراكي وكان يقوده «على صبرى» فأصبح السادات في حاجة إلى قاعدة شعبية تسنده لذلك أطلق أولئك من السجون وهو يعرف أنهم جماعات منظمة وقوية؛ فتكون له سندا.

«كانت هذه الأحداث في ١٤ مايو ١٩٧١م وبعدها بستة أشهر في ١٤ نوفمبر ١٩٧١م أصبحت بطريركا، كان هؤلاء الذين خرجوا من السجون في منتهى العنف والقوة والسلطة فلم يجدوا أمامهم غير الأقباط للتنفيس عن الطاقة، ولم يكن ممكنا للغضبة المكبوتة أن توجه ضد الحكومة ولهذا وجهت ضد الأقباط، ووقعت أحداث تصدرتها واقعة الخانكة».

ولم يرضى البابا على هذا الموقف وبدأ الصراع

وأسأل البابا ماذا عن حادثة الخانكة ؟

ـ الأقباط لم تكن لهم كنيسة هناك؛ فحولوا قاعة لإحدى الجمعيات القبطية إلى كنيسة، وصلوا فيها واعتبر المتطرفون الإسلاميون أن هذا الأمر ضد القانون؛ فحرقوا الكنيسة.

سؤال: ماذا عن لجنة «تقصى الحقائق» التى شكلت عندئذ ؟

ـ ما أتذكره أنه شكلت لجنة لتقصى الحقائق بالنسبة لحادثة الخانكة؛ ولم تكن في الحقيقة للخانكة وإنما كانت لنا نحن الأقباط، فلقد كان حادث الخانكة في أواخر أكتوبر عام ١٩٧٢م، ثم جاء «عيد جلوسى» كبطريرك في ١٤ نوفمبر، كانت الكاتدرائية مليئة بالناس، تحدثت كثيرا (كلاما روحيا) ثم جاء موضوع الخانكة، تحدثت عن علاقتي بالمسلمين، قلت: إن من يحرق الكنائس ليسوا مسلمين في الحقيقة، فالمسلم الحقيقي هو الذى يسلم المرء من يده ولسانه، وهو الذى يجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن. وقلت ولهذا أنا أترك هذا الموضوع في يد إخوتي المسلمين يتصرفون فيه، واتخذت قرارا بألا تبصرني الشمس آكلاً إلى أن تحل

المسألة بين المسلمين والمسيحيين، فرضت على نفسى صوما إلى الغروب كل يوم والذى استمر شهورا طويلة.

سؤال: ماذا كان رد فعل الرئيس السادات على ذلك ؟

- فى اليوم الثانى لخطابى أصدر الرئيس السادات قرارا بتشكيل لجنة لتقصى الحقائق شارك فيها أعضاء من المسلمين والمسيحيين، وكانت برئاسة الأستاذ «جمال العطيفى» وكان من بين الشخصيات المسيحية التى شاركت فيها: «ألبير برسوم»، و «محب أستينو»؛ وتكهرب الجو، ثم زارنى الرئيس السادات فى مقرى بالبطريركية فى أواخر ديسمبر أى بعد هذه التطورات بشهر،ويومها تفاهمنا فى موضوع الكنائس، سألنى لماذا يبنى الأقباط فى بعض الأوقات كنائس بطريقة غير شرعية تثير المسلمين؟!- قلت: له لأنهم لا يجدون أمامهم طريق الشرعية، قال نتفق على خطة سنوية، قل لى: ما الذى تحتاج إليه من الكنائس وأعدك بأن الرقم الذى تحدده سأوافق عليه فورا بل وأضيف عليه عشرة من عندى- قلت: لا أريد أن تقع فى مشاكل مع المسلمين- وهنا قال: لا تخش شيئا، إحنا ماسكين البلد كويس من الداخل، فقلت إذن أربعين كنيسة موزعة على المحافظات- وهنا قال لى: وعشرة من عندى كى يصبح العدد خمسين كنيسة. دام لقاؤنا ساعة ونصف، ولكن ورغم أن الرئيس السادات وعدنى بخمسين كنيسة فإن الوعد لم ينفذ.

سؤال: الرئيس السادات غضب عندما أعلنتم الصوم ؟؟

- نعم تعاتبنا حول الصيام، قلت للرئيس السادات يا سيادة الرئيس، صومنا عبادة وليس سياسة، هو صوم موجه إلى الله وليس إلى أحد من الناس، فسكت، واعترف بأننى أعلنت الصوم وقتئذ احتجاجا على الاعتداءات ضدّ الأقباط وحرق الكنائس ومشروعات القوانين التى تفوح منها رائحة الدم.

سؤال: ماقصة المنشور السرى؟

وماذا عن زيارتك الأولى للرئيس السادات ؟

- عندما تأكد بواسطة القرعة فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٧١م- أننى سأنصب بطريركا زرت الرئيس السادات فى منزله بالجيزة فى الأول من نوفمبر، يومها قبلنى أكثر من مرة ربما

كانت قبلات سياسية، ويومها قال السادات: «درست تاريخ كنيستى كويس أوى، وأحب أن ترجع الكنيسة القبطية إلى أمجادها القديمة» ولكن وحينما حاولت أن أعيدها إلى هذا المجد القديم قامت الدنيا ولم تقعد.

سؤال: والمنشور السرى!!

ـ مشكلتى الأساسية أننى أردت أن أكون مخلصا لوظيفتى؛ بدأت بنشاط فقوبل بنشاط آخر من شيخ الجامع الأزهر (الشيخ الفحام) كان يقيم عظات فى غيط العنب بالإسكندرية كل أسبوع، ثم بعد ذلك صدر منشور مصطنع ضدى مفاده أننى أريد أن أعيد مصر مسيحية كما كانت فى الأول، وما حدث أن الرئيس السادات ترك المنشور ينشر وسط مئات الآلاف وفى النهاية قالوا: إنه منشور مصطنع، ومن بين ما جاء فى المنشور أننى طالبت بأن تكون نصف قيادة الجيش مسيحية، ولم يحدث هذا فى يوم من الأيام؛ ولكن المنشور حرك المتطرفين ضدى وبدأت مجموعة فى حرق الكنائس.

سؤال : وما الذى فعلته لجنة «تقصى الحقائق» التى ترأسها جمال العطيفى ؟

ـ سألت جمال العطيفى سؤالا، قلت: حينما زرت كنيسة الخانكة هل رأيت كنيسة أم جمعية؟! فصمت قليلا ثم أجاب بذكاء: إن المكان الذى زرته هو مكان تقام فيه الشعائر الدينية. صمت فى البداية؛ لأنه لو قال: جمعية تكون الإجابة خاطئة، لأنه كنيسة بكل مظاهرها، ولو قال: كنيسة لتعذر عليه ذلك فهو كرجل قانون لا يستطيع أن يسميها كنيسة بدون قرار جمهورى، وعامة أصدرت اللجنة تقريرها بعد عدة شهور طويلة شرحت فيه العلاقات بين المسلمين والمسيحيين حتى قبل أن أصير بطريركا، وقالت عن المنشور السرى إنه واضح الاصطناع.

سؤال : صليتم سويا مع الرئيس السادات.. متى كان هذا ؟

ـ نعم، أول مرة صلينا فيها كانت فى العاشر من أكتوبر عام ١٩٧٧ حينما حضر لوضع حجر الأساس لمستشفى «مارى مرقص» فى منطقة البطريركية، وألقى كلمة وألقيت كلمة قلت فيها: «إن مصر ليست وطنا نعيش فيه وإنما هى وطن يعيش فينا..» وصلينا سويا للمرة الثانية عندما رفع العلم فى العريش.

سؤال : هل شعرتم بأن الرئيس السادات تبنى موقفا متباينا من الجماعات الإسلامية عن الموقف الذى اتخذه منكم؟

ـ نعم، كان الرئيس السادات يتحدث عن الجماعات الإسلامية بقوله «أولادى»، كان يظن أنه سيكسبهم بهذا الأسلوب، وكان لابد كرد فعل أن نأخذ موقفا؛ لأنه احتضنهم، ويكفى أنه قاوم كل الأحزاب ماعدا هؤلاء؛ وللأسف وجدناه فى السنة الأخيرة فى حالة قلق، لم يكن يهتم بأى شكوى، ظن أن هؤلاء الذين قربهم سيساندونه، وأخطأ فى الحسابات بعد أن جاءت النهاية على أيدهم.

قلتم ذات يوم: «أخشى أن يأتى وقت تقولون فيه كانت توجد طائفة الأقباط فى مصر وانقرضت»..

سؤال: لمن قلتم ذلك؟

ـ قلتها لضابط المباحث فى إبريل ١٩٧٧ بمناسبة صدور «التعداد»، قلت له: ليست هذه إحصائية هزيلة فقط، وإنما هى هازلة، وذلك عندما سألنى عن شعور الأقباط بعد أن قرءوا التعداد، وهنا لم أملك نفسى من الضحك، قلت له: لقد ظنوها طرفة واستغربوا أنهم وجدوها فى الصفحة الأولى وليست فى صفحة «صلاح جاهين»، فقال لى: أنا مبسوط إن سيدنا بيضحك، فقلت له: فى الحقيقة هى ليست هزيلة وإنما هازلة؛ لقد كانت نسبة تعداد الأقباط وفقا لهذه الإحصائية (٢,٥) مليون فقط.

- **قوانين تفوح منها رائحة الدم:**

يحدثنى البابا شنودة عن مشروع قانون الردة فجأة ظهر إلى حيز الوجود فى عام١٩٧٧ واستاء الأقباط؛ كان يشكل خطرا عليهم إذا تم تمريره وأصبح نافذا كقانون، وسارع البابا شنودة وكتب مذكرة رفعها للرئيس السادات جاء فيها ما يلى:

أولا ـ لماذا تسرع الدولة بإصدار قانون للردة بينما لا توجد «ردة» تهدد الإسلام فى مصر. إن أول قانون للردة طبق أيام الخليفة أبى بكر الصديق، وكان الإسلام فى أول نشأته وكانت الردة جماعية، أما الآن وقد ثبت الإسلام أقدامه ولم تعد هناك خشية من الردة فلماذا الإسراع فى إصدار هذا القانون ؟!

ثانيا - واضح أن «قانون الردة» إذا صدر سيكون موجها ضدنا نحن؛ لأنه لا يوجد فى مصر سوى دينين فقط، والذى يرتد عن الإسلام إما أنه يرتد إلى المسيحية أو يرتد إلى الإلحاد،والملحدون فى مصر يقولون: إنهم مسلمون ثابتون فى إسلامهم، إذن فهو موجه ضد المسيحية، ونحن لانقوم بحركة تبشير حتى يصدر قانون ردة ضدنا وهنا أذكر ثلاث نقاط:

(أ) لنفرض أن مسيحيا ولد وعاش مسيحيا ثم أحب امرأة مسلمة وأراد أن يتزوجها فارتد عن المسيحية إلى الإسلام، وبعد ذلك أتعبه ضميره وأراد أن يرجع إلى الدين الذى ولد فيه فهل يعتبر مرتدا ويقتل ؟! وإذا بقى فى الإسلام هل يكون صادقا فى إسلامه بينما يريد أن يتركه؟! وهل الإسلام يريد عددا أم إيمانا؟

(ب) لنفرض أن رجلا مسيحيا لأى سبب من الأسباب صار مسلما، وكان له أولاد مسيحيون متمسكون بدينهم ولكنهم لم يبلغوا سن الرشد بعد، فهل يعتبرون مسلمين على الرغم منهم؟ وهل يعتبر هذا عدلا؟ وإذا أعلنوا مسيحيتهم التى ولدوا فيها فهل يعتبرون مرتدين ويقتلون ؟

(ج) وفقا لهذا المشروع يعتبر الإنسان مرتدا بشهادة اثنين أو ثلاثة، وما أسهل أن تكون هذه الشهادات مزورة أو لا تطابق الواقع، وإذا حدثت مثل هذه الشهادات الزور إذا مات شخص فأعلنوا أنه «أسلم» قبل موته لكى يتم الاستيلاء على ميراثه كما حدث فى قضية مشهورة فى الإسكندرية.

ثالثا - قانون الرد ة ضد الإسلام، فالإسلام يقول: «لا إكراه فى الدين».

رابعا - قانون الردة ضد المساواة فإن وجدت مساواة يصدر قانون لكل من يرتد عن دينه مسيحيا كان أم مسلما، والمعروف أن المسيحى حينما يرتد عن دينه إلى الإسلام تقام له الحفلات والزينات ويعتبر مهتديا؛ وعكس ذلك يحدث للمسيحى إذ يطبق عليه «قانون الردة» ويحكم عليه بالقتل فيقتل.

خامسا - هذا القانون لا يتفق مع الدستور الذى ينادى بالحرية الدينية.

سادسا - هذا القانون لا يتفق مع وثيقة حقوق الإنسان التى وافقت عليها كل الدول.

سابعا - المحرض يقتل مع المرتد فإذا رجع المرتد يسجن.

أما ما حدث بعد هذه المذكرة فهو أن مشروع القانون لم يمرر وجمد.

● **قصــة لقــاء:**

فكر موسى صبرى فى أن يرتب للقاء بينى وبين الرئيس السادات، كان المسيحيون قد فرضوا الصيام على أنفسهم، وامتد هذا إلى أمريكا وآسيا واستراليا، وبدأ السادات يفكر فى اللقاء معى، توجهت وبصحبتى حوالى خمسين أسقفا ولم يكن موجودا معه غير ممدوح سالم وموسى صبرى، اللقاء استغرق أربع ساعات ونصف، تحدث السادات عن علاقته بروسيا وفى النهاية قال: «أنا طردت الخبراء الروس، أنا لا يهمنى شيء» تحدث الرئيس السادات عن أولادنا فى الخارج واستنكر موقفهم قائلا: «هل يليق أن يشتكونى لكارتر»ثم أردف قائلا: «هو كارتر له عندى إيه، أنا ما يهمنيش دى شئونى الداخلية»

ويكمل البابا: بدأ السادات يسخن وينفخ فى البايب قائلا: «أنا أعتب على البابا والمجمع المقدس، إزاى أولادنا فى الخارج يعملوا كده، أنا البابا طلب منى أربعين كنيسة أعطيته خمسين».

قال أحد الأساقفة للرئيس: نحن نشعر وكأننا غرباء. فقال الرئيس: لا، ليس لك حق. فتدخلت وقلت للرئيس السادات هل تسمح لنا أن نعتب عليك؟! الأقباط قطاع لابد أن تهتم به؛ وعرضت عليه أن يجلس معنا فى اجتماع فى عيد الفطر من كل عام فوافق ولكن بعدها قام بزيارة الكنيست.

ويتذكر البابا عندما زار الرئيس السادات فى ١٤ ـ ١٥ يناير ١٩٧٩ جامعتى أسيوط والمنيا وقف وفتح موضوع الاعتداء على المسحيين، وكلما استعرض اسما ممن اعتدى عليهم كان يقول للمحافظ: أنت سامعنى يا محمد يقصد محافظ أسيوط، وكان يدعى «محمد عثمان إسماعيل» وكان متعصبا وهنا سارع مرافقى الرئيس السادات فنبهوه إلى أنه يتحدث على الهواء ـ وهنا قال لهم: لازم أصارح الشعب.

وعندما اشتكى البعض من محافظ أسيوط قال الرئيس السادات: المحافظ متعصب والمطران متعصب، وعليه فعلى البابا أنه يشيل المطران وعندها حا أشيل المحافظ.

سؤال: ولكن من الذى حرك الخصومة بين البابا والرئيس السادات؟

ـ كان الرئيس السادات فى العامين الأخيرين قبل وفاته يشير إلى خلافه معى، وفى إحدى الإذاعات قال: «أنا أقوى الأقوياء، لم يحدث أن أصدرت قرارا وكان خطأ»، لقد أعطى لنفسه العصمة بأن قال عبارة لا يقولها إلا الله وحده، بل إن المدح الكثير الذى أتاه من

الخارج منحه نوعا من الثقة بالنفس، ولكنها ثقة مبالغ فيها بحيث لم يكن يقبل معارضة، مديح الغرب أضر به، ظن أنه فوق النقد، وفوق المعارضة وأنه معصوم وأنه أقوى الأقوياء، ناهيك عن المديح فى الداخل، وزير الداخلية يقول: البلد معاك، ثم نتيجة الانتخابات أكثر من ٩٩ ٪، ثم ما كان يقوله دائما: «القلة الضالة سنربيها».

يتذكر البابا شنودة علاقته بالرئيس السادات، ويردف قائلا: لم اصطدم إطلاقا بضعيف أو هادئ أو وديع، كل من اصطدمت معهم كانوا أقوياء، الخصومة كانت من جانب الرئيس السادات لأننى لم أفعل له شيئا، وما قلته ذات مرة هو لو أن السادات سمع لشكوانا وأخذ الأمر بجدية ضد المعتدين علينا ما كان قد قُتل لأنّ من اعتدوا علينا هم الذين قتلوه .

فى إبريل ١٩٧٧م قابل البابا شنودة «كارتر» وكان الرئيس السادات قد زاره قبل البابا بعشرة أيام، وقال كارتر للبابا: الرئيس السادات تحدث بروعة عنك.

President Sadat Spoke very highly about you.

وفى إحدى المرات وبعد موت الرئيس السادات زار المهندس «عثمان أحمد عثمان» البابا شنودة الذى يتذكر قائلا: كان ذلك سنة ١٩٨٧ وقال لى يومها الله يجازى إللى كان السبب، الله يجازى إللى كانوا حواليه فكان ردى: المفروض فى الرئيس أن يقود الذين حوله ولا يخضع لقيادتهم، لأنه هو الرأس فالقائد يقود ولا يقاد فلا يترك من حوله يقودونه، والمفروض أن يناقشنا فيما يصل إليه عنا، كان يمكن أن يطلبنا ويواجهنا بكل ما يصله ويعطينا فرصة؛ لأن نوضح وجهة نظرنا.

• البابا شنودة والشريعة الإسلامية :

سؤال: ما رأيكم فى تطبيق الشريعة الإسلامية ؟!

ـ بدورى أسأل ما الشريعة الإسلامية بالتفصيل ؟

أى هل المطلوب منا أن نبدى رأيا فى شىء لم يعلن بعد وأمامنا أمور تحتاج إلى إيضاح، مثلا:

١ ـ ما رأى الشريعة الإسلامية مثلا فيما يسمى «الأمير»، هل يكون لكل مدينة أو لكل حى أو لكل جامعة أو لكل كلية أمير يبايعونه الآخرون بالطاعة المطلقة، كما حدث عندما أمر «صفوت عبد الغنى» بقتل «فرج فودة» فقتل ؟!

٢ ـ ما رأى الشريعة الإسلامية فى الكفر؟ هل الكافر هو الشخص الذى لا يؤمن بوجود الله أو الذى لا يؤمن بأمور أساسية فى الدين، أم أن كلمة كافر تنسحب على مسائل عديدة جدا، أو على كل من يخالف الرأى الآخر، كما حدث من أن أشخاصا كفروا المجتمع كله فى وقت من الأوقات؟

٣ ـ هل كل من يقول رأيا يظن أنه ضد الشريعة يكون كافراً؟! وإذا حكم بذلك يحل قتله فيحكم عليه بالإعدام؟

٤ ـ ما رأى الشريعة فى المرأة مثلا؟ هل المرأة العاملة لون من الكفر، كما كتب البعض فى إحدى المجلات؟ هل لابد للمرأة أن تكون حبيسة البيت ترعى أولادها وكفى دون أن يكون لها مشاركة فى العمل العام أو فى نهضة المجتمع كله؟!

٥ ـ ما رأى الشريعة فى الأمور المالية وفوائد البنوك؟!

٦ ـ ما رأى الشريعة فى الخمر ؟ وما رأيها فى الفن؟ وهل إذا تابت الفنانات يمتنعن عن الفن؟ هل الفن حرام؟

إننى أرى فى الشريعة موضع تساؤلات، بل إن المسلمين أنفسهم مختلفون فيما بينهم حول نقاط أساسية فى الشريعة؛ ولهذا قلت لمن حضر لجان الاستماع الخاصة بوضع الدستور عام ١٩٧١م: عندما تتفقون على رأى حول الشريعة اعرضوه علينا؛ لكى نبدى رأينا فيه؛ لأن الإنسان لا يبصم على مجهول.

وأتذكر أننى حينما تقابلت مع الدكتور «صوفى أبو طالب» سنة ١٩٧٨م ـ تناولنا هذا الأمر، وسألته هل الشريعة تجعل الإمام والحاكم شخصا واحدا، كما حدث أيام الخلفاء الراشدين، وكما حدث فى إيران أيام الخومينى؟! وقلت: إن الشريعة لها قواعد فى المعاهدات والجيش فهل نستطيع تطبيقها اليوم؟! ثم انتقل الحديث إلى موقفنا نحن الأقباط، فقلت: له إن الأقباط لا يشغلهم إلا سؤال واحد: وهو إذا طبقت الشريعة فكيف يعاملون؟ هل سيعاملون كأهل ذمة أو أهل كتاب أو مستأمنين أو كفار، وكل بند من هذه البنود له باب طويل فى الشريعة الإسلامية، أم سيعاملون كمواطنين لهم كل حقوق المواطنة فلا فرق بين القبطى والمسلم؟ أجابنى الدكتور «صوفى أبو طالب»: طبعا سيعاملون كمواطنين لهم كل حقوق المواطنة، فقلت له: كلا، فإن الشريعة لا تقول بهذا، ودللت على كلامى بكتاب القضاء فى الإسلام، فأول شروط القاضى أن يكون مسلما، وشعرت يومها بأن الدكتور «أبوطالب» قد أرهق، لأننى

أواجهه بالحقيقة، ووفقا للشريعة - إذا طبقت - لا تؤخذ بشهادته، ثم إن المرتد إذا رجع عن ارتداده لا يقتل؛ لأن رتبته أعلى منا، فنحن كفار وفق المبدأ القائل: كل من هو ليس مسلما فهو كافر!!

سؤال: الديـن عنـد الله الإســلام ؟!

ـ معناه أن كل ما ليس بإسلام ليس دينا.. كيف ؟؟!!

سؤال: وماذا عن الشريعة الإسلامية والولايـة ؟؟

ـ الشريعة تقول: لا ولاية لغير المسلم على مسلم، ومعنى هذا أنه لا يمكن أن يكون مسيحى فى موضع رئاسة على الإطلاق، ولا حتى بواب، لأن البواب له ولاية على الباب.

سؤال: ولهذا تم أخذ الأوقاف المسيحية من هذا المنطلق؟

ـ نعم ، على أساس أنه إذا وجد فائض يكون لوجهة البر، أى أن للمسلم فيه نصيب، ومادام هذا قائما فلا ولاية لغير المسلم على المسلم، ولقد أثرت هذا الموضوع مع الرئيس السادات فى سبتمبر ١٩٧٧م، قلت بأن للأوقاف وضعا قانونياً ووضعا سياسيا، فسمع دون أن يبدى أى رأى، فقلت له: ثم إن الأوقاف موجودة فى بلاد متفرقة فهل سنعمل مشكلة فى كل بلد، ثم قلت: شوف يا سيادة الرئيس أنت تنشئ مزارع ولا تشكل أوقاف الأقباط شيئا بالنسبة لهذه المزارع، وافترض أن الأوقاف بتاعتك واديتها هدية للأقباط، وهنا نظر إلى ممدوح سالم رئيس الوزراء يومها، وقال: اديهم الأوقاف يا ممدوح. ومرة أخرى لم ينفذ القرار، مجرد كلمة.

● البابا والتحريض على النسل وإقامة دولة فى أسيوط :

سؤال: أحد الاتهامات التى ألصقت بكم أنكم حرضتم على زيادة النسل؟

ـ لم أحرض عليه.. وهناك دليلان على ذلك:

الأول - أن لنا أسقفية الخدمات العامة لها مراكز كثيرة جدا فى غالبية المحافظات، وهى مراكز لتنظيم الأسرة وتوزع فيها وسائل لتنظيم النسل مجانا، والكنيسة القبطية تتحدث عن هذا المجال وتدعو إليه.

الثانى - النسبة الضئيلة للأقباط فى التعداد، الذى تعلنه إدارة الإحصاء والتعداد دليل على أنه لازيادة فى النسل، هذا فضلا عن أن حالة الأقباط الاقتصادية لا تساعد على زيادة النسل، أما كون أن يطلق أحدهم شائعة لتنتشر وتكون رأيا ضد الأقباط، فهذا لا يقبل لا من جهة الدين أو الوطنية أو المحبة والعلاقات الاجتماعية.

سؤال: ماذا عن دولة أسيوط ؟

- الرئيس السادات لم يقل بأننى حرضت على إقامة دولة فى أسيوط، وإنما تحدث عن واقعة حدثت أيام عبدالناصر والبابا «كيرولس» وأكد بأن هذه الواقعة لا يعرفها إلا هذان الشخصان اللذان غادرا العالم . لقد قيل بأن الفكرة ظهرت فى أثيوبيا وأن البابا «كيرولس» كان فى أثيوبيا وبقى فيها أربعة عشر يوما؛ نتيجة كرم «هيلاسلاسى».

ولكن من تراه عرض الفكرة؟ وما مصلحته فى ذلك؟ وما الإمكانات؟

ثم إن الاقتراح نفسه يعتبر أمرا غير منطقى للأسباب الآتية :

١ - هل من المعقول أن يترك الأقباط جميع مقدساتهم التى تنتشر فى القطر كله ومنها: أقدم الأديرة فى العالم، والأماكن التى زارتها العائلة المقدسة، والكنائس القديمة جدا؛ لكى يتقوقعوا فى أسيوط ؟!

٢ - هل من المعقول أن تتحول مصر إلى ثلاث دول: دولة أسيوط، ودولة شمال أسيوط، ودولة جنوب أسيوط، ويصبح الشخص الذى يسافر من المنيا إلى الجنوب يتجمرك فى أسيوط، والذى يأتى من أسوان وسوهاج يتجمرك فى أسيوط؟!

٣ - هل معقول أن الأقباط يختارون دولة متوسطة كهذه، بحيث إذا حدث عدوان يحدث من المنيا شمالا وسوهاج جنوبا والواحات غربا والبحر الأحمر شرقا ؟!

٤ - إن أمن الأقباط الطبيعى هو فى اختلاطهم بإخوتهم المسلمين، بحيث من يريد الاعتداء عليهم لن يستطيع؛ لأنه لن يميز بين قبطى ومسلم، وعليه يصبح تجمع كل الأقباط فى مكان واحد بحيث يسهل إفناؤهم إذا أريد لهم ذلك غير منطقى!

٥ - هل معقول أن الأقباط يبدءون فى تكوين دولة بكل ما تحمل من مؤسسات الدولة، وبحيث يكون لها جيش وحكومة؟!

٦ – حاليا الأقباط لهم رئاسات فرعية، فالأساقفة أكثر من خمسين أسقفا، لكل منهم دائرة اختصاص مثل المحافظين. فهل كل هؤلاء يتركون كنائسهم وشعبهم ويوزعون على قرى وحوارى أسيوط ويسمونهم الآباء الحواريين؟!

٧ – إذا أريد تكوين دولة فكيف يتم ذلك؟؟ عمليا لا يمكن أن يتم إلا بواسطة الدولة المصرية حيث تقوم بعملية مبادلات فى الأملاك والأطيان، وفى هذه الحالة تكون الدولة وليس الأقباط هى القائمة بالعملية والمنفذة لها وتكون العملية تحت إشرافها.

٨ – هناك الكثير من العوائق والمشاكل، ومنها ما الذى سيئول إليه مصير الكنائس والمساجد داخل وخارج أسيوط، هل يقبل الأقباط تحول كنائسهم إلى مساجد والعكس؟!

٩ – ماذا يكون مصير المقابر والكل يعتز بمقابره؟!

١٠ – لا يمكن أن يقبل الأقباط أن يتركوا هويتهم المصرية؛ لكى ينتسبوا إلى مكان هو جزء بسيط من مصر، نحن نحب كل شبر من أرض مصر، ولنا فيها مقدسات وذكريات.

١١ – ماذا عن العلاقات الاجتماعية والصداقات، هل نتخلى عنها مسلمين ومسيحيين؟!

الموضوع عبارة عن طرفة لا يقبلها عقل، وللأسف روجت هذه الخرافة وصدقها البعض، ولهذا كانت أسيوط مركزا لغالبية الاعتداءات على الأقباط.

سؤال: قيل: إن أمريكا هى التى تسعى لتنفيذ موضوع كهذا بهدف تفتيت مصر؟

ـ ما مصلحة أمريكا فى أمر كهذا؟ وهل تملك السيطرة على مصر، وهى دولة مستقلة وذات سيادة؟!!

أنــا ومــبارك

يتـحـدث عن عـهـد الرئيس مبـارك؛ يُعدد الإنجـازات، يكفى إفـراجـه عن كل الساسـة المعتقلين ممن قبض عليهم بقرارات سبتمبر ١٩٨١ .. يكفى إصلاحه للجسور مع الدول العربية، والسماح بوجود الرأى والرأى الآخر، ووجود الحزب المعارض والصحافة المعارضة.

يُحْمد للرئيس مبارك قراره بإنهاء تحديد إقامته فى وادى النطرون فى الخامس من يناير ١٩٨٥.

ويصف البـابا شنودة الرئيس مبـارك فيقـول: إنه رجل يبـعد عن الانفـعال فى سياسـته الخـارجية؛ لقد أدرك أن الخطة الناجحة لأية دوله لا يخدمـها الانفعال والحلول السريعة، وإنما يحتاج الأمر إلى الروية والهدوء والتفكير المتزن. لقد طبّق مبارك المبدأ القائل: «مالا يدرك الآن يدرك بعد الآن؛ فالبذرة قد لا تصبح شجرة إلا بعد سنوات ولكن قوة الحياة تعمل فيها ولو تحت الأرض»، ويكفيه أنه واجه الإرهاب وقضى عليه.

سـؤال : ماذا عن رأيكم فى المناخ الذى تعيشه مصر الآن..

سواء أكان هذا على المستوى الخارجـى أم الداخلـى ؟

ـ من الناحية الخارجية لا بدّ أن نشكر السياسة التى سار ويسير عليها الرئيس حسنى مـبارك فى التصالح مع كثير من الدول؛ فعودة مصر إلى منظمة المؤتمر الإسلامى والدول الإسلامية أمـر مفرح، كما أنه تصحيح لخطأ سابق ، وسياسة التقارب مع الكتلة الشرقية وزيارات الرئيس مـبارك إلى بعض دولها أمر رائع. ولاشك أنه يوجـد لون من التوازن يفـيد مصر كثيرا فى علاقاتها مع الغرب، وهو أيضا أمر رائع نسر به جميعاً.

ولا غرو فإن المرء ليلحظ اليوم تقدما ملموسا فى العلاقات العربية مع مصر، مهّد لهذه السياسة الحكيمة التى اختطها الرئيس مبارك تجاه الدول العربية والتى تصدرها اللسان العف

الذى يتكلم به الرئيس مبارك عن الدول العربية والدول الأخرى التى قد تهاجم مصر أحيانا. وكل هذا يشعر الناس بأن قلب رئيس مصر مفتوح أمام عودة المودة والتقارب؛ لقد استن سياسة مؤداها عدم مقابلة التجريح بالتجريح، ولا شك أن هذا أسلوب بناء وسليم وأسلوب روحى وخلقى رفيع وهو قمين بأن يؤتى ثمارا ونتائج تبشر بالخير، كذلك لاننسى أن موقفنا قد تحسن جدا بالنسبة لعلاقاتنا مع دول عدم الانحياز.

وهناك نقطة أخرى يجب التنويه بها؛ لأننا لانستطيع أن نغفلها وهى أن مصر لا تستجيب لأية عوامل تدعو إلى الإثارة فى المجال الخارجى، ولذلك احتفظت بثباتها وبقوة أعصابها فى مواجهة المشاكل.

لقد وردت على الرئيس مبارك مشاكل عديدة، ولكن نعمة الله كانت معه فى إيجاد حلول لهذه المشاكل؛ وهذا كفيل بأن يمنحنا رجاء عميقا فى مستقبل أفضل وغد أحسن. ولذلك نشعر كل يوم بأننا نتقدّم خطوة بعد خطوة فى اتجاه مسيرة الهدف الذى نتطلع إليه.

سؤال : قداسة البابا شنوده ،

ماذا عن سياسة مصر فى الداخل وما أهم الزوايا التى يمكن الحكم من خلالها على مصر من الداخل ؟

ـ لا شك أن مصر قد خطت خطوات عملية مباركة فى طريق الديمقراطية، وكانت أول خطوة فيها إفراج الرئيس مبارك عن كل السياسيين المعتقلين، ولايقتصر الأمر على هذا فحسب، وإنما يتعداه إلى إعطائهم الحرية فى الإعراب عن وجهات نظرهم وفى ممارسة معارضتهم دون غضاضة، وفى غير خوف من تكرار مأساتهم السابقة. وهكذا عادوا إلى عملهم السياسى، وعادت إليهم صحافتهم وحرية الكلمة وحرية الاجتماعات، كما عادت الحرية السياسية أيضا بالنسبة إلى وجوه كانت قد فقدت حقوقها السياسية من قبل، ولأول مرة ومنذ قيام ثورة يوليو نجد فى مجلس الشعب فى الثمانينيات أكثر من ستين عضوا فى صفوف المعارضة البرلمانية، لقد كانت لفتة كريمة من رئيس الدولة أن يعين بعض أعضاء من المعارضة فى مجلس الشعب؛ لكى يمارسوا حقوقهم السياسية ويعبروا عن آرائهم لتسهم فى بنيان مصر.

سـؤال : معنى هذا أن الإحساس بالمناخ الديمقراطى الكامل قد تعمّق ووضح؟

ـ لقد أفرج الرئيس مبارك عن كل الذين قبض عليهم بقرارات سبتمبر ١٩٨١، وبدأت الدولة تزيل عقدة الخوف من قلوب الناس؛ لكى يسيروا فى المسار الديمقراطى السليم. قد تتعدد المشارب، وقد تظهر وجهات النظر المختلفة، لأننا لانستطيع أن نقول بأن جميع الناس يشتركون فى فكر واحد، ولكن أيا كان فإن الخلاف فى الفكر لايؤثر على وجود المحبة فى القلب؛ لأن الناس وإن اختلفوا فى الرأى فسيظل هناك الافتراض قائما بالنسبة لوجود الإخلاص فى منهج كل منهم، نحن نشكر الدولة؛ لأنها تسمح بوجود الرأى والرأى الآخر، وتسمح بوجود الحزب المعارض والصحافة المعارضة، ونرجو من الله أن يقود فكر الجميع إلى خدمة دولتنا المحبوبة التى لانشك مطلقا فى إخلاص أى مصرى لها.

إننا فى خضم تجربة الديمقراطية نجتازها ولربما تحدث فيها بعض الأخطاء، ولكن بالممارسة ستئول كل الأمور فى النهاية إلى الخير.

سـؤال : هل هناك زاوية أخرى تود التطرق إليها؛ لتقييم سياسة مصر فى الداخل؟

ـ المشكلة الأخرى التى تقابلها بلادنا هى المشكلة الاقتصادية، وهى مشكلة تخرج فى بعض جوانبها عن نطاق قدرة الحكام. مثال ذلك، ازدياد عدد السكان بدرجة تفوق قدرة مواردنا المالية، وهذا أمر خارج عن نطاق قدرة أى حاكم.

ونحن نرجو ونتطلع إلى أن يوجد توازن بين الموارد المالية والتضخم السكانى، وفى الحقيقة فإن المشكلة الاقتصادية تحتاج إلى تعاون الجميع من أجل حلها، فليسهم كل فرد بمقترحاته البناءة، ويقينى بأن الدولة لابد ستستفيد من كل اقتراح عملى بناء.

سـؤال : كان واحدا من أهم قرارات الرئيس مبارك ـ إنهاء تحديد إقامتكم فى وادى النطرون فى الخامس من يناير ١٩٨٥، وأتساءل ألم يجل بخاطركم السبب الذى أدى إلى إطالة بقائكم فى دير وادى النطرون؟!

ـ أنا أولا لا أحدد لله وقتا فى حل المشكلات، إنما أترك لله يحل المشكلة فى الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة التى يراها، وعليه قدرت أن الظرف لم يحن بعد؛ وبخاصة أن

مصر فى ذلك الحين كانت تجتاز ظروفاً أمنية يجب وضعها فى الاعتبار، وأيضا لا يصح أن ننظر إلى الأمور من ناحيتنا نحن، وكان علينا أيضا أن نقدر السياسة العامة للدولة التى تحوى فى داخلها كثيرا من الأسرار التى لا نعرفها بالنسبة لاتخاذ القرار.

سؤال : ما الشعور الذى انتابكم عندما أصدر الرئيس مبارك أمرا بعودتكم إلى مقركم فى القاهرة فى ذلك الحين ؟

ـ شعرت أن ذلك كان الوقت المناسب الذى اختاره الله لرجوعى، وأيضا كان الوقت المناسب الذى اقتنعت به القيادة السياسية فى البلاد بإمكان أن أغادر وادى النطرون وأعود ثانية إلى القاهرة، شعرت بالامتنان للرئيس مبارك الإنسان، وأتذكر أننى فى ذلك اليوم حينما دخلت الكاتدرائية وسط فرحة الشعب القبطى قلت للحاضرين : «كثيرون جاءوا يهنئوننى بعودتى إلى مقرى، وأنا لا أعرف لى مقرا إلا قلوبكم المملوءة بالحب، وعن هذا المقر لم أبعد لحظة واحدة ولا طرفة عين».

سؤال : موضوعيا ما تقييمكم للرئيس مبارك كسياسى أدار دفة الحكم منذ عام ١٩٨١ ، وما أهم الصفات التى أهلته لأن يحكم مصر وتطالب الأغلبية بترشيحه لفترة رابعة ؟

ـ من الناحية العربية استطاع الرئيس مبارك أن يكون صداقة مع كل دولة عربية على حدة، والرئيس مبارك يجمعهم فى كثير من المناسبات لهدف معين ينجح فيه، وثقة العرب فى مبارك وثقة العالم الخارجى فى مبارك بين العرب، أعطى لمصر ثقلها وأهميتها مما يجعل دول الغرب تلجأ إلى الرئيس مبارك فى كثير من القضايا العربية، وهو رجل طويل البال لا ييأس بسرعة وفى داخله يعتقد أن الأمر الذى لا تستطيع أن تحله اليوم يمكن أن تحله غدا أو بعد غد، وسعة الصدر هذه فى مواجهة الأمور تجعله دائما مستبشرا حتى فى أحلك الأيام ظلمة، فمثلا: بالنسبة إلى «لاءات باراك» نراه يقول: علينا أن ننتظر لنرى ما سيفعله الرجل، فمن الممكن أن تكون هذه اللاءات من الدعايات الانتخابية أما السياسة فستظهر فيما بعد.

سـؤال : وهل ترونه قد نجح فى إدارة الدفة مع حكومة نتانياهو السابقة؟

ـ سياسة مبارك تجاه نتانياهو تذكرنى بقول أحد القديسين: «من لا توافقك صداقته لا تتخذه عدوا» وهكذا كان الرئيس مبارك يتصرف أيام نتانياهو، لم تكن تعجبه إطلاقا سياسة الرجل وكان ينتقدها علنا وبشكل مستمر، ولكنه لم يحل المعركة إلى صدام، هاجم الرئيس سياسة نتانياهو لكنه لم يدخل معه فى قطع علاقات ولا فى حرب.

وهكذا نجد أنه فى سياسته الخارجية يبعد عن الانفعال، بينما كان غيره ينفعل ويصدر قرارات انفعالية؛ يكون لها نتائج خطيرة على مصير الوطن، فبعد أن كانت مصر قبل عهد مبارك منفصلة سياسيا عن كل العرب وعدم الانحياز والدول الشرقية ـ عادت الروابط والعلاقات أقوى وأمتن، أدرك مبارك بسياسته الحكيمة أن الخطة الناجحة لأية دولة لا يخدمها الانفعال والحلول السريعة، وإنما يحتاج الأمر إلى الرؤية والهدوء والتفكير المتزن إزاء ما ينبغى عمله، طبق مبارك سياسة النفس الطويل وبخاصة فى الأمور المعقدة، فالسياسة لا يحكم عليها من خلال فترة زمنية محدودة وإنما هى حلقات فى سلسلة طويلة تؤتى أكلها فيما بعد؛ عملا بالمبدأ القائل: «ما لا يدرك الآن يدرك بعد الآن، فالبذرة قد لا تصبح شجرة إلا بعد سنوات ولكن قوة الحياة تعمل فيها ولو تحت الأرض».

سـؤال : من وجهة نظركم كيف أعلن الرئيس عن صياغة سياسة أعاد بها الأمور إلى نصابها وسلط من خلالها الضوء على مصر كدولة رائدة فى المنطقة؟

ـ تمكن الرئيس مبارك من ذلك بسياسته الهادئة غير المنفعلة؛ فهو طويل البال، ولم يسمح بأن يهاجم من كان يهاجمه وترك المهاجمين ينفسون عما فى صدورهم دون أن يقابلهم بالمثل إلى أن هدءوا وعادوا أدراجهم إلى ما كانوا عليه قبل القطيعة، وعادت العلاقات وصاروا أصدقاء، وهنا نرى أن الرجل لم يخلط بين السياسة العامة والتأثر الشخصى، بل ترك المسائل الشخصية جانبا وبهدوء أصلح الجو الخارجى.

وفى عهده تم تحسين العلاقات وتبديد جو التوتر الذى ساد فى الماضى، وأمكن لمصر القيام بدور فعال فى مسيرة السلام، وفى عهده تأكد أن مصر مؤهلة لذلك بموقعها الاستراتيجى وقوتها العسكرية، ولكونها الأكثر اعتدالا فى المنطقة، وفى عهده عادت مصر

إلى العرب وعادت إلى منظمة المؤتمر الإسلامى، ولعل من الحكمة التى اتصفت بها سياسة مبارك أنه فتح لمصر ميادين جديدة فى الصداقة الدولية، مثلما فعل فى زيارته الناجحة إلى الصين وكوريا، فمع علاقاته الطيبة مع أمريكا إلا أنه أنشأ صداقة وطيدة مع الصين حتى لو كانت هناك اختلافات بين الأيديولوجيتين الأمريكية والصينية، بل إن صداقته التى كونها مع الصين لم تؤثر على سياسته مع أمريكا؛ فهو لم يكون صداقة مع طرف كى تبنى على عداوة للطرف الآخر، ولكنه عمل على أن تكون الصداقة مع الجميع حتى لو اختلف هؤلاء بينهم وبين بعضهم بعضا.

سؤال : أيدتم دعوة الرئيس مبارك فى أوائل التسعينات حول وجوب إخلاء المنطقة من السلاح النووى ؟

ـ نعم، أيدته وأؤيده فى أن امتلاك إسرائيل للسلاح النووى ـ يشكل إخلالا بالتوازن فى المنطقة، بل إن ترسيخ الاستقرار فى المنطقة يأتى أولا بتطبيق ما دعت إليه مصر وهو إخلاء المنطقةمن السلاح النووى، ويتطلب هذا توقيع إسرائيل على معاهدة الحظر النووى، ولماذا تحتفظ إسرائيل بترسانة نووية وهى تتحدث عن السلام؟! لا يمكن أن يسود سلام وهناك طرف يملك السلاح النووى، خاصة أنها الدولة الاستثناء الوحيدة فى المنطقة التى تنفرد به، إن وجود السلاح النووى فى يد إسرائيل يشكل تهديدا للمنطقة حتى ولو لم يتم استخدامه، فوجوده يشجع أطرافا أخرى فى المنطقة على أن تسعى لامتلاكه على أساس التماثل والمساواة، فلا يمكن لدولة أن تحتكر السلاح النووى وتنفرد به؛ لذا فإن الأسلم للجميع تطبيق المبادرة التى تبناها الرئيس مبارك ودعا إليها.

سؤال : كيف تقيمون سياسة الرئيس مبارك فى الداخل؟

ـ سلك مبارك طريقها بطول البال، والقدرة على تحمل المصاعب، وأعطى الحرية للصحافة تتكلم كما تشاء حتى لو كانت تهاجم سياسات حكومته أو السياسات العامة التى يرأسها ويوجهها، ولم يعاقب أحداً على تجاوزه فى الكلام أو فى الرأى أو استخدامه ألفاظا غير لائقة، وخطت مصر فى عهده خطوات عملية مباركة على طريق الديمقراطية، وتوج بداية حكمه بالإفراج عن السياسيين الذين كانوا قد اعتقلوا أيام سلفه الرئيس السادات وجلس معهم وأعطاهم حرية الرأى والفكر والاجتماع، ثم رأيناه يجلس مع زعماء المعارضة ويتحاور معهم

ولا ننسى إطلاقًا عبارته المشهورة التى قالها أكثر من مرة وهى: إن المعارضة جزء من النظام، وهى عبارة تدل على فهم عميق للديمقراطية.

لم ينفعل مبارك بسبب تصرفات المعارضة، مهما هاجمت سياسته؛ لأن السياسة التى لا تلقى سوى التأييد وحده من الكل تكون فى خطر، لأنها لا تعكس سوى آراء المؤيدين من المتملقين، أما الحكم الذى يحترم وجود المعارضة وآرائها ويأخذ منها الرأى الصائب بغض النظر عن أسلوب التعبير عن هذا الرأى - فهو الحكم الديمقراطى، من أجل هذا وجدنا الآن أحزاباً معارضة تؤيد إعادة انتخاب مبارك رئيسا لفترة جديدة.

سؤال : ماذا عن سياسته الاقتصادية ؟

- كانت إحدى أولويات اهتمامه الشديد بالتنمية الاقتصادية؛ فزادت الرقعة الزراعية فى مصر بشكل كبير حتى إنه فى كل عام كا ن يضاف أكثر من (١٥٠) ألف فدان أمكن استصلاحها وتعويض ما فقدته مصر من أراض زراعية استغلت فى المبانى، وأصبح المثل السائر أن الطريق الصحراوى يمكن أن يسمى الآن الطريق الزراعى، كذلك النهضة الزراعية فى منطقة العريش ومناطق أخرى من سيناء، يضاف إلى كل هذا مشروع توشكى والصورة الجديدة لوادى مصر فى اتساعه الجديد وما يتبع ذلك من نهضة اقتصادية وتشغيل للعمالة فى هذا المشروع وفى باقى المناطق الزراعية المستصلحة، بالإضافة إلى النهضة الكبيرة فى استخراج البترول والغاز الطبيعى فى مصر؛ ولعل هذا الأمر من البركة التى منحها الله لعصر مبارك فى أن فجر له من باطن الأرض ثروات تعوض مصر اقتصاديا، يضاف إلى ذلك استخراج الحديد وهذه بركة أخرى تضيفها نعمة الله إلى أرض مصر.

سؤال : ماذا عن المستقبل ؟

- هناك النهضة الكبيرة فى استخدام الكومبيوتر؛ حتى إنه أصبح مادة لتلاميذ المدارس ولطلبة الجامعات، والرئيس مبارك يعمل جهده لكى تقابل التكنولوجيا الحديثة باستعداد خاص، وكذلك لمساعدة المستثمرين الأجانب على العمل فى مصر بتيسير كل الوسائل لهم من جهة المواصلات والاتصالات والدراية التكنولوجية والعمالة الفنية، ولا ننسى فى هذا المجال ما أقيم فى مصر من كبارى علوية وأنفاق تحت الأرض، وكل هذا أعطى صورة

لمصر تختلف كثيرا عن صورها فى القرن الماضى بل حتى عن صورتها فى العصر السابق لمبارك مباشرة، ولا شك فى أن هذا هو التطور الطبيعى لمصر فى تاريخها، فكل جيل يضع حجرا أو طابقاً جديدا.

سؤال : وماذا عن علاقاتكم مع الرئيس مبارك؟

ـ علاقتى بالرئيس مبارك هى علاقة طيبة، وكل مرة كنا نتلاقى فيها كان التلاقى يتم فى جو من المودة الصادقة، وأشهد أن الرجل حسن اللقاء طيب الروح بسيط فى تعامله مع الناس، كما أشهد أيضا أنه صريح فى معاملته مع الشعب وصادق فيما يقوله لهم، وربما يكون هذا أحد الأسباب التى تجذب الناس إليه وأنا واحد منهم.

سؤال : فى سنة ١٩٩٥ وفى أعقاب عودة الرئيس مبارك من أديس أبابا إثر واقعة الاغتيال الفاشلة التى تعرّض لها توجهتم إليه يومها.. هل تذكرون ما قلتموه له؟

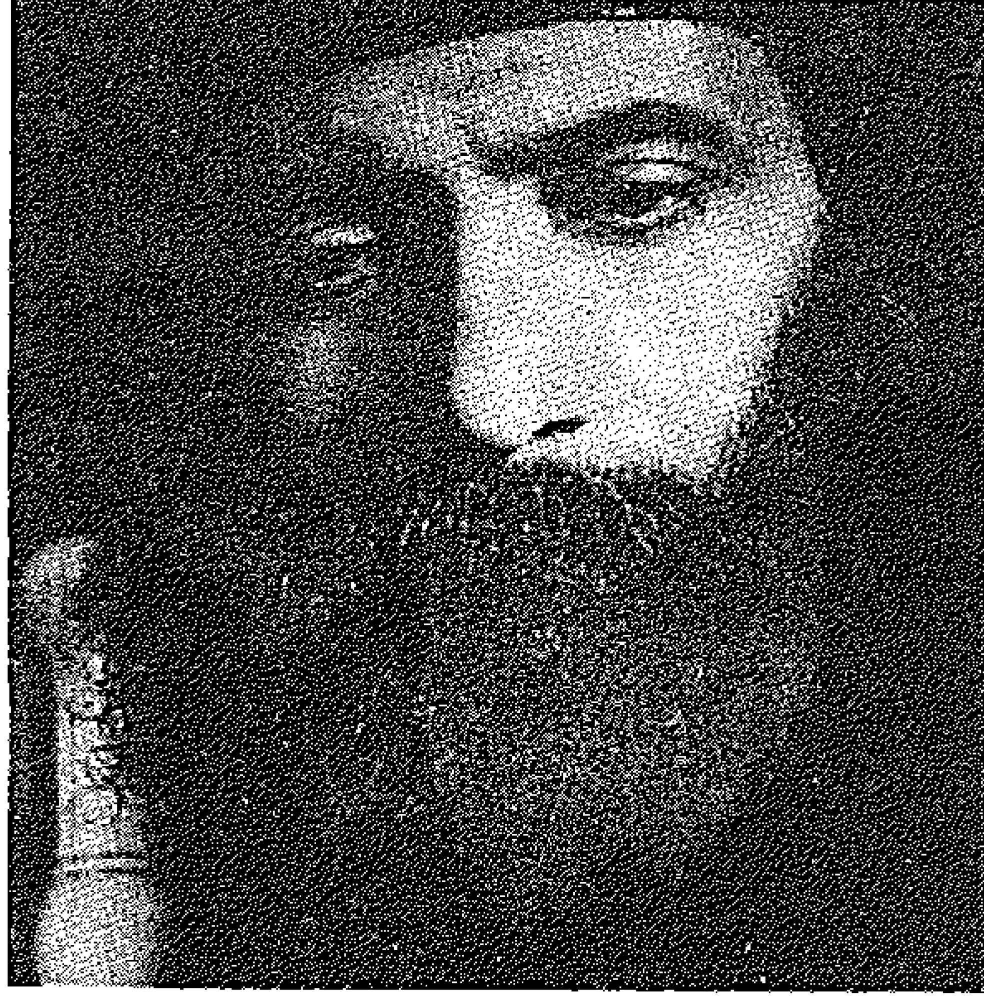
ـ فى هذا اللقاء تكلمت من قلبى ببساطة وتلقائية، وكان ما قلته: « إننا يا سيادة الرئيس، نؤمن بيد الله فى الأحداث، لقد كان الموت قريبا منك جدا، ولكن يد الله كانت أقرب إليك منه فصدته عنك، كانت أسلحة الموت فى أيدى الناس، أما حياتك فكانت فى يد الله، ويد الله أقوى، وقد استبقاك الله من أجل رسالة تؤديها وستبقى حتى تؤدى رسالتك».

سؤال : ما الذى يستدعيه الحديث عن الرئيس مبارك بالنسبة لكم؟

ـ الحديث عن الرئيس مبارك هو حديث عن نهضة مصر فى أيامنا هذه بأسلوب فريد وسريع ومتقن، تولى الرئيس مبارك حكم البلاد فى فترة حرجة جدا وهى فترة كانت مضطربة سياسيا إلى أبعد الحدود، وكنا نعتبر قبوله الحكم تضحية منه، واستطاع أن يجتاز بالبلاد تلك الفترة الحرجة ثم يتقدم بها إلى الأمام فى خطوات سريعة، واجه الإرهاب بحكمة وتؤدة وبطريقة شرعية، واستطاع بنعمة الله أن يقضى على هذا الإرهاب فى داخل البلاد، ونحمد الله أننا نعيش اليوم فى أمن ولا نشعر بأن هناك إرهابا يهدد بلادنا.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA مكتبة الاسكندرية

الباب الثانى



- الكنيسة والعلاقة بها
- أغاثون أو الراهب الذى انقلب على الكنيسة
- القس إبراهيم عبد السيد
- قانون الأحوال الشخصية

الكنيسة والعلاقة بها

العصمة لمن؟ للكنيسة أم للكتاب المقدس؟

الكنيسة ديمقراطية فى اختيار راعيها، وديمقراطية فى إرادتها الداخلية، ولها دستورها وقانونها ولا يمكن لأحد أن يخرج عن حدود الدستور ....

سـؤال : يذهب البعض إلى أنكم ـ قداسة البابا ـ أضفيتم الصبغة السياسية على الكنيسة عندما جعلتموها تتدخل فى معالجة بعض القضايا الدنيوية للأقباط.. ألا يعتبر تدخل البابا بنفسه فى هذه الموضوعات إضفاء للصبغة السياسة على الدور الدينى الكهنوتى الذى يمثله؟

ـ البابا هو أب لجميع الأقباط وبصفته الأبوية يعرض عليه الناس مشاكلهم ويطلبون من محبته لهم أن يجد لها حلا، فإن نقلها إلى الدولة حينئذ يكون مخلصا لها فى هذا الأمر؛ لأنه يقوم بتعريفها بحالة مجموعة من الناس تطلب وتتطلع إلى رعايتها، وهذا ضرورى لأنه إذا أخذ موقفا سلبيا من أولاده فستصغر أبوته فى نظرهم ويشعرون بعدم الاهتمام واللامبالاة.

سـؤال : ولكن دور البابا الدينى أكثر رحابة من أن يكون مجرد همزة وصل؟

ـ نحن لا نستطيع أن نتصور البابا بلا قلب؛ فلا يتأثر بمشاكل الناس أيا كانوا،

وصدقيني في بعض الحالات كان يأتيني بعض من أولادى المسلمين ويطلبون التدخل فى بعض مشاكلهم أو التوسط لهم عند أولى الأمر، فكنت أفعل ذلك بكل حب؛ بل أشعر بتقصير إن لم أكن إيجابيا نحوهم، فالمحبة ليست مجرد كلام وإنما هى عمل إيجابى فعال لخير الناس. ولم يحدث فى يوم من الأيام أن البابا تدخل فى السياسة بأية صورة من الصور، كما لم يحدث أيضا أنه أضفى على العمل الكهنوتى الصبغة السياسية، ولا يوجد دليل عملى على هذا. أما إذا اتخذ حضور البابا لبعض المناسبات السياسية مظهرا لهذا؛ فأحب أن أقول إن البابا يحضر هذه المناسبات بناء على دعوة توجه إليه من الدولة، بحيث سيعتبر غير متجاوب إذا لم يحضر، كما أن كل المناسبات السياسية التى كنت أحضرها كانت تحضرها أيضا قيادات الديانة الإسلامية، وكان وجودنا معا مظهرا جميلا لتعاون المسلمين والمسيحيين معا فى خدمة بلادهم ومشاركتها بتلك المناسبات الوطنية.

سؤال : عود إلى دور البابا وتبنيه للقضايا الدنيوية التى قد تعرض للإخوة المسيحيين وشبهة الصبغة السياسية هنا ؟

ـ إن كانت عبارة الصبغة السياسية للكنيسة قد قيلت بسبب نقل البابا طلبات الأقباط إلى الدولة؛ فإنى أقترح لرفع هذا العبء على البابا إنشاء مكتب للوحدة الوطنية يتبع رئاسة الجمهورية أو وزارة الداخلية أو الحزب الحاكم، تعرض عليه هذه القضايا التى تؤثر على الوحدة الوطنية؛ لإيجاد الحل لها حتى لاتتكرر المشكلة ويعود الأقباط ثانية للجوء إلى البابا.

سؤال : أتساءل هل توجد للكنيسة المصرية لوائح تنظم العمل بها وتنظم بالتالى العلاقة فيها بين الرئاسة الدينية وباقى رجال الدين بها.. أم أنها ترتكز على سلطة فردية ؟

ـ الكنيسة القبطية كسائر الكنائس فى العالم لها مؤسسة كهنوتية كبرى تسمى المجمع المقدس، وهو يتكون فى مصر من ثمانية وخمسين أسقفا يرأسهم البابا، وكل القرارات التى اتخذت فى السنوات الماضية كانت بناء على اجتماع عام لأعضاء المجمع المقدس وبإجماع الآراء وليس بناء على سلطة فردية للبابا، وكان كل أسقف يعرض فى هذا الاجتماع حالة المنطقة التى يرأسها كهنوتيا، ومشاكلها وأحداثها، بل إن القاعدة التى اتبعت فى اختيار هؤلاء الأساقفة تقول: من حق الشعب أن يختار الرعية، وكان البابا يسافر إلى كل بلد يحتاج إلى

أسقف لكى يستطلع رأى الأقباط عموما كهنة وشعبا، رجالا ونساء وما يتفقون عليه، ويقوم برئاسته لهم فى اجتماع يشترك فيه جميع أساقفة الكرسى المرقصى، وفى حضور ممثلى الشعب وبرضائهم، ويقول لهم البابا أمام آلاف الحاضرين: هل نقبلون هذا الشخص أسقفا لكم؟ فإذا أجابوا بالإيجاب يكمل باقى الشعائر الدينية الخاصة بالرسالة بعد أن يكرر عليهم هذه السؤال ثلاث مرات.

وهذا بالطبع أعمق ما يمكن أن نقوله فى حكم الشعب لنفسه، كنسيا أو أعمق ما يمكن أن يقال عن ديمقراطية الكنيسة القبطية.

سؤال : يرى البعض أن الكنيسية المصرية ليس لها إطار يعكس الشكل الدستوى الذى يحدد الحقوق والواجبات للأقباط المصريين على خلاف ما يجرى فى سائر الكنائس الأخرى فى العالم؟!

ـ لدينا كافة اللوائح كسائر الكنائس فى العالم، كما ذكرت لك الآن وليس هناك ما يمنع من تحديد هذا الإطار، وهو ما يستلزم التشاور مع أعضاء المجمع المقدس للاتفاق على صيغته.

سؤال : إحدى القضايا الخلافية تتمثل فى الطرح الذى يقول: لمن تكون العصمة للكنيسة التى يمثلها البابا أم للكتاب المقدس؟

ـ طبعا العصمة للكتاب المقدس وتكون للكنيسة إذا اتبعت تعاليم الكتاب المقدس.

سؤال : وهل هناك من يخرج عن تعاليم الكتاب المقدس؟

ـ الخلافات العقائدية تعنى عدم اتباع تعاليم الكتاب المقدس.

سؤال : ما علاقة قداستكم بالمجلس الملى؟ وهل يمكن إعطاؤنا فكرة عن ديمقراطية الكنيسة القبطية ؟

ـ المجلس الملى يرأسه البابا، وهذا ليس مقصورا على كنيستنا هنا فحسب، وإنما يتعداه إلى سائر الكنائس فى العالم على أساس أ ن البابا أو البطريرك أو الرئيس الدينى هو رئيس الملة وهو رئيس مجلسها الملى بالطبيعة، وهكذا فإن البابا يختار بالانتخاب من قبل الشعب، وكذا المجلس الملى، بمعنى أن الاثنين يجمع بينهما رغبة الشعب وانتخابه.

وفى كل السنوات الماضية كنت أرأس جلسات المجلس الملى بنفسى، ولم يحدث فى يوم من الأيام أننا أصدرنا قرارا إلا بالإجماع الكامل، ومن أجل هذا وحينما كان ينقص الإجماع شىء كنا نرجئ الموضوع فترة ليتاح له المزيد من الدراسة والمناقشة؛ ولنتمكن من النظر فى الأفكار الأخرى التى قد تطرح، فكل قراراتنا كانت بالإجماع.

سؤال : وماذا عن ديمقراطية الكنيسة القبطية ؟

ـ من جهة ديمقراطية الكنيسة القبطية فهى تتمتع بديمقراطية خصبة؛ إذ أن كل من فيها من الرعاة والخدم سواء من القساوسة أو الأساقفة أو البطاركة أو البابا نفسه ـ كل هؤلاء يقع اختيارهم من قبل الشعب، بل إننى فى رسامة أى أسقف أزور البلاد وآخذ رأى الشعب كله نساء ورجالا وأطفالا، كما آخذ رأى كل المهن سواء المشتغلين منهم بالدين وغيرهم، حتى إذا استقر رأى الجميع على شخص واحد تم اختياره، ومن ثم لم يحدث أن فرض البابا عليهم أحدا، فدائما هم الذين يرشحون الشخص ويختارونه.

كذا الأمر بالنسبة للقساوسة، يتم اختيارهم وفق تزكية الشعب كله، بل إن البعض قد يوقع على تزكية خوفًا أو خجلا أو جهلا؛ ولكننا عندما نقابل الشعب نفسه نعرف منه الرأى الحقيقى بالنسبة للشخص الذى سيقع عليه الاختيار.

إن ا لكنيسة ديمقراطية فى اختيار راعيها، كما أنها ديمقراطية فى إدارتها الداخلية، فكل كنيسة لها مجلس من العلميين يتولى أمورها الإدارية والمالية، ويشترك مع الكاهن فى ذلك، كما أن الكنيسة لها دستورها وقانونها ولايمكن لأحد أن يخرج عن حدود الدستور وهذا هو القانون، و هو الذى يعطى الحرية للشعب فى كل شىء مع وجوب طاعة واحترام رجال الدين.

سؤال : إذا تطرقنا إلى الكنائس والوعاظ، فإنى أتساءل عن مدى الديمقراطية التى يتمتع بها الواعظ، وهل بمقدوره التطرق إلى أية قضايا، أم تحكمه توجيهات من الدولة ومن قبلكم حتى لا يخرج على الحدود المتعارف عليها فى القضايا المطروحة ؟

ـ لا بالطبع؛ لأن كل واعظ فى كل كنيسة يتكلم بغير ما يتكلم به واعظ آخر، ولكن فى نطاق توزيع القراءات الدينية حسب كتاب طقس معروف اسمه «القطمارس» وهذا الاسم يتكون من لفظين: معناهما فى القبطية «حسب اليوم» Kata Ameros ـ أى حسب ما نظمته الكنيسة لهذا اليوم من قراءات، وهذا ثابت على مر الأعوام والأجيال لا يتغير، أما إذا تكلم واعظ فى موضوع سياسى فيكون هذا خروجا عن النص؛ لأن الواعظ فى الكنيسة له هدف دينى لا سياسى، ولو حدث أن الوعظ تحول إلى موضوعات سياسية لكان من حق الدولة أن تراقبه؛ لتضمن أن الكلام السياسى يتماشى مع سياستها، لكنه وعظ روحى دينى بحت، فإن استدعت الحاجة التكلم فى موضوع يمس المجتمع فإن هذا يكون أمرا إضافيا يذكره من يشاء ولا يذكره من لا يشاء.

سؤال : هل تؤمنون بوجوب الفصل التام بين الدين والدولة، أم أن هناك تزاوجا بينهما ؟

ـ سؤالك قد يحتاج إلى تغيير بعض الألفاظ، فلعلك تقصدين الفصل بين السياسة والدين، لأن الدين هو علاقة الإنسان بالله ولايمكن لأى سياسى فى هذه الدنيا أن يكون فى حياة مدنية خالصة بعيدة كلية عن الله؛ فالسياسى لاينفصل عن الدين، ولكن المقصود بالفصل بين الدين والدولة ألا يشتغل رجل الدين بالسياسة، لاسيما وأن رجال الدين عامة ليس لديهم وقت كى يتفرغوا فيه للسياسة، كما أن لهم فى مهامهم الروحية الشيء الكثير الذى يستغرق وقتهم ولا يدع دقيقة واحدة ليكرثوها فى أمور أخرى، ولكن مفروض لرجل الدين أن يشهد للحق.. وشهادة الحق لاتعد عملا سياسيا، فمن حقهم أن يقولوا رأى الله ورأى الآخرين فى مجريات الأمور؛ لأنهم لاينفصلون عن بلادهم ومجتمعاتهم، فإبداء الرأى شيء والاشتغال بالسياسة شيء آخر؛ فرجل الدين لايشترك فى أحزاب لأن من المفروض أن يحب الكل، كما أن رجل الدين لايقود أبدا عملا سياسيا لأن عمله الحقيقى والجوهرى عمل روحى.

سؤال : نشهد فى عالمنا اليوم أنظمة حكم مختلفة وأوضاعا اقتصادية مختلفة كذلك.. فما هو نظام الحكم الذى تدعمه المسيحية وتباركه وأيضا ما النظام الاقتصادى الذى تفضله على غيره من النظم والأوضاع ؟

ـ المسيحية لم تضع نظاما اقتصاديا ولا سياسيا محددا، وإنما تركت لكل بلد أن يختار ما يناسبه من الأنظمة، وتركت لكل دولة فى كل عصر أن تتخير النظام الذى يناسبها فى ذلك العصر بالذات، فهى من هذه الناحية وضعت روحا لا تحديدا للنظام.

سؤال : هل لديكم أية ملاحظات على لجنة الوحدة الوطنية التى تشكلت فى عام ١٩٩٢، لاسيما وأنكم حضرتم الاحتفال الذى أقامته نقابة الصحفيين؟

البابا شنودة : إن أعضاءها أناس مثقفون يبحثون بحق عن الوحدة الوطنية، ويشغلهم هذا الأمر إلى حد كبير وينتمون إلى نوعيات كثيرة، ففيهم رجال الصحافة وفيهم النساء والرجال. وكل ما أرجوه هو أن يوفقهم الله، ولا شك فى أن قضية الوحدة الوطنية قضية مهمة وتحتل إحدى الأولويات التى يجب بحثها وأخذها فى الاعتبار.

سؤال : تردد الكثير عن سلبية المسيحى المصرى، ولا أدل على ذلك من عزوفه عن الانتخابات وبقائه بعيدا عنها.. ما الذى تفعله الكنيسة لإخراجه من سلبيته؟

البابا شنودة : تعنين سلبية سياسية، وأسألك بدورى: ما الذى يمكن للكنيسة أن تعمله من أجل مشاركة المسيحى فى الانتخابات تدعيما للوحدة الوطنية؟ إذا قامت الكنيسة بأى شىء يقولون: إن الكنيسة تعمل فى السياسة، وتصبح هذه تهمة يتحدثون عنها بين الحين والآخر، وإذا لم تعمل شيئا يتهمونها بالسلبية.

سؤال : معادلة صعبة ؟

البابا شنودة : ليست معادلة صعبة، ولكن إذا كان المسيحى كما يقولون سلبيا فى الأمور السياسية، فلاشك لأنه لم يجد قبولا، ولو أن الأحزاب شرعت فى ضم المسيحيين إليها وأعطتهم فرصة للعمل ورشحتهم فى الانتخابات وساندتهم

لتغير الموقف - لكانت بذلك قد ساعدت على تربية كوادر مسيحية إن صح هذا التعبير.

أما أن يدخل المسيحى الانتخابات ولا ينجح فسيجد بالضرورة أن من الأصلح له أن يدخر وقته وجهده لعمل إيجابى لا سلبى فى ميادين أخرى؛ ولذلك نجد المسيحى فى منتهى النشاط فى العمل الاجتماعى والدينى والمهنى وفى الميادين كافة التى يجد فيها نفسه، أما أن يدخل الانتخابات ليرفض أو يقبل وهو على يقين بأنه لن يقبل، فليوفر جهده أفضل.

سؤال : معنى هذا أنكم لاتعتبرونه سلبيا ؟

البابا شنودة : نعم ليس سلبيا، الغالبية فى المجتمع هى السلبية تجاه المسيحيين، وليس المسيحيون هم السلبيون. الغالبية تتخذ موقفا سلبيا من المسيحين، ولو أنها احتضنت المسيحيين وأعطتهم فرصة للعمل ومسئوليات ستجد أن شخصياتهم وعقولهم وجهدهم ستبذل بكل إخلاص وقوة؛ أما تجاهلهم فيؤدى إلى الوضع الذى نحن فيه الآن.

سؤال : لاحظ الكثيرون أن تحركات قداسة البابا بعد الفتنة الطائفية فى أوائل التسعينيات كانت حريصة على الاتصال والتنسيق مع الحكومة المصرية قبل الإقدام عليها إلى حد أنك فى المؤتمر الصحفى الذى عقدته وقتئذ اتصلت بالحكومة وأطلعتها على ذلك ؟

البابا شنودة : لا.. لم يحدث هذا. طوال حياتى أحب أن أكون مخلصا مع الحكم القائم على اعتبار أن المسيحية تدعونا إلى الإخلاص للحكام. وهكذا كنت أيضا أيام السادات ولم يحدث فى يوم من الأيام أنى وقفت ضده فى سياسته. ولكن حينما وجد أننى أدافع عن المسيحيين بدأ ينقلب على. الحكومة الحالية تحاول أن تبذل جهدها من أجل مقاومة التطرف؛ وبذا يوجد تلقائيا وجه مشترك على اعتبار أن الحكومة تبذل جهدها للعمل ضد التطرف الذى يجابه الحكومة ويجابه المسيحيين، وبذا يكون هناك هدف مشترك لكلينا، ولكن عملية التنسيق لاتوجد إطلاقا لأنه لم يحدث فى يوم من الأيام

ـ قبل أن أبدى رأيا ـ أن أجريت اتصالا مع أية هيئة حكومية ـ إطلاقا ـ لوضعها فى الصورة، أو للتنسيق، ولا أعرف من أين جاء البعض بهذا الانطباع.

سؤال : هل طالبتم الدولة بنسبة معينة من المحافظين والسفراء والوزراء؛ كى لا تقتصر المناصب على المسلمين ؟

البابا شنودة : لم يحدث إطلاقا أن طالبنا الدولة بنسبة من المناصب.

سؤال : فى إطار مفهومكم للدين، هل يمكن أن يتدخل فى شئون الحياة اليومية ؟

البابا شنودة : الدين يتدخل فى الحياة اليومية، وأنتم كمسلمين تقولون: الدين المعاملة. الدين يتدخل فى الحياة ألفا فى المئة، وإذا لم يكن له هذا الدور فما فائدته ؟!

سؤال : وماذا عن فصل الدين عن الدولة ؟

البابا شنودة : هذا موضوع آخر، ولكن ما المعنى بفصل الدين عن الدولة هنا ؟!

سؤال : معنى أن يكون الدين للدين ـ أى ليس له علاقة بالسياسة ؟

البابا شنودة : طبعا، الدين لا يتدخل فى السياسة، لدينا آية تقول: «أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، فالدولة لها شئونها السياسية والدين له شئونه الروحية، لكن الدين يشهد للحق حتى بالنسبة إلى الدولة.

سؤال : هل يتحرى القضاء الكنيسى العدل.. نسأل حتى لا يتدخل أحد فى أحكامه وإثارة الشكوك حوله بدعوى الدفاع عن المخطئين ؟

ـ إن القضاء الكنسى ينبغى أن يكون له احترامه فى نظر الناس، والذين يحاولون الدفاع عن الكهنة المخطئين كأنهم من ناحية أخرى يشككون فى عدالة القضاء الكنسى وهذا ما لا نقبله منهم. والأمر بدأ أولا بإحدى المجلات القبطية «مجلة مدارس الأحد» التى وصل بها

الأمر فى أحد أعدادها أن طالبت البابا بإصدار خمسة قرارات منها: إلغاء كل الأحكام التى صدرت ضد الكهنة الموقوفين أو المعزولين، وهذا أمر خيالى لأنه كيف يستطيع البابا أن يلغى أحكاما أصدرها المجلس الإكليريكى برئاسة أحد الآباء المطارنة وعضوية بعض الآباء الكهنة المعروفين بتقواهم وللمجلس صفة رسمية قانونية والأحكام مبنية على وقائع معينة ثابتة وبعض من الآباء الكهنة اعترفوا بتلك الأخطاء ووقعوا على ذلك، فهل يأتى الإلغاء هكذا عبثا لمجرد أن بعض العاملين فى الصحافة القبطية طالبوا بذلك؟ إن معاقبة المخطئ ليست فقط حقا من حقوق رئيس الكهنة إنما هى بالأكثر واجب عليه لحفظ النظام فى الكنيسة وللحرص على نقاوتها وقدسيتها.

وقد ورد فى الكتاب المقدس قصة «عالى الكاهن» الذى عاقبه الله بعقوبة شديدة جدا؛ لأنه لم يرب أولاده الكهنة كما ينبغى وتركهم فى أخطائهم بإنذار خفيف لم يردعهم، فإذا نحن لم نعاقب المخطئين فإننا ندان أمام الله ويعاقبنا نحن. ومع ذلك فالكاهن الذى يحكم عليه يمكنه فى هدوء وبدون ضوضاء أن يطلب استئناف حكمه إلى هيئة كنسية أعلى فهى التى تستطيع أن تنصفه، أما الضجيج فى الصحف فلا يفيده فى شىء.

سؤال: ما ردكم على المطالبة بتحرى سياسة المصالحة والمسامحة مع من أخطأ؟

ـ العجيب أن البعض قد قال: نطالب البابا فى عيد رهبنته بالبدء بسياسة مصالحة وحب، فأية مصالحة هذه؟ هل نقول لأحد القضاة مثلا ينبغى أن تتصالح مع المذنبين الذين حكمت عليهم بعد التحقيق؟ وهل من الحب أن نترك الخاطئ يخطئ وتمتد أخطاؤه إلى الآخرين أحيانا دون معاقبة؟ وأية مثالية تكون فى الكنيسة إذا كان كل من يخطئ يترك بلا مساءلة وبلا إدانة وتصبح الكنيسة بلا ضابط وحينئذ سنجد من الطرف الآخر من ينتقد الكنيسة ويقول: إنها تترك أمورها فى حالة تسيب ولا تتصف بالحسم ولا تحافظ على نقاوة الجو الروحى فيها، علما بأننا لا نبدأ إطلاقا بالعقوبة وإنما بالنصح والتوجيه، ثم نلجأ إلى الإنذار بالعقوبة، فإذا لم نجد استجابة على الإطلاق نضطر إلى أن نعاقب. وهناك أمر مهم نحب أن نوجه إليه فى مجال المسامحة والعفو، فالعفو فى النظام الكنسى يبنى على التوبة الصادقة، ومن شروط التوبة الاعتراف بالخطأ ومحاولة إصلاح نتائج الخطأ بقدر الإمكان، وقد سامحنا البعض ممن ثبتت توبتهم.

سؤال: هل من حق الصحافة أن تناقش أمور الكنيسة أم أن هذا يعد تدخلا في شئون داخلية تخص الكنيسة كسلطة دينية؟

- الكنيسة لها نظمها وتقاليدها وقوانينها الكنسية، كذلك فإن الرهبنة حياة لها روحانيتها ونذرها للنسك والبتولية والطاعة ولها قوانينها الخاصة، والذى يتعرض للكتابة عن الكنيسة أو الرهبنة ينبغى أن يكون عارفا بكل ما لها من قوانين وتقاليد ويكون عارفا بالعلاقة التى تربط أعضاءها بعضهم بالبعض الآخر، كما أنى كنت أود قبل أن تكتب إحدى الصحف عن موضوع كنسى أن تحقق فيه من خلال جميع أطرافه؛ فلا تكتب تشهيرا بطرف معين ثم تتركه بعد ذلك حرا فى أن يرد أو لا يرد وبخاصة أن الكنيسة لاتعاقب شخصا إلا بعد تحقيق واسع.

سؤال : هل هناك ضوابط للتحقيق تحكم عمليات العزل على سبيل المثال وتحدد درجة العقوبة ؟

- بالطبع التحقيق له ضوابطه، وقد يستمر مدة وتسمع فيه أقوال الشهود، وله ملف خاص ولكن فى الوقت نفسه له سريته؛ لأننا حريصون على سمعة أبنائنا مهما أخطأوا، غير أن البعض منهم لكى يثبت براءته أمام الناس يشيع عن نفسه ما لانريد نحن أن يعرفه الناس عنه، فإن كنا لانريد أن تعرف أخطاء الكهنة حتى فى محيط كنيستهم المحلية المحدودة فما بالك إذا بدأ الأمر تلوكه الألسنة فى الصحف، وإن كان هناك من يريد أن تفتح ملفاتهم، فالملفات موجودة ولا يسرهم فتحها، ولكن لأنهم متأكدون أننا لا نفتح تلك الملفات إذ أن فيها تشهيرا بهم؛ لذلك يتجرءون فى الكلام وإظهار أنفسهم على أنهم ضحايا وأبرياء. ومنطقيا ما هى مصلحة الرئاسة الكنسية فى أن تعاقب أشخاصا غير مذنبين.

سؤال : هل هناك من يتبنى نغمة المعارضة؟

- لقد تبنت مجلة «مدارس الأحد» هذه النغمة، وأقول إن عبارة المعارضة داخل الكنيسة التى استخدمها البعض هى عبارة غير كنسية؛ فالمفروض فى الكنيسة أن تكون روحا واحدا وفكرا واحدا دون أن تستعير هذا التعبير السيا سى.

سـؤال : ما الوصف الذى يمكن أن يطلق على ما حدث ويحدث داخل الكنيسة القبطية إذا لم يكن انقلابا؟

ـ أى انقـلاب ؟ ليس هناك انـقلاب، ها أنتم ترون الكنيسة كـما هى، إلا إذا كـان هناك انقلاب للحقائق فى شرحها للناس. كل ما فى الأمر أن الكنيسة أرادت أن تقوم بعملية تنقية وتطهير لعناصر مخطئة فيها، فهناك أخطاء بلاشك صدرت من البعض ومن بعض الكهنة والرهبان بالذات وما كنا نستطيع أن نسكت عليها، فهذا يتعب ضمائرنا كثيرا. من الناحية الأخرى كيف نترك تلك الأخطاء بلا علاج وبلا عقوبة ودون اتخاذ أى موقف منها؟ فنحن تهمنا نقاوة الكنيسة، وبخاصة من جهة الكهنوت الذى يمثل فى نظر الناس قدوة ومثالية ونموذجا لكل فضيلة.

فالكاهن ليس صاحب حياة زوجية عادية، وإنما يفترض أن يكون له المستوى العالى الذى يحاكيه سائر المؤمنين؛ فخطؤه أصعب وأخطر من خطأ الشخص العادى. الأخطاء غير المعروفة نعالجها بطريقة لاتكون أيضا معروفة أما الأخطاء التى تتضح وتصل إلينا شكاوى ضدها فلا بد أن نأخذ منها موقفا. وفى أية إدارة من الإدارات العامة المدنية يكون لرئاسة هذه الإدارة السلطة فى معاقبة المخطئين؛ فمن باب أولى أن يكون للكنيسة ذلك.

سـؤال : هل كـان لكم أية تحفظات على لجوء هؤلاء إلى الصحـافة بهدف الدفاع عنهم ؟

ـ فى الحقيقة إنى أشفق تماما على الكهنة والرهبان الذين تناولتهم الصحافة، وبالضجة التى أحدثوها حول أنفسهم. أعلنوا بواسطتها عن أنفسهم بوصفهم أشخاصا معاقبين أو على الأقل لاترضى عنهم رئاستهم دينيا.

وليس هذا من صالحهم؛ لأن الذين لا يعرفون عنهم شيئا أصبحوا يعرفون وبات أمرهم مشاعًا أمام الجميع. وهذه الضجة سوف لاتنفعهم شيئا بل هم أساءوا بها إلى أنفسهم، وكنت أود لمن يدافع عنهم أن يحاول اجتذابهم إلى التوبة وينصحهم بطريقة روحية وطريقة كنسية لا أن يدافع عنهم فى أخطائهم فيثبتهم فى تلك الأخطاء ولا يفيدهم بشىء.

وإنى لأتساءل: هل ما نشر عنهم كان لهم أم عليهم؟ والراهب الذى تقوم حوله ضجة صحفية كهذه إنما يسيء إلى نفسه؛ لأن رؤساء الأديرة سوف لايقبلونه متخوفين منه ومما يحدثه من ضجيج ويقولون: إن كان قد تعامل مع البابا بهذا الأسلوب فما المدى الذى سيكون عليه فى تعامله معنا؟ كما لا تستطيع أية كنيسة أن تلحقه بخدمتها لأن الرهبان لايخدمون فى الكنائس إلا بأمر من البابا.

سؤال : ما رؤيتكم حيال إمكانية إحراز تقارب حقيقى بين المسيحية واليهودية ؟

البابا شنودة : من الناحية الدينية العقائدية لايمكن أن يوجد هنا التقارب؛ لأن اليهود لا يعتقدون أن السيد المسيح قد جاء أصلا؛ فهم بعيدون كل البعد عن المسيحية، فأى تقارب هنا الذى تظنين أنه يمكن أن يكون بين مسيحيين يؤمنون برسالة المسيح وبين اليهود الذين لا يؤمنون بأن المسيح قد جاء على الإطلاق؟ وينتظرون مجيء المسيح كشخص من نوع شمشون أو جدعون تكون لديه القوة التى يؤسس بها لهم دولة قوية، أما كل ما يقال عن التقارب بين الأديان إنما يقصد به تقارب بين أصحاب الأديان وليس بين الأديان ذاتها، فهو نوع من التعاون بين الناس وهذا التعاون لا يكون على أساس دينى وإنما قد يكون على أساس اجتماعى أو اقتصادى أو سياسى أى أنه تعاون للمصلحة المشتركة فهو ليس تقاربا بين الأديان وإنما هو تقارب بين أصحاب الأديان، كما قلت، كما أن هذا التقارب لا يمثل كل الناس طبعا، لأن كل المسيحيين فى الشرق لا علاقة لهم بالتعاون مع اليهود، بل على العكس هم يرونهم محتلين لأراضيهم يرغمونهم بالقوة على أوضاع لا يقبلونها؛ وعليه أتساءل أى تقارب يمكن أن ينشأ عن ذلك ؟ ربما كان هذا التعاون أو التقارب يتعلق بالغرب أكثر منه بالشرق، فالشرق ثابت على وضع معين من جهة ائتلاف مسيحييه حول موقفهم من اليهود.

سؤال : كل التطورات الأخيرة تشير إلى أن الغرب قد صفح عن إسرائيل بل إن خطوة الفاتيكان الأخيرة أظهرت أن الفجوة بين المسيحية واليهودية غير موجودة وأن الخلاف مع اليهود يظل محصورا فى الكنيسة القبطية ؟

البابا شنودة: «ليست كل الدول تؤيد إسرائيل بالطبع؛ لأن التأييد الكامل والشامل سيعنى تجاهلا للسلام فى الشرق الأوسط، والمفروض أن السلام يبنى على الحق والعدل وليس على القوة والإرغام، وطالما لم يعط الشرق حقوقه الشرعية من جهة استعادة أراضيه المحتلة سيظل الشرق الأوسط بعيدا عن السلام الحقيقى ومعنى هذا أن يظل فتيل التوتر موجودا، فلا يمكن أن يبنى سلام على احتلال أراضى الغير أو على اغتصاب حقوق الآخرين.

سؤال : هل يعنى ذلك أنه إذا قامت إسرائيل بالانسحاب من الأراضى المحتلة سيتغير وضع الكنيسة القبطية وموقفها منها ؟

البابا شنودة: المفروض أن تنسحب إسرائيل أولا من كل الأراضى العربية التى احتلتها، وكما أضاعت دير السلطان من أيدى الأقباط فالمفروض أن تعيده لهم أيضا، والمفروض أن يوجد حل شامل وعادل يشمل الجميع، ويشمل إعادة الأراضى المحتلة، ويشمل حلا لمشكلة القدس، ويشمل حلا لمشكلة دير السلطان، ويشمل حلا للفلسطينيين بإعطائهم حقوقهم المشروعة ووطنهم الذى يعيشون فيه. المسائل لابد أن تكون شاملة فلا تحل الأمور بأنصاف الحلول أو بأشباه الحلول أو بفرض حلول بالقهر إنما تحل بما يرضى الأطراف كلها ولا يكون الحل بضياع حقوق طرف معين لإرضاء طرف آخر كما لا يكون الحل بمنطق القوة.

سؤال : بعض الحجاج الأقباط خرجوا عن إجماع الكنيسة القبطية وتوجهوا إلى زيارة الأماكن المقدسة فى إسرائيل ؟

البابا شنودة : أعتقد أن الأمر كله يتعلق بدعايات من شركات السياحة.

سـؤال : هـؤلاء التقطت صور لبعضهم وذكرت أسماءً لهم ؟

البابا شنودة: إذا حدث هذا يكون هؤلاء خارجين عن طاعـة الكنيسة، والحكم أولا هو حكم الضـمـيـر، وأعـتـقـد أن السبب الرئيـسى يعـود إلى مـسائل دعـائيـة صـرفـة لشركات سياحية، أما الخطأ فهو فتح الطريق أمام هؤلاء ولقد كان ينبغى أن يكون للدولة وللصحافة موقف من هذه الشركات السياحية، فالشركات تتطلع إلى المكاسب والأفراد يريدون إشباع رغبة لديهم فى رؤية الأراضى المقدسة، ويجتمع الأمران مع التساهل فى كل الإجراءات الممكنة، وإلقاء العبء كله على الكنيسة وحدها لكى تتبنى موقفا عنيفا لا يساندها أحد فيه فيمـا بعد، خاصـة وأن الأمور قد تغيـرت الآن وأصبح هناك تساهل فى الإجراءات حـيـال إسرائيل، فبـعد أن كـانت إسرائيل فى الماضى لا تدرج على جواز السفر المصرى تغيرت الأوضاع كلية..

سـؤال : مـاذا يحدث داخل الكنيسة القبطية تحديا، وهل هناك أزمة حقيقية تمـر بهـا ؟

ـ لا توجد أزمة إطلاقا داخل الكنيسة، وإنما توجد قلة صاخبة من بعض أفراد، ما كان صوتـهم يسمع فى الكنيسـة لولا أن الصحـافة أفسـحت لهم صـدرها وهم بعض من أبنائنا لم يستطيعوا أن يخضعوا للكنيسة فأرادوا أن تخضع الكنيسة لهم، وأيضا تولوا سياسة الدفاع عن المخطئين وحمايتهم دون تحقق عمّا يجرى من الأمـور، وهؤلاء لم يكن لهم عمل إيجـابى فى الكنيسة فتخصصوا فى العمل السلبى والمهاجمة.

أغاثون أو الراهب الذى انقلب على الكنيسة

فى عام ١٩٩٤ :

تفجرت أزمة أغاثون الراهب الذى انقلب على الكنيسة، ويومها روى لى قداسة البابا شنودة القصة من الألف إلى الياء، وتكلم عن وحدة الكنيسة وعن الديمقراطية والمعارضة داخلها مؤكدا أن ما حدث لا يعدو أن يكون عمل قلة صاخبة من أبناء الكنيسة لم يستطيعوا أن يخضعوا لها؛ فأرادوا أن تخضع الكنيسة لهم، ويومها رفض البابا أن يسمى ما حدث انقلابا داخل الكنيسة؛ لأن ما حدث هو عملية تطهير وتنقية لعناصر مخطئة.

• حكاية أغاثون :

سؤال : ماذا عن الراهب الذى يعزل من كنيسة رسم عليها، كأغاثون؟

- فى النظام الكنسى لايوجد راهب يرسم على كنيسة إطلاقا، إنما الراهب يرسم قسا فى الدير الذى ينتسب إليه، وعمل أى راهب فى كنيسة هو مجرد سماح له بذلك وليس حقا، والمعروف أن الرهبنة فى جوهرها حياة عبادة وانفراد فى البرارى ونسك وبعد عن الناس؛ فمجرد اسم الراهب حتى فى اللغات الأجنبية يعنى أنه متوحد والرهبنة تعنى الوحدة، وليس من صالح الرهبان أن يبقوا لفترة طويلة فى العالم الخارجى، وإلا فإنهم يفقدون الجو الرهبانى الذى يعيشون فيه.

فالراهب الذى ترك العالم إلى حياة الوحدة فى الصحراء كيف يعود إليها مرة أخرى إلا لو كان مضطرا لطاعة رؤسائه، وكثيرا ما طالبنى الناس حرصا على الحياة الرهبانية بألا يبقى الراهب فى العالم مدة طويلة، فعلى الأقل كل سنتين أو ثلاث يعود إلى ديره؛ ليحتفظ بحياة الرهبنة التى نذر نفسه لها ويرجع إلى حياة الصلاة الدائمة التى هى عمل الرهبان

ولا يغره العالم بما فيه من حياة سهلة أو حياة مترفة، وما فيه أيضا من علاقات وصداقات، فعودة الراهب إلى ديره ليست عقابا. والراهب الحقيقى يسر إذا عاد إلى ديره بعيدا عن ضوضاء المدن وما فيها من مشغوليات تعوقه عن حياة الصلاة.

سؤال : إذن ما نوع العقاب الذى ناله الراهب «أغاثون» من قداستكم؟

- فى صراحة تامة أقول: إن الراهب أغاثون لم يعاقب منى بأية عقوبة، فأنا لم أمس رهبانيته ولم أمس كهنوته ولم أحاسبه على أخطائه وهى كثيرة، وقد وصلتنى ضده شكاوى كثيرة - منذ زمن - من الأديرة المحيطة بكنيسة «أبى سيفين» بمصر القديمة ومن الكنائس المحيطة بتلك الكنيسة. والمنطقة ليست فقط منطقة أثرية وإنما أيضا منطقة لها جو روحى معين لازدحامها بالكنائس والأديرة ولايجوز أن يتصرف فيها راهب بإرادته الخاصة دون الرجوع إلي رؤسائه ودون حفظ حسن الجوار فى المنطقة التى يعيش فيها، أنا لم أعفه من عمله فى تلك الكنيسة إلا بعد إرسال ثلاثة من الآباء الأساقفة إليه: أحدهم رئيس ديره والآخر أسقف منطقة مصر القديمة والثالث سكرتيرى الخاص، فلم يأبه بهم وقابلهم مقابلة سيئة، حتى إنه تركهم أثناء حديثهم معه وخرج، فأعادوه ونصحوه فلم ينتصح، ثم عاد إلى المقر البابوى ودخل مكتبة الكلية الإكليريكية بالعنف بأن كسر الشباك والزجاج وقفز داخلها، الأمر الذى لايليق إطلاقا بالرهبان، حتى أن البوليس الموجود فى المنطقة اضطر إلى التدخل، وعرض البوليس إجراء محضر له على الإتلاف والتعدى فرفضت ذلك وقلت لا أحب إطلاقا أن أؤذيه، ولكنه عاد إلى الكنيسة فى مصر القديمة بعد إعفائه من خدمتها لكى يثير شعبها ضد البابا، ومع ذلك أيضا لم أؤذه، ومع أنه صدر الأمر لها بإنهاء خدمته فى القاهرة والعودة للدير إلا أنه لا يزال فى القاهرة إلى يومنا هذا.

سؤال : هذا يتعلق بمبدأ الطاعة..

وأتساءل: هل يعنى هذا أن الراهب أغاثون قد خرج عن الطاعة ؟

- نعم خرج عن الطاعة، والطاعة مبدأ أساسى فى الرهبنة وهى أيضا دليل على الهدوء وعلى اتضاع القلب وعلى الوداعة أيضا، ولا يجوز للراهب أن يفقد كل هذه الصفات

الروحية، والعجيب أن الراهب بعد كل هذا أرسل إلينا ورقة عبارة عن شهادة من أحد المستشفيات بأنه يشكو من هبوط حاد فى الدورة الدموية نتيجة اضطرابات فى القلب، ومساء اليوم نفسه وصلنى خبر بأنه سيصلى فى كنيسة «جزيرة الذهب» بالجيزة، والمعروف طبيا أن الإنسان الذى يشكو من هبوط حاد فى الدورة الدموية لابد أن يكون تحت علاج دقيق؛ ولا يستطيع إطلاقا أن يصلى القداس فى كنيسة، وطبعا منعته مطرانية الجيزة من الصلاة فى تلك الكنيسة وكأنه يصر على الاستمرار بعيدا عن الدير ولو بحجة العلاج بينما هذا العلاج لم يمنعه من محاولة الذهاب إلى الجيزة للصلاة هناك. أنا لا أريد أن أخوض فى هذا الأمر ولكن الصحافة هى التى خاضت فيه وقدمت بعض المجلات صورة غير صحيحة عما حدث وما يحدث، وقد دافعت عنه إحدى المجلات وقالت: إنه لمُ تتم ترقيته إلى درجة أسقف مثل باقى زملائه فى الرهبنة، فهل جميع الرهبان نرقيهم أساقفة ؟

سؤال : كيف يمكن إعفاء الراهب أغاثون وقد رسم قسا على كنيسة «أبى سيفين» بمصر القديمة ؟

- إن الراهب أغاثون رسم أساسا راهبا فى د ير الأنبا «مقار» بوادى النطرون واختلف مع رئاسته فى الدير فأتى إلى فألحقته بدير الأنبا «بيشوى» ثم رسمته كاهنا وعهدت إليه بمهمة أمانة مكتبة الكلية الإكليريكية، ولما أراد أن أسمح له بالصلاة فى إحدى الكنائس سمحت له بأن يصلى فى كنيسة «أبى سيفين» بمصر القديمة لمجرد أن يصلى فيها وليس لكى يغير خريطة المنطقة كما يشاء وبدون مشورة، ولم يلحق بكنيسة أبى سيفين لكى تصبح منطقة نفوذ وإنما لتكون مجالا للصلاة وللخدمة، فإن كنت قد أعفيته من خدمتها فهذا خير له وتمسكه بالبقاء فى المدينة وبالخدمة يدل على أن حبه للدير والرهبنة يحتاج إلى العودة إلى نقطة البدء مرة أخرى.

ومن أهمية ارتباط الرهبان بأديرتهم وبالحياة الرهبانية فى أصولها ما جعل بعض الباباوات يأمرون بعودة كل الرهبان إلى أديرتهم، كما حدث فى أيام البابا «يوآنس التاسع عشر» فى الثلاثينات، وما حدث أيام «كيلورس السادس» فى الستينيات، وفى عهود غيرهما صدر أمر بابوى بعودة جميع الرهبان الذين يخدمون فى كنائس القطر إلى أديرتهم ونفذوا جميعهم هذا الأمر، ولم يكن البابا يسمح من جهة خدمة الرهبان إلا براهب واحد لكل مطرانية وكان يخدم كوكيل للمطرانية

ومن بين الرهبان الذين عادوا إلى الأديرة رهبان قضوا فى خدمة الكنائس أكثر من عشرين سنة أو ثلاثين ولم يتذمر أحد منهم.

سـؤال : هل السبب فى حكاية الراهب «أغاثون» الشعبية التى حظى بها ؟

ـ ليس معنى هذا أن يستخدم الشعبية ضد رئاسته الدينية، ولا ينسى أن رئاسته هى التى عينته فى تلك الخدمة، فلا يكون ناكرا للجميل لمن منحه الكهنوت والوظيفة، وأيضا كان الرهبان القدامى يتحاشون الشعبية من باب التواضع من جهة ومن جهة أخرى لئلا تشغلهم عن عملهم الروحى.

القس إبراهيم عبد السيد

المعروف عن البابا شنودة أنه إنسان محب للجميع، يتعامل بود ويحيا ببساطة، ولكن هذا الود لم يظهر البتة في قضية القس «إبراهيم عبد السيد» الذى توفى أوائل سبتمبر سنة ١٩٩٩ . وصدر قرار كنسي بعدم الصلاة عليه وهو القرار الذى أثار جدلا . وكانت الكنيسة قد أوقفته عن خدمة الكنهوت قبل ذلك بسنوات فلم يتب واستمر يهاجم الكنيسة في كل شيء حتي كأنه قد خرج عن عقائد الأرثوذكسية .

البابا شنودة هنا يعرض للمبررات التى أدت إلى اتخاذ هذا القرار......

سؤال : لماذا طبقتم على القس إبراهيم عبد السيد إجراء الحرمان من الصلاة ؟

ـ لم يكن أول شخص تمنع الصلاة عليه بعد موته، سبقه كاهن آخر كان يقوم بإجراء زيجات غير شرعية، نعتبرها كأنها زنا فعلى لدرجة أنه حكم عليه ذات مرة بالسجن نتيجة التزوير، وقد دعوناه إلى التوبة والندم قبيل وفاته ورفض ذلك فمنعنا الصلاة عليه . وكان يمكن للقس «إبراهيم عبد السيد» وشركائه في المعارضة أن يأخذوا درسا من تلك الواقعة ولكنهم احتجوا على منع الصلاة عليه إلى أن جاء دوره وقد مات فجأة دون توبة فمنعنا الصلاة عليه .

سؤال : قد يتساءل البعض : ما الذى تعنيه الصلاة على الميت خاصة أن هناك من يستخف بها ؟!

ـ الصلاة على الميت معناها أنه محالل من الكنيسة . ونقول في صلاتنا على الميت

«افتح له يا رب أبواب الرحمة. افتح له أبواب الفردوس لكى يدخل وينضم هناك ولتحمله ملائكة النور إلى الحياة»، فكيف نقول مثل هذا الكلام على إنسان أوقفته الكنيسة عن خدمة الكهنوت قبل ذلك بسنوات طويلة؟! فلم يتب وإنما استمر يهاجم الكنيسة فى كل شىء حتى كأنّه قد خرج عن عقائد الأرثوذكسية.

سـؤال : قيل إن القس عبد السيد كان يرى أن الصلاة على الموتى عمل روتينى وأوصى أهله بألا يهتموا بالصلاة على جثمانه؟!

البابا شنودة: إذا كان الأمر كذلك فلماذا يكسرون وصيته ؟ ثم ماذا تفيد الصلاة عليه ميتا إن كان لا يؤمن بها؟!

سـؤال : إن الله غفور رحيم، وإذا كان الله يغفر لعبده ألا يمكن للكنيسة أن تغفر لأحد أبنائها ما أقدم عليه؟

ـ حقا إن الله غفور رحيم، ولكنه يغفر ذنوب التائبين، أما الذين تكبرت قلوبهم ورفضوا التوبة فلا مغفرة لهم. والكتاب المقدس يقول أكثر من مرة فى إنجيل لوقا: «إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون» فإن كان الله يغفر للتائب وغير التائب؛ فلن يكون هناك عدل وهو أمر يقود إلى التسيب، بحيث يفعل كل إنسان ما شاء من الخطايا موقنا بأن كل خطاياه ستُغفر له من غير أن يتوب. وصدقونى أنا لا أملك السلطان فى أن أسمح بالصلاة عليه بعد موته وإلا أكون مخالفا لوصية الله، وأيضا سيفعل كل إنسان ما فعل هذا الكاهن، مدركا أن ساعة الموت ستمحو كل شىء بينما الكتاب المقدس يقول فى أكثر من موضع «إن الله يجازى كل إنسان حسب أعماله».

سـؤال : ولكن، وخلافا لما رددته المعارضة فإنكم لم تجردوه ولم تحرموه ولم تمنعوا راتبه !!

ـ هذا لأننى فى ذات الوقت كنت شفوقا عليه فلم أجرده من الكهنوت بسبب خطاياه، ولم يصدر ضده قرار حرمان أصلا، ولم أمنع صرف مرتبه من الكنيسة؛ فكان يتقاضى نفس المرتب شهريا بدون انقطاع رغم أنه لم ينقطع عن مهاجمة الكنيسة بكل حدة وعنف.

ولعلى فى هذا الأمر كنت أقول لنفسى وللذين من حولى: هذا الإنسان قد أخطأ ولكن ما ذنب أسرته فى أن ينقطع عنها المرتب الشهرى؟ كل ما حدث هو منع الصلاة عليه، وعلى الرغم من هذا كله وضع كتابا ونشره تحت عنوان «الإرهاب الكنسى» !!

سؤال : ألم يكن من الممكن محاكمته على ما ورد فى هذا الكتاب؟

ـ كان من الممكن طبعا، ولكننا أطلنا صبرنا عليه لعله يرجع عن طريقه، وأصدر كتابا آخر يتهمنا فيه من الناحية المالية وعنوان الكتاب «من يأخذ ومن يعطى»، ومع ذلك لم نفعل له شيئا وظل يصدر مقالات مثيرة لشعبنا ومنها مقال عنوانه «لماذا لا يتزوج البطريرك»؟ وإنه من الممكن اختيار البطريرك من بين العلمانيين ورجال الأعمال، ومقال آخر: «لماذا لا يتزوج الكاهن المترمل؟» وقوانين الكنيسة تمنع هذا الأمر؛ لأن كل نساء الكنيسة يعتبرن أولادا له فكيف يتزوج الكاهن إحدى بناته؟ وإنما هو يتزوج قبل الكهنوت أو قبل رسامته كاهنا.

سؤال : القس إبراهيم أيضا تبنى موقفا مناهضا للكنيسة حيال قانون الأحوال الشخصية !!

ـ حينما قدمنا مشروع قانون للأحوال الشخصية وقع عليه جميع رؤساء الكنائس المسيحية فى مصر والمسئولون عن كنائس رئاستها خارج مصر، ولكن القس إبراهيم أخذ يهاجم هذا القانون ويدعو إلى أسباب عديدة للطلاق على الرغم من أن تعاليم الإنجيل فى منتهى الوضوح فى هذه النقطة، وكأنه فى كل هذا يخالف الإنجيل ويخالف تقاليد الكنيسة.

سؤال : ربما مال إلى ذلك نتيجة عدم دراية؟

ـ لا يمكن أن يكون ذلك عن جهل؛ لأن الكتاب المقدس يقول: «من فم الكاهن تطلب الشريعة». والكهنة يعتبرون معلمين للدين، وهم يعظون الشعب ويرشدونه، ويشرحون له أين الحق وأين الباطل فى كل أمر، فلا نستطيع القول بأنه لا يعرف وبخاصة أن الجرائد فيما تقدم له مقالاته تذكر أنه أحد المثقفين فى هذا البلد، بل إن إحدى صحف المعارضة وضعت اسمه وكأنه رمز من رموز المسيحية فى مصر؛ فأخذته العزة بالإثم، واستمر فى منهجه دون أن يحسب حساب النهاية كيف ستكون؟!

سـؤال : ألم يكن هناك من مجلس كنسى يواجهه لرده إلى الصواب؟

ـ هناك المجلس الإكليريكي ولكن امتنعنا عن أن نحـاكـمـه؛ لأنه هو أيضا يعتبـر أننا خارجون عن جادة الصواب وليس هـو.

سـؤال : ما أهم القضايا التى يعترض عليها؟

ـ يعترض على كل شيء.

سـؤال : ربما كان يتطلع إلى منصب أعلى ؟

ـ الكنيسة لا تسمح. أكثر ما يمكن الوصول إليه أن يكون قسيسا، ولكن ربما دفعه إلى ذلك حب الظهور، والافتـخار بأنه يستطيع أن يهاجم البطريرك، ومـع ذلك فلقد سكتنا ولم نأخذ منه الموقف الذى يستحقه، ولكن عند موته وقفنا أمام ضمائرنا التى لا تسمح بإعطاء الحل لإنسان خرج عن عقيدة الكنيسة ولم يتب.

سـؤال : ماذا تعنى التوبة لديكم ؟

ـ أن يعترف بأنه أخطأ فى تصرفاته ويطلب العفو.

سـؤال : كيـف ؟

ـ اعتراف علنى، ولو من خلال مقال يقول فيه: إننى أخطأت فيماكتبت وأطلب العفو، حينئذ كانت الكنيسة ستعفو عنه.

سـؤال : ربما يقول القائل: «الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية» ولربما حمل كلام القس إبراهيم على أنه يمثل وجهة نظر فى أمور الكنيسة؟

ـ الخلاف فـى أى رأى قد يعـتبـر نوعـا من حـرية الفكر، أمـا الخـلاف فى العـقيدة فيخرجه عن مذهبه؛ لأنه حينما رسم كاهنا تعهد أمام الناس بأن يثبت على إيمان الكنيسة وعقائدها وتعاليمها وطقوسها حتى النفس الأخير. هو حـر فى أن يخرج عن عقيدة الكنيسة، والكنيسة حـرة إذن فى أن تخرجه من بين صفوفها وبالتالى لا تطالب الكنيسة بأن تصلى عليه.

سؤال : هل نبهتموه إلى أخطائه خاصة أن الكنيسة تتحمل تبعة أبنائها بما يستدعى رد أى منحرف عن الخطأ؟

- هو يعرف جيدا عقيدة الكنيسة التى خرج عليها؛ لأنه قبل رسامته كاهنا كان طالبا فى كلية اللاهوت - أى كان تلميذا لنا، ويعرف جيدا معنى ما يقول إنه مخالف للكنيسة، وعلى رأى المثل «توضيح البديهيات من بعض المشكلات» أى أن الأمور البديهية ليست فى حاجة إلى توضيح.

سؤال : قيل إنهم أرادوا أن يصلوا عليه فى قصر الدوبارة وقبل القس، منير عبد النور، ذلك ؟!

- عندما قرأت ذلك فى الصحف تعجبت فى نفسى، هل كان ذلك جدا أم هزلا؟! فالمعروف فى عقائد الكنيسة الإنجيلية البروتستانتية أنها لا تؤمن بالصلاة على الموتى إطلاقا فكيف تقبل كنيسة بروتستانتية الصلاة عليه وهى لا تؤمن بذلك؟! إلا لو كانت قد خرجت عن عقائدها من باب المجاملة وهذا ما أشك فيه؛ لأنهم لا يستعملون بالنسبة للميت مجرد عبارة «الله يرحمه»، وعندما يدخل الميت إلى الكنيسة يقرءون فصولا لمنفعة الحاضرين بالموت وليس ترحماً على الميت

سؤال : هناك من احتج على عدم الصلاة عليه.. لماذا لم تطبقوا قول الإنجيل : «باركوا لاعنيكم» ؟

- وصية الإنجيل على المعاملات الشخصية وليست على الحق العام ولاعلى حقوق الله، فمثلا لا يستطيع القاضى المسيحى أن يبارك مجرما محكوما عليه، وكذا لا نستطيع أن نبارك الملحدين المجدفين على الله، والذين يكسرون وصاياه عن عمد ومعرفة، ولذلك فإن السيد المسيح الذى قال هذه الوصية لم يبارك الكتبة «الفريسيين»، ممن كانوا يفسرون الشريعة تفسيرا ملتويا؛ بل قال لهم:» ويلكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون، وقال لهم: «أيها القادة العميان، وشبههم بقبور مبيضة من الخارج وداخلها عظام نتنة؛ إذن هو لم يباركهم لأنهم كانوا ضد الشريعة وضد الحق العام، وكذلك فعل مع كهنة اليهود وشبههم بالكراميين الأردياء وقال لهم: « إن ملكوت السماوات ينزع منكم ويعطى لأمة أخرى تصنع ثماره، فهو لم يبارك هؤلاء ولا أولئك وكذلك لم يبارك «هيرودس» الحاكم اليهودى.

سؤال : إذن التدليل بالآية : «باركوا لاعنيكم» لا ينطبق على وضع إبراهيم عبدالسيد ؟

ـ نعم؛ لأنها لا تؤخذ على حق الله وعلى الحق العام للمجتمع، وبنفس الأسلوب سلك تلاميذ المسيح، فالقديس بطرس لم يبارك حنانيا والسفيرا، بل عاقبهما بعنف وكذلك القديس بولس لم يبارك باريسوع بل ضربه بالعمى، والقديس اسطفانوس أول الشمامسة لم يبارك راجميه من اليهود الذين أتو بشهود زور؛ ليشهدوا عليه بالتجديف بل قال لهم «أيها القساة القلوب، أنتم تقاومون روح الله كما كان آباؤكم كذلك أنتم» والمشكلة فيمن يجادل فى هذه الآية الإنجيلية إنما يستخدم طريقة الآية الواحدة فاصلا إياها عن باقى تعاليم الله.

سؤال : القمص سرجيوس تعرض للحرمان ولكن البابا سمح بالصلاة عليه تكريما لشيخوخته !!

ـ لقد تاب فى آخر أيام حياته.

سؤال : موسى صبرى تعرض للحرمان الكنسى !

ـ لم أصدر حرمانا على موسى صبرى أصلا.

سؤال : «طلعت يونان» كتب مقالا شديدا ضدكم، واستجاب الأنبا غرغوريوس لطلب زوجته وقام بالصلاة عليه !!

ـ لقد انتقد من كل الأقباط فى ذلك، وعامة فإن «طلعت يونان» كتب مقالا ضدى أثناء فترة حكم الرئيس السادات، وكنت يومها فى الدير، ومات طلعت فى اليوم التالى لنشر مقاله؛ فاعتبر البعض موته بمثابة غضب من البابا عليه، ولكنى لم أصدر حرمانا عليه.

سؤال : القس دانيال وديع ،حمل إلى المنصورة وتلقى الأنبا فيلبس رسالة من البابا بمنع إكمال الصلاة !!

ـ الأنبا فيلبس رفض الصلاة عليه.

سـؤال : عـود إلى القس إبراهيم عـبـد السيـد لأقـول: إنه لـم يصـدر قـرار بحرمانه بل قرار بوقفه ولم يصدر قرار بتجريده من الكهنوت!!

ـ مجـرد إيقافه عن الخدمة الكنسية على مدى سنوات طويلة معناه أن الكنيسة غير راضية عليه.

سـؤال : أحد المعـارضين ذهب إلى أن سلطة الحـرمـان أعطيت للحـواريين؛ حتى تحمى الكنيسة من الشطط الشخصى!!

ـ هذا الكلام خطأ تاريخيا؛ لأن كل المجامع المسكونية التى اجتمع فيها مئات من الآباء البطاركة والمطارنة والأساقفة وممثلى الكنائس حكمت بحرمان الخارجين على التعليم الكنسى السليم والتاريخ حافل بهذه الأمثلة، بل إن كنائس حرمت كنائس أخرى.

سـؤال : هناك من يقـول: إن البـابا لا يضـع قـواعـد وقـوانين واضحـة يمكن الرجوع إليها أسوة بما هو موجود فى الفاتيكان؟!

ـ هذه القواعد التى يطلبونها موجودة فى قوانين الكنيسة التى نشرت فى كتب ومجلدات كثيرة وليست تهمة لنا. إن هؤلاء المعارضين لم يقرءوا القوانين أو ليست لهم معرفة بها؛ لأنهم من غير المتخصصين ولا ممن يطلبون المعرفة، لو طلبوها لوجدوها.بل إن هذه القوانين تدرس فى كلية اللاهوت عندنا. وقد نشر المتنيح القمص «صليب سريال» كتبا عديدة فيها، كما نشر كثير منها فى المجموع الصفوى «لابن العسال» وفى كتب أخرى تذكر قوانين المجامع المسكونية والإقليمية والمكانية، صدق ذلك الأديب الذى قال: «الناس أعداء ما جهلوا»

سـؤال : هناك من يناشدكم الموافقة على صلاة الأربعين على القس إبراهيم باعتباره مطلبا إنسانيا!!

ـ لو فعلت الكنيسة هذا لاتهمت بالتناقض فى أحكامها، كما أن صلاة الأربعين قد ألغيت من الكنيسة، ولم يبق منها إلا مجرد ذكر الاسم فى القداس يوم الأربعين.

سـؤال : هنالك من طالب بالصفح والسماح،ويدلل هؤلاء بما قاله السيد المسيح: «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر»!!

ـ هذا معناه أن العالم لا يحكم على أحد، ثم إن هذه العبارة قالها السيد المسيح بالنسبة إلى المرأة التى ضبطت زانية فى ذات الفعل، وأتى بها اليهود طالبين من المسيح أن تطبق عليها الشريعة اليهودية القائلة برجمها، وهذا كان خطأ فى التطبيق؛ لأن التى تم ضبطها فى ذات الفعل كان هنالك رجل مضبوط معها فى ذات الفعل، فكيف تركوا الرجل وأمسكوا المرأة؟! هذا من ناحية، كما أن زعماء اليهود هؤلاء كانوا خطاة أيضا فى خطايا أعلنها المسيح لهم، فقال لهم: «من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بأول حجر» ولكن ليس معنى هذا أنه سمح بأن يعبث الخطاة فى الأرض دون عقوبة، وقد ذكرنى هذا ببيت من الشعر قال فيه الشاعر عن امرأة خاطئة:

ودعـوك بائعـة الأثـيم مـن الهـوى

كـذبـوا فـإن الذنـب ذنـب المشـترى

سـؤال : ما موقف الكنيسة ممن صلى على جثمان «إبراهيم عبدالسيد» ؟

ـ التحقيق أولا مع من صلى عليه، ثم يعاقب.

سـؤال : عدد المعارضين للكنيسة على شاكلة «إبراهيم عبدالسيد» !!

ـ يعدون على أصابع اليد، غير أن الصحافة أفسحت لهم مجالا ولولا ذلك ما عرفهم أحد؛ ولذلك إذا قرأت أسماءهم فى الصحف تجدين أنها أسماء قليلة ومكررة.

سـؤال : هنالك من قال: إن ضمير الإنسان لا يحكم عليه سوى الله!!

ـ حقا، ولكن إذا كان ما فى الضمير قد خرج فى هيئة مقالات أو كتب فالحكم إذن سيكون على هذه الكتابات وليس على الضمير، وقد أصبح الأمر معلنا وليس مضمرا، ولا

شك أن هذه المقالات تضلل أفكار الناس، وتقود غير العارفين إلى نفس طريق الكاتب وتصبح الخطيئة عندئذ جماعية وليست فردية إذ تشمل كل من تأثر بفكر من كتب واعتنقه.

سؤال : أى أن ما قام به إبراهيم عبدالسيد كان يحمل شبهة التحريض على اتباع الخطأ؟!

- طبعا هذا ما كان يقصده الكاتب، ولولا ذلك ما كتب.

قانون الأحوال الشخصية

تعرّض قانون الأحوال الشخصية للأقباط لحملة انتقاد شنها بعض المسيحيين عليه حتي قبل أن يُطْرح للعمل به، و بمجرد أن أحيل إلى وزارة العدل .المشروع يرتكز على القاعدة التى تقول: «ما جمعه الله لا يفرقه إنسان»؛ و عليه فهو لا يجيز الطلاق إلا لعلة الزنا فقط .

وإذا صدر هذا القانون ستصبح لائحة (٣٨) ملغاة، وهى اللائحة التى يرى بعض المسيحيين فيها مخرجا لأى إنسان نافر من زوجه و يريد الطلاق ؛ فهى لا تقصر لائحة الطلاق على علة الزنا و إنما تورد عدة أسباب يمكن بموجبها أن يتم الطلاق .

قداسة البابا شنودة لا يعترف بلائحة (٣٨) على أساس أنها مخالفة للكتاب المقدس والشريعة المسيحية ، وهو يؤيد بقوة مشروع القانون الجديد و يعتبر كل من يعارضه يعارض تعاليم الدين المسيحى .

الديانة المسيحية حسب تعاليم الإنجيل لا توافق على الأسباب الموسعة الموجودة فى لائحة (٣٨) التى وضعها أعضاء من المجلس الملى غير المتخصصين فى أمور الدين . وقد اعترض عليها الشعب القبطى وقت صدورها، وكتبت ضدها مقالات كثيرة فى الصحف . وفى عهد البابا ماكاريوس الثالث سنة ٤٣ اجتمع المجمع المقدس وشجب هذه اللائحة وذكر أنه لا طلاق إلا لعلة الزنا و أصبح هذا مبدأ مسيحيا سائدا بين الأقباط .

وأسأل البابا شنودة: وأنتم تؤيدون هذا المبدأ القائل بأنه لاطلاق إلا لعلة الزنا؟

فيجيب قائلاً: نعم، ونحن نضيف إلى هذا المبدأ تعليما آخر من الإنجيل وهو أنه يمكن افتراض الاثنين فى حالة اختلاف الدين وإن كانت الكنيسة القبطية تتمسك بهذين السببين وحدهما فإن الكنيسة الكاثوليكية لاتقبل الطلاق على الإطلاق مهما كانت الأسباب.

ونحن لاننكر مساوئ الطلاق بالنسبة إلى تفكك الأسرة وتشرد الأولاد وحتى فى الإسلام يقال: «إن أبغض الحلال عند الله الطلاق».. وكلما كان الطلاق سهلا كان التفكك داخل الأسرة يحدث لأتفه الأسباب.

ونحن ندعو إلى أمرين: الأول التوفيق فى اختيار الطرف الآخر فى الزواج، وعلى رأى أحد المفكرين الذين سألوه: لماذا يحدث الطلاق لأتفه الأسباب؟ فقال: لأن الزواج يحدث لأتفه الأسباب؛ فالرجل إذا شعر أنه يمكن أن يطلق المرأة متى شاء لأى سبب يشاء عندئذ لا يحرص على انتقاء الزوجة المناسبة، ولايحرص على معاملة الزوجة معاملة عادلة كريمة. والأمر الثانى هو المصالحات وحل الخصومات الزوجية حتى لاتصل إلى وضع الطلاق.

والسبب الذى قد يؤدى إلى الخلاف هو عدم حسن الاختيار، أو أن الزواج تم لأسباب غير مبنية على المودة والحب والتفاهم والفكر المشترك.

كما أن الطرفين يعطيان فترة هى فترة الخطوبة؛ يختبر فيها كل منهما الآخر حتى إذا ماتأكدا من حسن التوافق يتممان الزواج.. ولكن الخطأ هو أنه كثيرا مايحدث أن الطرفين ينشغلان أثناء الخطوبة بعواطف سطحية لاتعطيهما فرصة لفهم شخصية كل منهما، ونحن ننصح أن فترة الخطوبة ترتفع عن هذا المستوى العاطفى السطحى للتأكد من التوافق فى التركيبة النفسية.

أما أن يخطئ طرفا الزواج فى سبب الزواج واختيار الشخص المناسب وعدم الاستفادة من فترة الخطوبة ثم بعد ذلك يطلبان من رجال الدين أن يكسروا وصايا الدين لكى يسمحوا لهما بالطلاق، فهذا معناه خطأ الزوجين وتحمل الكنيسة لمسئولية الخطأ.

نقطة أخرى هى أن الزواج الذى بدأ بالمودة والحب والصداقة إذا حدثت له رجة فى الطريق يمكن إعادته إلى وضعه الأصلى وإلى الحب القديم، أما الزواج المبنى على أسس خاطئة فليس هو الزواج المسيحى الحقيقى.

نقطة أخرى وهى أن الطلاق قد يكون سببه خطيئة داخل النفس، مثل القسوة أو البخل من جانب وعدم الاحتمال من جانب آخر، أو العناد من أحد الطرفين فى التشبث بموقفه إلى آخر هذه الأسباب، وهذه تحتاج إلى علاج روحى فى تنقية القلب من الداخل ومعرفة كيفية التعامل مع الفكر والرأى الآخر وإلا فإن عمليات الطلاق ستتوالى مع التشبث بالفكر الواحد.

وإذا كان هناك توتر أو نزاع يمكن للطرفين أن يبتعدا قليلا عن بعضهما البعض إلى أن تهدأ النفوس، ويشعر كل منهما بحاجته إلى الآخر، وتهدأ حدة الغضب التى تؤدى إلى الطلاق وتنجح محاولات المصالحة وتعالج الأسباب وليس فقط مواجهة النتائج الرديئة.

نقطة أخرى: وهى أن المسيحية تدعو إلى درجة معينة من السمو فى التعامل وفى التسامح.. فالمسيحية التى تقول: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم..» تدعوا أيضا إلى التسامح فى محيط الأسرة، وإلى احتمال أخطاء الطرف الآخر؛ لأنه لايوجد أحد بلا أخطاء فالكمال لله وحده.

نقطة أخرى: نتيجة وجود لائحة سنة ٣٨ التى توسع أسباب الطلاق بعكس مايأمر به الدين يحدث أن الشخص يحصل على الطلاق فى المحكمة، ولاتسمح له الكنيسة بالزواج مرة أخرى على اعتبار أن الزيجة من الناحية الدينية لاتزال قائمة، وإن كانت قد انفصلت مدنيا. ولقد سألنى البعض وماذا عن احترام حكم القضاء؟! فقلت له: حكم القضاء محترم جداً، فالاثنان قد انفصلا بالطلاق المدنى وكل منهما ذهب إلى طريقه بحكم المحكمة وسويت الأمور المادية بينهما ومايتعلق بحضانة الأطفال، على أن المحكمة التى حكمت بالطلاق لم تحكم بالتزويج؛ فنحن لسنا مضطرين إلى تزويج المطلق، حتى إن حكمت المحكمة بتزويجه - وهذا ليس من اختصاصها - فإنها لاتحكم بتزويجه فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بالذات وعملية التزويج هى عملية دينية بحتة تحكمها أحكام الدين وهى من اختصاص رجال الدين.

وهناك أسباب للتطليق خارج نطاق لائحة سنة ٣٨ نحن لانقبلها، من أمثلتها أنه حسب القانون إذا اختلف اثنان فى الملة أو العقيدة أو المذهب - تطبق عليهما الشريعة الإسلامية والشريعة الإسلامية تعطى الرجل الحق فى تطليق امرأته بالإرادة المنفردة.. فيحدث أن رجلا يكون قبطيا أرثوذكسيا يحول مذهبه إلى السريان الأرثوذكس مثلا أو الأرمن الأرثوذكس، ولا يوجد بيننا وبين هؤلاء أى خلاف مذهبى؛ ومع ذلك فالمحكمة تمنحه حق تطليق امرأته، ويأتى إلينا ليتزوج فنرفض. إذن علاج المسألة فى نظرى أن نتفق على لائحة جديدة تحكم بها المحكمة. وترضى عنها الكنيسة وقد حدث أننا قدمنا إلى الدولة مشروع لائحة موحدة للأحوال الشخصية وقع عليها جميع رؤساء الكنائس المسيحية فى مصر. والسؤال الذى لايزال قائما مامصير مشروع قانون الأحوال الشخصية المقدم منذ سبعة عشر عاما؟! وأحب هنا أن أورد قصة طريفة: فقد حدث فى إحدى السنوات الماضية أن إنسانا مسيحيا غير ملته كالحالة التى ذكرناها لكى يطلق امرأته بالشريعة الإسلامية، وقدمت القضية أمام مستشار مشهور على ما أظن كان اسمه المستشار «على منصور» - فسأل المحامى ماذا تريد؟ - فقال: أريد تطبيق الشريعة الإسلامية.. فقال له القاضى: سنطبق الشريعة الإسلامية، وحكم برفض دعوى الطلاق. ولما سئل فى ذلك وكيف يحدث هذا والشريعة الإسلامية تعطى الرجل الحق

في تطليقها بإرادته المنفردة؟ أجاب القاضي: هذا عن المسلمين، أما بالنسبة لأهل الكتاب فتقول الشريعة: إذا أتاك أهل الذمة فاحكم بينهم بما يدينون، وديانتهم لاتسمح بالطلاق فى هذه الحالة، وهنا قدم لنا المستشار الحكيم تفريقا بين الحكم بين المسلمين والحكم بين غير المسلمين حسب الشريعة الإسلامية.

إذا كان هناك عجز جنسي تنفك عرى الزوجية ليس بسبب الطلاق وإنما بسبب بطلان الزواج.،فالعجز الجنسي سبب من أسباب بطلان الزواج لأن المرأة تتزوج رجلا كامل الرجولة، فإذا لم يكن هذا يبطل الزواج، ولكن هذا عند بدء الزوجية، أما إذا شاخ الرجل وأصبح عاجزا جنسيا فلا تطلقه المرأة لتتزوج صبيا إنما يكفيها ماكان بينهما من عشرة، وإذا كان الزوج مريضا تعتني به زوجته وتخلص له وتحرص على شفائه تماما مثلما إذا مرض الأب أو الأم يحرص الأبناء على شفائهما، ولايتنصلان من العلاقة ويبحثان عن أبوين كاملى الصحة.

إن الزواج رابطة مقدسة ودائمة، ولايجوز أن نفصلها لأى سبب.

أما من يتساءل فيما إذا كانت اللائحة الجديدة بها مرونة أم لا فأقول: بأن كلمة مرونة أو عدم مرونة لادخل لها هنا فهذا ديننا، والإسلام يقول: «احكم بينهم بما يدينون».

سؤال حمل الكثيرون على قانون الأحوال الشخصية للأقباط؛ لأنه كما يقولون لايجيز التطليق إلا لعلة الزنا: وأتساءل فمن الذى أصدره؟

ـ أولا مجرد مشروع قانون ولم يصدر كقانون بعد وهذا المشروع الذى تقدمت به الكنيسة إلى وزارة العدل هو قانون ناقشته ووقع عليه بعد دراسة مستفيضة جميع رؤساء الكنائس فى مصر، وجميع ممثلى الكنائس المصرية التى لها رئاسات خارج مصر ومنهم البابا «شنودة الثالث» رئيس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والبطريرك «أسطفانوس الثانى» رئيس الكنيسة القبطية الكاثوليكية، والبطريرك «ماكسيموس حكيم» رئيس كنيسة الروم الكاثوليك، والبطريرك بطرس السابع رئيس كنيسة الروم الأرثوذكس، والقس «صفوت البياض» رئيس الكنيسة الأنجيلية بمصر، والمطران «غايت عبد الملك» رئيس الكنيسة الأسقفية فى مصر والشرق الأوسط، وممثلو كنائس السوريان الأرثوذكس والأرمن والأرثوذكس والموارنة الكاثوليك واللاتين الكاثوليك وباقى الطوائف. ولاشك أن هؤلاء جميعا هم الذين يمثلون قواعد الدين المسيحى.

سؤال: لكن النقاش الذى دار حول مشروع القانون فى بعض الصحف، دفع البعض إلى أن يقولوا بأن أسرار الكنيسة قداخترقت من الداخل من زاوية الإعلام؟

ـ قانون الأحوال الشخصية هو قانون يمس قواعد الدين المسيحى وليس قانونا مدنيا؛ لأنه يرتكز على ماورد فى الإنجيل من تعليم خاص بموضوعات الزواج والطلاق ومااليها، وأيضا يرتكز على قوانين الكنيسة الجامعة التى يؤمن بها كل المسيحيين. وقد روعى فى مشروع القانون أنه إذا وجد اختلاف مذهبى فى نقطة ما ـ أن يشار إليه.

سؤال: وماذا بالنسبة للمعارضين لبنود مشروع القانون؟

ـ الذين يعارضون مواد هذا القانون إنما يعارضون التعليم المسيحى فى أساسه، فإما أنهم مسيحيون لايعرفون قواعد دينهم أو أنهم يريدون الخروج عن قواعد الدين لسبب فى أنفسهم، فمن يعتنق دينا معينا ينبغى أن يسير حسب قواعده ولايصح أن تصبح قواعد الدين فى موضوع الأسرة موضع نقاش فى الصحافة يديره غير المتخصصين.

سؤال: هناك من يذهب إلى أن القانون القديم الذى حددته لائحة الأقباط الأرثوذكس سنة ٣٨ ـ كان مستمدا من القوانين القبطية الأولى التى تم التصديق عليها عام ٣٢٥ ميلادية؟

ـ فى عام ٣٢٥ ميلادية انعقد المجتمع المسكونى الأول فى «نيقيا»، وحضره ٣١٨ من البطاركة والأساقفة من رؤساء الكنائس فى العالم كله، وأصدر عشرين قانونا كنسيا لم يرد فيها شيء على الإطلاق يخص الأحوال الشخصية. إذن القول بأن لائحة عام ٣٨ مستمدة من القوانين الكنسية سنة ٣٢٥ أمر يخالف الواقع، ولايجوز خداع الجماهير بإيراد معلومات خاطئة.

النقطة الثانية: هى أن لائحة سنة ٣٨ أصدرها المجلس الملى العالم فى ذلك الحين ولم توافق عليها الكنيسة وأثارت ضجة كبيرة وهاجمها رجال الدين مهاجمة كبيرة، ولما جلس على الكرسى المرقس البابا «مكاريوس الثالث» جمع المجمع المقدس للكنسية القبطية

الأرثوذكسية فى سنة ٤٣ وهاجم هذه اللائحة وقرر أن عقيدة الكنيسة: أنه لاطلاق إلا لعلة الزنا، وصار هذا الأمر معروفا لدى الجميع، بل صارت قاعدة ثابتة يتكلم بها كل من له علم بالدين.

سؤال: وما تعليم الإنجيل فى هذه الشأن؟

- الإنجيل لايبيح الطلاق إلا لعلة الزنا، كما ورد فى أربعة مواضع منه وهى:

(أ) فى إنجيل متى، إصحاح خمسة، آية (٣٢)، فى غطة المسيح على الجبل.

(ب) إنجيل «متى»، إصحاح (١٩)، آية (٩).

(ج) إنجيل ماركوس، فى إصحاح (١٠)، آية (١١).

(د) إنجيل لوقا، فى إصحاح (١٦)، آية (١٨).

أما إباحة انفصال الزوجين للاختلاف فى الدين فوردت فى كورينثوس الأولى الآية (١٧).

سؤال: بعض مسيحيى مصر يتساؤلون: لماذا لانكون مثل المسيحية فى أيطاليا، فالكنيسة هناك تسمح بالطلاق والزواج والانتقال من طائفة إلى أخرى؟

- هذا الكلام أيضا ضد الحقيقة فالكنيسة فى إيطاليا هى الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الكاثوليكية لاتسمح بالطلاق على الإطلاق مهما كان، حتى ولا لعلة الزنا أيضا، ولذلك ذكرت هذه الملاحظة فى مشروع القانون لكى يكون ممثلا لجميع المذاهب المسيحية، فكيف يذكر أن الكنيسة فى إيطاليا تسمح بالطلاق؟!!

سؤال: قد يعنى هؤلاء بكلامهم المحاكم المدنية؟

- إذا كان من نادى بهذا الرأى يقصد أن المحاكم المدنية فى إيطاليا تسمح بذلك فلا يصح أن يقال إن الكنيسة تسمح به، وفى تلك الحالة سيسمى طلاقا مدنيا، وليس طلاقا كنسيا تقره الكنيسة.

سؤال: ماذا عن الانتقال من طائفة إلى طائفة، وهل يمكن أن تعترض الكنيسة عليه أو تقف دون تحقيقه؟

ـ السماح بالانتقال من طائفة إلى أخرى أمر يختص بالحرية الدينية؛ فكل إنسان حر في أن يختار الطائفة التي ينتمي إليها.. ولاتوجد كنيسة تجبر إنسانا على مذهب معين، فمن يريد مثلا أن يلتزم بالأرثوذكسية يثبت فيها ويلتزم بقواعدها، ومن أراد أن يتركها إلى مذهب آخر فله كل الحرية في ذلك ولاتقف الكنيسة ضده.

إنها مسألة ضمير واعتقاد داخلي وإيمان قلب، وهذه مسائل يكفلها القانون ولاتحاربها الكنيسة.

سؤال: يقولون إن قاعدة: «فاقد الشيء لايعطيه» تنطبق على الرهبان الذين وضعوا القانون؛ حيث إنهم حرموا أنفسهم من الجنس وبالتالي فهم لايعطون ثقلا لهذا البند في تعامل الأزواج مع بعضهم البعض؟!

ـ بداية أقول إن مشروع القانون لم يضعه رهبان فقط، وإنما كان من ضمن واضعيه متزوجون.. فرئيس الكنيسة الإنجيلية متزوج ورئيس الكنيسة الأسقفية متزوج، والمستشارون الذين اشتركوا في مناقشة القانون بندا بندا ووقعوا عليه كلهم متزوجون أيضا، وعلى الرغم من أن رؤساء الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية من الرهبان إلا أنهم يباركون كل زواج، وبعضهم يعقدون الزواج بأنفسهم والزواج سر مقدس في الكنيسة باركه المسيح نفسه، أما كلام المعترضين على الجنس، فالجنس يسمح به الدين عن طريق الزواج في نطاقه الشرعي أما خارج النطاق الشرعي فيعتبر زنا.

سؤال: ذكر البعض بطلان الزواج، وتحدث البعض عن الطلاق.. فما الفرق بين الاثنين لاسيما وأن هناك من قالوا بأنه حينما يحدث «زنا» يقع بطلان الزواج وليس الطلاق؟

ـ هناك فرق كبير بين الطلاق وبطلان الزواج، فالطلاق معناه أن زواجا شرعيا قد تم واستمر مدة وربما أثمر بنين وبنات، ثم حدث انفصال فهذا يسمى الطلاق، أما بطلان الزواج

فمعناه أن الزواج ماكان يجوز أن يتم إطلاقا من بادئ الأمر لموانع شرعية تمنع عقد الزواج، وهذه الموانع تبطل العقد، مثال ذلك أن زواجا تمنعه قرابة شرعية لايجوز أن تجمع بين اثنين فى زواج، أو أن يتم الزواج عن طريق الغش فى مسائل جوهرية، أو أن يتم الزواج بغير موافقة وبإرغام مادى أو معنوى أو أن يثبت أن الزوج غير متكامل الذكورة أو أن الزوجة غير متكاملة الأنوثة أو لأسباب أخرى.

سؤال: قصر إباحة التطليق على علة الزنا فيه افتئات على حالات خاصة وأتساءل ماذنب الزوجة إذا كان زوجها عاجزًا جنسيا؟

ـ العجز الجنسى قبل الزواج يبطل الزواج، ويكون من أسبابه بطلانه؛ ويمكن أن تحكم المحكمة للزوجة بالبطلان لهذا السبب، وهذه مادة موجودة فى مشروع القانون. أما إذا قضى الزوج فترة زواج مع امرأته وأنجب منها، مما يدل على عدم عجزه، وبعد فترة طويلة أصابه العجز فهنا لايكون العجز سببا للبطلان.

سؤال: قلتم إن العجز الجنسى بعد الزواج سبب للبطلان.. فكيف يمكن إثبات ذلك؟!

ـ كثيرا ما يحدث أن تتزوج امرأة من رجل، وتظل بكرا مما يدل على عجزه، وفى هذه الحالة حينما ترفع قضية بطلان تحولها المحكمة إلى الطبيب الشرعى، وكذلك الرجل يتم تحويله، والطبيب هو الذى يقرر إذا كان الزوج مصابا بالعنة أم لا؛ وعليه يحكم ببطلان الزواج إذا ثبت أنه مصاب بالعنة على أساس أن الزواج أصلا ماكان يجب أن يتم.

سؤال: فى حالة الطلاق لعلة الزنا والمرأة هى المرتكبة لها .. هل يمنح الزوج عندئذ تصديق بالزواج للمرة الثانية؟

ـ نعم، العنصر البرىء فى حالة الزنا يصرح له بالزواج، سواء أكان الزنا زنا الزوج أو زنا المرأة، فكلاهما أمام المسيحية سواء.

سؤال: فى ضوء قصر القانون الجديد الطلاق على علة الزنا فقط ألا يمكن أن يكون هذا بمثابة تحريض على الزنا بوصفه المخرج من زواج بات مستحيل القبول به كواقع؟

ـ عامة الزانى لايصرح له بالزواج إنما العنصر البرىء هو الذى يصرح له؛ فكأن الزانى يمنع نفسه من الزواج الثانى إلى جوار سمعته التى تتلطخ وشرفه الذى يهدر وبالإضافة إلى ذلك نفسية الأولاد حينما يكون أحد الوالدين زانيا.

سؤال: غالبا مايصعب إثبات الزنا؟

ـ الزنا يثبت بأمرين: إما ضبط أحد الزوجين فى حالة «زنا»، وأما إذا تعذر هذا الأمر فهناك مايسمى بالزنا الحكمى، وهو مادة أخرى فى مشروع القانون. والزنا الحكمى يبنى على أدلة تثبت حالة الزنا، كأن توجد مثلا تسجيلات كتابية أو صوتية فيها اعتراف بالزنا أو مما يوصى به، أو أن تضبط المرأة مثلا فى مكان مخل بالآداب ويوحى بالدعارة، أو أن يضبط فى البيت مايدل على ذلك.

سؤال: يقولون إن أخطر مافى القانون المادة التى تسمح بالطلاق فيما إذا تحول أحد الزوجين إلى الدين اليهودى؟!

ـ قلنا إن من بين أسباب الطلاق تغيير الدين، سواء إلى اليهودية أو إلى غيرها أو إلى الإلحاد؛ لأن كل طرف تزوج الطرف الآخر على اعتبار أنه من نفس دينه، فإذا ترك الدين يكون قد خالف هذا الشرط أو خالف شريعة العقد. والإنسان الذى يكون دينه رخيصا عليه لا يؤتمن على زواج، كما أن الأبناء سوف يعيشون مشتتين بين الدينين أيهما يتبعونه؟! فانفصال الزوجين عندئذ هو الحل السليم، لأنه من شروط المرافقة الموافقة، وبخاصة إذا كانت شعائر الدينين مختلفة فى كثير من الأمور سواء فى العبادة والصلاة والصوم.

سؤال: ماذا بعد أن صدر حكم الأحوال الشخصية بإلزام الكنيسة التصريح بالزواج لأحد المطلقين؟

ـ الوضع السليم هو استئناف الحكم، ونحن لا يلزمنا إلا ضميرنا الدينى.

سؤال: هل يمكن القول بأنكم لا تعترفون باللائحة (٣٨) على أساس رؤيتكم لها بأنها مخالفة للكتاب المقدس والشريعة المسيحية فى بعض بنودها، خاصة تلك التى تتعلق بأسباب الطلاق الذى أجازته لأكثر من سبب ولم تقصره على علة الزنا؟

- نعم لانعترف باللائحة ٣٨، وتطبيقها هو الذى يثير إشكالات ضخمة حينما تحكم إحدى المحاكم بطلاق الزوجين ولا تستطيع الكنيسة قبول تزويج المطلقة مرة ثانية لمخالفة ذلك لتعاليم الدين، وعليه فإن المشروع الجديد يوجد مصالحة بين الكنيسة وأحكام المحاكم مادامت الأحكام ستكون مرتكزة على تعاليم الدين، كما قرره كل رؤساء الكنائس فى مشروعهم.

سؤال: معنى هذا القانون الجديد إذا صدر ستصبح لائحة ٣٨ ملغاة؟

- نعم إذا صدر القانون الجديد سيلغى العمل باللائحة ٣٨ لوجود تعارض بينهما فى بعض البنود.

سؤال: لماذا لا تعطى الحرية للإنسان فى الطلاق حسبما يشاء؟

- قلت لك إنها مسألة دينية بحتة، ليس فى أيدينا نحن كرجال دين أن نغير من تعاليم ديننا لكى نسمح للإنسان بالطلاق. والطلاق مكروه عموما وهو تشتيت للأسرة وعذاب للأولاد، وفى الطلاق يسمح بحضانة الطفل لأمه إلى سن معين وبعد ذلك تؤول حضانته إلى الأب، وغالبا ما يحدث فى فترة الحضانة أن أحدهما يكره ابنه فى الطرف الآخر ويصبح قلب الابن وضميره مشتتا ومتحيرا ومتعبا، والذى ننصح به هو أمران: الأمر الأول: هو حسن الاختيار قبل الزواج، ففترة الخطوبة ينبغى أن تكون فترة تعارف وتكوين صداقة وطيدة وأن يتأكد الطرفان خلالها بأن كلاً منهما يوافق الآخر وحينئذ يتم الزواج، وإلا إذا اكتشفا عدم التوافق يمكن فسخ الخطوبة، ولكن مع الأسف الشديد تكون هذه الفترة بالنسبة لبعض الشباب مجالا للعواطف السطحية التى لا يكتشفان خلالها حقيقة كل منهما، أو أنهما ينشغلان فى إعداد البيت الجديد للزواج من جهة السكن والجهاز وما إلى ذلك؛ وبذلك لا يعرفان بعضهما البعض.

سؤال: ما النصيحة الثانية لكم؟

- الحياة الزوجية السليمة المبنية على الحب والتعاون واحترام كل طرف للآخر وحل المشاكل بروح المودة؛ لأنه قد سئل أحد العلماء مرة: لماذا يحدث الطلاق لأتفه الأسباب؟! فأجاب لأن الزواج يحدث لأتفه الأسباب. فإذا اعتبر الزوج أن علاقته بزوجته يمكن فصلها فى أى وقت ولأى سبب فإنه سيستهين بهذه العلاقة المقدسة القوية؛ ولن تكون هناك محبة أو احترام للرابطة الزوجية، وعنها يقول الإنجيل عن الزوجين: «لا يصيرا بعد اثنين بل واحدا» وبها يصبح أقارب كل طرف من الزواج هم أقارب للطرف الآخر، فأمها كأنها أمه وأبوها كأنه أبوه والعكس صحيح.

سؤال: هناك حالات استثنائية تستوجب الطلاق خلافا لعلة الزنا، وأعنى بها عدم إنجاب الزوجة؟

- ما ذنب الزوجة فى أنها لم تنجب، وإن طلقها الزوج بسبب عدم الإنجاب فهو يظلمها، كما أنه لا يضمن إنجابا من امرأة أخرى، وإن أنجب فلا يضمن سعادة مع بيته ويحمل ذنب الزوجة المظلومة.

سؤال: فى ظل من يقول بأن هناك ٤٥ ألف مسيحى فرضت عليهم العزوبية نتيجة هذا القانون أتساءل ألا يقلقكم ذلك؟

- لا شك أن هذه الأرقام مبالغ فيها إلى أبعد الحدود، ولست أدرى كيف أمكن إحصاؤها من قبل القائلين بها، ومع ذلك فالطلاق موجود فى كل مجتمع من المجتمعات على مختلف الأديان والمذاهب ونحن واجبنا أن نمنع ذلك بوضع قواعد سليمة للحياة الزوجية، وحل مشاكل الزواج بطريقة ودية لا تصل بها إلى المحاكم، ومن هنا تبذل الكنيسة كل جهدها لمصالحة الطرفين قبل أن يتطور الأمر ويتعقد، وأحب أن أقول لك إنه بعد صدور أحكام بالطلاق تمكنت الكنيسة من مصالحة المطلقين وإعادتهما مرة أخرى للحياة الزوجية. وعموما سهولة الطلاق تشجع عليه، أما صعوبته فتعطى فرصة لإعادة التفكير، وبخاصة لو بدأت محاولة الطلاق بحالات انفصال غير منضبط.

سؤال: ماذا إذا أصيب أحد الزوجين بمس من الجنون بعد الزواج ألا يقتضى ذلك الطلاق؟

ـ الجنون قبل الزواج هو من أسباب البطلان، أما بعد الزواج فقد يكون أحد الزوجين قد تسبب فى جنون الطرف الآخر ثم طالب بتطليقه منه، والبيت الهادئ المتدين يكون بيتا سعيدا لا تحصل فيه حالات الجنون هذه والمفروض فى كل من الزوجين أن يهدئ طبع الآخر، وأن يكون مصدرا لراحته النفسيه والعقلية.

سؤال: هناك من بين المنتقدين للقانون الجديد من يقول: إنه قد يدفع المرء إلى استخدام السكين لحسم خلافاته مع زوجه؟

ـ الإنسان الذى يفكر فى استخدام السكين لحسم خلافاته هو *إنسان ليس على خلق؛ لأن* التفكير فى الجريمة هو فى حد ذاته جريمة من الناحية الروحية؛ والمفروض فى الخلافات الزوجية أن تحل بأسلوب حكيم وهادئ وبمشورة العقلاء وبرعاية الكنيسة.

سؤال: هناك من قال: إن القانون يغلق أبواب رحمة الله أمام الناس؟!

ـ مثار الدهشة أن يهاجم مشروع قانون لم يعلن ولم يصدر به كقانون، ثم المفروض أنهم لم يطلعوا على بنوده؛ ورغم ذلك يقولون ينبغى نشره ومناقشته. وأتساءل كيف سينشر وهو لم يعرض؟!

إن من جاهروا بنقد مشروع القانون قبل أن يطرح إنما يحاولون أن يفهموا من الدين ما يروق لهم وما يخدم أغراضهم، وما تقوم به الكنيسة هو محاولة حل كل المشاكل التى قد تعرض لأى إنسان، ونحاول حل المشاكل وفق مبدأ يقول: نحن لا نستطيع أن نبنى حياة مجتمع سليم على أساس من الفساد.

سؤال: القانون الجديد يحوى مثاليات قد يكون من الصعب على كل إنسان تطبيقها؟

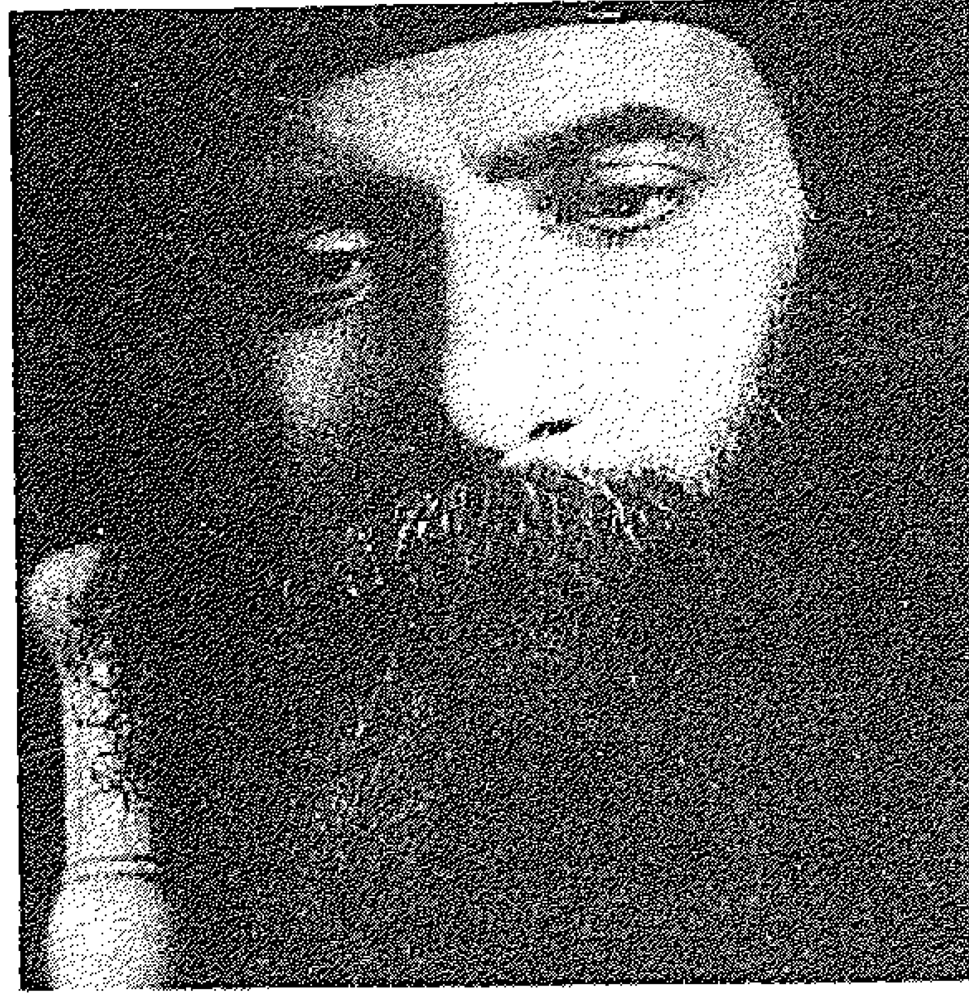
ـ إننا بدلا من أن نسمح بالطلاق يستحسن أن نقيم مدرسة للزواج، يتعلم فيها كل طرف

ما معنى الزواج وقدسيته؟ وفترة الخطوبة، وكيف تكون العلاقة فيها؟ وكيف تتكون رابطة قوية بين الطرفين يصعب فصلها؟ وكيف يمكن التعاون أثناء الزواج؟ وكيف تحل المشاكل إن وجدت؟ وكيف يتفق الزوجان فى حياتهما العاطفية والمادية وفى طريقة تربية الأولاد؟ فالقانون الجديد يرسى علاقة متينة بين الأزواج ويجعل من الصعب فصمها.

سؤال: قد يرى البعض أن الطلاق يشكل الحل المثالى للحياة إذا تعقدت؟

ـ المفروض فى الدين أن يرتفع بمستوى الناس، لا أن يهبط إلى مستواهم إذا هبطوا، أو يساعدهم على مزيد من الهبوط. ورفع المستوى يكون بإدخال المبادئ والمثل السليمة فى الحياة الزوجية وليس بإعطائها الفرصة لتسيب وفصم العلاقة؛ ذلك أن فصمها يولد مشاكل كثيرة؟ وعليه فإذا كان البعض يتحدث عن مشكلة ويتطلع إلى تسهيل الطلاق فهو لم يضع فى ذهنه المشاكل التى تنتج عن الطلاق.

الباب الثالث



◈ الكنيسة والعلمانية

الكنيسة والعلمانية

قداسة البابا شنوده الثالث: يرى أن وحدة الكنيسة تزداد رسوخاً، والكنيسة لها رأى واحد، ويرى أن الكنيسة بخير وأزماتها مفتعلة، ونعى على من يحاول إعطاء الانطباع بأن هناك مشاكل داخلية فى الكنيسة، ويؤكد بأن الكنيسة لا تمنع العلمانيين من الخدمة ولكن تحب أن تكون خدمتهم منظمة، كما يؤكد بأن المسيحية لا تنادى أبدا بالانقسام ولا بالثنائية.

وفى نفس الوقت يتحدث عن القرن الحالى (الحادى والعشرين) ويرى أنه لن يكون قرن الأديان؛ والدليل هو ابتعاد الكثيرين اليوم عن الدين، ووجود انحرافات فكرية عديدة، ومذاهب مضللة. بل إن حرية الناس أدت إلى الانغماس فى الشهوات التى وصلت إلى حدود الشذوذ. هذا فضلا عن استخدام الدول لأسلحة الدمار الشامل، ثم ما جاءت به التكنولوجيا الحديثة من سوء استخدام الإنترنت وسوء استخدام الهندسة الوراثية...

سؤال: ماذا عما يردده البعض من أن «العلمانية» هى بكسر العين نسبة إلى العلم؛ وبذلك تكون معوزلة عن الدين؟

ـ فى الاصطلاح الكنسى: العلمانيون هم غير رجال الدين، ولا علاقة للكلمة بالعلم، إنما علاقتها بأهل العالم، ولكى نفهم الكلمة يجب ألا نقتصر على فحص التعبير العربى فقط، وإنما نفحص وجود الكلمة فى اللغات الأخرى، فكلمة علمانى فى اللغة الإنجليزية، مثلا هى لايمان، وكلمة لاى مأخوذة من الكلمة اليونانية «لأوس» أى الشعب وكذلك نفس الاشتقاق فى الفرنسية وفى غيرها من اللغات وتعنى الذين ليسوا من «الإكليروس»، وهكذا عرف هذا التعبير باستمرار فى المصطلح الكنسى، ولا نستطيع أن نقول إنها جاءت من العلم؛ لأنه مر وقت بعد ذلك كان رجال الدين هم فيه كبار العلماء، فحتى الآن فى التعبير الإسلامى يقولون علماء

الأزهر، والذى يتخرج من الأزهر يقولون إنه حصل على العالمية والذين يرتفعون فى درجة العلم بالدين والدخول إلى أعماق الروحيات يطلق عليهم علماء الإسلام اسم «العارفين بالله». والمفروض فى رجل الدين أن يكون عالما بالشريعة الدينية ووصايا الله؛ لكى يعلم الناس ولكى يعظ.. فكيف لمن يعلم غيره أن يكون منفصلا عن العلم؟!

وفى المسيحية أيضا أوصى السيد المسيح تلاميذه قائلا: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعلموهم جميع ما أوصيتكم به»؛فأصبح التعليم أمرا أساسيا لرجال الدين.. وحتى فى اليهودية قيل فى سفر «ملاخى النبى»:(٢)، (٧): «إنه من فم الكاهن تطلب الشريعة».

إذن كلمة العلمانية من العلم أمر لا يقول به أحد لا مسلم ولا يهودى ولا مسيحى.

سؤال: العلمانية نشأت فى وسط مسيحى.. وأتساءل هل كانت ثورة على الكنيسة ورجالها وكهنوتها فى هذا الوقت؟

ـ العلمانية موجودة منذ البدء ،من جهة وصف الشعب الذى ليس هو من طائفة الإكليروس، حتى أن الرهبان كانوا باستمرار يسمون غير الرهبان بالعلمانيين، ولعلكم تقصدون بقيام العلمانية هو ما يطلبه العلمانيون من حقوق، أو الموقف الذى يقفون به ضد رجال الدين أما الانقسام فى العصور الوسطى فلم يكن انقساما بين رجال دين وعلمانيين وإنما كان انقساما بين مذهب دينى ومذهب آخر، أعنى بين الكاثوليكية والبروتستانتية، والذى قام بالثورة كان رجل الدين ولم يكن علمانيا، وهو «لوثر» الذى كان راهبا، وظل رجال الدين البروتستانت فى ثورتهم ضد الكنيسة الكاثوليكية، ولم يقل أحد إنها ثورة من العلمانيين ضد رجال الدين. وللآن كثير من العلمانيين يقومون ضد رجال الدين؛ لكى يسيطروا على الكنيسة ويخرجوا عن وضعهم العلمانى وعن تدبير شئونهم العلمانية إلى محاولة تدبير شئون الكنيسة فيلبسون عباءة الدين فيما يهاجمون رجال الدين.

سؤال: ماذا عما يقوله البعض من أن العلمانية قد تكون منقذا للأقليات، وتمثل بر الأمان عن الانشقاقات؟

ـ إن كان العلمانيون بعيدين عن الانشقاقات الدينية فإنه توجد بينهم انشقاقات كثيرة ذات طابع غير دينى، مذاهب فكرية متعددة، أحزاب سياسية ومناهج اقتصادية، وهكذا يكون الانقسام بين العلمانيين أكثر مما بين رجال الدين.

ثم ما معنى إنقاذ الأقلية؟ هل الأقلية هى أقلية علمانية أيضا؟ وهذه الأقلية ممن ينقذونها، هل من أغلبية علمانية أيضا؟ فهل العلمانيون ينقذون الأقلية السياسية من الغالبية السياسية كمثال؟وهل ينضمون إلى كل أقلية بلا حساب للمبادئ والقيم؟ لأنه ربما تكون الأقلية مخطئة أيضا، فهل ينقذونها من أخطائها أم من الذين يهاجمون هذه الأخطاء ويحكمون عليها؟!

فإذا علمنا أن العلمانيين هم الغالبية القصوى فى كل مكان؛ لأن رجال الدين هم الأقلية، فهل العلمانية تنقذ رجال الدين من الغالبية العلمانية أم ماذا؟ إن الأمر يبدو كما لو كان هو إلقاء أحكام وقواعد دون فحص التفاصيل والدلالات.

سؤال: ماذا عمن يربط بين الدين والتعصب، وبين العلمانية والتسامح؟

ـ هناك فرق بين التمسك بالدين والتعصب للدين؛ فالتمسك بالدين فضيلة، ومن يتمسك بدينه يرتبط أيضا بالفضائل والقيم الروحية التى أوصى بها الله. أما التعصب فيشمل الكثير من الأخطاء والخطايا ويتسم بضيق الأفق وكراهية الآخرين وإيذائهم، هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى: هناك فرق بين التسامح والتساهل والتسيب واللامبالاة.. فإن كان بعض العلمانيين يتساهلون فى أمور دينهم أو لا يبالون به فى شىء ـ فلا نقول إن هذا لون من التسامح أو البعد عن التعصب إنما هو شعور باللامبالاة، وغالبا ما يكون هؤلاء غير متدينين، والشيوعيون عموما لا يبالون بالدين إذ لا يؤمنون به.

سؤال: ماذا عما يردده البعض من أن المسيحية ليس فيها تشريع،فالمسيحى يمكن أن يقبل بنظام يحكمه؛ لأن دينه ليس فيه شريعة معينة فى الزواج والطلاق والمعاملات وفى العلاقات الدولية؟

ـ المسيحية وضعت شريعة للزواج تتميز بها: وهى شريعة الزوجة الواحدة، وكذلك الزواج الدينى (وليس المدنى أو العرفى) وفى ذلك قال السيد المسيح فى الزواج: «ما جمعه الله لا يفرقه إنسان»، وكذلك فإن المسيحية وضعت تشريعا فى الطلاق ـ فى أنه لا يكون لأى سبب؛ فالمسيحية تقول: «إنه لا طلاق إلا لعلة الزنا» وتوجد لهذا آيات كثيرةفى الإنجيل، كما أنه يجوز الطلاق إذا ترك أحد الزوجين دينه على اعتبار أنه غصن قطع من شجرة فلا يمكن

أن يتحد بغصن آخر فى نفس الشجرة، وعلى اعتبار أنه من شروط المرافقة الموافقة. وقد وضعت المسيحية شرائع كثيرة فى المعاملات: ومنها مبادئ المحبة والتسامح والمغفرة للمسيء واحتمال الضعفاء والعطاء للمحتاجين بغير حدود وما إلي ذلك.

سؤال: هل وحدة الكنيسة فى خطر؟

ـ تعبير عجيب أسمعه لأول مرة.؛فوحدة الكنيسة تزداد رسوخا يوما بعد يوم، والكنيسة كلها رأى واحد، فى اجتماعات المجمع المقدس تؤخذ القرارات بالإجماع وليس بأغلبية الأصوات، وكذلك فى اجتماعات المجلس الملى العام وهو من العلمانيين تؤخذ القرارات بالإجماع وليس بأغلبية الأصوات، وبيننا وبين شعبنا محبة كبيرة جدا؛ فإن شذ بعض أفراد قلائل وسط ملايين المسيحيين فهذا ليس ضد وحدة الكنيسة، وهؤلاء الأشخاص لايعبرون عن الرأى العام القبطى إطلاقا، والبعض مما يكتبون فى الصحف ليس لهم وجود فعال فى الكنيسة ،والبعض يتخذ أسماء حركية مثلما نشر فى بعض المجلات بإمضاء «جماعة الإصلاح القبطى» بينما لاوجود إطلاقا لهذه الجماعة، والبعض يخفى اسمه لئلا يثيروا ضجة عليه، والبعض يريد تصفية حسابات قديمة؛ على أن ما يهمنا فى كل ذلك هو مسألة العلمانية التى بسببها يهاجمنا البعض.

سؤال: هل هناك أية إشكالية بين قداسة البابا والعلمانيين؟ وهل تمنعونهم من الخدمة؟

ـ إن الكنيسة أعطت مجالا كبيرا للعلمانيين فى خدمتها: فمنهم مثلا أعضاء المجلس الملى العام (٢٤ عضوا)، ومنهم أعضاء المجالس الملية الفرعية فى المحافظات، بل يوجد فى كل كنيسة أيضا لجنة من العلمانيين تشرف على أمورها المالية والإدارية، ويوجد عشرات الآلاف من العلمانيين فى خدمة مدارس التربية الكنسية، ويوجد علمانيون آخرون يخدمون فى جميع احتياجات الكنيسة المعمارية والهندسية والمالية والعلمية..إلخ.

ونحن لانمنع العلمانيين من الخدمة ولكن نحب أن تكون خدمتهم منظمة.

وعضوية الكنيسة عندنا على أربعة أنواع: العضوية العامة وهى لجميع المسيحيين، ثم العضوية الروحية وهى لمن يحضر اجتماعات الكنيسة ويشترك فى صلواتها وقداساتها وتكون

له حياة روحية سليمة تبدأ بالتوبة وتنمو فى حياة البر والفضيلة، وهناك العضوية العاملة ممن يخدمون فى الكنيسة روحيا وإداريا واجتماعيا من الرجال ومن النساء، وهناك العضوية القيادية، غير أن البعض مما ينادون بالعلمانية يريدون أن يقفزوا مرة واحدة إلى العضوية القيادية، دون أن يمروا على «الروحية»، و«العاملة»، ودون أن تكون لهم ركيزة داخل الكنيسة من معرفة الناس بهم. وهناك بعض من ينادون بالعلمانية يعتبون على البابا أنه لم يدخلهم فى المجلس الملى العام مثلا بينما المجلس الملى العام يتشكل نتيجة لانتخابات شعبية لادخل للبابا فيها؛ فهى ليست بالتعيين. ولكن ربما يقولون إن البابا لم يرشحهم، وعموما البابا لايرشح أحدا ؛لأن أبوته عامة للجميع. فإن قامت مجموعة بنشر قائمة معينة يراها البعض أنها قائمة مؤيدة من البابا؛ ولذا فهى تنجح فى الانتخابات، ماذنب البابا إن كان الناس يصرون على إنجاح القائمة التى تنسب إليه؟ علما بأن الذين يختارون قائمة من هذه إنما يختارون الأعضاء الذين يتآلفون مع بعضهم البعض، ويستطيعون أن يعملوا معا بغير اختلاف، وقد توجد لهم مواهب أخرى كثيرة ولكن المهم ليس فقط فى المواهب وإنما فى التآلف والعمل الجماعى. ومن اهتمام البابا بالعلمانيين: أنه يقيم اجتماعا فى الاثنين الثالث من كل شهر لأعضاء الجمعيات القبطية، واجتماعا آخر فى الاثنين الثانى من كل شهر لأمناء التربية الكنسية، كما أنه يقيم اجتماعات متتالية مع شعب كل كنيسة تحتاج إلى رسامة كاهن جديد؛ فيستمع إلى كل ملاحظاتهم واقتراحاتهم وينفذ لهم تزكياتهم. وبيننا وبين شعبنا محبة كبيرة لايعكرها إطلاقا ماينادى به البعض مستعملين كلمة الإصلاح.

سؤال: لماذا لاتقود إصلاحا ينهى هموم الكنيسة ويحل مشاكلها؟

ـ لقد عجبت كثيرا حينما صدرت مقالات فى مجلة «المصور» سنة ١٩٩٤ ـ تردد عبارات غريبة عن حياة مجتمعنا القبطى، مثل: كلمة (أزمة)، وكلمة (هموم الكنيسة)، و(مشاكل الكنيسة)، وكلمة (المطالبة بالإصلاح). إن كاتب المقال يعرف بلاشك ما هموم الكنيسة ومشاكلها؟ وكلها من الخارج وليست من داخل الكنيسة، وبينما يتحدث البعض عن متاعب الأقباط ومايحتاج إليه وضعهم فى المجتمع المصرى؛ نرى تحولا خطيرا وهو محاولة نقل فهم القارئ إلى أن مايشكو منه الأقباط هو مشاكل داخلية، والمبالغة فى أن هذه الهموم

الداخلية تتحول إلى هموم الوطن كله، ونشكر الله أنهم لم يقولوا بأنها تتحول إلى هموم الشرق الأوسط والعالم أجمع. فهل أمر البابا إلى راهب بأن يعود إلى ديره يتحول إلى أزمة ومشاكل وهموم للكنيسة كلها، وهو أمر عادى له ظروفه؟! وربما القارئ الذى يقرأ عبارات (أزمة) و(مشاكل) و(هموم) ـ يظن أن الكنيسة فى أزمة حقيقية، اضطرت المجلة أن تضع لها عنوانا مثيرا على الغلاف هو «ماذا يحدث فى الكنيسة القبطية ؟!»، وعنوانا أكثر إثارة وهو «أزمة البابا مع القساوسة والرهبان والعلمانيين». وأقول: إن الكنيسة بخير وأية حال فردية لايجوز تصعيدها إلى هذه الدرجة من الإثارة، والكتاب المقدس يقول: «طوبى لإقدام المبشرين بالخيرات».

وكنت أود أن يبحث كاتب المقال عما يهم الأقباط فى الحقيقة، ويصلح أوضاعهم السياسية والاقتصادية. وعموما فإن هذا الموضوع وهو نقل راهب ليس هو الموضوع الذى يشغل المحيط القبطى.. ولايصح أن يكون كذلك؛ فهنا محاولة لنقل الاهتمام من المشاكل الخارجية إلى مشاكل مفتعلة داخل الكنيسة لا قيمة لها. نقول هذا بينما كانت الكنيسة القبطية فى أفراح كبيرة وأحداث تاريخية فى ذلك الوقت؛ فلأول مرة رسمت الكنيسة خمسة أساقفة «إريتريين»؛ لتكوين المجمع المقدس لكنيسة «إريتريا»، وهو حادث تاريخى اهتمت به صحافة العالم وصحافة إفريقيا، ماعدا الصحافة المصرية.

وأيضا قمنا برسامة أول مطران بريطانى انضم هو وشعبه وقساوسته ورهبانه وكنائسه إلى الكنيسة القبطية، كما تمت رسامة مطران هولندى وأسقف فرنسى لرعاية الذين انضموا من الفرنسيين إلى الكنيسة القبطية، وكذلك تمت «رسامة» سبعة قساوسة من جنوب إفريقيا انضموا إلى الكنيسة القبطية، هم وكل شعبهم وكنائسهم، كما أنه فى هذه الفترة تم توقيع بروتوكول مع الكنيسة الأثيوبية، فهل تنسى الصحافة كل هذه الأحداث التاريخية الكبيرة، وتنشغل بعودة راهب إلى ديره وتتحدث عن هموم الكنيسة وأزماتها ومشاكلها؟!

سؤال: هل حضر الحرس القديم من المطارنة اجتماع المجمع المقدس الذى يبحث أمورا خاصة بالكنيسة ورجال الدين؟

ـ الواقع أنه لم يكن هناك اجتماع للمجمع المقدس، ولم تكن هناك مقاطعة، كل ماحدث هو أنه أقيم احتفال بمناسبة مرور أربعين سنة على رهبنة البابا؛ فحضر بعض المطارنة

والأساقفة للتهنئة وكان من محبتهم أنه تم حضور (٤٨) مطرانا وسقفا. وكان قد أعلن عن إقامة «سيمنار» (ندوة للمجمع)، وهى فكرة جديدة يمكن أن يلتقى فيها البعض فى حوار علمى؛ لتوضيح بعض الأمور، وهذه الندوة لاتمثل اجتماعا رسميا للمجمع، ومع ذلك حضرها ثمانية وأربعون عضوا، ولم يكن الجميع مطالبين بالحضور، البعض لم يحضر بسبب كبر سنه أو بسبب صحته، هناك أربعة أساقفة لم يحضروا؛ لأننا انتدبناهم للإشراف على عيد القديس «الأنبا شنودة» بديره بسوهاج.

ومن العجيب فيما قرأت ماذكره كاتب المقال عن عدم حضور نيافة الأنبا «دوماديوس» مطران الجيزة بينما هو فى أمريكا للعلاج، وكذلك عدم حضور نيافة الأنبا «هيدرا» أسقف أسوان والذى حضر فعلا، وكذلك الأنبا «بيموا» أسقف الأديرة القديمة، فقد حضر أيضا وكذلك الأنبا «بطرس» وقد حضر أيضا. وذكر المقال أن نيافة «دانيال» مطران الخرطوم لم يحضر وكلنا يعرف ظروف السودان حاليا، فليس الأمر مقاطعة. ونيافة الأنبا «دانيال» بينه وبين البابا محبة كبيرة وقد رقاه البابا مطرانا أثناء زيارته للسودان.

ومع ذلك فلا نفترض فى أية مناسبة أن يحضر الجميع، وكل شخص له ظروفه؛ وقد اشترط قانون المجمع المقدس أن يكون الاجتماع قانونيا بحضور ثلثى الأعضاء ويستثنى من النسبة المطارنة الذين يعملون خارج مصر، فما بالنا إذا لم يكن هناك اجتماع رسمى!

وأعود إلى عبارة مقاطعة الحرس القديم للمجمع: فتعبير «الحرس القديم» هو تعبير جديد ولايوجد مايسمى حرس؛ لإن حراسة الكنيسة هى لله وحده، وبالنسبة للطاقة البشرية هى للمجمع المقدس بأكمله، كما أن عبارة مقاطعة تحمل معنى أرجو ألا يكون فى فهم الكاتب ولا فى فهم القارئ؛ لأنها تعنى لونا من الانشقاق والمعاداة وهذا أمر لا وجود له، وكما قلت: فإن قرارات المجمع المقدس تتم بالإجماع.

سؤال: هناك من أشار إلى أن إنشاء كنائس فى المهجر أدى إلى تشكيل جاليات متماسكة كانت بؤرتها الكنيسة الأرثوذكسية.. أتساءل هل كانت هذه الكنائس ركيزة قوة للأقباط أم للبابا؟

ـ كان لابد لنا أن نهتم بالأقباط فى المهجر، وأن ننشئ كنائس لهم؛ خوفا من أن يذوبوا فى المجتمع الغربى بكل ما فى ذلك المجتمع من أخلاقيات غريبة علينا ومن انحرافات فكرية

وعقيدية أيضا، فالهدف كان تقوية أقباط المهجر وليس تقوية الكنيسة الأم عن طريقهم. وحينما توليت المسئولية فى الكنيسة لم يكن لنا سوى سبع كنائس فى المهجر، اثنتان فى أمريكا واثنتان فى استراليا واثنتان فى كندا وواحدة فى لندن.. فأصبح لنا الآن أكثر من (١٥٠) كنيسة فى الغرب، وبعد أن كان الأقباط يستأجرون أى يستعيرون كنائس للصلاة فيها أصبحت لنا كنائس كبيرة مبنية.. وبعضها يملك أراضى واسعة وأصبح لنا دير فى كاليفورنيا يمتلك (٢٤٠) فدانا، ودير فى «ملبورن» باستراليا يملك (٤٦) فدانا، ودير فى سيدنى باستراليا يملك مائة فدان، ومركز قبطى فى برمنجهام به أحد عشر فدانا، وأيضا لنا مركز قبطى فى كرفيلدباخ فى ألمانيا قرب فرانكفورت يعتبر شبه دير. وكل تلك المؤسسات هى مؤسسات مصرية فى الخارج وأراض لمصر فى الخارج، وتكون جاليات مصرية وليس مجرد جاليات قبطية.

فهل ننسى كل هذا ونتحدث عن الرغبة فى الإصلاح، ونحن نعتنى بأولادنا فى الخارج لكى نحتفظ بانتمائهم إلى الكنيسة القبطية وإلى مصر؛ ولكى نحفظ لهم حياة طاهرة فى مجتمع كثرت فيه الانحرافات. ولقد حرصنا على أن نترك لأولادنا حرية الحركة وحرية إدارة أمورهم المالية، فلم يحدث فى يوم من الأيام أننى طالبت بمراجعة حسابات كنيسة واحدة فى المهجر: وبهذا نموا وانتشروا، ثم أنشأنا أيضا ثلاث كليات دينية فى المهجر أحدهما فى «جيرسى ستى»، والأخرى فى «لوس أنجلوس» والثالثة فى سيدنى باستراليا، وهناك معاهد أخرى فى طريقها للتأسيس. واعتنينا بالشباب فى المهجر بإقامة مؤتمرات لهم عبارة عن حلقات دراسية يجتمعون فيها تحت قيادة نيافة الأنبا «موسى» أسقف الشباب ومعه أحيانا نيافة الأنبا «توماس» ونيافة الأنبا «أنطونيوس ماركس»، كما قمنا بإنشاء أسقفية فى إفريقيا أصبح لها كنائس عديدة جدا فى كينيا وزامبيا وزيمبابوى وناميبيا وجنوب أفريقيا.. هل كل هذا ينسى ويتعلق ذهن القارئ بتجاوز راهب لاختصاصاته فأمر البابا بنقله ونخلق منها قضية ينشغل بها القراء فى مصر وتشكل فى نظر الكاتب هموما للكنيسة تعتبر جزءاً من هموم الدولة كلها.

وأرجو حينما يتحدث الناس عن الكنيسة أن يذكروا ما نقوم به من جهد وبذل وعطاء، وليس فقط ما يظنونه من أزمات هى فى حقيقتها مفتعلة.

سؤال : قلتم لى فى بداية هذا الحديث إن الأقباط يعيشون فى واد والصحافة تكتب فى واد آخر.. ما الذى تعنونه قداستكم؟

ـ الأقباط تهمهم أمور معينة، تمس حياتهم خاصة وتمس مستقبلهم؛ وما تثيره بعض

المجلات هو عن هموم هامشية بالنسبة إليهم بل إن الأقباط يسيئهم جدا أن يجرى التعريض بكنيستهم فى الصحف وتصبح مادة للقيل والقال. وبالنسبة للبابا يعتبره الأقباط رمزاً لهم فكل ما يمسه يمس كل فرد منهم، كما أن الأقباط من جهة الكنيسة يشعرون بفرح من جهة الرعاية الروحية والاجتماعية التى تقدم لهم ومن جهة التعليم الكنسى، كما يفرحون بمركز الكنيسة القبطية فى الخارج وبالهيئات الكنسية وعملها من أجل الوحدة الكنسية.

سؤال: ولكن هل تتمتع الكنيسة بالديمقراطية؟

ـ لولا الديمقراطية ما كان يترك لهؤلاء الناس أن يتحدثوا، ويمسوا كنيستهم دون تقصى الحقائق من مصادرها.

سؤال: ماذا عن السياسة ونظم الحكم؟

ـ من جهة السياسة ونظم الحكم فلم تضع المسيحية نصوصاً، وإنما وضعت قواعد معينة من جهة العدل والمساواة؛ والسبب فى ذلك أنها تركت للدول حريتها فى اختيار نظام الحكم المناسب لكل دولة، فقد يناسب دولة نظام لا يناسب غيرها، وتبقى مع ذلك أسس الحكم ثابتة من جهة ما يجب على الحاكم وعلى المحكوم، ولو أن المسيحية غيّرت نظام الحكم حينما قامت لحاربوها باعتبارها تثور على الحكام وتغير النظم.

سؤال: ذلك حينما قامت، ولكن ماذا بعد أن توطدت كديانة وباتت قوية، ولماذا لم تتدخل بالنسبة لأى نظام حاكم؟

ـ كانت تحارب الظلم أينما وجد؛ ولهذا الأمر أمثلة كثيرة فى التاريخ، مثال ذلك أن القديس «يوحنا» ذهبى الفم منع الامبراطورة من دخولِ الكنيسة؛ لأنها ظلمت غيرها. كما نادت المسيحية بالمساواة بين الناس ولا فرق بين عبد وحر.

سؤال: على أى أساس إذن جرى اتهامكم فى عهد الرئيس الراحل السادات بأنكم تتدخلون فى السياسة؟

ـ لم يكن هناك أساس لذلك، ولكن اعتبر دفاعى عن الأقباط فيما تعرضوا له من اعتداءات حينئذ ضد سلطته كحاكم.

سؤال: ماذا عما يذهب إليه البعض من أن المسيحية تقبل انشطار الحياة وانشطار الإنسان، ويعتمدون فى ذلك على ما ورد فى الإنجيل: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» ؟!

ـ عبارة انشطار تعنى انقسام، أى تحويل الشيء إلى شطرين كما نقول فى بيت الشعر، والمسيحية لا تنادى أبدا بالانقسام ولا بالثنائية، وعبارة انشطار الحياة عبارة غير مفهومة، وقد تعنى الموت؛ لأن فيه يحدث انشطار بين الروح والجسد، وكلمة انشطار الإنسان يسأل عنها قائلها، وهذه تعبيرات جديدة لم تقل بها المسيحية إطلاقاً لا فى الإنجيل ولا فى كتب المفسرين ولم يقل بها واعظ ولا معلم الدين فى يوم من الأيام.

سؤال: وما المعنى إذن بعبارة «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» ؟

ـ العبارة قالها السيد المسيح عندما سأله رؤساء اليهود فى خبث: أيجوز لنا أن نعطى جزية لقيصر؟ وقصدهم من السؤال أنه لو أجاب بالإيجاب يقولون: إنه منحاز للحكم الرومانى ضد اليهود الذين يريدون التخلص من سيطرة الرومان؛ وبهذا يفقدونه شعبيته وسط اليهود، وإن قال لا تعطوا الضريبة لقيصر يقولون: إنه ثائر ضد الحكم ويشتكونه لقيصر كمحرض للشعب على الثورة، فأجاب المسيح فى حكمة: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» أى أن ما يخص الدولة لا تظلموها فيه وما يخص الله من قرابين يعطى له.

سؤال : يفهم من هذا أن الكل ليس لله .. وأتساءل ألا يعنى هذا إهدارًا لحقوق الله ؟

ـ الآية تفهم على التوازن فى التعامل بين الواجبات السياسية والواجبات الدينية، ولا نستطيع أن نقول: إن الكل لله بمعنى عدم إعطاء الحاكم ما يلزم من حقوق سياسية، فلا يمكن أن يقال لا تدفعوا الضرائب ولا الجمارك ولا المال الذى يخصم من المرتب للتأمينات، كذلك لا تدفعوا الغرامات على الأخطاء وإنما ادفعوا الكل لله فى الزكاة، فالدين عموما يعلمنا أننا لا نبخس الدولة حقوقها باسم الدين، وإعطاء الدولة حقوقها لا يعنى البعد عن الله، فالله نفسه يأمر بهذا، كما أن إعطاء كل إنسان حقه «وليس قيصر» فقط لا يعنى إطلاقا إهدار حقوق الله.

سؤال : بالنسبة لعالمية الدين يقال بأن المسيحية لم تكن عالمية حيث ورد في الإنجيل: «إنما أرسلت لخراف بنى إسرائيل الضالة»، وبذلك فهم ضمنا أنه ليس لكل العالم؟

ـ ليس هذا هو تعليم السيد المسيح الذى قال لتلاميذه في سفر الأعمال (١ : ٨): «وتكونون لى شهودا فى أورشليم وكل اليهودية وفى السامرة وإلى أقصى الأرض» ، وقوله لهم أيضا فى إنجيل مرقص (١٦ : ١٥): «اذهبوا واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها»، وقوله أيضًا فى إنجيل متى (٢٨ : ١٩): «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم». أما قول السيد المسيح إنه جاء لخراف بنى إسرائيل الضالة فتعنى الخطوة الأولى التى تعقبها خطوات فيما بعد.

والمفروض فى كل دين أن تكون له عموميته.

سؤال : هل تتفقون معى على أن القرن الحادى والعشرين سيكون قرن الأديان بعد فشل كل الأيديولوجيات وإفلاسها ؟

ـ ما نراه حاليا هو بعد الكثيرين عن الدين؛ وربما يكون سبب ذلك هو سوء استخدام الناس للحرية التى وهبت لهم فى ظل الديمقراطية، فأصبح كل إنسان يفكر كما يشاء حتى ولو خرج على الدين، ووجدنا فى العالم انحرافات فكرية عديدة ومذاهب مضللة، كما أن حرية الناس أدت إلى الانغماس فى الشهوات بشكل لم يكن له مثيل من قبل وصل إلى الشذوذ أيضاً.

ووجدنا أيضا فى جيلنا هذا جرائم ما كنا إطلاقا نتصورها ومن ضمنها: أن يقتل الابن أباه أو أمه، أو تقتل الزوجة زوجها، أو يقتل التلميذ مدرسه إذا منعه من الغش فى الامتحان.

وكذلك انتشار المخدرات بأسلوب أصبح خطرا على المجتمع كله، وفى محيط الدول نجد التمادى فى استخدام الأسلحة المدمرة وحرص كل دولة على أن تحصل على نصيبها من أسلحة الدمار، ووجود أيضا الحرب الكيماوية إلى آخره.. وكل هذا خروج على الدين وعلى الإنسانية، ولا ندرى ما سوف يؤول إليه العالم فى ظل التكنولوجيا الحديثة وسوء استخدام الإنترنت وسوء استخدام الهندسة الوراثية فى عمليات تكاد تسمى بالخلق وكله خروج على الدين وكذلك عمليات الاستنساخ؛ فكيف نقول: إن القرن الحادى والعشرين سيكون قرن انتصار الدين؟!

سؤال: من الذى أفقد الدين نبضه الإبداعى؟ وما السبيل إلى استعادته ثانية؟

ـ إنه ليس فقدانا تاما ولا عاما، فمازال الدين يعمل فى الذين يقبلون تأثيره، ومع ذلك فإن الشهوة باستمرار تقف ضد الدين، ولعل من أمثلة ذلك المذهب الوجودى الذى يقول من يؤمن به: «من الخير أن الله لا يوجد لكى أوجد أنا» أى لكى أتمتع بشهواتى التى يمنعنى الدين عنها، ويقولون أيضاً: «ليكن الله فى السماء ويترك لنا الأرض».

سؤال : أما كان من الممكن لله أن يزرع الفضيلة ويمحو الشر؟

ـ إنه الدين على الرغم من دعوته إلى حياة الفضيلة والبر إلا أنه أراد أن يحيا الإنسان حياة البر بإرادته، فلم يشأ الله أن ينزع من الإنسان حريته وإلا يكون الإنسان قد فقد سموا فى طبيعته. كما أن الإنسان إذا أحب الله أو أحب الخير والبر بكامل إرادته فإنه يبرهن على أنه لا يحيا كذلك مرغما، وإنما يحب الخير محبة تستحق الثواب والمكافأة، أما إن فعل الخير مرغما فلا يكون هذا خيرا فى الحقيقة وأيضا لا يستحق عليه عندئذ المكافأة.

● مسيحيون وعلمانيون:

سؤال: فى معرض الحديث عن المسيحية والعلمانية .. هل يمكن القول بإمكان وجود صراع بين العلمانية والمسيحية ؟

ـ من الصعب القول بأن هناك صراعا بين العلمانية والمسيحية فهو تعبير من الجائز ألا يكون دقيقا؛ لأن المسيحية فى داخلها علمانية وكهنوت، فهى كديانة فيها فرصة للجميع للعلمانيين ورجال الدين وكل طائفة من الناس، فالتعبير يحتاج إلى مزيد من التوضيح.

لايوجد صراع بين المسيحية والعلمانية، لكن إذا وجد خلاف بين العلمانية والقيادة الدينية أو الكنسية، لايكون هذا مبدءا عاما إنما يكون فى حالة عدم قدرة القيادة الكنسية على احتواء الفكر العلمانى، وعدم قدرة الفكر العلمانى على التجاوب مع الوضع الكنسى. ويحتاج الأمر إلى مصارحة ومصالحة لكى يعود الأمر طبيعيا فى توافق واتحاد، فلا نستطيع القول: أن هناك صراعاً بين الدين والعلمانية فكلاهما داخل دائرة المسيحية ، ولكى ندخل فى هذا الموضوع لابد أن نعرف المقصود بالعلمانية.

سؤال : أحيانا نتداولها على أنها وصف لحالة الإنسان البعيد عن التدين؟؟

ـ هنا لا تكون علمانية؛ لأنه ما أسهل أن توجد علمانية متدينة تقدر مبادئ الدين وإن لم تكن متفرغة للدين بقدر رجال الدين. أما الذى ينكر الدين تماماً فإنه إما أن يكون ملحداً أو أنه يسير فى منهج الملحدين بغير إلحاد.

سؤال : هناك التباس.. يرى البعض العلمانية كمفهوم عصرى للدين أى الإنسان الذى يسير كيفما اتفق أى أن يأخذ الدين كملمح عام بلا ممارسة حيث إن ما يعنيه هو المنهج العلمى؟

ـ هذا تعبير يحتاج إلى مناقشة، وأسألك هل هناك تعارض بين العلم والدين، لايوجد تعارض بين العلم السليم والفهم السليم للدين، فإذا وجد تعارض فإما أن يكون ما يسمى بالعلم ليس علما حقيقيا خالصا، وما يسمى بالدين لايكون فهما سليما للدين.. فالعلم الصحيح والفهم الصحيح للدين لاتعارض بينهما لأن مصدرهما واحد وهو الله.

سؤال : ما أعنيه أن الإنسان المعاصر لا يأبه للدين وأن هناك أغلبية غير متدينـة؟؟

ـ هذه الأغلبية ليست بسبب العلمانية؛ إنما بسبب أن أعمالهم طغت على وقتهم فلم تعطهم فرصة. ولكن يمكن أن يكون الإنسان عادلا فى توزيع مسئولياته ووقته فيعطى جانبا لعمله ورزقه، وجانبا آخر لحياته مع الله ونموه الروحى، وكما قلنا: فإن الإنسان روح وجسد، فالجسد يعطيه مجاله فى حدوده البارة غير الخاطئة، والروح تأخذ مجالها أيضا وإلا يكون جسدا ناقصا لأنه يشغل جسدا بدون روح.

سؤال : فحوى ما نتحدث عنه قد يسلمنا إلى أن هناك نوعين من التدين.. العادى وغير العادى ؟

ـ نفرق فى الدين بين نقطتين: الإنسان العادى والناسك الزاهد، وليس الجميع زهادا أو نساكا، ولكن يمكن أن يكون الإنسان متدينا وليس زاهدا أو ناسكا، وهناك إنسان يأخذ من الدين نصيبه ويعمل عمله فى الدنيا، وهناك إنسان يتفرغ للدين كرجال الدين. فليس كل إنسان مطالبا بالتفرغ أو التنسك، ولهذا يمكن أن تكون العلمانية داخل الدين ويحتويها الدين وأن

يوجد نوع من المصالحة تبنى على المصارحة. والعلمانية هنا لاتكسر وصايا الدين أو تعاليمه، ومن هنا نستطيع أن نضع تعبيرا جديدا وهو وجود علمانيين صالحين، فكلمة علمانى فى الأساس مشتقة من كلمة (لاؤس) اليونانية بمعنى شعب. أى أنه فرد من أفراد الشعب؛ ولهذا وجب التوصيف السليم للعلمانية حتى نتفهم معناها.

سؤال : على ضوء انتخابات المجلس الملى التى كانت قد جرت والزوبعة التى أثارها البعض حول وجود قائمة للبابا .. أتساءل أولا ما فكرة القوائم وكيف نشأت ؟

ـ تختلف انتخابات المجلس الملى العام عن انتخابات مجلس الشعب أو مجلس الشورى؛ ففى الأول ينتخب شخص واحد ، ومن ثم فمن السهل على الناخب أن يحدد اختياره. أما فى انتخابات المجلس الملى العام فيجب على الناخب أن يكتب (٢٤) اسما فإن قل عن ذلك أو زاد يعتبر صوته باطلا ؛ فليس من السهل على الناخب أن يتذكر(٢) اسما ـ فمن هنا نشأت القوائم لكى يتذكر الناخب الأسماء التى يكتبها. ثانيا: المجلس الملى عمل جماعى يحرص (٢٤) عضوا على أن يكونوا متفقين فى الرأى؛ لكى لا يحدث فى اجتماعهم ألوان من الصراع فاعتادت كل مجموعة متآلفة أن تنزل فى قائمة معا؛ لكى تعمل على أساس الفريق.

سؤال : لماذا بادر البعض بالحديث عن قائمة البابا ؟

ـ لأن المرشحين كانوا يعرفون عبر خبرات سابقة أن القائمة التى يرضى عنها البابا هى التى ستنجح؛ ويرجع هذا الأمر إلى عاملين: أولهما ـ أن الأقباط لا يريدون أن يكون المجلس الملى مجال صراع بين الإكليروس والعلمانيين، كما حدث منذ نشأته سنة ١٨٧٥ .

وثانيا ـ لثقتهم برئاستهم الكنسية ورغبتهم فى أن يكون هناك مجلس متعاون معها، من هنا رأينا أن قوائم كثيرة قد نزلت هذه المرة؛ وأراد البعض رغبة فى الفوز بعضوية المجلس فى الانتخابات أن ينسبوا قوائمهم إلى البابا وأن ينشروا صورته على القائمة رغبة فى إقناع الجماهير، وحتى المجلات التى أشارت إلى قائمة البابا قالت بالحرف الواحد : وكانت الأيام السابقة على الانتخابات قد شهدت صدور ثلاث قوائم مزورة نسبت إلى البابا؛ مما اضطره إلى الإعلان فى الصحف ينفى وجود قائمة باسمه.

سؤال : هل تمارس ضغطا على المواطنين لانتخاب قائمة معينة ؟

ـ حتى لو صدرت قائمة منسوبة إلى البابا ـ وهذا لم يحدث ـ فإنه لا يوجد أى ضغط أو إرغام للجماهير فى أن ينتخبوا هذه القائمة، وإنما لهم حرية الاختيار فى أن ينتخبوا من يشاءون بدليل أن الـ (٢٤) عضوا الذين اختيروا كان الأول منهم حاصلا على(٢٧٧٠) صوتا، والأخير حاصلا على (٢٣٣٠) صوتا أى أنه يوجد بينهما فارق (٤٤٠) صوتا. وهكذا باقى الناجحين فى الانتخابات تتفاوت أصواتهم. إذن لا توجد قائمة ملزمة، وإلا فلماذا تفاوتت أعداد الأصوات هكذا؟!

سؤال : علام ادعى البعض كذبا بأن للبابا قائمة ؟

ـ جاهد المرشحون بكل طرق الدعاية الممكنة أن يدعوا الناخبين إلى منحهم أصواتهم، وكان البعض ينشر مؤهلاته وكفاءاته وإنجازاته، وحدث كأية انتخابات أن فاز البعض بالعضوية والبعض لم يفز .. فإذا ببعض الذين لم يفوزوا؛ يعللون ذلك بأنه توجد قائمة للبابا على الرغم من الإعلان فى الصحف أنه لا توجد قائمة، وعلى الرغم من أن كل قائمة كانت تدعى أنها منسوبة إلى البابا .. فلماذا إذن اختصت القائمة التى نجحت بأنها قائمة البابا؟

وعلى أية حال فإن ما نشر فى بعض الصحف عن فوز قائمة البابا يحمل ضمنا أن الأقباط يؤيدون البابا، وأن ما أشيع من معارضة داخل الكنيسة ليس له واقع عملى، علما بأن كثيرا من الذين لم يفوزوا فى الانتخابات كانوا يضعون أسمائهم فى قوائم تبدو أنها القوائم المنسوبة إلى البابا ـ بالإبقاء على القائمة كما هى مع حذف ثلاثة أو أربعة أسماء منها ووضع أربعة أسماء بدلا منها.

سؤال : بعض من رشحوا أنفسهم رفعوا شعارا يقول: من أجل مجلس ملى يحقق المصالحة للكنسية حلم الشعب القبطى؟

ـ ما معنى المصالحة الكنسية التى تحدث عنها البعض؟

المصالحة الكنسية موجودة، بل تعبير المصالحة تعبير غير مقبول؛ لأنه يعنى خصومة انتهت بمصالحة. إنما المقصود بهذا التعبير مصالحة هذا الإنسان بالذات الذى نشر العبارة

التى أوردتها فى سؤالك، يظن هؤلاء أنهم بالمعارضة التى تصل إلى النشر فى الجرائد والمجلات يضغطون على البابا؛ لكى يصطلح معهم ولكن هذا الأسلوب غير مقبول. فإذا أراد إنسان أن يصطلح مع الكنيسة عليه أن يتوب ويترك ما هو فيه، لكن المصالحة بالضغط لا يمكن أن تكون حقيقية، فالمصالحة تنبت من القلب مثل كل شيء.

وأتساءل : هل يعقل أن كل من لا يفوز فى الانتخابات يطعن فى صحتها أو ينسب إلى البابا أنه أصدر قائمة معينة مع أن غالبية القوائم كانت تدعى أنها منسوبة إلى البابا .

سؤال : تحدث البعض عن توسيع اختصاصات المجلس الملى .. وأتساءل هل هذا أمر وارد؟

ـ توسيع اختصاصاته ليس واردا؛ لأن كل ما يريده الذين يسعون إلى توسيع الاختصاصات هو الانتقاص من علم «الإكليرس» الذى سيحتج عليهم عندئذ؛ فهم بذلك يطبقون المثل القائل : «خذ تارك من جارك» . الحكومة أخذت اختصاصات المجلس الملى؛ فلقد كان المجلس الملى يشرف على الجمعيات القبطية فأصبحت تشرف عليها وزارة الشئون الاجتماعية ، كان المجلس يشرف على مسائل الزواج والطلاق فأصبحت تشرف عليها محاكم الأحوال الشخصية، كان يشرف على مسائل الأوقاف فتكونت هيئة أخرى للأوقاف، كان يشرف على المدارس القبطية فأصبحت تشرف عليها وزارة التربية بتأميم التعليم؛ أى أن الحكومة أخذت الكثير من اختصاصات المجلس الملى. فإذا سعى الآن إلى توسيع اختصاصاته لتعويض ما أخذ منه سينتقص من اختصاصات الكنيسة، وهذا أمر تثور عليه الكنيسة ولا تقبل به، بل وستوقف من يسعى إلى ذلك عند حده؛ لأن هناك أمورا كنسية لا يمكن أن يتعرض لها أحد إلا رجال الكنيسة.

سؤال : يقال إن المجلس الملى دائما فى موضع المعارضة مع الكنيسة بالنسبة للسيطرة على شئون الأقباط؟

ـ حينما أتيت كان المجلس الملى مغلقا منذ أواخر أيام البابا «كيرلس السادس» من عام ١٩٦٧ ، وعاد المجلس مرة أخرى فى أيامى عام ١٩٧٣ عندما وافقت على رجوع المجالس

الملية، وعشت فى محبة مع كل أعضاء المجالس الملية خلال الستة والعشرين سنة الماضية ـ أى خلال دورات متعددة من المجالس ، ولم يحدث أن اختلفنا فى يوم من الأيام، بل لم يحدث أننا أخذنا قرارا بالأغلبية ، إنما كانت كل قراراتنا بالإجماع؛ فعندما كان يختلف البعض كنا نرجئ الموضوع لمزيد من الدراسة والتأنى لكى يتفق الكل على رأى واحد، فلم يحدث فى يوم من الأيام أن اختلفنا. فى العصور الماضية كان البابوات ضد المجالس الملية؛ لأنهم لم يكن ليحضروا جلساتها فكان وكيل المجلس هو الذى يدبر الأمور، فإذا اتفقوا على رأى ولم يوافق عليه البابا يحدث خلاف؛ أما فى هذه الأيام فكلهم أولادى وأحضر معهم وندرس الأمور معا ونعطى كل شىء للمتخصصين فيه ولا نختلف.

سؤال : خشى الكثيرون من أن يضم المجلس الملى بعض المعارضين لكم من أمثال «ميلاد حنا» ؟

ـ ميلاد حنا لم يسجل نفسه كناخب، ولم يسجل نفسه كمرشح؛ ولهذا لم يدخل فى دائرة الانتخاب عموما. وهذا سرى على باقى من كانوا يعارضوننى وهم قلة ويعدون على الأصابع.

سؤال : ماذا عن الحركة المعارضة التى ظهرت فى عام ١٩٩٤ .. هل مازال لها بعض الملامح أم إنها انتهت؟

ـ صدقينى لا توجد معارضة فى الكنيسة بالمعنى الذى أشيع وإنما هى محاولات فردية؛ لمهاجمة تقابل باستياء من مجموع الأقباط، ورغم أنها فردية أحدثت ضجيجًا بعض الشىء لأن بعض الصحف والمجلات فتحت صدرها لها.

وأى إنسان يمكن أن يتضايق من أمر يجد صحيفة تبرزه وتقيم من رأيه الفردى ضجة؛ كما لو كان رأيا عاما.

سؤال : أثير موضوع الكنيسة المعلقة وأتساءل لماذا لا تتولون الإنفاق عليها لإنقاذها وأنتم قادرون على ذلك ماديا ؟

إن كانت الكنيسة المعلقة من الآثار المهمة فى مصر التى يزورها السياح، فلابد للدولة أن تنفق

عليها وإلا يحدث ما حدث فى الماضى من أن البعض فى الخارج تساءل لماذا تهتم مصلحة الآثار المصرية بالآثار الإسلامية ولا تهتم بالآثار القبطية ؟!

ولكن إقرارا للواقع أقول إن الدكتور «عبد الحليم نور الدين» إنسان متجاوب وأقدره كثيرا وفى كل مرة نتقابل بمحبة شديدة - وأرجو أن ألتقى به قريبا ونتفق فى موضوع الكنيسة المعلقة. وعامة لقد جاءت تبرعات من الخارج وستقوم هيئات أجنبية بالمساهمة فى ترميمها.

سؤال : ماذا عن مساهمتكم أنتم ؟

- مستعدون للمساهمة، ولكن ترميمها يصل إلى قدرات أعلى من قدرات الكنيسة، لقد أسهمنا فى مسائل الزلزال والسيول عندما كان فى مقدورنا أن نسهم - أما بالسنبة للكنيسة المعلقة فإن مساهمتنا لن تغطى التكلفة التى يحتاجها الترميم. إن الكنيسة المعلقة أثر يزوره السياح ومصدر سياحى بالنسبة لمصر .

الباب الرابع



- الإسلام والمسيحية
- الفتنة الطائفية
- الحزب الدينى والجمهورية القبطية
- أقباط المهجر

الإسلام والمسيحية

الحوار فى العقائد لا يأتى بنتيجة وليس من الصالح . ولكن من الممكن أن يُوجد حوار من نوع آخر حول كيف يسلك الناس فى تعايش سلمى؟ وكيف يعيش الناس فى المحبة والألفة؟ وكيف يمكن أن يتعانوا فى العمل على أرض مشتركة وفى موضوعات لا خلاف فيها وفى أغراض متحدة؟ وهناك أرضية مشتركة للتعايش بين الأديان وهى الفضائل والقيم الروحية والسلوك الطيب وكلها يؤمن بها الجميع .

سؤال : عود إلى حوار الأديان فى ظل ما أوردتموه من أن الصمت أبلغ من الكلام ومن أن المحك الرئيسى فى العملية هو النتائج ؟

- نعم، النتائج والمقاصد.

سؤال : ولكن النتائج أحيانا تأتى عفوية تلقائية دون سابق معرفة.. أى دون أن يعرف المرء ما الذى يمكن أن تقود إليه ؟

- الإنسان الحكيم يمكن أن يستنتج النتائج التى يتوقعها، فيستطيع أن يستنتج هل الشخص الذى يقف أمامه يريد بالفعل أن يفهم أم أن له قصدا آخر.

فإذا كان القصد هو الفهم والروح الطيبة، وإذا كان الحوار يوحى بهذه الروح ويؤكدها فستستمر. والإنسان الحكيم إذا تكلم يحاول أن يتفهم خطوات الحوار خطوة خطوة، فإذا وجد أن الجو سيتحول إلى إثارة أو قلق أو أن الأعصاب بدأت تشتعل وأن الفهم بدأ يخطئ فما عليه إلا أن يغير مجرى الحديث؛ لأنه ليس المهم لدينا أن نكسب الحوار ولكن المهم أن نكسب من نتحاور معه، فالشخص الذى يكسب المناقشة دون أن يكسب الأشخاص الذين يناقشهم يكون

قد خسر خسارة ليست بالقليلة. والكتاب المقدس يقول: «رابح النفوس حكيم» ، فالشخص الحكيم لايضع أمامه أبدا أن يكسب المناقشة لو خسر الناس، وإنما يحاول أن يكسب الاثنين ، فإذا كان الناس غير مستعدين الآن فربما يكونون مستعدين بعد حين، وهنا يؤجل الموضوع، وهناك من لديه روح المرح والدعابة، فإذا وجد أن الجو سيتأزم سارع فرطبه لكى لا يشتعل، فالحكيم يعرف أن النار لاتطفئها النار وإنما يطفئها الماء، فإذا وجد أمامه نارا لايزيدها اشتعالا وإنما يحاول أن يطفئها بكلمة طيبة أو بمناقشة.

سؤال : عود إلى الحوار بين الأديان، كنتم قد أكدتم من خلال حوار معى ترحيبكم بالتحاور مع الإخوة المسلمين.. وأتساءل هل حدث بالفعل حوار بينكم وبين شيوخ الإسلام؟

ـ الدعوة وحدها لاتكفى وإنما لابد من أن توجد استجابة لها، نحن مستعدون لأى حوار بيننا وبين إخواننا المسلمين، لكنى أرى حاليا أن أى حوار فى العقائد لا يأتى بنتيجة وليس من الصالح، إنما يمكن أن يوجد حوار من نوع آخر حول كيف يسلك الناس فى تعايش سلمى؟ وكيف يعيش الناس فى جو من المحبة والألفة؟ وكيف يمكن أن يتعاونوا فى العمل على أرض مشتركة وفى موضوعات لاخلاف فيها وفى أغراض متحدة؟ كيف يمكن أن يكون الجميع إخوة متضامنين يعطون صورة مثالية. أحيانا ما يتخاصم البعض دون أن يعرفوا بعضهم بعضا، فإذا تعارفوا اتفقوا و أدركوا أن أسباب التخاصم لا وجود لها.

سؤال : إذن ستظل العقيدة دائما وأبدا محورا ينظر له على أنه (تابو) لايمكن الاقتراب منه ؟

ـ نفس آيات القرآن تقول: «لكم دينكم ولى دين».. إذن على كل أن يسلك فى دينه، إنما المهم فى الدين المعاملة، وأن يتعامل الناس بمحبة ، فالشخص الذى يتعامل بمحبة يعطى فكرة طيبة عن سلوكه فى دينه.

سؤال : هل هناك أرضية مشتركة للتعايش بين الأديان أيا كانت هذه الأديان؟

ـ طبعا، على الأقل الفضائل التى يؤمن بها الجميع والقيم الروحية والسلوك الطيب، كلها أمور تتفق الأديان فيها، فهذه أرض مشتركة يمكن أن يتعاملوا فيها وبها.

سؤال : هناك مناظرات بين الأديان. شاهدنا نماذج منها أخيرا وعزاها البعض إلى أن اليهود هم الذين روجوا لها للإيقاع بين المسلمين والمسيحيين.. ما رؤيتكم ؟

ـ لا أستطيع أن ألقى بمسئولية على أحد إلا إذا تحققنا، وليست لدينا وسائل التحقق فى هذه الموضوعات، ولكن حتى ولو كان اليهود يدفعون المسيحيين والمسلمين إلى التخاصم؛ فواجب كليهما ألا يستجيب إلى هذه الدعوة أيا كانت الدوافع الخارجية، فالمفروض أن الدافع الداخلى من الحب والتعاون والثقة والمعيشة المشتركة تكون غير قابلة لأى دوافع خارجية.

سؤال : القيد الحتمى أمام علاقة مثمرة ووثيقة بين الأديان بعضها وبعض قد يكمن فى التعصب، فإذا رفع التعصب انتهى كل شىء وتعا يش الجميع فى سلام وإخاء ؟

ـ التمسك بالدين فضيلة ولكن التعصب رذيلة، فالإنسان المتدين المتمسك بدينه يحترمه ويحبه الجميع، أما المتعصب فهو لايتمسك فقط بالدين وإنما يكره غيره ويهاجمه ويقاومه ويفقد المحبة بينه وبينه، وهذه أمور الدين نفسه لايوافق عليها.

سؤال : كيف يمكن تذويب التعصب ؟

كيف يمكن معالجته عند طرف مقابل لأى دين ؟

ـ أول كل شىء عدم مقابلة التعصب بتعصب وإلا كان معناه معالجة الخطأ بخطأ، فالنار كما قلت لاتطفئها النار وإنما الماء، وأنا أثق فى أن المحبة تغلب، فحتى إذا قوبل إنسان بعداوة وقابلها بمحبة فإن المحبة تنتصر على العداوة، فالمحبة دائما تبنى والعداوة والكراهية دائما تهدم، والذى يبنى يصعد إلى أعلى أما الهادم فينزل إلى أسفل. فنحن نريد معالجة التعصب بالمحبة لأن المحبة؛ تخجل ا لطرف المتعصب، وأيضا معالجة التعصب بالفهم السليم والتوعية على مستوى المجتمع كله، وأيضا باللقاءات المستمرة؛ لأنها توطد الصداقة

والمودة والعمل المشترك وفى كل هذا زوال للتعصب، فالتعصب يكون مبنيا على الكراهية وهو ما لا يوافق عليه أى دين، ذلك أن القلب المملوء بالمحبة لاتسكنه كراهية ولاتعشش فيه التناقضات.

سؤال : لكن الإنسان ضعيف بطبعه ولذا قد يغويه الخطأ ويغريه التردى فيه والتعايش معه؟

ـ لانحب الخطأ، ولكننا نحب المخطئين ونحاول أن نخرجهم من خطئهم بالحب وليس بالكراهية؛ فالأم لاتكره ابنها إذا أخطأ وإنما تحبه وتحاول أن تقومه. هناك قواعد ثابتة للتعامل توافقت عليها جميع الأديان والمذاهب ومن ضمنها المحبة والسلام والهدوء والتفاهم والحوار.

سؤال : إذن فيما لو التقى علماء الأديان، ما القضية الملحة التى يمكن لهم أن يتناقشوا فيها بعيدا عن نقطة العقيدة ؟

ـ هناك موضوعات لاتحصى من ضمنها التعاون على سلامة المجتمع، وهذه تشمل عناصر متعددة جدا: منها معالجة الأخطاء الاجتماعية، الاشتراك فى القضايا الوطنية المشتركة، تقديم مفاهيم سليمة مشتركة لأمور متعددة جدا، ومفاهيم سليمة للحرية لأن البعض يستخدمها بفهم خاطئ، معالجة العنف عند البعض، مسألة المحبة للجميع وعدم حصرها فى دائرة ضيقة؛ لأن الإنسان فى المحبة قد يبدأ بذاته ثم إذا أراد أن يكون إنسانا اجتماعيا خرج من ذاته ليلتقى بالمجتمع فيحب أسرته ثم أقاربه وجيرانه والمجتمع الذى يعيش فيه، ثم الوطن كله ثم يحب الآخرين حتى إن اختلفوا معه فى الرأى من كل المذاهب والأديان، يحب الإنسانية عموما فإذا وصل الإنسان فى محبته إلى الإنسانية جملة يكون قد وصل إلى إحدى قمم المحبة، فهو يحب جميع الكائنات، حتى إنه يشفق على الحيوانات ويحب الطبيعة التى تحيط به والأرض التى يعيش فيها، أما قمة القمم فهى محبة الله.

سؤال : هذه لايجنيها إلا بالعزلة ؟

ـ لا، هناك فرق بين أن يجلس الإنسان إلى نفسه حينا ويجلس فى حضرة الله حينا آخر ويأخذ من وجوده فى حضرة الله حبا يملأ قلبه ينشره على المجتمع المحيط به؛ لأن الله لم

يخلق الإنسان فردا وإنما خلقه اجتماعيا. فالعزلة إن كانت لونا من الانطواء تكون مرضا نفسانيا واجتماعيا؛ لذلك يوجد فرق كبير بين الوحدة والانطواء، فربما يجلس إنسان وحده فيتفهم نفسه ويتفهم المبادئ السليمة، فيأخذ من وحدته مجالا للتأمل ويخرج منها بنفس أكثر صفاء وأكثر اندماجا فى المجتمع وأكثر رغبة فى التعامل السليم معه، أما الانطواء فهو مرض نفسى، الإنسان المنطوى إنسان عاجز عن التعامل، أما الإنسان المحب للوحدة فهو إنسان ناجح فى حياته الاجتماعية ولكنه يحتاج إلى أوقات يقضيها منفردا مع الله.

سؤال : ولكن الانفراد بالإله، ألا يحتاج من المرء إلى أن ينعزل ؟

ـ الإنسان الناسك ليس إنسانا منطويا على ذاته، هو إنسان زاهد فى الدنيا يحب الله وفى الوقت نفسه يحب الناس جميعا ولكن كلما أراد أن يقضى وقتًا أكثر مع الله حينئذ يقلل من لقاءاته مع الناس مع حبه لهم؛ لأنه إذا خرج من وحدته وعلاقته بالناس غير طيبة يكون قد انحرف فى استخدام الوحدة، فالنساك ليسوا انطوائيين.

سؤال : هل يعنى هذا أنكم توافقون معى على القول بأنه على حين أن العزلة قد تولد الحكمة فإن الضوضاء تكون الأخلاق ؟

ـ أنا لا أريد استخدام عبارة العزلة، فالإنسان اجتماعى بطبعه؛ ولذا إذا جلس وحده فهو عمليا لايجلس وحده. الوحدة الحقيقية أن الإنسان وهو وحده يجلس مع الله فيكون اجتماعيا أيضا لأنه يجتمع مع الله، فيجتمع مع قيم الحقائق والمبادئ الروحية فهى ليست عزلة كاملة بمعنى الفراغ المطلق؛ لأن الإنسان لايستطيع أن يحيا فى فراغ مطلق، كل إنسان يجلس وحده وعلى حسب تصرفه فى الوحدة تكون النتيجة، فمن الجائز أن يجلس وحده ليدبر ضد غيره وهذه ليست وحدة حقيقية، أو يجلس وحده وتحاربه أفكار خاطئة ، وليس هذا المقصود بالوحدة، ولكن المقصود بها أن يجلس وحده مع نفسه ومع الله و مع قيم روحية، ويكون له فى هذه الوحدة بعض أعمال روحية معينة مثل قراءات نافعة أو فترات من التأمل أو الصلاة فيخرج وهو أكثر حبا للناس وأكثر قدرة على التعامل معهم.

سؤال : ما الحقيقة فيما تردد عن أن المسيحيين بدأوا فى تسمية أولادهم بأسماء مسلمة مثل عبدالرحمن وعبدالفتاح ؟

البابا شنودة : ليس لهذا أى أساس من الصحة.

سؤال : ماذا عن إمكان الحوار بين الدين الإسلامى والدين المسيحى وما الإمكان فى عملهما معا فى المساحة المشتركة بينهما ؟

ـ الحوار بين الدينين مطلوب لخدمة الوطن، ولكن تظل نقاط الخلاف العقائدية موضوعات حساسة يحسن عدم الجدل فيها، أما الأمور المشتركة فيمكن أن تكون نقاطا إيمانية واجتماعية وأدبية وقومية ووطنية مثل الوقوف ضد الإلحاد فى إثبات وجود الله، وما يثيره بعض العلماء وبعض الفلاسفة من قضايا ضد الدين عموما مثل نظرية التطور وأصل الإنسان أو وجود إنسان قبل آدم وحواء.. ومثل التسيب الفكرى والأخلاقى عند الغرب، ومثل مفهوم الحرية وحدودها والعلاقات الأسرية.

سؤال : الدولة الوطنية تنهار من أساسها إذا اختلط الخطاب السياسى بالخطاب الدينى؛ لأن الأول موجه للشعب والثانى إلى طائفة منه والخلط بينهما يؤدى إلى تصارع الفئتين ؟

ـ هناك فرق بين الخطاب الدينى والحكم الدينى، فنحن المسيحيين لا نوافق على الحكم الدينى؛ لأن السيد المسيح نفسه قال أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، أما الخطاب الدينى فهو خطاب يوجه إلى جميع الضمائر بما فى ذلك ضمائر السياسيين أيضا فمن حق رجل الدين أن يشهد للحق فهذا مجرد خطاب ولكن الشهادة للحق لا تعنى الحكم، لكن هناك أمورا حساسة حاليا يختلط فيها الخطاب الدينى بالحكم الدينى وهنا أصبح الموقف حرجا وحساسا فى الكلام عن هذا الموضوع.

سؤال : إلى أى حد يمكن إحلال الانتماء الوطنى محل الانتماء الدينى؟

ـ لا يوجد ما يمنع من جمع الأمرين معا، أى أن يكون للإنسان انتماء دينى وفى الوقت نفسه يكون له انتماء وطنى خاصة إذا وجد فى وطن واحد أكثر من دين فهذا لا يمنع ذلك.

سؤال : فى جولتكم الأخيرة فى الخارج.. ما وضعية العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فى المهجر ؟

- نحن نحاول إيجاد هذه العلاقة ونعمل على تعميقها؛ لأن كل إنسان مشغول بهمومه الخاصة وبعمله وبأسرته. الصلات الاجتماعية قليلة حتى بين المسيحيين بعضهم ببعض يضاف إلى هذا ا بعد المسافات، مثلا لدينا فى لوس أنجلوس إحدى عشرة كنيسة، أحد القسس يقول لى: إنه حينما يذهب لتفقد أسرة واحدة يستغرق الطريق بالسيارة تسعين كيلو مترا أى مثل المسافة بين القاهرة وطنطا !!

سؤال : هل العلاقات وثيقة؟

- لا أستطيع أن أقول إنها وثيقة بين أصحاب دين واحد أو أصحاب دينين، فالكل مشغول بعمله وزياراتهم قليلة، ولكنى فى كل زيارة للخارج أحرص على هذا الأمر؛ ففى فرنسا زرت جامع باريس وفى إنجلترا جامع لندن وفى لوس أنجلوس زرت المركز الإسلامى الموجود هناك.

الفتنة الطائفية

الحوار يسود إذا وجدت المحبة والتفاهم، ومن بين الجسور التى توصل بين العقول الرغبة فى التفاهم، والتفاهم معناه الفهم المتبادل . وليس المراد بالحوار أن يتخاصم الناس أو يتصارعوا وإنما المقصود به أن يتواصلوا ويتوصلوا إلى فهم مشترك.

سؤال : فى المعتكف تصفو النفس وتسمو المشاعر.. وأتساءل ما الذى يشغلكم الآن فى هذه الأيام؛ لاسيما أن مصر قد تكون مستهدفة بإثارة الفتنة الطائفية ؟

ـ أهم ما يشغلنى فى هذه الأيام وأحب أن يكون موضع اهتمام كل إنسان هو إيجاد جو من المصالحة والحب يعيد ويعمق فى الجميع صورة مصر السمحة التى لم تعرف أبدا روح التعصب. وفى رأيى أن كلمة الفتنة الطائفية كلمة دخيلة لم نسمعها من قبل فى مصر؛ لذلك إذا أردنا أن نمهد لجو من الحب والمودة والوئام لاداعى لأن نعيد إلى الذاكرة ما طرح فى الماضى ومايمكن أن يثار فى الحاضر، والأجدى بنا أن نتحدث عن الحب الذى نود أن نعيش فيه والذى هو حتما فى قلب كل طرف تجاه الآخر؛ لأن مصر يلزمها فى هذه الأيام كما يلزمها فى كل وقت مشاعر الحب والتعاون والألفة والاندماج القلبى وإزالة كل ما يبعث على الفرقة والتباعد، وأنا أعلن أن قلوبنا مفتوحة بكل الحب لجميع إخواننا المسلمين.

سؤال : ماذا عن الأحداث التى وقعت منذ سنوات فى صعيد مصر والمثقلة بتبعات سلوك قلة ذات شطحات ذهنية مغرقة فى الخيال وشحذتها خرافات ساذجة وشائعات لايمكن تصديقها ؟

ـ لقد تألمت كثيرا للأحداث التى وقعت فى الصعيد فى الثمانينيات، تألمت لحرق

المسجد تماما كما تألمت لحرق الكنيسة؛ لأن كل بيت يدعى فيه «باسم الله» ينبغى أن يكون محلا لاحترام الجميع وتوقيرهم. وتألمت لنزاع يدب بين الإخوة. وما المسيحيون والمسلمون إلا أعضاء فى جسد واحد هو مصر وهم صناع مهرة لتاريخ مجيد تحسدهم عليه كل الدول.

أنا واثق جدا أن الشائعات التى تدخل إلى الآذان ومنها إلى الأذهان ومنها إلى الوجدان، ويمكن أن تغير القلب ويمكن أن تثير الشك بينما لايوجد لها أى ظل من الحقيقة.

سؤال : فى مثل هذه الحالات - ومن وجهة نظركم - كيف يمكن للمرء أن يذيب الشائعة ويزيل الشك الذى قد يعلق بالنفوس ؟

- أنا أريد أن تتعمق المحبة بين المسلمين والمسحيين وتزداد رسوخا يوما بعد يوم وتكون أقوى من الشائعات وأقوى من الشكوك. فالحب الحقيقى ينتصر على كل شىء والمحبة لا تظن السوء كما ورد فى الكتاب المقدس. وقد ورد فى القرآن الكريم «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين» - الحجرات ٦ - وهنا نرى أن الشك لاتزيله المحبة فقط وإنما يزيله العدل والتروى والتحقيق؛ لذلك كم من قوم أصيبوا وهم أ برياء.

سؤال : فى معرض الحديث عن تضافر المسئولية حيال الوحدة الوطنية فى مصر.. هل يمكن تبديد الشك بلقاءات نسعد بها جميعا، ويكون لها أثرها فى دعم الوحدة الوطنية والتعاون بين القادة المسيحيين والمسلمين ؟

- إننا نريد أن نجتمع معا حول حب هذا الوطن الذى نحرص جميعا على سمعته وتاريخه ونحرص جميعا على وحدته ومحبة مواطنيه بعضهم لبعض، ولقد كتب آباؤنا جميعا مسلمين ومسيحيين آيات من الحب والتعاون و وحدة القلب والفكر ووحدة العمل والصف، وتقتضينا الأمانة للتاريخ والوطن أن نكمل ما بدءوه من تاريخ مجيد ونكتب صفحات أخرى لحياة المحبة إن لم تكن أسمى من صفحات آبائنا فعلى الأقل تماثلها.

أوكد من أعماقى أنه لايوجد أى خلاف إطلاقا بين مسيحى يحب دينه ويخلص له وبين مسلم يحب دينه ويخلص له، فالتدين الحقيقى يدعو إلى المسالمة، وإن كانت المسيحية تدعو إلى السلام، فالإسلام يقول: إن المسلم هو الذى يسلم الناس من يده ولسانه، وأنا شخصيا

لاأستطيع أن أحصى عدد أصدقائى وأحبائى من المسلمين.. وأتذكر أننى حينما تقابلت مع الشيخ «عمر التلمسانى» فى سنة ١٩٨٥ كان لقاء كله حب. وحينما تقابلت مع فضيلة المرشد السابق للإخوان المسلمين الأستاذ «حامد أبوالنصر» فى سنة ١٩٨٦ كان لقاء أيضا كله حب، وأنا لا أنسى أيضا الصداقة العميقة التى كانت تجمع بينى وبين الشيخ «الباقورى» والصلة القوية التى بيننا وبين الشيخ «الطيب النجار»، كما لا أنسى المجهود الطيب الذى قام به الدكتور «محمد على محجوب» فى زيارته للصعيد عندئذ، وكذلك المشاعر الطيبة والمجهودات العملية التى بذلها محافظ سوهاج ومحافظ بنى سويف وقتئذ، وكلمات المحبة التى ألقاها بعض إخواننا فى مساجد هاتين المحافظتين، ونحن نود أن تكون اللقاءات دائمة و مستمرة بيننا وبين إخواننا المسلمين؛ ولا شك أن كل لقاء ستكون له نتيجة طيبة فى تصفية القلوب إن وجد فى قلب أحد شيء يحتاج إلى تصفيـة.

سؤال : ولكن هل الوقائع التى شهدناها فى الثمانينيات فى صعيد مصر يمكن أن تقود إلى ما يسمى بالفتنة الطائفية ؟

ـ إن كانت قد وقعت أحداث فى بعض بلاد الصعيد، فالصعيد كله حب ومروءة وشهامة وكله تعاون وألفة، وماحدث استنكرته قلوب الجميع ولا يدل إطلاقا على انقسام فى مصر، فمصر لاتزال صورتها مشرقة فى عقولنا وقلوبنا.. وما يحدث فى قرية أو مدينة لا ينفى إطلاقا أن آلاف القرى والمدن والأحياء تعيش فى سلام وطمأنينة، وقلوب الجميع مطمئنة من جهة مصر ومن جهةأمنها وسيادة القانون فيها، على أننا نريد أن تحكمنا المحبة أكثر مما يحكمنا القانون، ونريد أن يكون حاضرنا أفضل من ماضينا، وأن يكون مستقبلنا أفضل من حاضرنا وأن تكون أيدينا بلا لوم أمام الله وأمام ضمائرنا وأمام الناس، وكل مبادرة تهدف إلى جمع الصف وترابط القلوب نفتح لها قلوبنا ونقدم لها جهودنا بلا حرص وبلا شرط وبلا تحفظ.

سؤال : ما تفسيركم للأحداث التى وقعت فى الثمانينيات والتى كان يمكن أن تقود إلى ما يعصف بالوحدة الوطنية فى مصر.. هل تتسق هذه الأحداث وروح المجتمع المصرى بمسلميه ومسيحييه ؟

ـ لا شك أن الأحداث التى وقعت فى الماضى لاتعبر إطلاقا عن مشاعر الشعب المصرى الذى قابلها بألم سواء منه المسلم أم المسيحى، الكل يريد لهذا البلد الخير ولايوجد خير فى اعتداء ولا يوجد خير فى حريق أو تخريب. وعملنا الأول هو أن نبنى هذا الوطن

ونبنيه بمشاعر نقية خالصة نحو بعضنا البعض وما أجمل المثل الذى يقول: «المحبة تبنى والكراهية تهدم». والذى يبنى دائما يصعد إلى فوق، أما الذى يهدم فدائما يهبط إلى أسفل. وأنتهز هذه الفرصة لأشكر كل إخوتى من المفكرين والصحفيين الذى ساءهم مايحدث وتحدثوا عن وحدة بلادنا وتماسكها. تحية لهم من كل قلبى وتحية لكل رجال الدين مسلمين ومسيحيين الذين يدعون مخلصين لترك التطرف والعدوان وبناء الحب والسلام .. وإلى لقاء ليس على صفحات الجرائد، وإنما فى قلوب بعضنا البعض، وليكن لقاء يجمعه الله ويدعو إليه قلب كل مخلص؛ ولتعش مصر مباركة عميقة فى محبتها، ولنعش جميعا فوق الأحداث، ولنعلم أن القلب الذى يسكنه الحب لايمكن أن تسكنه بغضة نحو أى أحد.. فالمحبة والبغضة لا يعيشان أبدا فى قلب واحد. والمحبة مصدرها الله والبغضة ليست منه ولقد قال السيد المسيح : «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعضكم نحو بعض» ودعا إلى الحب نحو جميع الناس بلا تفرقة حتى إنه قال: «أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم»، فإن كان يطلب هذا الحب نحو الأعداء والمبغضين فكم بالأكثر يكون الحب بين الإخوة أبناء الوطن الواحد الذين يعيشون جنبا إلى جنب، ولهم هدف واحد وفكر واحد وتجمعهم مشاعر واحدة ويظلهم وطن واحد، وأحب أن أنتهز هذه الفرصة أيضا لأشكر كل مجهود قامت به الدولة من أجل حفظ الأمن والنظام ومن أجل أن يسود الهدوء والطمأنينة.

سؤال : مال البعض إلى استدعاء الدعوى القائلة باستراتيجية إسرائيل حيث تنفذ مخططًا يستهدف تفتيت الوحدة الوطنية فى مصر وزعزعتها وزرع بذرة الفتنة الطائفية اعتمادا على المواجهة التى يمكن أن تتزايد بين المسلمين والأقباط.. ما وجهة نظركم ؟

ـ ليس المهم أن تكون لإسرائيل سياسة معينة فى تفتيت وحدة بلد ما. إنما المهم هو مدى استجابة الناس لسياسة من قبل شعب آخر. فهل تظنين أنه يوجد مصرى واحد يستجيب لخطة معادية تهدف إلى تفتيت بلاده؟ إن هذا مستحيل فمهما حدث من تنوع فى الفكر السياسى فإن وحدة الجميع قائمة وراسخة فى حفظ كيان هذا الوطن ولا يمكن أن يقبل أحد تفتيته.

ومن جهتنا كأقباط فإن موقفنا الراسخ معروف وهو الذى بواسطته منعنا المسيحيين من زيارة القدس وظللنا راسخين على هذا الأمر متمسكين بذلك الموقف منذ سنوات طويلة جداً.

سؤال : الحوار والإقناع والاقتناع يقودنا إلى عقبة الحوار بين الأديان.. وأتساءل هل يمكن تذليلها عن طريق الحكمة ؟

ـ يمكن الحوار إذا وجدت المحبة والتفاهم وإذا لم يتضايق الشخص بآراء غيره ولايظن أن فكر غيره هو هجوم عليه أو بتر لأفكاره، وهنا يوجد التفاهم والاستعداد لقبول الرأى الآخر وتفهمه، فمن بين الجسور التى توصل بين العقول الرغبة فى التفاهم، والفهم أن يفهم المرء غيره، ولكن التفاهم معناه الفهم المتبادل، أنا أفهم غيرى وأُفْهم غيرى ما أريد.

سؤال : ولكن قد تصبح العملية معقدة بين الطرفين فى عملية الجذب والأخذ فى التفاهم؛ وذلك إذا أحس أحدهما أن الآخر سيتغلب عليه أو سيسحب البساط منه؟

ـ إذا كان الحوار المقصود به هو التفاهم فسيجرى الحوار فى جو سلس مفعم بالمحبة؛ لأنه حينئذ لن يوصل إلى النتيجة المرجوة، فليس المقصود بالحوار أن يتخاصم الناس أو يتصارعوا، وإنما المقصود به أن يتواصلوا ويتوصلوا إلى فهم مشترك أو على الأقل أن يقنع أحدهما الآخر أو يتفهم رأيه حتى وإن لم يقتنع فالحوار الحكيم هو الحوار الذى يؤدى إلى نتيجة طيبة.

سؤال : ألا تتطلب منا الحكمة أن نبدأ بالحقائق وأن نفتقها للناس أم أنها تقتضى أن نخفى ونغمض أشياء كثيرة خوفا من أن تثير الفتنة أيا كان نوعها عملا بالحديث: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها» ؟

ـ الحكمة تقتضى أن نصل إلى نتيجة سليمة، فليس من المهم بالنسبة لإنسان إعلان أمر ما، وإنما المهم أن يعرف هل هذا الإعلان يوصل إلى نتيجة سليمة أم لا ؟ وهنا نصل إلى نقطة معينة وهى أيهما أفضل للحكمة الكلام أم الصمت ؟ وهنا نقول إن الحكيم هو الذى لا يصمت حينما ينبغى الكلام ولايتكلم حينما ينبغى الصمت، وإذا تكلم تكون هناك ضوابط وحدود لكلامه ونوعية فى الأسلوب واختياره للألفاظ ولذلك أحيانا يكون الإنسان ذكيا ولايكون حكيما والسبب أنه لايملك دقة التعبير التى تعنى أن يكون له إدراك سليم لمعانى الألفاظ، فلربما يستخدم لفظة تفهم فهما خاطئا ثم يعتذر ويقول أنا لا أقصد، ولكننا نعرف أن الإنسان الحكيم يقصد مايقول ويقول مايقصد بحيث إن ألفاظه تعبر تعبيرا دقيقا عن مقاصده

وتوصل المعانى التى يرجو توصيلها توصيلا دقيقا، إذن لايكفى سلامة التفكير وإنما يضاف إليها دقة التعبير .

سؤال : ماذا عن مبدأ الحوار وما يقابله من الصراع ؟.. سؤالى بالتحديد عن الأصوليين والمتطرفين عموما، وفى إطار الأصولية المسيحية بشكل خاص ؟!

ـ مشكلة العالم والصراعات هى مشكلة الفهم، إما نقص فى الفهم أو عدم فهم أو اختلاف فى الفهم أو خطأ فيه لكن إذا وجد الفهم السليم وتبادله الناس لاصطلحوا أو توحدوا، ثم إن تسمية المتطرفين بالأصوليين خاطئة؛ فالأصوليون هم الذين يرجعون إلى الأصول، بينما المتطرفون لا يتمسكون بالأصول كما هى فى سلامتها وفى مفهومها الصحيح، إنما مشكلتهم هى الفهم الخاطئ للأصول، و بذا هم ليسوا أصوليين فى الحقيقة ما داموا أخطأوا الفهم السليم لتلك الأصول، ولكنا نحب الأصول لأنها منابع، لكن الفهم الخاطئ لهذه الأصول هو المشكلة، ثم إن مبدأ الحوار لا يستطيع أحد أن ينكر أهميته وفائدته ولكن مع من يقبل الحوار؛ لذلك لدينا آية فى الإنجيل تقول: «من له أذنان فليسمع» فهناك آذان ليست للسمع.

سؤال : معنى هذا استحالة الحوار معهم ؟

ـ لا.. لا نقول هذا؛ ففائدة الحوار أصلا هو منع اتساع الدائرة (دائرة التطرف)، لأن التطرف باستمرار لا يقتصر على أصحابه، وإنما يضم إليه أعضاء جدداً، فكلما كان هناك حوار كانت هناك فرصة لمنع انضمام الجدد من أجل المفهوم الجديد الذى يقدمه لهم.

كما أن الحوار مفيد بالنسبة للبعض ممن لم يرسخوا فى الطاعة المطلقة لقادتهم فى التطرف، فهؤلاء إن كانوا فى منتصف الطريق يمكن أن يعودوا؛ لأنهم لم يكملوا الطاعة المطلقة بعد.

سؤال : إحدى السلبيات التى نعيشها فى عالمنا أننا لانستطيع مواكبة التطور وتكوين رؤية مستقبلية نحدد على أساسها مسارات هذا التطور؛ ولهذا كان كل ما يسود لدينا على السطح هو التطرف.. فنحن نخشى مفهوم التطور ونتبرأ منه.. وأتساءل هل هذا خوف من المستقبل أم من المجهول ؟؟

ـ لا شك أن كل دول العالم سائرة فى طريق التطور ونحن أيضا. ولكن المهم هل هو سريع أم بطيء، ولكنه موجود. مصر كانت إلى زمن ليس ببعيد دولة زراعية فقط وبدأت تتحول إلى دولة صناعية وتطورت تطورا كبيرا لكنها لم تصل إلى المستوى العالى جدا الذى توافرت له فى الغرب الإمكانات أكثر من إمكاناتنا نحن، هناك تطور، غير أن التطور لدينا بدأ حديثا ولكى نلحق بالغرب لابد من سنوات وسنوات.

سؤال : مال مراقبون غربيون إلى القول بأنه وسط اللامبالاة والسلبية والجريمة والانحراف وعدم الانتماء والأنانية قد تطل الفتنة الطائفية بوصفها الشرارة الأولى التى يمكن أن تندلع فى مصر.. كيف يمكن مجابهة ذلك؟ وكيف يمكن أن نتكاتف جميعا لتقنين عقوبات رادعة لكل من يخرج عن الجادة حتى لا يصبح مجتمعنا ساحة للفوضى؟

ـ من جهة الفتنة الطائفية أقول: إنها شرارة يمكن إخمادها، وهناك وسائل عملية كثيرة لإخمادها، والأمر يحتاج أولا ـ إلى منع الأحداث قبل وقوعها وخصوصا فى الأماكن التى يظهر التوتر فيها، وكل حدث لابد أن تسبقه دلائل توحى بوقوعه قبل حدوثه، ويمكن بذلك تفاديه. الأمر الثانى ـ هو فى علاج النتائج، مثال ذلك الناس الذين خربت بيوتهم أو متاجرهم أو أملاكهم وصاروا لا يملكون شيئا؛ كيف تكون النتيجة وماذا نفعل من أجلهم؟ إذا تحملت الدولة مسئولية إرجاع الحق لأصحابه فستكون فى المستقبل حازمة فى عدم تكرار ما حدث لأنها ستشعر بأنها كدولة هى التى ستدفع الثمن، أما إذا خربت موارد رزق الناس وأصبحت النتيجة مجرد كلمة مرطبة مع بقاء الكارثة التى وقعت فيها ـ فليس هذا علاجا فى نظرى إطلاقا، فالمفروض تأمين الناس على حياتهم وعلى أرزاقهم وعلى أعراضهم، وعلى حرياتهم أيضا، وتأمينهم ليس معناه مجرد القبض على المجرمين، لكن التأمين معناه أن يشعر الإنسان بالأمن، ويشعر بأنه لو ترك باب متجره مفتوحا؛ فلن يدخل أحد ليأخذ منه شيئا. الشعور بالأمن هو أن يشعر بأنه ليس مستهدفا لاعتداء، والمفروض وجود هذا الشعور.

سؤال : ولكن إذا كان التعصب فطرة إنسانية، فكيف يمكن أن نحد منه؟

ـ هناك فرق بين التمسك بالدين والتعصب للدين، فيمكن للإنسان أن يتمسك بدينه وبما فى الدين من دعوة إلى الحب والسلام ويكون فى علاقة طيبة مع جيرانه بما يعطيهم

صورة مشرفة عن تدينه، بعكس التعصب الذى يحوى مشاعر الكراهية والعداوة وعدم العدل والبعد عن المساواة فى التعامل، وكل هذا ممقوت، ولا يوافق عليه دين، أى دين .

سؤال : وماذا عما يقال اليوم عن أن الغرب أو الاستعمار الجديد يحضر من الآن لمرحلة ما بعد انتهاء الصراع العربى الإسرائيلى كى يلعب على ما يسمى المسيحيين العرب؟ هناك كتب كثيرة تركز على هذا الموضوع منها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ «المسيحية والحضارة العربية» و«المسيحية والإسلام والمسيحية والتاريخ العربى» ؟

البابا شنودة : إننى أسألك بدورى: من الذى ألف هذه الكتب؟ لقد ألفها مسلمون أصلا فأين هو الاستعمار الجديد؟ إلا إذا اعتبرنا أن هؤلاء هم أداة ما نسميه الاستعمار الجديد؛ بيد أنى أتحفظ على كلمة الاستعمار؛ فالكلمة لم تعد مستعملة الآن، من ناحية أخرى: فإن الغرب لا يضرب على نغمة المسيحيين العرب وإنما يضرب على نغمة واحدة وهى مصالحه الشخصية، ولا توجد دولة فى العالم تفكر إلا فى مصالحها الشخصية. وعليه، فهذه النغمة غير واردة لا كهدف ولا كوسيلة، ولو أننا استعملنا هذا التعبير (المسيحيون العرب) سنجد أنهم مواطنون يحبون أوطانهم أيا كانت ولا يقبلون أن يكونوا لعبة فى أيدى أحد، ومثل هذا الأسلوب لن يعالج الموضوع وإنما العلاج فى إنصاف هؤلاء إذا كانوا يشعرون بضيق أو تبرم، أما أن نقول: إن إنسانا مختل العقل دعا إلى جمهورية قبطية أو أن الغرب يلعب بالقضية فهذه أمور جانبية لا توصل إلى شىء. وفى رأيى إن هذا يظل حديثا عن الهوامش بعيدا عن الأصل والأساس، ثم إننى أتساءل: هل هذه اللعبة هى التى تدفع الجماعات الدينية المتطرفة إلى الاعتداء على المسيحيين!!.

سؤال : قد يكون هذا واردا ..؟!

البابا شنودة : إذن ، يجب أن تثار القضية وتبحث بشكل كامل ونحاول أن نصل إلى جذور المشكلة.

سؤال : ماذا عما يقال عن أن المجلس الملى، بات أميل إلى التطرف منه إلى الاعتدال، ولم يعد فى مصلحة قداستكم؟

البابا شنودة : من يقول هذا عليه أن يدلل على ما يقول بأسانيد تظهر التطرف الذى يتحدثون عنه. أما إيراد الكلام من دون أسانيد فأرى أنه لا يستحق الرد.

سؤال: وما مدى صحة ماقيل عن أن هناك تطرفا دينيا على الصعيد المسيحى، وأن أحد القساوسة كون ميليشيات فى إمبابة فى أوائل التسعينيات ليدربهم على العنف، كى يكونوا واجهة مقابلة للمسلمين المتطرفين؟

البابا شنودة : مسألة عملية التوازن بين متعصبين من هنا ومن هناك ـ نشأت منذ أيام الرئيس السابق «أنور السادات» ووزير الداخلية السابق «النبوى إسماعيل» ولا تزال جذورها فى أذهان البعض. ونحن نريد أن نقول الآتى : ما هى هذه الميليشيات؟ هل قبض على أصحابها؟ هل وجد أنها تشكل تنظيما؟ هل وجدت بحوزتها أسلحة ولديها خطط؟ وهل يعقل أن تكون محصلة هذه الميلشيات هى تحطيم المسيحيين فى إمبابة وتخريب أماكنهم وتدمير كنائسهم؟ أين هى الميليشيات المسيحية إذا كان المسيحيون هم الضحايا وهم الذين يتعرضون للضرب والإيذاء؟ إن ما يقال هو مجرد كلام عابر لإعطاء الإيحاء بأن هناك تنظيما مقابل تنظيم وجميعات متطرفة مقابل أخرى متطرفة. من ناحية أخرى: أقول: إن ما يزعجنا فى مصر هو مسألة التطرف واستخدام العنف والجريمة، فأين العنف وأين الجريمة فى قطاع المسيحيين؟ وأين الأسلحة التى ضبطت؟ وأين المخططات؟ العبرة ليست فى كلام عابر لا يسنده دليل ولا برهان، ما أريده لشعبنا هو أن يحذر من التأثر بالشائعات، لقد دعوتهم فى مؤتمر الوحدة الوطنية إلى وجوب الاحتراس من الشائعات، بل إن الآية القرآنية تقول: «إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين». وما أكثر الذين يأتون بأنباء لمجرد الإثارة أو الفرقة، وما أكثر من يأتى، بآراء بلا دليل ولا برهان وللعجب يجدون عقولا تقبلها ، بل يجدون آذانا تقبلها؛ لأن العقول لا تقبل.

سؤال: ماذا عما نشر فى أوائل التسعينيات من أن حزب «الكتائب» اللبنانى قام بتدريب مجموعة مسيحيين مصريين تحت اسم «الأقباط الديموقراطيون المصريون» ؟

البابا شنودة : يجندون لأى غرض!!

سؤال: للفترة المقبلة ؟

البابا شنودة : وهل تظنين أن لبنان يترك مشكلاته الخاصة؛ كى ينشغل بمشكلات المصريين، ويترك ظروفه الحالية لينهمك بمستقبل القريب والبعيد؟ وهل تعنين بالجنود أنهم مرتزقة!!

سؤال: نعم ؟!!

البابا شنودة : الجندى إن لم يكن مؤمنا بقضية فلا فائدة من عمله. لسنا فى زمن الجنود المرتزقة ولا يوجد مصريون كثيرون فى لبنان ، وكل هذه شائعات لا صحة لها، وإذا وجد أشخاص فلابد من معرفة أسمائهم وما انتماءاتهم؟ اسألى فى لبنان، لن تجدى إطلاقا حزبا بهذا الاسم.

سؤال : أحداث الصعيد فى أوائل التسعينيات كشفت عن واجهة لكراهية مشتركة بين الأطفال المسلمين والمسيحيين ، ظهرت فى شهادة الأطفال بأنهم يكرهون بعضهم بعضا ؟

البابا شنودة : بدلا من أن نأخذ الكلام على عواهنه أرجو البحث عن حقيقة الأمر. عموماً أقول إن الأطفال دائما يلقنون كلاما من الكبار ، فالمسألة والأساس فى الكبار، ولو لقن الأطفال العكس سيرددون العكس.

سؤال : بالنسبة للإرهاب والعنف.. كيف يمكن وقفه؟ هل يكون ذلك بالتعامل مع الإرهابى وكأنه مريض يجب علاجه وتقويمه أم على أنه منحرف يجب استئصاله وبتره؟؟

ـ أولا التوعية على نطاق واسع من الأمور المهمة ونقصد بالتوعية الرد على الأفكار

التى يستخدمها الإرهاب فى إقناع المنضمين إليه؛ وذلك حتى لا يكون الفكر المعتدل والفكر المتطرف مثل خطين متوازيين متجاورين لا يلتقيان، وإنما تدرس الأفكار التى ينادون بها ويرد عليها.

سؤال : من الذى يرد؟ فقهاء وعلماء دين أم ماذا؟

ـ يرد كل من له فكر حقيقى، ويستطيع أن يرد سواء أكان من العلمانيين أو رجال الدين أو من رجال الفكر أو رجال السياسة؛ لأنه لو نادى البعض بالسماحة والعدل بينما ينادى الفكر المتطرف بإبادة كل من لا ينتمى إلى هذا الفكر، ويستخدم هؤلاء وأولئك آيات وأحاديث، ولم يحدث التقاء فى فكر معين للرد عليه ـ فهنا لن يؤدى الأمر إلى نتيجة؛ فإذا حدث واعتمد بعض هؤلاء المتطرفين على بعض أفكار «المودودى» أو أفكار «سيد قطب» لابد من أن يحدث رد على بعض هذه الأفكار التى يسوقها المتطرفون، فالذى يواجه شخصاً آخر ينبغى أن يدخل إلى ميدانه ليناقشه فى الميدان نفسه والفكر نفسه، حتى إذا استخدم آية من الآيات لابد أن نشرح له المناسبة التى قيلت فيها هذه الآية والهدف منها ومدى انطباقها على ما يريده أو عدم انطباقها.

سؤال : هل يمكن الحوار مع الإرهابيين سفاكى الدماء ؟

ـ إن لم يمكن الحوار معهم، فيمكن الحوار مع أفكارهم، فمن الجائز ألا يستطيع الإنسان أن يحاور الشخص نفسه إذ يكون الشخص تحت أحكام ومطلوب القبض عليه، فلا يمكن جمعه للحوار معه، ولكن الحوار مع أفكاره ـ هذه نقطة ـ النقطة الثانية للقضاء على الإرهاب هى: القضاء على موردى الإرهاب سواء من يمدونه بالفكر أو السلاح أو التدريب.. لأن هناك من يشجع بالفكر وهناك من يشجع بالسلاح وهناك من يشجع بالتدريب، ويحتاج الأمر إلى التعرض لهذه النقاط الثلاث التى تأتى من الخارج فى الأغلب.

سؤال : وماذا عن الظروف الاجتماعية ؟

ـ يمكن العلاج الاجتماعى، لكن من الصعب حل هذه القضية بطريقة جزئية؛ لأننا إذا عالجنا الحالة الاجتماعية للأعضاء الحاليين، فيجب أن نضع فى الاعتبار معالجة من يمكن أن ينضموا فى المستقبل، أى أن المسألة تحتاج إلى علاج عام، فالمسألة الاقتصادية تحتاج إلى نظرة عملية حتى لا يكون فى نتائجها الانضمام إلى التطرف، فعلاج التطرف ليس بعلاج

التطرف القائم وحده وإنما بعلاج آخر تصبح الوقاية من ضمن أسباب العلاج، وهذه تحتاج أيضاً إلى عمل داخل المدارس ووسط الشباب ومراكز الشباب، وأقول باستمرار إن دمج الشباب والرياضة فى وزارة واحدة ليس من الصالح، المفروض أن توجد «وزارة للشباب» قائمة بذاتها تفكر فى ثقافة الشباب وفى عقد حوارات وندوات ومراكز ثقافية وريادة، وأقصد بالريادة أن يوجد مسئولون مثقفون على درجة عالية يتولون ريادة الشباب فى المدارس ومراكز الشباب وأنشطته المتعددة يلتقون مع الشباب ويتناقشون معهم فى حرية كاملة؛ لأن كتم الفكر لا يعالج الشباب ولكن إظهاره ومناقشته هو خير علاج.

سؤال : معنى هذا أن التعويل على الأمن وحده لا يكفى ؟

ـ بالطبع الجانب الأمنى وحده لا يكفى، بل إن التركيز عليه فقط من شأنه أن يطيل أمد المعركة فتظل قائمة لمدى طويل، أما المعالجة الفكرية والوقائية فتحول دون حدوث ما يمكن أن ينشأ من صراعات جديددة بين الأمن والإرهاب.

سؤال : من الصعب بمكان أن يناقش المرء ذهنا متطرفاً وعقليات مغلقة تأبى إلا التمسك بأفكارها؟

ـ ليست بالعملية الصعبة؛ من الممكن التخلص من الأفكار القديمة بمناقشتها بأمور جديدة، فمن الممكن أن يؤمن المرء بعكس أفكاره نتيجة للرد عليه بما فى الدين نفسه، هناك من آمن بفكرة ثم انصرف لأخرى نتيجة مناقشات دينية. وأنا هنا أناقش الأفكار ولا أتعرض لأشخاص، ولا مانع من أن نضع أفكاراً على الساحة، مثل: هل يمكن الحكم بالكفر على شخص لمجرد أنه يخالف فى وجه من وجوه الحياة لا صلة له بالعقائد الأساسية للدين مثل التكفير إذا ذهب إلى المدرسة مثلاً؟ وما مدى الحكم بالارتداد على الإنسان؟ ومن له الحق فى أن يحكم بهذه الردة؟ هل مجموعة من الأصدقاء يجتمعون ويحكمون؟ ما مدى صلاحية أشخاص للحكم بالردة على شخص معين، بينما الدين عقيدة فى قلب الإنسان بينه وبين إلهه؟ وهل الوسيلة الخاطئة تبرر هدفًا دينيًا؟ وهل يمكن أن يستخدم الإنسان القتل أو السرقة لتأييد فكرة دينية لديه؟!

سؤال : ولكن من وجهة نظركم لماذا الاجتراء على الدين؟ من الذى شجع طفرة الاجتراء هذه، ولماذا الآن؟

ـ استغلال حرية الفكر استغلالاً يتجاوز حدود هذه الحرية، نحن فى عصر يمكن أن

نستخدم فيه الحرية فى غير موضعها، وفى القضاء على مبادئ روحية قديمة كانت موجودة، مثال ذلك: قاعدة احترام الكبار يمكن أن تتساقط فى عصر تسوده الحرية، ويمكن لأى إنسان يعتز بذاته أن يدعى أنه يفهم ما لا يفهمه الكبار.

سؤال : هل يمكن أن تكون نزعة الاجتراء على الدين قد نشأت من جراء تقصير من قبل علماء الدين ؟

ـ ظاهرة الاجتراء على الدين جاءت فى إطار مناخ عام، فكما يوجد الاجتراء على الدين يوجد الاجتراء على القانون وعلى رجال السياسة وكل شيء وعلى الأسرة وعلى مبادئ وقيم.

سؤال : ولكن كيف يمكن وقف هذه الهجمة ـ اجتراء الصغير وتجاوزه ـ وعدم فهمه لوجود فروق تجب مراعاتها، بينما هو يتجاوزها دائمًا ؟

ـ إذا وضع الإنسان فى فكره أن ما ينادى به فكر سليم سيحارب كل من يعارض هذا الفكر أياً كان مركزه أو سنه أو وضعه الاجتماعى أو الدينى، الاعتدال بالذات مسألة تدخل فى الموضوع، كذلك يمكن مناقشة كلمة «أمير» هل يوجد أميرجماعة فى الإسلام؟ وإذا وجد ما هى اختصاصاته وما قوته وما سلطاته؟ هل يمكن مبايعة أمير بالطاعة المطلقة أياً كان ما يأمر به حتى القتل والسرقة والسلب؟ هناك مسائل تحتاج إلى رد ومناقشة وحوار.

سؤال : معنى هذا أنه يجب ألا تترك الساحة خلواً من الأفكار المناهضة لفكر هؤلاء؟

ـ الرد على الفكر مفيد ، لكنه لا يقتصر على الرد على الفكر وإنما لابد من الأخذ بالاعتبارات الأخرى التى تحدثنا عنها، فمن الجائز أن هناك جماعات متطرفة لا تقبل نقاشًا.. وكل حوار يصل إليها يعاد إلى الأمير؛ لكى يوافق عليه أو لا يوافق فى إطار الاعتداد بعصمة رأى الأمير والطاعة المطلقة له.

سؤال : معنى هذا أننا لن نخرج من هذه البؤرة ؟

ـ إذا لم نخرج منها فعلى الأقل ننقذ الآخرين من الدخول فيها. تجب مناقشة مبدأ الحاكمية؛ فهناك أمور تحتاج إلى عمل وفكر، أما أن يقتصر الناس على الصياح والبكاء والندب حيال ما هو قائم فهذا لا يحل الإشكال؛ لأنه ربما يوجد صياح بدون فكر وربما يوجد شجب بدون إقناع، فالمسألة تحتاج إلى فكر قوى مقنع. ومن شأن هذا أن يوجد رأياً عاماً مستنيراً، وإنى أتساءل ما الذى يمنع من أن يسمح بعض أساتذة كلية الحقوق برسالات فى

الماجستير والدكتوراه لمناقشة الأفكار المتطرفة وبحثها علمياً ومناقشتها؟!، ما المانع فى رسائل حول أفكار «المودودى» وغيره؟ إن الباحث سيعتمد عندئذ على المراجع وسيدخل إلى الأوراق الصفراء القديمة لتحليلها من الناحية العلمية والشرعية ومقارنة هذا الفكر بأفكار أخرى لأئمة موثوق بهم وأحاديث وأقوال الصحابة القدامى ـ والهدف هو احتواء أى صراع يكون قد نجم عن أفكار دينية قديمة!!

سؤال : وأتساءل سنة ١٩٩٧ شهدت جريمة الكنيسة فى أبى قرقاص.. لماذا وقعت فى هذا التوقيت بالذات؟

ـ إن من ارتكب هذه الجريمة ليسوا مسلمين بالحقيقة؛ لأن المسلم الحقيقى هو من سلم الناس من لسانه ويده، لا يوجد دين يحض على القتل والإبادة؛ ولهذا كان للواقعة أثر عميق فى نفوس جميع المسلمين والمسيحيين خاصة أنها وقعت داخل كنيسة ـ أى فى بيت من بيوت الله من دخله كان آمناً؛ لهذا كان العمل شاذا بكل المعايير وموضع استهجان من الجميع، الجريمة تستدعى مقتل الرهبان السبعة داخل أحد الأديرة بالجزائر منذ عدة سنوات. مرتكبو الحادثة حفنة آثمة أرادت إثبات الوجود وإرهاب الآخرين.

سؤال : قيل بأن مرتكبى الحادث أرادوا به ضرب الوحدة الوطنية ؟

ـ إذا كان هذا هو هدفهم فلقد فشلوا فى تحقيقه. أحداث مثل هذه لا يمكن أن تمس الوحدة الوطنية ولا يمكن أن تضع أسفينا بيننا وبين إخوتنا المسلمين، لقد عشنا معاً ثلاثة عشر قرناً من الزمان ولم يحدث أن اقتحم أحد الكنيسة وقام بهذا العمل الشاذ، إن من أقدم على هذه الجريمة النكراء ليسوا من شعب مصر وإنما جماعة احترفت الإجرام والقتل.. ويكفى شعور المسلمين جميعاً إزاء هذا الحادث.. تشهد على ذلك الجموع التى سارت فى جنازة القتلى.

سؤال : نظرية المؤامرة هل يمكن أن يكون لها يد فى الحادث؟ هناك من قال: إن العملية حركتها فى الأساس دوائر أجنبية أرادت تشويه صورة مصر قبل توجه الرئيس مبارك إلى واشنطن وقتئذ؟

ـ الجريمة يمكن أن تقع فى أى مكان فى العالم، والرئيس مبارك يتمتع بمكانة كبيرة فى الخارج لا تؤثر فيها مثل هذه الأحداث. لقد تأثر الرئيس مبارك بالحادث وتأثرت مصر كلها به، ولكن لا يمكن لجرم آثم على يد أفراد آثمين أن يشوه صورة مصر أبداً سواء فى الداخل أو الخارج.

سؤال : ما أسباب الإرهاب من وجهة نظرك؟

ـ مشكلة الإرهابيين اللجوء إلى الجريمة جعل الناس ينفرون منهم، لأنهم لا يتصورون الدين بهذا الأسلوب، وخصوصاً أن مجال الإجرام والقتل والنهب شمل كثيراً من الأبرياء الذين لم يقفوا ضدهم، ولم يقاوموهم فى الفكر الدينى، وأحياناً تطور الأمر إلى عمومية القتل وهناك سهولة الحصول على أسلحة متطورة وأيضاً وصول تكليف لهم بخطط معينة من أمرائهم بالخارج مع التمويل اللازم أيضاً.

هؤلاء الناس يظنون أنهم يصلون إلى أغراضهم بإشاعة الفوضى فى المجتمع، وأن الخوف الذى يعيشون فيه من سلطة أمرائهم ينشرونه أيضاً بين ضحاياهم.

سؤال : معنى هذا أن العقائدية ليست هى الوازع وراء الإرهاب ؟

ـ تظاهرت هذه الفئات بأنها عقائدية ثم انكشفت؛ لأن العقيدة لا يمكن أن تشجع على القتل العشوائى والنهب وأنواع أخرى من الإجرام، مثل: تزوير البطاقات الشخصية، والجوازات، وقتل الخفراء، وأخذ أسلحتهم.

سؤال : يرى البعض أن لجوء الشباب إلى التطرف جاء نتيجة الفراغ الذهنى والتهميش والتغريب الذى يتعرضون له فى المجتمع..

وأتساءل ما الحل ؟

ـ رأيى باستمرار أن تكون هناك وزارة للشباب مستقلة عن الرياضة؛ حتى نأمن ألا يضيع الاهتمام بالشباب وسط التركيز على الرياضة، وحينئذ تكون هناك فرصة لعمل ندوات للشباب والعمل على تثقيف الشباب اجتماعياً ودينياً، وإعطائهم فرصة لإبداء الرأى ومناقشته. وهكذا يمكن قيادة الشباب فلا يترك إلى قيادات أخرى توجهه حيثما تريد مع تنظيم صفوف الشباب، وتنويع أنشطته حسبما يتفق مع اتجاهات كل منهم.

الحزب الدينى والجمهورية القبطية

فى ١٦ فبراير ١٩٨٩ :

نشرت الصحف المصرية إعلانا كبيرا عن مجموعة من الأقباط المصريين تقدموا يومها إلى لجنة الأحزاب بطلب إنشاء حزب اسمه «حزب السلام الاجتماعى وصيانة الوحدة الوطنية» . كان اللافت للنظر أن كل الأعضاء المشاركين فى مشروع الحزب من المسيحيين وليس بينهم مسلم. ولقد أثار الإعلان فى حينه ضجة كبيرة فى صفوف الرأى العام. وقبل ذلك سرت تكهنات عن احتمال تقدم الإخوان المسلمين بطلب تأسيس حزب جديد يحمل هويتهم ويمنحهم استقلالية التحرك بمفردهم.

ويومها تعددت الآراء. بيد أن البابا شنودة فى هذا الحديث لم يوافق على حزب دينى وقال بأنه ليس فى صالحنا ولا فى صالح الدولة؛ فالأحزاب الدينية تُولد صراعات وهذا هو الخطر بعينه. فالمجتمع لا يتحمل نغمة الحزب الدينى حتى لا تتعدد المتاهات وتُصاغ فى ظلها نعرة التطرف والتعصب والطائفية.

ويومها قال لى: «لويس عوض» معقباً: بأن الحزب الدينى من قبيل العبث فهو مناهض للدستور وبداية للفتنة والقلاقل وهو ظاهرة قد تكون وراءها أصابع أجنبية . أما الرأى المقابل فتمثل فى رأى «مأمون الهضيبى» الذى دعا إلى إنشاء حزب للإخوان قائلاً: ليس فى الدستور ولا فى القانون ما يمنع من قيام حزب دينى.

أيا كان فإن الغالبية ترفض الحزب الدينى ؛ فلسنا فى حاجة إلى تقوقع دينى أو تشرذم طائفى . إنها لعبة خطرة تستهدف إذكاء نار الصراعات الدينية التى يرفضها مجتمعنا كل الرفض.

سؤال : وأتوجه بداية إلى قداسة البابا شنودة الثالث راعى الكنيسة القبطية فى مصر وأطرح عليه فكرة إقامة حزب للأقباط هى مستساغة ؟!

قداسة البابا شنودة : أنا لا أوافق إطلاقا على تكوين حزب سياسى من المسيحيين، وليس فى هذا الأمر أى شىء من الحكمة ولا من الفائدة سواء لهؤلاء المسيحيين أو للوطن بوجه عام.

ولربما يكون بعض الأقباط قد فهموا خطأ مبدأ البعد عن السلبية فى العمل السياسى. ولكن إيجابيتهم هى فى أن يشتركوا مع مواطنيهم المسلمين فى الحزب الذى يرونه مناسبا لاتجاههم السياسى، إما أن يكونوا حزبا خاصا بالأقباط فهذا أمر مرفوض تماما، وقد فوجئت بما سمعته عن هذا الخبر طلب تأسيس حزب جديد باسم حزب السلام الاجتماعى وصيانة الوحدة الوطنية..

سؤال : متسائلة.. ولكنه اسم «يخدر الحواس» ؟

ويردف البابا شنودة قائلا : إن الذين يسعون إلى السلام وإلى الوحدة الوطنية ينبغى أن يختلطوا مع إخوانهم المسلمين فى وحدة، وبهذا ينتج السلام الذى يهدفون إليه، أما إنشاء حزب مسيحى فلا شك أنه ستكون له ردود فعل مضادة، وهو بهذا الشكل لاينضم إليه المسلمون وبالتالى لا ينضم إليه المسيحيون المعتدلون فى أفكارهم، ويجد نفسه فى عزلة لاتفيده بشىء ولا تحقق له أى نجاح سياسى. كما لايمكن أن ينجح فى انتخابات ويعيش فى عزلة يكون لها أثرها الضار. ولا شك أن الذين يريدون تكوين هذا الحزب لم يستشيروا أحداً قط .

سؤال : فى معرض الحديث عن الوحدة الوطنية والتى تشهد مواقفكم بعمق المسئولية تجاهها، ما وجهة نظركم حيال أحد الذين دعوا إلى تأسيس جمهورية مصر القبطية، وهو مصرى يقيم فى ألمانيا وقد وسمه البعض بالجنون ؟

البابا شنودة : لايمكن لإنسان مختل العقل أن يؤثر فينا بحيث نجعل منه إنسانا نناقش أفكاره، ولقد ورد موضوع هذا الإنسان فى مؤتمر الوحدة الوطنية الذى عقد وقتئذ فى القاهرة، وأقول ماكان يجب أن نعطى هذا الإنسان حجما فوق حجمه، خاصة أنه نكرة ولا يعرفه أحد ويتكلم كلاما لا أساس له ولا منطق يدعمه؛ فهو شخص غير مسئول وغير معقول وغير مقبول، فعلام كل هذه الضجة حوله؟!!

سؤال: كانت هناك علاقة خاصة لفرج فودة (الذى اغتاله المتطرفون فى مصر) بقداسة البابا شنودة.. ويقال إن هذه العلاقة كانت أحد الأسباب وراء عدم السماح لفرج فودة بإنشاء حزب؟

البابا شنودة : أرجو أن ترجعي إلى اللجنة المختصة بالموافقة على الأحزاب لكي يعطوك الخبر اليقين.. هل يعقل أن تكون لي علاقة بإنسان، فتحول هذه العلاقة دون إنشاء حزب؟ لي علاقة طيبة بالكثيرين في الحزب الوطني فهل معنى هذا أن يلغى الحزب الوطن؟!

سؤال : على ذكر أن إسرائيل تتعايش مع الأحزاب الدينية، هناك من دعا الحوار القومي الذي عقد في سنة ١٩٩٤ إلى إثارة قضية تقول هل نحن في حاجة إلى أحزاب دينية ؟ أو لايمكن للحزب الديني إذا نشأ أن يسحب البساط من تحت أقدام المجترئين على الدين ؟

ـ ومن قال إن إسرائيل تنسجم مع الأحزاب الدينية ؟

سؤال : تشكل عنصر ضغط عليها وتتخوف إسرائيل منها وتسعى إلى خطب ودها!

ـ كون أن الحكومة تخطب ود الأحزاب الدينية، لكي تكمل أقليتها في البرلمان ليس معناه أنها ترحب بهذا الأمر، على العكس إذا لم يكن هناك حزب ديني لكانت الأصوات ستعود إلى الحزب الحاكم؛ فهي من الداخل لا ترحب بالأحزاب الدينية، وعلينا نحن ألا نجد أمورا في دول أخرى موضع انتقاد ونقلدها، وحتى لو فكر البعض في وجوب أن يوجد حزب ديني في مصر سنفتح الباب عندئذ على مصراعيه لتشكيل أحزاب دينية كثيرة؛ لأنه لا يوجد فكر ديني واحد. بالنسبة لنا كمسيحيين لا نوافق ولكن حتى في المجال الإسلامي لا يوجد فكر ديني واحد وهذا من شأنه أن يولد الصراعات.

سؤال : معنى هذا أنه ليس هناك ما يدعو إلى إثارة قضية الحزب الديني؟

ـ من رأيي أنه لو سمح للتيار الإسلامي أن يحكم؛ سيطفو أكثر من حزب، وستتصارع هذه الأحزاب معا خاصة أن التيارات الموجودة على الساحة بينها صراع، بل إنها تكفر بعضها البعض.

سؤال : بعيدًا عن التيارات الإسلامية.. ماذا بالنسبة للمسيحيين؟

ـ لا نوافق على حزب ديني. لا نوافق على وجود حزب ديني مسيحي؛ وليس من صالحنا هذا؛ كما أنه ليس من صالح الدولة. ولكنني أقول بأنه إذا وجد حزب ديني إسلامي ستنقسم فيه الآراء؛ لأن الفكر مختلف بين الهيئات الرسمية الموجودة على الساحة، بل إن

الاتجاه المتطرف يحوى فى داخله انقسامات وتصفيات وتكفير، أى أن الصراع سيكون هو السمة المسيطرة وهذا هو الخطر بعينه.

سؤال : معنى هذا أنه لم يكن هناك مايدعو إلى طرح قضية الحزب الدينى فى أى حوار؟

ـ هذا ليس من شأنى. كل واحد من القيادات الموجودة له رأى فيما يطرح، أو لا يطرح، المفروض أن اقتراح ما يطرح فى الحوار تقدمه الهيئات السياسية ونحن لسنا هيئة سياسية.

سؤال : كيف تحل مشاكل الأقباط فى مجتمع اليوم؟

ـ أولا ـ نتساءل ما هى هذه المشاكل؟ ثانيا ـ تؤخذ كل مشكلة على حدة وتعالج بأسلوب عملى وبروح وطنية فيها المحبة والعدل فى مصر الوطن الواحد، بعيدا عن مصطلحات الأقلية والأغلبية التى تثير الحساسيات.

سؤال : ألا يساعد وجود حزب دينى مسيحى على أن يكون وسيلة لحل ما قد يستعصى عليكم حله من قضايا بحيث يتسنى لكم من خلاله تحقيق مصالحكم؟

ـ نحن لا نوافق على إنشاء حزب قبطى، وأيضا سياسة الدولة لا توافق على هذا؛ فسياسة الدولة تتجه إلى عدم قيام أحزاب دينية. وقيام حزب دينى قبطى سيسفر عنه رد فعل يتمثل فى قيام أحزاب دينية إسلامية، وهكذا تنقسم البلاد وتدخلها معارك سياسية وانتخابية على أساس الدين.

إنشاء حزب قبطى من شأنه أن يعقد الأمور ولا يساعد إطلاقا على حلها. إن مشاكل الأقباط هى جزء من مشاكل بلادنا المصرية ـ بوجه عام ـ تحل داخل النطاق المصرى ويدافع عنها المسلمون وليس الأقباط وحدهم، وعمليا فحينما يدافع المسلم عن قضية قبطية يوصف بالسماحة والمحبة والعدل، بينما لو دافع عنها حزب دينى قبطى فقد يوصف بالعنصرية وإثارة الفتنة الطائفية.

سؤال : قد تكون هناك وجهة نظر أخرى تقول بأن إنشاء حزب دينى من شأنه سحب البساط من تحت أقدام المتطرفين ؟

ـ الأحزاب الدينية عامة ليست فى صالح الدولة. فلو سمح للتيار الإسلامى بإنشاء أحزاب سيظهر فى الساحة أكثر من حزب و تتحول العملية إلى صراع بين الأحزاب بعضها والبعض الآخر.

ولا نوافق على حزب دينى مسيحى، فهو ليس من صالحنا وليس من صالح الدولة.

سؤال : وسط الديمقراطية التى أشدتم بها فى عهد الرئيس مبارك لم تطالب الكنيسة بحزب دينى ؟

ـ نعم لا نوافق على وجود حزب دينى مسيحى وليس من صالحنا وليس من صالح الدولة، الأحزاب الدينية تولد صراعات وهذا هو الخطر بعينه، لأن وجود حزب دينى قبطى سيؤدى إلى قيام أحزاب دينية أخرى. وهكذا تنقسم البلاد وتدخل معارك سياسية وانتخابية على أساس الدين إنشاء حزب قبطى من شأنه أن يعقد الأمور ولا يساعد إطلاقاً على حلها، مشكلات الأقباط جزء من مشكلات بلادنا المصرية تحل داخل النطاق المصرى، ويدافع عنها المسلمون وليس الأقباط وحدهم، لو دافع مسلم عن قضية قبطية يوصف بالسماحة والمحبة والعدل بينما لو دافع عنها حزب دينى قبطى فقد يوصف بالعنصرية وإثارة الفتنة الطائفية؛ ولهذا نتفق مع سياسة الدولة فى عدم الموافقة على إنشاء حزب دينى.

أقباط المهجر

حدث ومع ظهور ما يسمى بقانون تحرير الأقليات أن استغل بعض أقباط مصر فى الخارج القضية؛ ومضوا ينشرون البيانات المدفوعة الأجر التى تدعى اضطهاد الأقباط فى مصر. وبدا للبعض أن دور الأقباط كان غير مبرر وغير مفهوم بصورة جعلت البعض يتهمهم بالخيانة العظمى. فلقد كان بعض أقباط المهجر يستعدون الإدارة الأمريكية ضد مصر، خلافا لأقباط مصر الذين رفضوا هذا التدخل الأمريكى، وأكدوا أن أى مطالب للأقباط تحل داخل إطار الحوار الوطنى وليس عن طريق التدخل الأجنبى.

بيد أن البابا شنودة - هنا تعليقا على هذا الموضوع - يقول بأن أقباط المهجر لا يقبلون أن تُقيد حرياتهم، وعندما نحكم عليهم لابد أن يكون ذلك فى إطار المناخ والظروف التى يعيشون فيها.

سؤال : ما رأيكم فى تصرفات الأقباط فى الخارج التى تتدخل فى مجريات الأمور فى مصر بالانتقاد أحيانا دفاعا عن الكنيسة ؟

- إذا طالبنا البابا بأخذ إجراءات تجاه الأقباط فى الخارج نكون بذلك قد منحناه صلاحيات سياسية، فى الوقت الذى نصدر فيه هذا الأمر بالنسبة له كاتهام، لأنه يضفى على دوره الصبغة السياسية؛ وعليه فما دام الاهتمام بالشعب المصرى هو من شئون الدولة، فهذا بالتالى يأتى من بين مهامها، كأن يقابلهم السفراء والقناصل ويبحثون مشاكلهم ويناقشون معهم ما يصدر منهم من تصرفات ومواقف.

ولكن يجب ألا ننسى أن الأقباط فى الخارج تمنحهم الدول التى يعيشون فيها حريات يستطيعون بواسطتها مناقشة تصرفات الجميع بما فيها تصرفات رجال الدولة، وبنفس الوضع يسلكون مع الكنيسة ولا يقبلون أن تقيد حرياتهم، فهذا هو أسلوب كل مواطن فى الخارج مسلما كان أو مسيحيا؛ وعليه فلا حرج خاصة أن كثيرين منهم يحصلون على الجنسية أو حق

المواطنة فى الدول التى يعيشون فيها؛ ولهذا فعندما نحكم عليهم يحسن أن نصدر أحكامنا وفق المناخ والظروف التى يعيشون بين ظهرانيها، لاوفق المناخ الذى نعيش فيه، ونحن كدولة شرقية لها تقاليدها التى تحترم الرياسات وتضع أمامها اعتبارات كثيرة حينما تناقش سياسة الدولة.

سؤال : فى الدائرة نفسها هناك مصرى آخر توجه إلى أوروبا وطالب الغرب بالتدخل لحماية الأقباط فى مصر، وقيل: إن قداستكم طلبتم أن يلفت نظره إلى أن ما أقدم عليه هو الخطأ بعينه؟

البابا شنودة: لا علم لى بهذا، والكلام جديد بالنسبة إلى، هذا من ناحية.. ومن ناحية أخرى هل تظنين أن من السهل بمكان على إنسان أن يتصل بدول الغرب مباشرة دون أن يكون له وضعه المميز أو وزنه لدى هذه الدول، أو يكون مفوضاً، وإلا استحال الكلام إلى تهريج وتحولت مهمته إلى عبث لا معنى له !!

سؤال: خلال جولتكم المطولة فى الخارج سنة ١٩٩٥.. ما الذى حققتموه للجاليات المصرية فى المهجر ؟

- زيارتى خلال شهرى يوليو وأغسطس سنة ١٩٩٥- قمت فيها بزيارة جنوب إفريقيا واستراليا وجزر هونولولو وأمريكا وكندا وإنجلترا واسكتلندا وعدت إلى مصر بعد خمسين يوما فى رحلة مفيدة ولكنها شاقة ومرهقة جدا .

سؤال : ماذا عن الكنيسة القبطية فى جنوب إفريقيا؟

- أعضاؤها ليسوا من أقباط مصر فقط وإنما من السود أيضا، لنا عشرة قسس وعشر كنائس فى جنوب إفريقيا، والمنتمون إلى كنيستنا من السود يعتبرون الكنيسة القبطية الكنيسة الأم فى إفريقيا ويرحبون بها؛ لأنها أول كنيسة تأسست فى إفريقيا فى القرن الأول الميلادى.

وكنيستنا فى إفريقيا فقيرة تحتاج إلى الإنفاق عليها؛ لأن السود المنضمين إليها فقراء والأقباط الذين يعملون هناك قلائل!

سؤال : ماذا عن جولتكم فى استراليا وما الهدف من ورائها؟

- لنا طائفة قبطية كبيرة حوالى (٢٢) كنيسة، وستنشأ الكنيسة الثالثة والعشرين فى الشهر المقبل إن شاء الله، ولنا أيضا كلية لاهوت فى «سيدنى» ومدرستان قبطيتان فى «ملبورن» وقرية قبطية فى ضواحى «ملبورن» وديران: أحدهما فى «ملبورن» والثانى فى «سيدنى» يملكان ما يزيد على (١٦٠) فدانا ولنا كنائس فى «كانبرا» و«برسبن» و«إيدليد» و«بيرث» وخدمات فى «تسمانيا» وشمال «استراليا».

سؤال : ما أهم ما يشغلكم بالنسبة للمهجر ؟

- الاحتفاظ بالجيل الجديد الذى يولد هناك أو الذى غادر مصر فى سن الطفولة المبكرة. وهؤلاء لا يعرفون من اللغة العربية إلا أقل القليل، ربما بعض عبارات المجاملة فقط، إذن ما مستقبل أولادنا من جهة انتمائهم إلى ثقافتنا الشرقية وتاريخنا ومثلنا ومبادئنا وتراثنا الذى يمتد عبر قرون طويلة، أخشى ما أخشاه أن ينسى أولادنا انتمائهم إلى مصر وأيضا ينسون انتمائهم الدينى إلى كنيستهم القبطية. وأهمية زياراتى لحفظهم فى إطار هذا الانتماء المزدوج من جهة الوطن والكنيسة ومدارسنا فى أستراليا تقوم بعمل جبار فى هذا الشأ؛ فتلاميذ المدرستين يتعلمون اللغة العربية والقبطية والألحان الكنسية والدين.

فضلا عن معرفتهم بالإنجليزية والقبطية والسريانية؛ لأن بعض أولاد السريان انضموا إلى المدرسة القبطية هناك.

لذلك فإنى أحث أولادنا فى أمريكا وإنجلترا على إنشاء مدارس مماثلة.

سؤال : زيارة لندن ؟

- نسيان الهوية أمر سهل جدا؛ من هنا كان اهتمامى بزيارة المهجر على اعتبار أنها جاليات ناشئة مثل الغرس الجديد تحتاج من يتعهدها بالرى ووسائل الإنماء. كان لنا أن نرعى أولادنا فى المهجر للحفاظ على هويتهم وأخلاقهم وأفكارهم فى مجتمع متغير تماما.

أمر آخر اهتممت به وهو ترجمة ما نستطيعه من تراثنا إلى تلك اللغات التى يتحدث بها أولادنا فى بلاد المهجر، وبخاصة الإنجليزية فى أمريكا وكندا واستراليا ومونتريال فى كندا التى تتحدث الفرنسية؛ بل إننا فى إفريقيا ترجمنا كتب الصلوات إلى عديد من اللغات المحلية لكى تكون لنا رابطة بتلك الشعوب.

فبدون ترجمة التراث نفقد وسيلة الاتصال الفكرى بين تلك الشعوب، وبين أولادنا الذين يعيشون بينهم.

سؤال : فى عهدكم تم إنشاء العديد من الكنائس فى المهجر وهناك من يردد بأنها جلبت للكنيسة المصرية الثراء ؟

ـ الكنائس فى الخارج ليست مصدر غنى وثراء يفيض على الكنيسة فى مصر؛ بل إن بعض الكنائس تحتاج إلى مساعدتنا نحن. اهتمامنا بإنشاء الكنائس جاء من أجل جمع أولادنا الذين كانوا متفرقين فى بلاد متعددة. الكنيسة مكان اجتماع لهم ومكان تثقيف وتربية وتعليم وتعارف. تأسيس الكنائس كلفنا الكثير؛ لأن التشييد والبناء يكلف الملايين فى بلاد الغرب، وأصبحت أغلبية كنائسنا مديونة للبنوك ولتسديد الأقساط.

سؤال: يتخوف البعض من أن أقباط المهجر قد يرون الصورة فى مصر من بعيد وقد تنقل إليهم محرفة عبر أجهزة إعلام غربية تسيطر عليها الصهيونية العالمية ؟

ـ عبارة أقباط المهجر تستخدم فى غالبية الأوقات بطريقة غير سليمة، كما لو كان كل الأقباط فى المهجر جبهة واحدة لها رأى واحد، فالأقباط موجودون فى كثير من بلاد أوربا وأمريكا وكندا واستراليا، ولهم حاليا أكثر من (١٥٤) كنيسة فى بلاد الغرب تتزايد عاما بعد عام؛ ومن غير المعقول أن كل هؤلاء قد أجمعوا على اتجاه واحد، والذى يحدث أحيانا هو أن مجموعة أفراد يتحدثون وينشرون فيقال إنهم أقباط المهجر، تماما مثلما يحدث أحيانا فى مصر من أن يهاجم بعض أفراد الكنيسة فيقال عنهم «المعارضة فى الكنيسة» وهم لا يمثلون أى اتجاه كنسى له وجود أو فاعلية.

سؤال : ماذا عن الصورة التى قد تنقل لمن يعيش فى المهجر عن مصر وتكون محرفة ؟

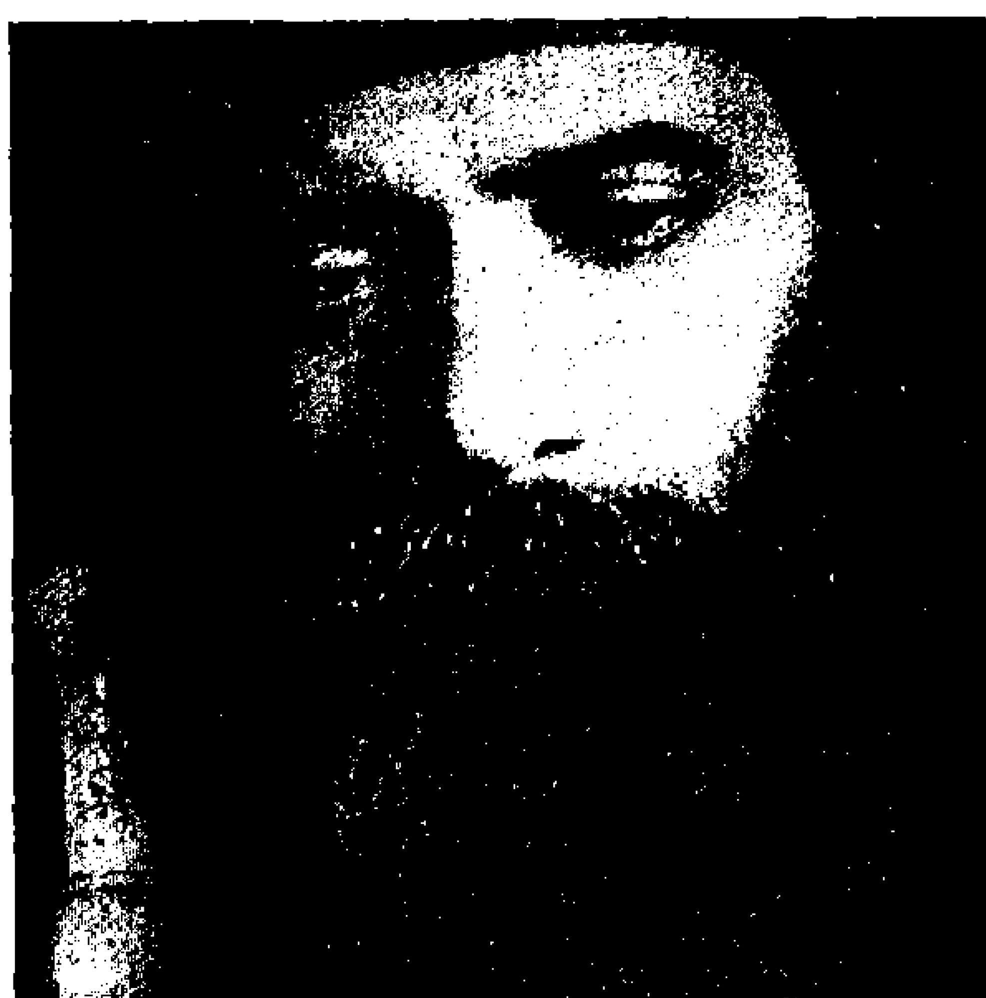
ـ يجاب عن هذه النقطة من خلال أمرين :

أولا : أن وسائل الإعلام فى العالم قد تطورت إلى درجة عجيبة وسريعة، بحيث إن بعض أخبارنا تعرف فى الخارج بالصوت والصورة ربما قبل أن يعرفها البعض منا هنا، وبخاصة عن طريق الأقمار الصناعية والإنترنت والفاكس. فربما المقصود إذن من السؤال

ليس هو الأخبار وإنما التعليق على الأخبار، فمثلا حادثة مثل الاعتداء على كنيسة «مارى جرجس» بالفكرية بأبى قرقاص لا يمكن أن نقول إن الحدث فى ذاته وصل محرفا وإنما الخطورة فى التعليق عليه.

ثانيا: إن كانت بعض الأخبار أو التعليقات عليها تصل أحيانا محرفة - فكان يجب على سفاراتنا وقنصلياتنا فى الخارج أن تبادر بتصحيح أى مفهوم خاطئ ينتشر بين الناس، كما كان يجب أن تكون لنا أيضا صحافة فى الخارج تعبر عن آراء بلادنا وتنشر ما يمكنها نشره؛ حتى يتسنى لها تصحيح المفاهيم أو تصحيح الأخبار أو أن ترد على أى هيئة أجنبية تتدخل لتعكير الجو. فعلى حين أننا نشكو من اليهود من جراء ما يذيعونه فى الخارج عن حقوقهم واتجاهاتهم وشكواهم ضد الفلسطينيين وضد العرب إلا أننا ليست لنا فى الخارج الاتصالات نفسها التى يقومون بها، كما أننا لا نملك الطرق نفسها للنشر والدعاية واللوبى؛ وكان يجب أن يوجد لنا فى بلاد الغرب دعاية وصحافة ووسائل نشر متعددة.

الباب الخامس



- الـــــروح والمـــــادة
- الخـــيـــر والشـــر

الروح والمادة

الحياة الروحية ليست إلا استبدال شهوة بشهوة، تحل شهوة العلاقة مع الله محل شهوة العالم و الأمور التي يعج بها.

ـ الجسد يستخدم المادة، ولا نستطيع الفصل بين الروح والجسد . المادة ليست شرا فى ذاتها وإلا ما كان الله قد خلقها .

ـ الجسد يتعاون مع الروح، ثم يصل إلى درجة أعلى وهي التكامل معها.

ـ الله خلق الخير، والشر دخيل على العالم، فهو ليس شيئا طبيعيا بل هو خروج عن الطبيعة.

ـ كبت الشهوة ليس توبة حقيقية. التوبة الحقيقية تكون بتنقية القلب بحيث لا يشتهى الخطأ.

سؤال : ما المعطيات الروحية التى هيأتها لكم فرصة الاعتكاف الطويل الذى قضيتموه لقرابة الأربعين شهرا، وما انطباعاتكم بعد ذلك ؟

ـ أنا بطبيعتى أحب الدير وحياة الهدوء والاختلاء مع الله؛ ومن أجل ذلك سلكت طريق الرهبنة؛ وحينما ترهبنت ماكنت أظن فى يوم من الأيام أننى سأنزل إلى العالم للخدمة، ولذلك حينما أتيحت لى فترة الاعتكاف هذه كنت كغريب عاد إلى وطنه أو كإنسان وجد هدفه أخيرا، أنا أعلم أن الله موجود فى كل مكان فى الدير وفى المدينة، ولكن المهم وجودنا نحن معه، بالإمكان أن نوجد معه فى المدن ولكن لن يكون الوجود بنفس التركيز؛ حيث يختطفنا الزحام والكلام، وما أصدق ذلك الشيخ الروحانى الذى قال: «محبة الله غربتى عن البشر والبشريات»، فالذى يذوق حلاوة العشرة مع الله ويدخل فى مذاق الملكوت ينسى كل شىء سوى تلك اللحظات المقدسة التى يعيش فيها، وهذه إحدى فوائد النسيان.

سؤال : أخال نفسى الآن فى محراب التصوف.. فما تتحدثون عنه .. وهذه النظرة التى تعكسونها هى أقرب ما تكون إلى النزعة التصوفية والمتصوفة ؟

ـ إننا ننظر إلى التصوف على اعتبار أنه خلوة مع الله وسلوك فى حياة التجرد والسكون ، ولذلك يعجبنى أن الدكتور «عبدالرحمن بدوى» حينما وضع كتابا عن «رابعة العدوية» أسماه «شهيدة العشق الإلهى»، وفى الواقع إن الحياة الروحية عموما ليست إلا استبدال شهوة بشهوة، إذ تحل شهوة العلاقة مع الله محل شهوة العالم والأمور التى يعج بها؛ وبذلك يكون التجرد هو أولى الخطوات التى تقود إلى الالتصاق بالله.. وكلما تذوق الإنسان محبة الله تصغر وتتضاءل محبة العالم فى عينيه، وهذا ما يسميه النساك بفضيلة الموت عن العالم أى أن يكون العالم قد مات فى قلب الإنسان تماما، وحينذاك يستطيع أن يصل إلى مايسمونه بالصلاة الدائمة، فلا يتقيد بمواعيد معينة لأن الوقت كله صار إلى الله وحده.

سؤال : حب الحياة هو الذى يحفز المرء إلى العمل من أجلها؛ وعليه إذا اعتكف المرء ولاذ بوحدته مع الإله فإنه لن يعمل أبدا من أجل الحياة الماديةالتى تختلف فى صروفها وأحوالها عن محيط الخلوة الإلهية؟

ـ ومن أجل ذلك لايستطيع جميع الناس أن يحيوا حياة الرهبنة أو حياة التصوف، وإنما هذه الحياة مقصورة على قلة فضلت حياة التأمل وحياة السكون وحياة الصلاة. أما عن جهة العمل فإننى أسألك سؤالا ربما تكون الإجابة عليه إجابة على سؤالك وهو ماذا سيعمل الناس فى الأبدية.. فى العالم الآخر ؟

بالقطع سوف لن يكون لهم عمل سوى التمتع بالله، فالإنسان الذى يتفرغ لله ولايعمل.. إنما يعطى فرصة ليعمل الله به ويعمل الله فيه.

سؤال : رغم الخلوة، ورغم الاعتكاف إلى الله؛ فإن قداسة البابا يعمل لاسيما وهو يشرف على شئون الكنيسة كلها ؟

ـ من أجل هذا كان الرهبان الذين يحبون الاختلاء بالله يهربون من هذا المنصب

وعلى أية حال فإن الوحدة درجة لايعيش فيها ولا يعايشها عموم الناس؛ وعليه فإن وجدت فئة قليلة فى المجتمع تعيش هذه الحياة؛ فإن هذا لن يؤثر عامة على المجتمع جملة ولن يؤثر بالتالى على عجلة العمل ولا على إطار المسئوليات. إن فائدة العين فى الرؤيا

السليمة لا تمنع وجود القدم تتحرك هنا وهناك ووجود اليد تشتغل بأعمال كثيرة، وتبقى العين عيناً فى رؤياها لاتهدف إلى أن تصير قدما أو يدا.

سؤال : عبر التاريخ الطويل أتساءل هل شهدت المسيحية استشهادا ضخما واسعا كما شهد الإسلام ؟

- قامت المسيحية كديانة تدعو إلى الله الحقيقى، فكان لابد أن تصطدم بالوثنية السائدة فى العالم بكل مافيها من عبادا ت وبكل مافيها من فكر فلسفى، وهكذا اصطدمت بالامبراطورية الرومانية الحاكمة وبما لهذه الامبراطورية من بطش. ومن أعنف الأباطرة الذين اضطهدوا المسيحيين اضطهادا عنيفا - الامبراطور «نيرون» وهكذا قتل كل تلاميذ المسيح ونالوا إكليل الشهادة، بل إن غالبية الأساقفة كانوا يتعرضون لنفس المصير بالإضافة إلى أنواع التعذيب المختلفة والإلقاء بهم فى السجون. وتلاميذ المسيح بعد أن جلدوا وخرجوا من السجن خرجوا فرحين، لأنهم أحسوا أنهم يهانون من أجل اسم الله، وكان المسيحيون يستقبلون الاستشهاد فى مزح، بل إنه سادت فى تلك الفترة شهوة الاستشهاد.

سؤال : هل يمكن لكم التطرق إلى بعض الأمثلة ؟

- نسمع مثلا فى عهد الامبراطور «ديقلديانوس» أن ثلاثين ألفا خرجوا من دمنهور إلى الإسكندرية يرتلون ويسبحون فى الطرقات لأنهم ذاهبون إلى الاستشهاد، وقيل عن الأنبا «فام الجندى» إنه لما حضر «إريانوس» والى «إنصنا» - ملوى حاليا - إلى بلدتهم تزين الأنبا «فام» بأفضل ثيابه وركب جواده وذهب ليستشهد .. فلما سألوه فى ذلك قال: «إنه يوم عرس».

وفى عهد ديقلديانوس (٢٨٤ م) بدأت أخطر فترة استشهاد حلت بالمسيحية، وحدث أن بلاداً بأسرها تعرضت للقتل والفناء، كما يذكر التاريخ شهداء أخميم وإسنا والكتيبة الطيبية. فى تلك الفترة استشهد «مارى جرجس» و«مارى مينا» وغيرهما من الشهداء، وبدأت الكنيسة القبطية تقويمها السنوى بهذا العام وسمى «تقويم الشهداء»، وكان الشهداء يتعرضون لعوامل من الإغراء أيضا بعرض مناصب كبيرة عليهم، والقديس «مارى جرجس» دعاه الامبراطور إلى قصره ليتفاهم معه وجلست الامبراطورة «الكساندرا» تحادثه فاستطاع أن يقنعها بالإيمان فآمنت ورفضت الوثنية فقتلها زوجها الامبراطور «ديقلديانوس» وانتهى أمر هذا الامبراطور بالجنون. كما مات «نيرون» مجنونا أيضا واستطاعت شهوة الاستشهاد عند المؤمنين أن تنتصر على شهوة الدم عند الأباطرة. ونذكر فى تلك ا لفترة استشهاد بعض الأطفال الذين

رفضوا الوثنية وهم فى حوالى الرابعة من عمرهم، مثل «أيانوب» و«فرياقوس»، بل لقد كانت بسالة الشهداء تدعو الكثير من الوثنيين إلى الإيمان.

سؤال : على صعيد آخر وبالمقابل هل تذكرون لى بعض المواقف التى تمثل الذروة فى الإخاء العريق والوثيق الذى شهده الإسلام والمسيحية.. والرعاية التى رعى بها الإسلام قضايا أهل الكتاب من اليهود والنصارى ؟

ـ عندما دخل الإسلام إلى مصر كان البابا منفيا عن كرسيه سنوات طويلة يجول فى المدن والقرى ليثبت الناس فى الإيمان، ولكن عمرو بن العاص والى مصر استدعاه حينئذ وسلمه الكنائس التى كان عمرو بن العاص قد طرد منها الروم، وأكرمه غاية الإكرام وأحبه؛ فكانت هذه بداية طيبة رائعة فى العلاقة بين المسلمين والمسيحيين.

سؤال : هل لقداستكم أن تذكروا بعض نواحى المعاملات الطيبة لأهل الكتاب فى العصور التى اشتهر حكامها بالعدل والمحبة ؟

ـ أذكر منها بعضها ويتصدرها :

١ـ عهود الأمان التى أعطيت لأهل الذمة ولكنائسهم وأديرتهم وأملاكهم، وهناك الحديث الشريف الذى يقول: «من آذى ذميا فقد آذانى»، وأيضا القول: «استوصوا بالقبط خيراً فإن لنا فيهم نسبا ورحما»، ولعل المقصود بهذا «ماريا القبطية» وابنها «إبراهيم».

٢ـ ومن قصص المعاملة الطيبة أيضا فى هذا المجال قصة الخليفة الإمام عمر بن الخطاب، فعندما دخل القدس دعاه أسقفها ـ وكان قد حان موعد الصلاة ـ للدخول إلى الكنيسة، فاعتذر عمر قائلا: «لئلا يأتى المسلمون ويأخذوها منكم ويقولوا ها هنا سجد عمر» وفضل أن يركع ويسجد للصلاة خارج الكنيسة بمسافة قصيرة، وهناك بنى جامع عمر إلى جوار كنيسة القيامة، وكان هذا مبدأ رائعا فى التعامل .

٣ ـ حرص الحكام المسلمون الذين عاملوا المسيحيين معاملة طيبة على أن يحفظوا لهم شرائعهم؛ عملا بالآية القرآنية الكريمة التى تقول: «لا إكراه فى الدين»، وأيضا عملا بما قيل : «إن أتاك أهل الذمة فاحكم بينهم بما يدينون».

٤ ـ ومن مظاهر المعاملات الطيبة أيضا ماكان يحظى به المسيحيون من وظائف كبيرة فى الدولة، حتى إنه تولى الوزارة عدد منهم فى العصر الفاطمى، وكذلك أشرف كثير من المسيحيين على بيوت المال، وكان منهم أطباء موثوق بهم لدى الخلفاء والحكام.

٥ ـ ومن مظاهر العدل قصة الخليفة عمر حينما جلس كى يفصل فى خلاف بين الإمام على وأحد اليهود. فالقصص المنيرة المشرقة عبر التاريخ، والتى تحكى عن رعاية الإسلام لقضايا أهل الكتاب قصص كثيرة ومشرفة.

وفى دعوة المسلمين إلى محبة أهل الكتاب وتقديرهم ماورد فى سورة «آل عمران» من قوله تعالى: «من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون.يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين» (١١٣ ـ ١١٤).

سؤال : وماذا عن مظاهر الإخاء والمحبة بين المسيحية والإسلام عبر التاريخ وحتى العصر الحديث ؟

ـ مظاهر الإخاء والمحبة بين المسيحية والإسلام كثيرة وصورها متعددة، فهناك موقف الأقباط فى الحروب الصليبية حيث انضموا إلى إخوتهم المسلمين فى مصر وقاتلوا الصليبيين الذين لم يكونوا على حق فى الهجوم على بلادنا. ومن مظاهر هذه العلاقة الودية ماتجلى فى ثورة سنة ١٩١٩م، حيث كانت العلاقة وثيقة بين المسلمين والمسيحيين فى التخلص من المحتل الأجنبى الغاصب، ولقد رفعوا أيامها راية الصليب مع الهلال وعبارة «الدين لله والوطن للجميع»، ومن مظاهر الود والصداقة العميقة تلك التى كانت بين كثير من الولاة والبطاركة مثلما حدث أيام المعز لدين الله الفاطى، ومن مظاهر هذا الود أيضا أن جامع ابن طولون بناه مهندس مسيحى، ومن مظاهر الود أيضا أن كثيرا من ولاة المسلمين كانوا يحتفلون بعيد الغطاس المسيحى، وقيل عن «محمد بن طغج الإخشيدى»: إنه كان يحتفل بهذا العيد فى جزيرة بالنيل يوقدون حوله ألف قنديل، فمظاهر الإخاء بين الإسلام والمسيحية رائعة جلية تعكس روح التسامح والمحبة والود .

سؤال : ماطموحاتكم بالنسبة للشعب المسيحى ومسئولياتكم حيال المسيحيين؟

ـ كل ما أهدف له من جهة المسيحيين أن تتعمق علاقتهم بالله ويرثوا ملكوته الأبدى، وهذا هو الهدف الروحى الذى نركز عليه فى كل عملنا كرجال دين. ومسئوليتى فى هذا المجال تتركز فى توفير الرعاية الروحية اللازمة وبخاصة لخلو بعض الإيباريشيات نظرا لوفاة أساقفتها، وكذلك العناية بأبنائنا فى الخارج وإرسال أساقفة إليهم لتنظيم أحوالهم هناك وكذلك العمل على ترتيب قوانين الكنيسة وتبويبها وفق الأمور اللازمة للكنيسة.

سؤال : وجود الله كان من المفروض أن يشكل الرادع الطبيعى لأى إنسان حتى يجنبه الوقوع فى الخطيئة، ولكن مانراه العكس؛ فمغريات الحياة تأخذ الإنسان وتجرفه إلى حيث براثن الخطيئة ؟

ـ وجود الله معروف بالفطرة، بدليل أن الطفل عندما تحدثه عن الله لايسأل من هو الله؟ ولكنّ هناك فرقاً بين وجود الله كفكرة وبين الإحساس بوجود الله باستمرار، بأن يكون وجود الله فى فكر الإنسان وقلبه قائما أمامه فى كل حين. ويأتى عن طريق التأمل الكثير فى الله، وترديد اسمه باستمرار والتفكير فيه وتصور الله باستمرار والإيمان بأن الله يرى كل ما يفعله الإنسان ويسمع كل ما يقال ويكشف خبايا القلب والفكر وهى أمور غير موجودة لدى الإنسان العادى أو الإنسان المنشغل عن الله بأمور الدنيا. فالمسألة ليست وجود الله وإنما الإحساس والتفكير فى وجود الله.

سؤال : هل يمكن للمجتمع أن يجرى عملية تقريبية للوصول إلى هذا الإحساس بمعنى أن يقرب الإحساس بوجود الله إلى الإنسان عن طريقة التربية أو الأسرة؟

ـ فى بعض الأوساط قد يظن المرء أن التدين مجرد ممارسات دون أن يدخل الإحساس الروحى إلى قلبه. فربما يصلى ويذكر اسم الله فى صلاته ومع ذلك فهو لا يحس إحساسا عميقا بوجود الله حتى وهو يذكر الله، وربما تكون هناك تلاوات محفوظة يتلوها الإنسان عن ظهر قلب وبسرعة دون أن تختلط بمشاعره وعواطفه ودون الإحساس بوجود الله. أما الإنسان الذى يشعر بأنه ماثل أمام الله فى كل وقت وأن الله يراه ويسمعه ويكتشف كل ما فيه فهذا الإنسان لابد أن يدركه الخشوع ويمتنع عن الخطيئة، وتوالى ترديد اسم الله يوجد شيئا نطلق عليه فى الروحانيات استحياء الفكر بمعنى أن الفكر يدركه شىء من الحياء فى أن يفكر فى خطيئة بينما الله كائن أمامه.

سؤال : الثواب والعقاب فى الأديان لايكون لها فاعلية التأثير فى المجتمع، فالشخص يؤمن بيومه لابغده؛ وذلك لأن مبدأ الثواب والعقاب غير مقرب إليه وغير مجسد بحيث يصبح عنصرا مؤثرا فى توجيه سلوكياته.. كيف تجرى عملية التقريب؟

ـ المسألة هى مسألة هل الإنسان يفكر فى أبديته أم فى حياته الحاضرة، فالإنسان البار أو الخير يضع أمامه أبديته فى كل حين: «اعمل لآخرتك كأنك تموت غدا»، وبهجة الحياة الدنيا قد تنسى الإنسان مصيره الأبدى؛ ولهذا فإن تذكار الموت باستمرار عبارة عن عظة للإنسان تردعه. ولكن كنوع من التقويم للناس من جهة العقاب والثواب ينبغى أن نعرف أن كل خطيئة لها عقوبة أبدية وعقوبة أرضية فى كثير من الأحوال، فتوجد عقوبة على الأرض خلافا لعقوبة السماء، ومن هنا كانت القوانين وكانت الحكومات وكان التحكيم فى المجتمع البدائى الذى هو على مستوى القبيلة. والعقوبة الأرضية لازمة للإنسان لكى يرتدع ولكى يرتدع غيره. ولهذا فإن كل الأديان توافق على هذا الأمر.

سؤال : هناك رؤية إسلامية مؤداها أن من اعتزم حسنة ولم يفعلها كتبت له حسنة، فإن فعلها كتبت له عشرة، ومن انتوى سيئة فلم يفعلها لم تكتب له سيئة، فإن فعلها كتبت له سيئة واحدة..

والتساؤل هل يمكن الحض على الخير دون أن يقرن بثواب وعقاب بحيث يصير الخير عفويا تلقائيا لا يحفزه وازع سوى وازع النفس الخيرة؟

ـ إننا فى الحياة المثلى أو الحياة الطبيعية للناس نريد أن نرتفع فوق مستوى الثوا ب والعقاب، فيكون الدافع للخير هو دافع داخلى وهو محبة الخير وليس مجرد الخوف من العقوبة. وأتذكر أننى قلت مرة «الخير ليس هو عمل الفضيلة، إنما الخير هو محبة الفضيلة».

ولذلك كانت النية الطيبة ـ حتى لو لم تنفذ ـ لها قدرها وثوابها عند الله؛ لأنه ربما كان الإنسا ن راغبا فى الخير وتمنعه عقبات عملية ولكن الخير موجود فى داخله، هذه هى الفضيلة؛ ولهذا لا نستطيع إطلاقا أن نرغم الناس على الخير إرغاما بالقوانين بقدر ما نجعل الخير ينبع من داخلهم تلقائيا بغرسه فى قلوبهم ومحبتهم له، فهذا هو الخير الحقيقى.

سؤال : من ناحية أخرى ماذا عن الثواب والعقاب كجزاء عادل لعمل الإنسان؟ لاسيما أنه من الطبيعى أن تفضى المسئولية إلى الثواب والعقاب وفق عمل الإنسان وسلوكه.. وهل هذا يعنى أن الثواب فى المسيحية معنوى أكثر من كونه ماديا ؟

ـ الثواب بالنسبة لأى عمل ينقسم إلى أنواع: ثواب على الأرض وثواب فى السماء، الأول داخلى وخارجى، الداخلى هو شعور الإنسان بالفرح لعمل الخير ورضى ضميره عليه

وسعادته فى سعادة الآخرين، والثواب الخارجى هو ما يسبغه الله عليه من نعم نتيجة عمل الخير.

أما الثواب فى الأبدية ففى المسيحية هو روحانى صرف، حتى فى القيامة قيام الأجساد نؤمن أننا نقوم بأجساد نورانية روحانية غير مادية لاتجوع ولا تعطش ولا تتعب ولا تدخل فى أى شىء مادى، ولا تتألم وإنما هى سعادة روحية بعشرة الله والأبرار والملائكة والقديسيين والتذوق الروحى الذى لم تستطع الروح أن تستمتع به استمتاعا كاملا على الأرض من أجل ضباب الجسد الذى يحيط بها، ومن أجل ثقل المادة التى تمنعها من الانطلاق وتعوقها كثيرا عن المعرفة؟

سؤال : هل هذا يرتبط بالرهبنة فى المسيحية ؟

ـ لا، هذا الثواب تكلم عنه الإنجيل قبل نشوء الرهبنة بثلاثة قرون. إنما الحياة المسيحية فى جملتها حياة تهدف إلى هذه الروحانية، وتهدف إلى الانطلاق من الجسد ومن عوائق الجسد ومن تأثير الجسد عليها حتى أنه فى الكتاب المقدس يقال: «يكون الذين يستعملون العالم كأنهم لايستعملونه »، والمهم أننا فى العالم نعيش فى الجسد ولكن لانعيش حسب الجسد. نعيش فى الجسد دون أن يسيطر علينا.

سؤال : معنى هذا تنحية الهيمنة الجسدية ؟

ـ نعيش فى الجسد تعنى أن الروح ساكنة فى الجسد، أما حسب الجسد فيعنى حسب طلباته ورغباته وشهواته، وهو ما تريد الروح التخلص منه؛ لأنه يعوقها عن السمو والارتفاع والعشرة الإلهية. من هنا كانت تدريبات الصوم فى جميع الأديان هى محاولة للخروج من نطاق سيطرة الجسد، بحيث إن الروح هى التى تسيطر على الجسد وليس الجسد هو الذى يقود الموقف .

سؤال : هذا يقود إلى درجة مثالية من التفرغ لله تبعد بالمرء كلية عن الماديات.. وأتساءل إذا كانت الصورة إلى هذا الحد ألا يتجمد العالم كله ويتحجر؟؟

ـ عمليا هذا لايحدث؛ إذ ليس فى مقدور الجميع أن ينقطعوا كلية عن العالميات، ومع ذلك فلو تفرغ الكل لله لتحولت الأرض إلى سماء، وهنا نكون قد بدأنا ملكوت الله.

سؤال : الغاية هنا ستنتفى من نشأة الحياة فى حد ذاتها ؟

ولهذا أقول ليس فى قدرة كل إنسان أن يحيا هذه الحياة؛ فالحياة على الأرض تحتاج إلى تناسلٍ وتجديدٍ جيلاً بعد جيل.

سؤال : هل لهذا ثمة علاقة بالقدر والجبر والاختيار؟ وما علاقة القدر به إلى أى مدى يكون مجبورا أو مختارا ؟

– من جهة التصرفات الأدبية للإنسان والتصرفات الخلقية والسلوك الروحى أو المادى – فالإنسان مخير تماما. لكنه ليس مخيرا فى الجنس الذى يولد فيه، فليس مخيرا فى أن يولد رجلا أو امرأة، وليس مخيرا فى المواهب التى تعطى له كإنسان له موهبة فى الذكاء أو الفن أو الموسيقى ولا فى طوله ولاعرضه أو شكله، وهى أمور لا علاقة لها بأبدية الإنسان، أما الإنسان فى تصرفاته فهو مخير على الأقل لثلاثة أسباب:

أولاً : أن مجرد وجود الدينونة والثواب والعقاب يدل على أن الإنسان مخير؛ فكيف يحاسبه الله على خط اضطر أن يسير فيه على الرغم منه؟!

ثانيا : وجود الوصية؛ فلا يمكن أن يعطى الله وصايا فى كتبه المقدسة إلا إذا كان الإنسان مخيرا يطيع الوصية أو لا يطيعها؛ لأنه لو كان الإنسان مسيرا لما كان هناك معنى للوصية كما قال الشاعر :

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له
إياك إياك أن تبتل بالماء
فلو كان الإنسان مكتوفا فى الحياة
فما معنى الوصية إذن ؟

ثالثا : وجود الخطيئة فى العالم دليل على أن الإنسان مخير؛ لأنه لايمكن أن يسيره الله نحو الخطيئة، حاشا لله أن يفعل هذا، فما دامت هناك خطيئة يكون معناها أن الإنسان اقترف الخطيئة بكامل اختياره إذن له حرية الإرادة. وكون أن الإنسان مخير وله حرية إرادة أو له روح حرة عاقلة مريدة؛ فهذا نوع من سمو الطبيعة الإنسانية ولو فقد الإنسان حريته لشابه العجماوات.

سؤال : إذن الإنسان كائن مسئول عن أعماله بقدر ما أعطى من حرية وإرادة

وعقل وفكر ؟

ـ الإنسان كائن عاقل حر مريد، ولذلك فهو مسئول. من الجائز أن تكون إرادته مقيدة ومن الجائز أن تكون حرة.

سؤال : ولكن الإنسان فى حياته يتعرض لأشياء وأحداث كثيرة وغالبا ما ينظر إلى تصرفاته وردود أفعاله على أنها تجسيد لإرادة الله ؟؟

ـ التعبير الذى يورده الناس بقولهم هذه إرادة الله قد يكون خاطئا جدا. حقا إن الله ضابط للكل، يدير هذا الكون كله لكنه على الرغم من إدارته للكون ترك حرية للإنسان فى أن يتصرف، وإرادة الله هى خير مطلق. فما يفعل من خير يدخل فى نطاق إرادة الله لكن هناك شرورا قد تحدث على الأرض لايمكن أن نقول إطلاقا بأن الله قد أرادها. الظالم يظلم فلا نقول هذه إرادة الله أن يقع الظلم؛ لأن الله لا يريد الظلم .

سؤال : أحيانا يساق الظلم لحكمة ؟

ـ الله لا يريد الشر إطلاقا. هناك خطايا تحدث على الأرض من نهب وسلب و زنا وفجور، ولا يمكن أن نقول: إن الله يريد هذا؛ مستحيل لأن الله صالح وقدوس ولايمكن أن تكون إرادته إلا خيراً. ولكن نحن نفرق بين إرادة الله وسماح الله، فالله إرادته خير ولكنه يسمح للإنسان أن يفعل أشياء كثيرة بحرية الإرادة التى وهبها له.

سؤال : معنى هذا أن التركيبة الخاطئة هى من صنع الإنسان؟

ـ التركيبة الخاطئة لم يصنعها الله، وإنما وضعتها إرادة الإنسان الحرة، كل ما فى الأمر أن الله لايشاء أن يسلب الانسان حريته، إنما يريده أن يرتقى إلى المستوى الذى يستخدم فيه الحرية استخداما خيراً.. فإن أساء الاستخدام يحاسبه أو يعاقبه أو يؤذيه أو يقومه معطيا أياه فرصة أخرى لتحسين مسلكه دون أن يرغمه إرغاما على الخير؛ فالإرغام يهبط بمستوى الإنسان ويجعل الخير فيه خارجيا وليس داخلياً .

سؤال : معنى هذا أن الإنسان يملك أن يحول تركيبته إلى أخرى مغايرة لما أراده الله؟

ـ الله يريد الخير كما يريد حرية الإنسان، والإنسان يستطيع أن يحول كل مافيه إلى الخير فيتفق مع إرادة الله، كما يستطيع أن يخالف. انظرى إن الله قد ترك حتى الملحدين أحراراً فى أن ينكروا وجوده شخصياً !

سؤال : هذه قمة الحرية ؟

طبعاً قمة، وهى أن يمنح الناس حرية يستطيعون بها أن يجدفوا عليه، وينكروا وجوده ويخالفوه ويعصوا أوامره، ولكنه فضل أن يوجد لهم هذه الحرية عن أن يخلق إنساناً لا حرية له ومثله مثل الجماد أو الحيوان. فالله يحب الحرية؛ لأن الله نفسه حر فخلق الإنسان حرا وهذا لون من سمو الإنسان.

هناك كائنات يقودها غيرها كالعجماوات، أما الإنسان فهو يقود نفسه فى أشياء كثيرة، ومن الجائز أن يسلم قيادته إلى غيره ومن الجائز أن يخضع لقيادة غيره بحكم الوظيفة؛ ولكن مع ذلك فإن عقله هو الذى يقوده فى كل هذا، حتى فى خضوعه لقيادة غيره هو حر فى أن يخضع أو لا يخضع.

سؤال : إذا أردنا أن نلخص موقف المسيحية من أهم قضيتين فى عالمنا وهما: قضية الإنسان، وقضية الحياة فماذا نقول ؟

ـ الإنسان هو قمة الخليقة التى على الأرض، وهو سيد الأرض يديرها كوكيل لله عليها، لا يفوق الإنسان فى المخلوقات إلا الملائكة وهو من جهة المسئولية يستطيع أن يكون فى مستوى أعلى إذا احتفظ بطهارته كالملائكة على الرغم من وجود معوقات كارتباطه بالجسد والمادة والعالم، هذه المعوقات التى لا يكابدها أحد من الملائكة.

والإنسان يتميز بأمور كثيرة: منها الخلود، ومنها العقل، ومنها الحرية، ومنها السيادة. والمسئولية، ومنها أيضاً الضمير والعبادة والصلة بالله، ومنها المعرفة.

سؤال : إحدى القضايا التى تثار ما يذهب إليه البعض من أنه لاتوجد ثنائية بين ماهو روحى وما هو مادى، فهما فى الأصل وحدة واحدة، مارؤيتكم خاصة أن هناك فئة تنادى بأهمية الفصل بينهما ؟؟

ـ النقطة الأولى: التى أريد أن أقولها هى الازدواج الضخم بين الروح والجسد، والجسد يستخدم المادة ولانستطيع أن نفصل الروح عن الجسد فى هذا العالم الحاضر. النقطة الأخرى:

أن المادة ليست شرا فى ذاتها وإلا ماكان الله قد خلق المادة، ولكن الشر هو فى سوء استخدام المادة؛ فإذا استخدمت استخداما طيبا تكون المادة أيضا فى خدمة الروح وتكون لفائدة وخير البشرية كلها.

سؤال : هل يمكن تناول هذه النقطة بالتفصيل؟؟

ـ هناك وحدة تبين عمل الروح والجسد. هناك الازدواج الكامل بين الروح والجسد، وهو مادة ويستخدم مادة، مثلا إنسان يكون فى حالة خشوع أمام الله، والخشوع من أعمال الروح فيجد أن جسده قد انحنى فى ركوع أو سجود مشتركا مع الروح فى عملها؛ فما تفعله الروح بالضرورة يشترك فيه الجسد، إنسان روحه فى حالة حزن تجدين جسده يسكب دموعا، إنسان تكون روحه فى حالة رعب جسده يرتعش، إنسان فى حالة فرح وجهه يبتسم ويلوح البشر فى عينيه وفى ملامح وجهه كله؛ إذن هناك وحدة بين عمل الروح وعمل الجسد، يشتركان معاً، فى حالة واحدة يوجد صراع بين الجسد والروح حينما يكون الإنسان بعيداً عن حياة التوبة.. وهنا يشتهى الجسد ضد الروح، ومع ذلك فالخطيئة يشترك فيها الجسد والروح معا.. مثال ذلك إنسان يغضب فيضرب أو إنسان يحب آخرين فتجدين المحبة تجعل الجسد يسعى لراحة هؤلاء الناس ويتعب من أجلهم لكى يكفل لهم الخير والراحة. فالجسد والروح يسلكان معاً ولا نستطيع أن نجعل الجسد فى ناحية والروح فى ناحية؛ ولذلك مثلا فى التوبة لايكفى فقط أن يمتنع الجسد عن الخطيئة، وإنما ينبغى للروح أيضا أن تمتنع عنها، فهناك أناس يبتعدون عن الخطيئة بالجسد وتبقى شهوة الخطيئة لاصقة بالروح ولاتكون هذه التوبة حقيقية.

سؤال : وما الذى يمكن عمله إزاء ذلك خاصة أن التجرد من الخطيئة جسدا وروحا هو درجة رفيعة من الكمال لايبلغها الكثيرون؟

ـ لذلك نحن نقول من الناحية الروحية بأن بدء التوبة هو ترك الخطيئة، أما كمال التوبة فهو كراهية الخطيئة بحيث لا تشتهى الروح الخطيئة؛ لأنه كما قال أحد الروحانيين: إن هناك أشخاصا عفيفين بأجسادهم ولكن أرواحهم زانية، وهنا أود أن أضرب مثلا آخر فقد يصوم إنسان بجسده ولا تشترك روحه فى هذا الصوم، ويكون بذلك قد سلك فى شكلية الصوم

ولم يسلك فى روحانيته؛ فالصوم ليس زهدا للجسد فقط وإنما هو زهد للروح أيضاً، وينبغى إن كان الإنسان صائما بالجسد أن يكون صائما بالروح أيضاً، وهنا يكون الصوم ليس فضيلة للجسد وإنما للجسد والروح معاً، ويكون الصوم بالجسد تدريبا للروح فى أن تمتنع كما امتنع الجسد عن الطعام، تمتنع الروح عن الأخطاء والشهوات إلى آخره. فكلاهما يشتركان معاً فى الخير ويشتركان معا فى الشر. ولذلك فإن الثواب والعقاب فى الآخرة يشملان الاثنين معاً؛ لأنهما اشتركا معا فى الخير والشر.

سؤال : معنى هذا أنهما وحدة واحدة؟

ـ نعم، ولكن يوجد أحيانا صراع إذا كان الإنسان بعيدا عن التوبة فيشتهى الجسد ضد الروح ويشتهى الروح ضد الجسد. هما واحد فى الإنسان السوى، الذى لا يوجد فيه صراع داخلى بين الجسد والروح، الإنسان غير المنقسم على ذاته يسير فيه الاثنان معا، لنأخذ إنسانا كان يعيش فى الخطيئة ويريد أن يسلك فى الخير، كأن يكون قد وقع فى تعاطى المخدرات وشعر بسوء حالته وروحه تشتاق إلى التغلب على التعاطى لكن جسده تعود وغير قادر، فهنا يوجد صراع بين الجسد والروح.. إنسان تعود شهوة الجسد ومارسها ويريد أن يفلت منها والإرادة موجودة عنده، ولكن الجسد تعود شيئا لا يستطيع تركه، هنا يبدأ صراع بينهما وهنا تتدخل نعمة الله لإنقاذ الإنسان مما هو فيه ولكن عليه أن يستجيب لعمل النعمة معه ويشترك فى المعونة الإلهية. أحيانا الله يريد للإنسان الخير، والإنسان لا يريد الخير لنفسه ولكن فى حالة الإنسان السوى يوجد اشتراك بين الجسد والروح، فى حالة الإنسان المنقسم على ذاته يوجد صراع والإنسان الروحى يريد التخلص من هذا الصراع ويصير واحدا. فى الواقع إن حياة الخير تشمل نقطتين أساسيتين : الأولى أن جسد الإنسان يخضع لروحه، والثانية أن روح الإنسان تخضع لروح الله بحيث أن الله يقود الروح والروح تقود الجسد وكلاهما يعيش تحت قيادة الله. لكن الانقسام من حيث أن هذا جسدى صرف، وهذا روحى صرف انقسام فكرى من الناحية العملية لا نستطيع أن نصل إليه ـ ومثال هذا ـ هل الصلاة عمل من أعمال الروح أم الجسد؟ عمل روحى لكن الجسد يركع ويسجد ، يرفع يده، يتجه بنظره إلى السماء، الصوم عمل لهما معا؛ إذن الإنسان مخلوق يتكامل فيه الروح مع عمل الجسد، ولا نستطيع أن نجزأ الإنسان إلى جزئين: جسد وروح، حتى الأعمال التى تنسب إلى الجسد صرفا ـ كالأكل مثلا ـ فلولا أن الروح ملتصقة بالجسد ما كان يستطيع أن يأكل؛ لأنه سيكون ميتا ولولا أن الإرادة موجودة عنده فى أن يأكل ما أكل.

الخير والشر

يقول البابا شنودة:

إن الناس ثلاثة أنواع: نوع يرى الوردة ويعجب بها ولا يبصر الشوك المحيط بها، ونوع يركز على الشوك ولا يرى الوردة، ونوع آخر واقعى يرى الوردة بشوكها. إنها تأملات عميقة يطرحها قداسته؛ كمثال يفرق بواسطته بين الخير والشر، فالشر هو نتيجة لانحراف الإرادة الخاطئة للمخلوقات ويدخل فى سماح الله لا فى إرادته ثم يعاقب الله عليه؛ لأن المخلوق البشرى أساء استخدام الحرية التى منحها الله له.

والوضع السليم ليس فى كيف تسعى إلى الخير فقط وإنما كيف نحب الخير ونجد لذتنا فيه!

سؤال : إلى أى حد يمكن للإنسان أن يعطى لروحه زمام القيادة لإخضاع جسده إلى ما فيه الخير ؟

- إذا استطاع الإنسان أن يدرب روحه على الخير تستطيع روحه أن تقود جسده وتخضعه، إخضاع الجسد هو المرحلة الأولى؛ لأن كلمة إخضاع تعنى عدوا متمردا تقوم بإخضاعه، إخضاع الجسد هو العمل الأول. لكن إذا وجد الجسد لذة فى الروحانيات فهنا سيصل إلى درجة أفضل وهى التعاون مع الروح ثم يصل إلى درجة أعلى وهى التكامل مع الروح. أضرب مثلا فى الصوم، فحين يصوم المرء بجسده فقط يتمتع الجسد بينما الروح لا تعمل فيشعر بثقل الصوم، وعلى العكس إنسان أثناء الصوم له قراءات وتأملات روحية، تتغذى الروح فتستطيع أن تحمل الجسد فلا يشعر بالجوع، مثال آخر: إنسان جائع ولكن مع ذلك يقرأ ويحين موعد الأكل فيطلب التريث لأنه يقرأ، فروحه تتغذى، ولا يشعر بالجوع لأن انشغال الروح حمل معها الجسد بعيدا عن شهوات الجسد.

سؤال : أى أنها تملك القيادة ؟

ـ تملك القيادة إذا كان الإنسان روحيا، إذا كان الإنسان جسديًا، أى ساقطا فى الخطيئة فإن شهوة الجسد تطلب وهنا تخضع الروح لكى تتماشى معها. فالجسد يشتهى والشهوة تجذب روحه للاندماج معها. فنجد أفكاره ورغباته تماشت مع شهوة الجسد وبدأ ينفذ ما يريده الجسد.

سؤال : هل يعنى هذا أن الجسد خطّاء بطبيعته وليس الروح ؟

ـ أيضا النفس قيل عنها إنها أمارة بالسوء، الجسد فيه العنصر المادى، فوفق طبيعته يمكن إن يميل للمادة التى تتفق وطبيعته. لكن يمكن أن يتعامل مع المادة فى غير خطأ؛ ولذلك قلت: إن المادة ليست خطيئة بطبيعتها لأن الله لا يخلق شيئا شرا، ولكن سوء استخدام المادة هو السبب. ومن الجائز أن سوء استخدام المادة يأتى من الروح، وتدفع الروح هنا الجسد، ولهذا نأخذ بمبدأ التربية لتقويم الضمير وتثقيفه بحيث يتجه الضمير اتجاها سليما، هنا نعطى قوة للروح والضمير بحيث إنها تقود الجسد كى يستخدم المادة استخداما طيبا. وإذا حدث وأن انحرفت الروح تقود الجسد إلى الانحراف، فيجد الجسد مجاله فى المادة فيسىء استخدام المادة فيصبح ماديا يعيش فى عالم من الحواس واللذة الحسية ويبعد عن اللذة الروحية، هنا يفترق الجسد.

سؤال : هناك من يرى أن وجود بعض الرذائل شىء طبيعى فى الحياة شريطة ألا تتغلب على الحق والخير؟

ـ أنا شخصيا لا أستطيع أن أقول هذا الكلام؛ لأنه ينبغى أن نفهم كلمة طبيعى. الطبيعة الأولى التى خلق الله عليها الإنسان كانت طبيعة بارة مائة فى المائة؛ لأن الله لا يخلق شرا، فالله خلق الخير، أوجده. والشر دخيل على العالم فهو ليس شيئا طبيعيا، بل هو خروج عن الطبيعة ؟

سؤال : ولكن الله خلقه ؟

ـ الله لم يخلق الشر إطلاقاً.

سؤال : قد يقول القائل بأن الله قد خلق البشر الحاملين لبذرة الشر؟

ـ لا، الله خلق البشر أبراراً فى طبيعتهم، ومر وقت على الإنسان قبل سقوطه، كان بارا ولكن الشر دخيل عليه.

سؤال : من أين ؟

ـ الأسباب شيء آخر، ولكنى أتحدث هنا عن الطبيعة، طبيعة الإنسان فى أصلها هى طبيعة بارة؛ لأن الله خلقه بهذا البر، والله لم يخلق شرا لأن الشر نفسه لا يتفق مع طبيعة الله تبارك اسمه وتعالى عن كل نقص. الشر عبارة عن نقص. الشر هو نقص الخير أو سلبيات الخير أو عدم وجوده، والله لم يخلق شيئاً ناقصا. النقص دخيل على البشرية وعلى طبيعتها.. والشر دخيل على البشرية وعلى طبيعتها، وهناك دليل آخر حينما يعيش الأبرار فى الحياة الأخرى سيرجعون إلى الطبيعة البارة التى خلقوا بها وفى مستوى أعلى وفى نمو فى الفضيلة، فالشر ليس شيئا طبيعيا ولا الرذيلة شيء طبيعى؛ وإلا ماكان الله يعاقب على الرذيلة، وما كان يعاقب على الشر مادام هو شئ طبيعى.

سؤال : لماذا لا يستأصل الشر أصلا بحيث يقضى عليه فى التو والساعة التى يطل فيها برأسه.. لماذا يترك له العنان ؟

ـ هو الله يريد للإنسان أن يفعل الخير بإرادته؛ لأنه إذا كان لا يفعل الخير بإرادته فلا مكافأة له، والثواب يكون على أن الإرادة اتجهت نحو الخير والقلب اتجه نحو الخير. أما الخير الذى يفعله الإنسان مرغما فلا ثواب له عليه.. فلا بد أن يكون الإنسان حرا فى إرادته، والله يحب للإنسان أن يكون حرا والأديان تدعو إلى حرية الإنسان. فالله خلق الإنسان حرا من جهة علاقته بالآخرين وخلقه حرا من جهة إرادته الشخصية ويريده أن يفعل الخير بإرادته، فإذا كانت الإرادة ضعيفة يكون العلاج هو تقويتها وهناك وسائل كثيرة لذلك.

سؤال : هل الانحرافات سببها الطبيعة البشرية التى تجمع بين الخير والشر أم لغياب القدوة ؟

ـ الطبيعة البشرية لا تجمع بين الخير والشر، الطبيعة البشرية كما خلقها الله هى طبيعة خيرة، وإذا كانت طبيعة الإنسان أن يجمع بين الخير والشر لكان معنى هذا أنه يجمع بين النور والظلمة.. ولكان معناه وجود تناقض فى الطبيعة البشرية، وهذا أمر غير منطقى؛ بل إن

الطبيعة البشرية فى أصلها تميل إلى الخير، والشر يحاربها من الخارج.. فإذا ضعفت سقطت أمام هذه المحاربة، لكنها هى فى ذاتها لا تجمع بين الخير والشر، فهى فى طبيعتها تميل إلى الخير. ولو كانت الطبيعة البشرية فيها الخير والشر فهل خلقت هكذا أم آلت إلى هذا المآل السيئ إذن لابد أن تصلح وترجع إلى طبيعتها الأولى لتكون خيراً. ونحن نرى أن هناك أمثلة فى المجتمع فيها خير فقط، وعليه فإذا وجدت شرا فى المجتمع فعلى أن أبذل الجهد لتقويمه.

سؤال : ليس لدينا الوسائل لذلك خاصة أن الشر لا يقضى عليه إلا بالقوة كما أن العقاب يمكن أن يكون رادعا إذا كان حادا وحاسما وسريعاً؟

ـ أنا أتحدث عن المثاليات. هل تقصدين القضاء على الشر من الخارج أم من الداخل؟

سؤال : أتحدث عن القضاء على الشر من الخارج حتى لا يستشرى؟

ـ وأنا أتحدث عن الإصلاح الداخلى كرجل دين، وإذا لم يصلح فلابد من حكم رادع. من هنا ينبغى وجود تقنين رادع للانحرافات الموجودة فى المجتمع، فإلى جوار الإصلاح الداخلى لا يمنع أن تكون فى المجتمع قوانين رادعة، والله لم يمنع العقوبة، لكنها موجودة فى كل الكتب المقدسة، والله عاقب الإنسان و سيعاقب فى الأبدية أيضا. فلابد من العقوبة ولابد أن تكون رادعة؛ لأنه إن لم تكن رادعة تكون شيئا شكليا ولا يخيف أحداً وتبقى الجريمة كما هى. الإنسان من طبيعته فى كثير من الأوقات أنه يقوده الخوف أحيانا إلى الطريق السليم، وإذا لم توجد مخافة فقد يكون الانحراف أكثر سهولة، والله علمنا أن نؤدب أولادنا وأن نكون حازمين فى تأديبهم، والله يعاقب الأبوين اللذين لا يربيان أولادهما ويعاقب كل مسئول إذا لم يكن حازما فى استئصال الشر.

سؤال : قد يتساءل المرء كيف يمكن العودة إلى الله وتحرير النفس من أن تظل أسيرة للمادة والشهوات والتى لاشك تشكل عنصر جذب كبير؟

ـ الرجوع إلى الله لا يأتى إلا بالتوبة، والتوبة فى معناها البدائى تعنى البعد عن الخطيئة ولكن قد يبتعد الإنسان عن الخطيئة بالفعل وتظل موجودة داخل قلبه يشتاق إليها ويكبت نفسه لكى لا يخطئ، ولكن ليست هذه هى التوبة الحقيقية التوبة الحقيقية تكون بتنقية

القلب بحيث لا يشتهى الخطأ. والتوبة الحقيقية فى معناها الكامل عبارة عن كراهية الخطيئة، وإذا كره الإنسان الخطيئة ولم يعد يتعامل معها أو يشتاق إليها ففى هذه الحالة لا يستطيع أن يخطئ، أى أنه يجد دافعا داخليا يمنعه ولايجد أية رغبة فى أن يخطئ، بل إذا عرضت عليه الخطيئة يهرب منها، ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى هذا الوضع إلا إذا كان يحب الله ويحب الخير من كل قلبه. وبهذا الشكل يكون العنصر الإيجابى للتوبة موجودا وليس فقط العنصر السلبى بالبعد عن الخطيئة.

سؤال: وهل مجرد اشتهاء الخطأ دون ممارسته يستوجب محاسبة المرء عليه؟

- بالطبع، لأن اشتهاء الخطأ معناه أن القلب غير نقى، ومادام كذلك إذن ليست فيه محبة الله فهناك أمران حب الله أو حب الخطيئة. إذا كان يحب الله يكره الخطيئة وإذا كان يحب الخطيئة فإن محبته إلى الله غير كاملة، وهناك آية فى العهد القديم تقول: «يا بنى أعطنى قلبك ولتلاحظ عيناك طرقى» فالله يريد القلب قبل كل شيء؛ حيث إنه من جهة الصلاة لام الشعب اليهودى مرة وقال: «هذا الشعب يعبدنى بشفتيه أما قلبه فمبتعد عنى بعيدا».

سؤال : قد يرى البعض أن محاسبة الإنسان على خطأ لم يرتكبه وعلى شهوة قام بكبتها ولم يترجمها إلى واقع عملى من قبيل الافتئات عليه كبشر؟

- محبة الخطيئة داخل القلب تدل على عدم نقاوته، ولكن الإنسان فى بدء طريق التوبة قد يجاهد نفسه فتكون فى داخله شهوات، وهو يعمل على مقاومتها بكل جهاد روحى، وقد يصل إلى النقاوة الداخلية بعد فترة من الزمن فى هذا الجهاد، وتكون هذه هى مرحلة متوسطة ونقصد بكلمة متوسطة المراحل الثلاث الآتية:

الأولى شهوة الخطيئة وارتكابها بالفعل، و**الثانية** عدم ارتكاب الخطيئة وبقاء الشهوة فى الداخل يصارعها الإنسان، و**الثالثة** النقاوة الداخلية بعدم وجود الشهوة وعدم وجود الفعل الخاطئ.

سؤال : يبقى السؤال كيف يستطيع الإنسان أن يصل إلى هذا النقاء مع وجود جسد يحاربها خاصة أن الجسد من صنع الله وهو مزود بكل الوسائل التى تفتح الأبواب للشهوات ؟

ـ الجسد من صنع الله، ولكن شهوات الجسد من صنع الإنسان بدليل أنه يوجد أشخاص أنقياء ولم تستطع هذه الشهوات أن تسيطر عليهم، وإن مرت على فكرهم تمر مروراً عابرا، غير ضاغط، ولكن شهوات الإنسان لها أسباب خارجية منها تأثر الحواس بما يساعد الشهوة والإنسان النقى لا يسمح لحواسه أن تكون طليقة تجلب له ما يضره، ونقصد بالحواس ما يجلبه النظر والسمع واللمس إلى آخره.

سؤال : وكأننا نطلب المستحيل عندما نطالب بتعطيل هذه الحواس؟

ـ لا نقصد تعطيلها وإنما السمو بها وعدم استغراقها فيما يضر الإنسان روحيا. والأمر الثانى هو الفكر وربما تؤدى الحواس إلى الفكر ويجتمعان معا، وقد يأتى الفكر من غير الحواس فيأتى مثلا من القراءة والأخبار وقد يأتى الفكر الخاطئ من فكر سابق ظل مترسبا فى العقل الباطن، والفكر الخاطئ حينما يأتى إلى الإنسان يمكن مقاومته وطرده بسهولة. ولكن إذا ترك له الشخص مجالا سيظل يسيطر على ذهنه حتى يصعب عليه طرده، وفى هذا الوقت ما أسهل أن يتحول الفكر إلى شهوة وتكون هذه الشهوة من صنع الإنسان من حيث إنه أطلق المجال بطريقة خاطئة لحواسه وأفكاره، وقد تكون البداية عكسية أى أنه يبدأ بالشهوة، والشهوة تكون السبب فى الفكر والفكر يريد أن يشبع ذاته بالحواس .

سؤال : تتحدثون عن معايير التحكم فى الحواس وكأن من يمتلكونها ليسوا ببشر وإنما ملائكة ؟

ـ الحواس يمكن أن تستخدم بطريقة طبيعية سليمة، ويمكن أن تنحرف مثلما حدث مع «يوسف الصديق» وامرأة سيده، فلقد بدأت تنظر إليه نظرة شهوانية، وربما الرجل نفسه كان موجودا ولكن هذه النظرة لم تكن موجودة من قبل، ولكن حينما بدأت تغير الأمر.. مثال ذلك رجال ونساء يتعاملون فى المجتمع سواء فى المجال الاجتماعى أو الاقتصادى أو السياسى ولا ينظر أحد منهم إلى الآخر نظرة شهوانية أو جنسية، ولكن إذا بدأت النظرة تتغير إلى هذا الوضع حينئذ يبدأ الفكر فى الانشغال بشىء غير طاهر.

سؤال : ما مفاتيح ضبط الحواس إذن ؟

ـ ضبط الحواس معناه ضبطها فى اتجاهاتها وفى مشاعرها بحيث تكون بريئة لا تؤدى

إلى وضع خاطئ، الوضع نفسه يصدق على المصافحة، فمثلا يصافح إنسان امرأة بمشاعر طبيعية وربما بمشاعر احترام وتقدير؛ ولكن إذا جذبت له هذه المصافحة شهوة تكون الشهوة سببها فى قلبه الذى يشتهى وفى فكره الخاطئ وليس فى مجرد المصافحة، ومادام الفكر الخاطئ والشهوة الخاطئة هما بابان يوصلان إلى الخطيئة الفعلية ـ إذن يجب تنقية كليهما حتى لا يخطئ الإنسان.

سؤال : هل هناك فارق كبير بين ضبط النفس وبين الكبت؟

ـ عملية الكبت تختلف تماما عن ضبط النفس، فضبط النفس معناه عدم الوصول بها إلى الفكر الخاطئ أما الكبت فمعناه الوصول إلى الفكر الخاطئ والشهوة الخاطئة وكبت الاثنين لعدم الوصول إلى العمل، وفى هذه الحالة يكون الإنسان قد تدنس داخليا دون أن يتدنس من الخارج.

سؤال : وكأننا نطالب الإنسان بالمستحيل؛ لأن الإنسان بشعور وأحاسيس قبل أن يكون مجرد قلب نقى

ـ لا أنكر أن للإنسان شعورا وأحاسيس، ولكن ما أسهل أن يكون شعورا وأحاسيس طاهرة، ومن هنا يأتى النبل فى المجتمع ـ أما لو تلوثت المشاعر والأحاسيس فحينئذ يفقد المجتمع نبله ويتحول إلى مجتمع دنس. ولانستطيع أن نقول إن الله قد خلق لنا أحاسيس خاطئة، لكنها أحاسيس يمكن أن تتحول إلى الخير كما يمكن أن تتحول إلى الشر. فيمكن مثلا لرجل بمشاعر النبل أن يتولى رعاية امرأة أرملة فقدت عائلها فيعولها هو بعامل إنسانى نقى ولكن لو أنه فى يوم ما بدأ يغير فكره وينظر إليها كأنثى فحينئذ ستتغير مشاعره تماما وتفقد مشاعره نبلها السابق وتتحول إلى مشاعر خاطئة !!

سؤال : هل يكون المجتمع مدانا إذا هيأ الوسائل التى تساعد على تدنيس هذه المشاعر بعد أن ينجذب صاحبها إلى المغريات التى تحيط به؟

ـ طبعا يكون المجتمع مدانا ولكن يختلف مقدار إدانته من حيث القصد والوسيلة ومدى العمق، ولاشك أن بعض المجلات أحيانا تكون محرضة وبعض المطبوعات تهدف إلى

الإثارة أيضا وكذلك بعض الصور، والقائمون على هذه الأمور ربما يهدفون إلى رواج بضاعتهم وليس إلى السمو بإخلاقيات المجتمع، وتنضم إليهم بالطبع أفلام الفيديو الخاطئة وما تعرضه بعض قنوات التليفزيون فى الخارج وما إلى ذلك. ولكن الخطيئة لا تأتى فقط من الإثارة الخارجية وإنما تنضم إليها الاستجابة الداخلية، فمع وجود الإثارة الخارجية يمكن للإنسان أن يبتعد عنها ولا يعرض نفسه للتأثير الخارجى الضار، ولا يندمج فى أوساط يعرف أنها تتعبه.

سؤال : معنى هذا أننا نطالب الإنسان بالهروب ممن حوله؟

ـ إذا اعتبر البعض أن هذا هروب يكون هذا الهروب جزءا من الفضيلة؛ لأن القشة التى تخرج من عود الكبريت تكون قشة حكيمة، وكذلك الغزال الذى يهرب من الأسد يكون حكيما؛ ولذلك مع وجود الإثارة الخارجية فالإنسان النقى يبعد عنها. وإن مارست هذه الإثارة الضغط عليه لا يدخلها إلى قلبه ولا يفتح مجال تفكيره أمامها، إنما يحاول أن يشغل نفسه بشىء آخر؛ ولكى يصل الإنسان إلى هذا الوضع عليه أن يغرس محبة الله ومحبة الفضيلة فى قلبه، لكى تكون له المقاومة الداخلية بتنمية نوازع الخير عنده. وكلما تعمقت محبة الفضيلة فى قلبه ازداد نفورا بصورة تلقائية من الإثارة الخارجية، ولا يحتاج إلى مجهود كبير للمقاومة لأن المقاومة الداخلية فى أعماقه أوجدت نوعا من الصدود النفسى بالنسبة إلى تلك الإثارة. ولكن مسكين هو الإنسان الذى إذا تعرض إلى الإثارة الخارجية لا يجد صدودا داخليا بل على العكس ربما يجد قبولا فيكون مثل مدينة غير محصنة إذا هجم عليها العدو وجد أبوابها مفتوحة أمامه.

سؤال : فى المقابل وفى مواجهة الضعف الجسمانى من جراء مرض أو عجز ظهر فى أوروبا أخيرا ـ من يبرر منح الإنسان ترخيصا بإنهاء حياته فى الوقت الذى يراه مناسبا أو مساعدته على إنهائها؟

ـ إن الإنسان لايملك حياته حتى يتصرف فيها كيفما شاء سواء بإنهائها أو بالإبقاء عليها؛ فالحياة هى ملك لله معطيها، و الله وحده يملك الحياة والموت كما أن الحياة أيضا ملك للمجتمع يستخدمها ويحرص عليها.. إذا وجد الطبيب حالة ميئوسا منها وفى ألم شديد فواجبه أن يخفف الألم لا أن ينهى الحياة، والمريض الميئوس منه لابد أن حياته ستنتهى

ولكن لايكون ذلك على يد البشر سواء على يد المريض نفسه أو على يد الطبيب، ولقد سمح الله بالألم لحكمة إلهية فالألم يصفى النفس من الداخل إذا استخدمه الإنسان بطريقة سليمة وما أجمل ما قاله أحمد شوقى أمير الشعراء:

ومتعت بالألم العبقرى   وأنبغ مافى الحياة الألم

فى حالة الألم يشعر الإنسان بأن الدنيا لاقيمة لها فتتضاءل الشهوات المادية فى نفسه ويمكن بذلك أن يعد نفسه للأبدية، عيب الناس أن كل رغباتهم وشهواتهم تتركز فى هذه الدنيا فيتمسكون بها ويصارعون لأجلها وليس لهم شيء من هذا التمسك بالحياة الأخرى. الناس الروحيون يشتاقون إلى التخلص من سيطرة المادة وليس البقاء فيها.

سؤال : أما كان من الممكن لله أن يزرع الفضيلة ويمحو الشر؟

ـ إنه الدين على الرغم من دعوته إلى حياة الفضيلة والبر إلا أنه أراد أن يحيا الإنسان حياة البر بإرادته، فلم يشأ الله أن ينزع من الإنسان حريته وإلا يكون الإنسان قد فقد سموا فى طبيعته، كما أن الإنسان إذا أحب الله أو أحب الخير والبر بكامل إرادته فإنه يبرهن على أنه لا يحيا كذلك مرغما وإنما يحب الخير محبة تستحق الثواب والمكافأة، أما إن فعل الخير مرغما فلا يكون هذا خيرا فى الحقيقة وأيضا لا يستحق عليه عندئذ المكافأة.

سؤال : هل يعنى هذا أن الشر يوجد خارج الإرادة الإلهية ؟

ـ الله لا يريد الشر إطلاقا، فالله هو الخير المطلق، والشر ضد قداسة الله وصلاحه وخيريته، ومن المحال أن نقول: إن الله يريد الشر وإلا فكيف يعاقب عليه؟ ولكنّ هناك فرقا بين إرادة الله وسماح الله. فالله لا يريد إلا الخير، ولكن بالحرية التى وهبها للكائنات العاقلة يسمح لها أن تستخدم إرادتها فيما تشاء وتفعل ويكون الشر نتيجة لانحراف الإرادة الخاطئة لهذه المخلوقات، ويدخل فى سماح الله لا فى إرادته، ثم يعاقب الله عليه لأنه إذا لم يكن هناك سماحة فلن تكون هناك إرادة حرة، تصورى أن الله منح الإنسان الحرية التى يستطيع بها أن ينكر وجود الله، كما فعل كثير من الملحدين والشيوعيين ، فإذا سرق السارق أو ظلم الظالم لا نستطيع إطلاقا أن نقول إن الله يريد السرقة ويريد الظلم، وإنما يعاقب عليهما، لقد منح الله المخلوق البشرية حرية إذا أساء استخدامها يمكن أن يسرق أو يظلم فتكون السرقة، كما أن الظلم ضد إرادة الله.

سؤال : قد يتساءل المظلوم،لماذا لم يكن العقاب رادعا بحيث يطبق فور وقوع الشر أو الجرم ؟

ـ هناك أخطاء تأخذ عقوبتها فورا كإدمان المخدرات أو السكير الذى يشرب الخمر فتذهب بعقله ويفتقد آدميته واحترام الناس له، ولكن هناك أخطاء أخرى قد يطيل الله أناته فيها لكى يمنح الخاطئ فرصة للتوبة، وهناك أخطاء ينال الإنسان عقوبتها بعد حين، وهناك أخطاء لا ينال الإنسان عقوبة عليها طوال عمره على الأرض، ولكنه ينال العقوبة عليها فى الأبدية، هناك إذن تنوع فى مقدار العقوبة وتوقيتها لأن الله أيضا يريد أن تسير الأمور بطريقة طبيعية، أى أنه لا يخطئ الخاطئ بحيث تنزل النار من السماء فى التو لتقتله، فمن صفات الله طول الأناة فهو يصبر معطيا فرصة لتصحيح المسار وللتوبة. وبالنسبة للمخطئين عموما أرسل إليهم الوحى الإلهى والأنبياء والرسل والدعاة والمرشدين ووهبهم الضمير أيضاً ، كذلك لتقويمهم ودعوتهم للتوبة.

- **الخير والشر:**

سـؤال : مـن الذى أوجد الشـر ؟

ـ فى الحقيقة إن الشر ما هو إلا سلبيات الخير، فليس له وجود فى ذاته بقدر ما هو عدم وجود الخير، فالكذب هو عدم وجود الصدق والظلم هو عدم وجود العدل والزنا هو عدم وجود العفة، والسرقة هى عدم وجود الأمانة إلى آخره، فلا نستطيع أن نقول من خلق الشر؟ إنما نقول إن عدم وجود الخير هو الشر، فالله أوجد الخير ومن يبعد عن الخير يكون قد وقع فى الشر الذى هو عدم وجود الخير.

سؤال : ألا يمكن القول بأن الله خلق المكونات التى تعد فى حد ذاتها أرضية خصبة لنشأة الشر ؟

ـ الله أوجد أشياء كثيرة وكائنات كثيرة يمكن أن تستخدم للخير ويمكن أن تستخدم للشر حسب موقف الإرادة فيها، فمثلا الله أوجد النار التى يمكن أن تستخدمها للفائدة ويمكن أن نحرق بها بيوتا أو أشياء نافعة فهل نريد ألا يخلق الله النار إطلاقا كى لا تستخدم فى الحريق بدلا من الفائدة ؟! إذن المشكلة ليس فى خلق المكونات إنما فى سوء استخدام هذه المكونات، وما أسهل أن يستخدم كل شىء فى غير ما قصد الله به، مثال ذلك خلق الله الجسد ويمكن أن يستخدم فى الخطيئة، فهل ترين ألا يخلق الله الجسد كى لا يسقط الإنسان فى الخطيئة؟! إن

لمكونات موجودة ولكن المشكلة فى سوء الاستخدام وهذا التعبير يمكن تطبيقه فى مجالات لاتحصى.

سؤال : كيف يمكن أن نرتقى بالعقل ليصبح أكثر نضجا ؟

ـ طبعا، العقل مثل أية تركيبة فى الإنسان، كلما استخدمه الإنسان بطريقة سليمة يزداد نضجه بالتدريب والعمل المستمر، على أن هناك أشياء يرثها الإنسان بالفطرة كالذكاء مثلا أو العبقرية أو بعض مكونات العقل مثل الذاكرة والتى يمكن أن تخبو وتذوى، ومثل القدرة على الاستنتاج وكذلك صفة التركيز، وبالتدريب يمكن أن يكون الإنسان مركزا فى عقله، وبإهمال القوى العقلية يمكن أن يفقد هذا التركيز، وبالمثل سرعة البديهة وهناك نقطة أخرى وهو ما يسمى بسعة العقل بحيث يمكن للإنسان أن يفكر فى جملة أشياء فى و قت واحد ولا تشغله مجرد زاوية لأمر من الأمور بحيث يهمل باقى الزوايا أو يشغله العقل عن إدراك ردود الفعل، وهذه الأمور يمكن أن تزيد فى الإنسان أو تنقص، تنمو أو تتراجع، مع أن الإنسان يكون قد ورثها ولكن بإهمالها تضعف فيه، وهذا أيضا ينطبق على المواهب، فبتدريبها تزداد وبإهمالها تضعف وتذبل.

سؤال : الوصول إلى ذروة العلم ألا يمكن أن تقلص الإيمان؟

ـ الذى يد فعنا بعيدا عن الإيمان لا يمكن أن يكون علما بالحقيقة، فالعلم الصحيح يقوى الإيمان، والإيمان الصحيح لا يتناقض مع العلم، فإذا وجد تناقض بين العلم والإيمان فلا بد أن هناك خللا، إما أن العلم غير سليم وإما أن فهم الإيمان غير سليم، ولا أقول الإيمان وإنما أقول فهم الإيمان غير سليم.

سؤال : إحدى القضايا الفلسفية التى يطرحها العصر هى أن وجود الإنسان يتضاءل ويذوى بالنسبة لوجود الله الكامل المهيمن ويرد التساؤل ما هو الهدف من الوجود إذن ؟

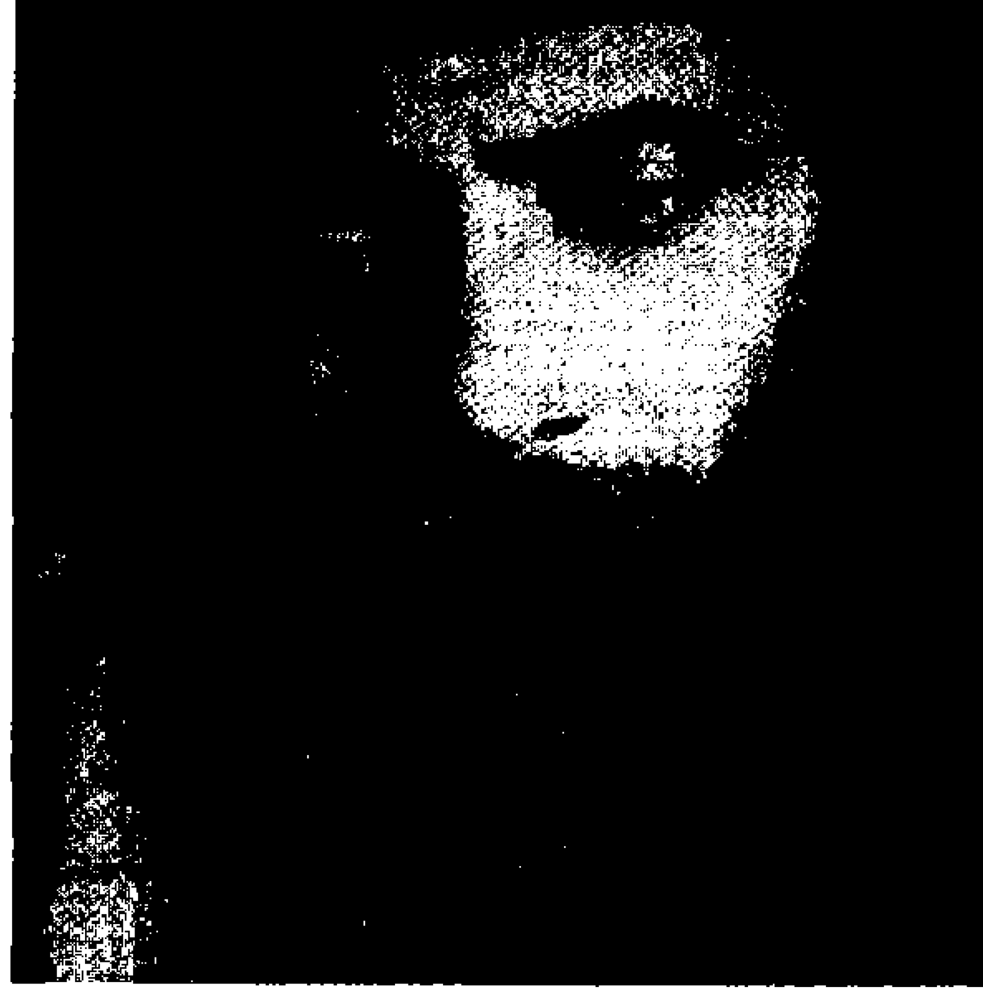
ـ الوجوديون يقولون : «إن وجود الله يمنع وجود أنا؛ وعليه فمن الأفضل ألا يوجد الله كى أوجد أنا»، وهنا يوجد عدم فهم للوجود وأهدافه، فليس معنى أن أحيا حياتى أن أحياها بعيدا عن الله ولهذا أنا لا يعجبنى إطلاقا المثل القائل:« ساعة لقلبك وساعة لربك»؛ لأن

معنى ذلك أن كلا منهما فى ناحية ومعناها أن المرء عندما يحيا مع ربه لا تكون الحياة من قلبه وإنما تكون الحياة ظاهرية، فالوضع السليم هو كيف ندخل الرب فى القلب، ليس فقط كيف نسعى إلى الخير وإنما كيف نحب الخير ونجد لذتنا فيه، ومع ذلك فقد أوجد الله مسئوليات كثيرة فى الحياة الروحية وليس باستطاعة الكل أن يصل إلى درجة الكمال البشرى.

سؤال : بعيدا عن القضايا الروحية الفلسفية هناك قضية محورية نعايشها اليوم وهى الإحساس بالتباين بين الأجيال، والشعور بالأسى من جراء ضعف إمكانات الجيل الحالى وانهيار قدراته وذلك فيما إذا قورن بأجيال الماضى ؟

ـ المتاعب موجودة فى كل جيل، ولكننا اعتدنا أن نمتدح الأجيال الماضية ونقول كان هذا الجيل أفضل، ربما يكون مبعث ذلك ما ورثناه عن تقاليدنا المصرية من احترام الآباء والأجداد، ولكن لاشك أنه يوجد فى كل جيل نقط بيضاء جميلة ربما لا نبصرها لأننا تعودنا فلا نجد فيها شيئا جديدا. كان فى أجيالنا طه حسين وتوفيق الحكيم، ومع ذلك لم نكن نمدح جيلنا لأننا عشنا معهم، وكان فى أجيالنا أبطال حرب أكتوبر ولم نمتدح جيلنا لأننا عاصرنا هذا الحدث، وكما أن فى الأجيال الماضية نقاطا بيضاء فهناك نقاط سوداء، و لكن لأنها غابت عنا فلا نشعر بها، وما أود قوله هو أن فى كل جيل الأبيض والأسود، وكل جيل فيه ما يمتدح وما يذم. وقد قيل إن الناس على ثلاثة أنواع: نوع يرى الوردة ويعجب بها و لا يبصر الشوك المحيط بها، ونوع يركز على الشوك ولا يرى الوردة، ونوع آخر واقعى يرى الوردة بشوكها.

الباب السادس



- إســــــرائيليــــــــات
- إســـــرائيل والعـــــرب
- برتوكولات حكماء صهيون
- الـفـــــــاتـيـكـان
- الأقـبــاط وزيارة القــدس
- القــدس والاســتــيطان
- ملف قتل الأسرى المصريين

إسرائيليـــات

رغم كراهية البابا شنودة لإسرائيل وتنديده بسياستها فى المنطقة إلا أنه ندد باغتيال اسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق فى الرابع من نوفمبر ١٩٩٥ وأعلن يومها تحريم القتل فى جميع الأديان، ووصف حادث الاغتيال بأنه جريمة تنضح بالغدر والخيانة قائلاً : إننا ضد الغدر والخيانة وضد الاغتيالات السياسية. وأضاف أنه لا يوافق على القتل والاغتيال رغم عدم اتفاقه مع اليهود فى أمور عديدة . وقال إن الفرح بمقتل عدو هو لون من ألوان الشماتة لا يتفق مع نبل القلب، ولو كان لنا خلاف سياسى يجب حله بالطرق السلمية . وقال إن موافقتنا على مبدأ الجريمة يؤدى إلى انتشارها فى كل مكان من البلاد العربية . وأضاف بأن الكتاب المقدس يقول : لا تفرح بسقطة عدوك . وأن وصية لا تقتل هى إحدى الوصايا العشر للتوراة . وأشار البابا شنودة الثالث إلى أن المحرض على القتل شريك فى المسئولية ؛ فالمحرض يقتل القتيل جسديا والقاتل روحيا.

وفى نفس الوقت كان البابا شنودة يحذر من أن لإسرائيل أغراضاً اقتصادية فى الشرق الأوسط ويهمها تحقيقها ولهذا كان سعيها لإنشاء سوق شرق أوسطية . ومن أقواله : تلويح إسرائيل بالقوة لا يتفق مع منطق السلام وتفكك العرب لا يتفق ومبدأ مقاومة إسرائيل .

وينبه البابا شنودة إلى أن السلام العادل هو الذى لا يكون مجرد حصن لليهود يلجئون إليه ويستغلونه وإنما يكون سلاما متوازنا يحقق مصالح العرب كما يحقق مصالح اليهود . ويرد على فكرة الحوار مع اليهود وينعى على العرب تفرقهم الذى شجع إسرائيل على أن تكون أكثر اجتراء عليهم.

ويُفنِّد مزاعم اليهود تجاه أسطورة البقرة الحمراء كحدث يشير به اليهود إلى مجيء المسيح أو إلى هدمهم للمسجد الأقصى وبنائهم للهيكل.

سؤال : إسرائيل تدعى كذبا أن القانون الذى تدعمه السلطة ضد حقوق الإنسان رغم أنها الدولة الوحيدة التى تملك أكثر القوانين عنصرية

فى العالم ويكفى قانون الحاضر الغائب الذى تطبقه ويسيطر اليهود بمقتضاه على أرض العرب؟

- إذا ادعت إسرائيل بأن القانون الذى يتطلع الفلسطينيون إلى تطبيقه ضد حقوق الإنسان، فالذى له أن يحتج هو المواطن الذى يبيع وليس المحتل الذى يشترى.. ولم يحدث أن فوض المواطنون الفلسطينيون إسرائيل فى الدفاع عن حقوقهم.. وهم فيما يدعون إنما يدافعون عن أنفسهم فى امتلاك الأرض وليس عن البائعين فى بيعهم لهم.. ومعنى ادعاء إسرائيل أنها تريد المزيد.

سؤال : فى حقبة نتنياهو قال: إن أفضل ما أنجزه خلال الحكم هو الحيلولة دون العودة إلى حدود ١٩٦٧ ووقف هرولة العرب إليها ونجاحه فى توحيد القدس؟

- أولا أقول لم ينجح نتنياهو فى الحيلولة دون العودة إلى الوضع الذى كانت عليه الحدود فى الرابع من يونيو سنة ١٩٦٧؛ لأننا نحن كمصريين عدنا إلى وضعنا وعدنا إلى حدودنا كما كانت عليه فى هذا التاريخ وإذا كان يقصد حقوق بعض الأطراف العربية الأخرى فهو لم ينجح؛ لأن سوريا لا تزال تطالب بحقوقها فى الجولان وتؤكد الثوابت التى تدعو إلى تطبيق المرجعية الدولية ممثلة فى قرارى (٢٤٢) ، (٣٣٨) بما يعنى الانسحاب الكامل من الجولان حتى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧، ولا يزال الفلسطينيون يطالبون بأرضهم كاملة ولاتزال لبنان تطالب بجنوبها المحتل تطبيقا للقرار ٤٢٥، فما يسميه نتنياهو هرولة يسميه العرب دفاعاً عن حقوقهم واسترداد أراضيهم. بمعنى آخر فإن نتنياهو لم يستطع أن يخفت تلك الأصوات.

سؤال : ماذا عن توحيد القدس ؟

- المعروف أن موضوع القدس هو موضوع سيطرح للحوار والتفاوض، وكثيرون كانوا يريدون البدء به ولكن لا يمكن أن نعتبر أنه أمر قد انتهى وحسم.. القدس أرض عربية محتلة يصدق عليها قرار (٢٤٢) كما يصدق على أية أراض عربية محتلة. إن إسرائيل تطرح هذه الأمور كأنها تملك السيطرة على القدس.. موضوع القدس لابد من بحثه فى المرحلة النهائية من المفاوضات بمقتضى القرار (٢٤٢)، ولا يمكن لإسرائيل فرض الأمر الواقع على العرب، ولا يمكن أن تضرب عرض الحائط بالاتفاقات التى وقعتها.

سؤال : تحتفل إسرائيل كل عام بما أسمته توحيدها للقدس؟

- أنا لا أوافق على مصطلح توحيد القدس. القدس أرض عربية محتلة وليست لإسرائيل، وهى موضوع تفاوض فى المرحلة النهائية من المفاوضات مع الفلسطينيين.

سؤال : إسرائيل ترسم للمستقبل، فلقد وطنت نفسهاعلى أن القدس لها، بل إن خططها ترمى إلى ربط مستوطنات القدس والضفة اقتصاديا بعدد من عواصم الشرق الأوسط من خلال شبكة الطرق الالتفافية الكبرى التى تنفذها إسرائيل؟

- منذ سنوات وأنا أنادى بالسوق العربية المشتركة التى سترتبط العرب اقتصاديا وتحميهم بالتالى من الاستغلال الاقتصادى الإسرائيلى.. فلا شك أن لإسرائيل أغراضا اقتصادية فى الشرق الأوسط ويهمها تحقيقها ولهذا كان سعيها نحو إنشاء سوق شرق أوسطية .

سؤال : ما المطلوب من العرب الآن لمجابهة جمود عملية السلام على كل المسارات خصوصا أن إسرائيل تمضى فى ممارساتها وتلوح بالقوة؟

- إسرائيل تضع الكثير من العقبات فى سبيل إحراز السلام.. إنها تتحرش بالسلام، وليس على العرب إلا أن يتخذوا موقفا موحدا إزاء قضاياهم؛ فالتضافر قوة يحسب حسابها لدى الطرف الآخر، إن تلويح إسرائيل بالقوة لا يتفق مع منطق السلام وتفكك العرب لا يتفق مع مبدأ مقاومة إسرائيل.

سؤال : وإجراءات إسرائيل لفرض الأمر الواقع وممارساتها الحالية ضد الفلسطينيين ومراوغاتها مع سوريا وقصفها لجنوب لبنان؟

- ما أكده العرب فى القمة العربية الأخيرة فى يونيو ١٩٩٦ هو أن السلام خيار استراتيجى، والسلام الذى يعنيه العرب هو السلام العادل والشامل، والسلام العادل هو الذى لا يكون مجرد حصن لليهود يلتجئون إليه ويستغلونه وإنما يكون سلاما متوازنا يحقق مصالح العرب كما يحقق مصالح اليهود، لقد ظهر واضحا أنه لا يمكن أن يسود السلام إلا بإقامة العدل بين الأطراف العربية وإسرائيل، ولا يوجد عدل مع احتلال الأراضى.

سؤال : ما رؤيتكم حيال استمرار إسرائيل فى احتلالها لجنوب لبنان بدعوى حماية أمنها ضد المقاومة الوطنية اللبنانية ؟

ـ إسرائيل تبرر بقاءها فى جنوب لبنان على أساس أنه حزام أمنى لها، ولكنه بالتأكيد حزام غير شرعى، بل إنها ليست فى حاجة إلى تأمين أراضيها وهى التى لم تتوقف يوما عن الافتخار بقوتها العسكرية ودعم هذه القوة وتحديثها.. إسرائيل لديها ترسانة أسلحة تقليدية ونووية وهى على يقين فى قرارة نفسها بأنه لن يصيبها اعتداء من جانب لبنان حتى تحمى نفسها بحزام أمنى. إن جنوب لبنان أرض محتلة وعليها أن ترحل عنها حتى لا تكون هناك حاجة لوجود مقاومة وطنية فى تلك المنطقة، فوجود المقاومة رهن باستمرار احتلال إسرائيل للأراضى اللبنانية.

سؤال : نفس المنطق الذى تستخدمه إسرائيل فى لبنان تمارسه مع سوريا وتتعلل بعدم انسحابها من الجولان خشية على أمنها؟

ـ إننى أتساءل مَنْ من الطرفين أحق بالخوف على أمنه ؟! إسرائيل التى تتحدث وتتباهى بقوتها أم سوريا ؟! إن إسرائيل لا تتحدث إلا عن أمنها وتتجاهل عن عمد أمن الآخرين.. والمنطق يلزمها بأن تراعى أمن غيرها كما تراعى أمنها، ولو وجد السلام الشامل العادل لأمكن عندئذ تحقيق الأمن للجميع.

سؤال : بلغ التطرف بساسة إسرائيل حدا ذهبوا معه إلى أن العالم العربى يكن التقدير لإسرائيل ويحترمها بسبب إصرارها على مواقفها وتشبثها بكل ما تراه مصلحة حيوية لها؛ وهذا رغم الحملات التى تشن ضد إسرائيل وما تدبجه المقالات الصحفية من نقد؟

ـ العرب ممثلين فى الجامعة العربية احتجوا على تصرفات إسرائيل؛ فليس الأمر مجرد احتجاج من الصحف وإنما الانتقاد من كل القيادات العربية التى تحتج على سياسات إسرائيل وممارساتها فى المنطقة، أما كون العرب يحترمون إسرائيل لتمسكها بالأرض فهذا يعنى أن العرب يحترمون الاحتلال وليس من المعقول أن يحدث هذا. ويبقى السؤال: مَنْ من العرب عبر عن هذه المشاعر ؟! أم أنه ادعاء من إسرائيل بفحص القلوب وقراءة الأفكار!!

سؤال : هناك من ذهب إلى أن تجمع اليهود فى فلسطين بدأ منذ ثلاثمائة عام ولم يبدأ من اليهود وإنما بدأ من كنائس البروتستانت الأمريكية بناء على العقيدة المسيحية بأن المسيح لا يعود العودة الثانية إلى الأرض إلا إذا تجمع اليهود فى فلسطين ؟

ـ عقيدة المسيحيين فى عودة المسيح ثانية أو ما يسمونه المجىء الثانى للمسيح يرتبط بأمرين حسب تعاليم الإنجيل: هما القيامة العامة والدينونة العامة أو ما يسميه المسلمون البعث والنشور والحساب والعقاب.. ولا علاقة لكل هذا بتجمع اليهود فى فلسطين، والآيات التى تثبت مجىء المسيح للدينونة ومع القيامة كثيرة جدا فى الإنجيل.. بل هى أيضا جزء من قانون الإيمان المسيحى الذى تؤمن به كل كنائس العالم بما فى ذلك الكنائس البروتستانتية "PROTESTAN" ، وهؤلاء كان لهم نشاط فى أمريكا ابتداء من منطقة بنسلفانيا فى منتصف القرن الماضى ولهم اتجاهات يهودية وهم شهود «يهوه» من أسماء الله فى العهد القديم.. وهم شيعة تنكرها المسيحية وتنكر اتجاهاتهم اليهودية بسبب تعرضهم للتأثيرات اليهودية فى أمريكا.

سؤال : أسطورة البقرة الحمراء التى تروج لها إسرائيل حاليا وتربط بين ظهورها وقدوم المسيح المنتظر وهدم المسجد الأقصى والبدء ببناء هيكل سليمان ؟

ـ قصة البقرة الحمراء وجدت فى توراة موسى فى «سفر العدد» إصحاح ١٩، كمجرد ذبيحة تذبح وتحرق وتتحول إلى رماد ولا توجد أية إشارة على الإطلاق لعلاقة هذه الذبيحة بأواخر الأيام أو لعلاقتها بمجىء المسيح، كما أن ذبيحة البقرة الحمراء قد قدمت مرات عديدة وإذا كانت تشير إلى حدث معين ما كانت لتتكرر.. ولا يمكن أن نقول إن حدثا عظيما جدا مثل مجىء المسيح مرة ثانية إلى الأرض مرتبط ببقرة حمراء أو غير حمراء.. الإنجيل يذكر أحداثا جساما لها خطورتها تسبق مجىء السيد المسيح وليس الآن مجالها ولا البقرة الحمراء مجالها.. مثال ذلك مجىء من يسمى «بالمسيح الدجال» وهو ضد المسيح "ANTI CHHRRIST" والذى يضل كثيرين ويحدث فى عهده الارتداد العظيم ذلك لأنه يقوم بمعجزات معينة بقوة الشيطان وبخديعته، كما أن مجىء المسيح يرتبط بالقيامة وبالدينونة العامة وكلها أحدا ث لا يمكن أن ترتبط ببقرة حمراء. إذن أسطورة البقرة الحمراء كحدث

يشير به اليهود إلى مجيء المسيح أو إلى تحطيمهم للمسجد الأقصى وبنائهم للهيكل هو أمر لا سند له من الكتب المقدسة إلا إذا وجد فى كتبهم الخاصة التى يروج لها الحاخامات اليهود ويعطونها أهمية أكثر من كتب الوحى الإلهى.

سؤال: الرقم (٧) له دلالات عند اليهود؟

- اليهود لهم فى رقم (٧) دلائل معينة، ونحن نرى أن الحركة الصهيونية بدأت ١٨٩٧، وبعدها بعشرين عاما ١٩١٧ أخذوا وعد بلفور وإن ظل مستترا بعض الوقت، ثم فى ١٩٤٧ كان تقسيم القدس إلى شرقية وغربية وأخذوا جانبا منها وفى ١٩٦٧ كانت النكسة ودخولهم فلسطين وفى ١٩٩٧ الحالية نرى إجراءات نتنياهو العنيفة، وكلها سنوات تبدأ بالرقم (٧).

سؤال: لماذا رقم (٧)؟

هل له قدسية لديهم أم أنه يرمز إلى يوم السبت المقدس عندهم؟

- رقم (٧) له رموز كثيرة فى التوراة وله أهمية كبيرة جدا عند اليهود كما يتضح مما يلى:

تقديسهم لليوم السابع من الأسبوع فلا يعملون فيه أى عمل.

تقديسهم للسنة السابعة بحيث لا يحدث فيها زرع ولا حصاد ويقولون فى ذلك إن الأرض تسبت «سفر اللاويين ٢٥ : ٣، ٤» وأيضا فى السنة السابعة يطلقون العبيد أحرارا فيستريحون هم أيضا كما تستريح الأرض وكما يستريح اليهود فى اليوم السابع «سفر الخروج ٢١ : ٢».

والشهر السابع عندهم يبدأ بيوم عطلة بيوم هتاف ومحفل مقدس «سفر العدد ٢٩ :١».

وعيد الفطير عندهم يعيدون له سبعة أيام «سفر الخروج ١٢».

عند تدشين الهيكل عيد سليمان لهذا الحدث الكبير سبعة أيام وسبعة أيام أخرى «سفر الملوك الأول ٨ : ٦٥».

وفى الأمور المهمة فى تقديم الذبائح كثيرا ما كانوا يقيمون سبعة مذابح يقربون عليها سبع ذبائح «سفر العدد ٢٣».

ولمغفرة خطية أصحاب أيوب صدر الأمر بأن يقدموا سبعة ثيران وسبعة كباش محرقة للرب «سفر أيوب ٤٢ :٨»، وواضح أيضا أنه فى قصة يوسف الصديق رأى فرعون حلما فيه

سبع بقرات سمان وسبعاً نحافا وأيضا سبع سنابل ممتلئة وسبع سنابل نحيفة، وكان هذا يرمز إلى سبع سنوات شبعا وسبع سنوات عجافا وجوعا «سفر التكوين ٤١» وهذا يطابق ما ورد عن نفس القصة فى سورة يوسف فى الآيات من (٤٢ـ ٤٨).

وفى قصة الفتية الثلاثة القديسين الذين ألقاهم الملك «نبوخذ نصر» فى النار؛ لأنهم لا يعبدون آلهته، أمر أن تحمى النار سبعة أضعاف أكثر مما كان معتادا أن تحمى «سفر دانيال ٣: ١٩» كذلك من الملاحظ أن السرج فى خيمة الاجتماع كانت سبعة، وكما أن الرقم سبعة له أهمية فكذلك مضاعفاته مثل: الرقم سبعين فمعروف أن موسى النبى اختار سبعين شيخا لمعاونته «سفر العدد ١١». وهذا يطابق ما ورد فى سورة الأعراف الآية ١٥٥ .. كذلك كان الرقم يدل على الكمال، كما سئل السيد المسيح من أحد تلاميذه: إلى أى حد أغفر لأخى إن أخطأ هل إلى سبع مرات ؟ فأجابه المسيح إلى سبع مرات سبعين مرة، ونلاحظ ما يشبه ذلك فى سورة التوبة الآية ٨٠ «إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم» وليس المقصود الحرفية من جهة العدد وإنما دلالته.

سؤال : بعض حاخامات إسرائيل وجهوا دعوة أخيرا من أجل عقد حوار بين رجال الديانات الثلاثة.. وأتساءل ما رؤيتكم حيال هذه الدعوة؟.. وهل تقبلون بمبدأ الحوار ؟

ـ مبدأ الحوار بصفة عامة مقبول، ولكن المهم هل ما يعرضه هذا الحاخام أو ذاك هل هو حوار دينى أم حوار سياسى أم أى حوار آخر ؟ فإن كان حوارا سياسيا فهذا يعنى أن الحاخامات متدخلون فى الشئون السياسية فى بلادهم، وإن كان حوارا دينيا فهل قلوبهم متفتحة للمناقشة فى عقائدهم وبخاصة مع أديان أخرى لا يعترفون بها ؟ إننى أسأل؛ ولذلك يستحسن إذا تقرر حوار أن تعرض أولا النقاط التى يرغبون الحوار فيها، والذى أعرفه أن الحوار حاليا لا يدخل فى الخلافات العقائدية إنما يتناول المساحات المشتركة بين الأديان التى يمكنهم النقاش فيها أو الموضوعات التى يمكن التعاون فيها كأن يوجد حوار مثلا حول الأخلاقيات أو المشاكل التى تهم المجتمع الإنسانى بصفة عامة.

سؤال : مع عرض الحوار طالبوا بفتاوى من رجالات الدين تدين الإرهاب والذى يحصرونه فى العمليات التى يقوم بها الفدائيون الفلسطينيون ضدهم؟

ـ عرض الحوار بهذا الشكل يعنى أن الإسرائيليين يريدون إفتاء يسندهم فى سياستهم؛ وإلا فلماذا لا يضم إلى هذا ا لموضوع الاعتداء على المساجد.. ومذبحة المسجد الإبراهيمى؟! ولماذا لا يضم إليه الصور التى أهانوا بها المسلمين والمسيحيين فى مقدساتهم ؟! ولماذا لا يضاف أيضا طرد الفلسطينيين من بلادهم وأرضهم وهدم بيوتهم إلى آخر هذه النقاط ؟! أما أن يكون الحوار مقصورا على قضية واحدة تخدم طرفا واحدا، فهذا لا يدل على أن الحوار حر وإنما هو حوار موجه إلى نتيجة يريدها أحد الأطراف.

سؤال : ولكن هل يمكنكم القبول بالحوار؟

ـ يمكن أن يكون الحوار فى هذه الموضوعات التى تشيرين إليها الآن، ثم إن هناك نقطة أخرى ما نتيجة الحوار ؟ وهل ما يقرره رجال الدين المتحاورون يكون له تأثير أم هو كلام لشغل الوقت وللدعاية بأن هناك تفاهما بين رجال الدين من كل الأديان وأنه لا خلاف بينهم، وعموما أنا لم يصلنى أى خطاب للحوار، فبهذا أكون خارج الموضوع تماما، وكلامى هو مجرد التعليق لا أكثر ولا أقل.

سؤال : هناك من يقول بأن رؤية «النبى دانيال» حول إعادة دولة داود باتت جزءا من عقيدة المسيحيين، وهذا سر مساعدتهم لإسرائيل بالمال والدعم والتأييد؟

ـ السؤال يشمل نقطتين :

الأولى: هى نبوءة دانيال وهى لا تتعلق إطلاقا بإعادة مملكة داود، وإنما يتخذها المسيحيون نبوءة عن أواخر الأيام وعن مجىء المسيح الثانى، أما مملكة داود سياسيا فقد انتهت منذ ميلاد المسيح، ولا يشير الكتاب المقدس إطلاقا إلى عودة مملكة فى الأراضى المقدسة التى أسس فيها داود النبى مملكته الأولى؛ لأنه فى العصر الوثنى لم يكن غير اليهود يعبدون الله، أما الآن وقد انتشر الإيمان بالله فى أرجاء العالم كله واختفت الوثنية وأصبحت الديانات البدائية قلة لا تقاس بسكان العالم كله، فإن فكرة مملكة داود لا معنى لها على الإطلاق إلا لو كانت مجرد رمز لملكوت الله فى العالم أجمع، وما أكثر الرموز فى الكتاب المقدس.

سؤال : هذا هو الشق الأول من السؤال ويبقى الشق الثانى؟

ـ هل المسيحيون يشجعون اليهود وهل التشجيع لهذا الغرض؟ إن البلاد المسيحية كثيرة ولا نستطيع أن نقول إن كل مسيحيى العالم يشجعون اليهود، فهناك من يقف ضدهم، ولعل ما يثبت هذا أن كثيرا ما حكم مجلس الأمن ضد اليهود وكان أغلبية أعضائه من المسيحيين، وأيضا هناك القرار (٢٤٢) لمجلس الأمن الخاص بعدم جواز الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة بما يعنى إنهاء الاحتلال اليهودى، فلقد قرره أعضاء مسيحيون، إذن عبارة أن المسيحيين يشجعون اليهود عبارة غير سليمة أو على الأقل غير دقيقة. فربما تقصدين الولايات المتحدة التى تقف إلى جوار اليهود وتستخدم حق الڤيتو لحمايتهم. وهنا نضع أمامنا نقطتين: الأولى أن الأمريكيين ليسو كل المسيحيين، والثانية أن أمريكا تشجع اليهود؛ لأسباب سياسية وأسباب تتعلق بالانتخابات وأصوات اليهود فيها وكل هذا لا علاقة له بنبوءة النبى دانيال.

سؤال : ما رؤيتكم حيال تحريض بعض الحاخامات فى إسرائيل ومطالبتهم علنا بتفجير المسجد الأقصى ؟

ـ هذا الأمر ليس بجديد؛ فاليهود من أهدافهم الأساسية بناء الهيكل، وهم يظنون أن المسجد الأقصى بنى على أنقاض الهيكل، وقد نبهنا مرارا إلى هذه النقطة، وقد قاموا من قبل بحفريات تحت المسجد الأقصى لكى يتأكدوا من أنه بنى على أنقاض هيكل سليمان.

سؤال : هم يربطون تفجير المسجد الأقصى بمجىء المسيح للمرة الثانية وبناء الهيكل ؟

ـ هم لا يعتقدون بمجىء المسيح للمرة الثانية؛ لأنهم لا يعتقدون بمجيئه الأول، فانتظارهم لمجىء المسيح هو انتظار للمجىء الأول للمسيح، وهذا الأمر لا علاقة له إطلاقا بهيكل سليمان؛ لأن هيكل سليمان فى مدينة أورشليم أى القدس، وكل نبوءات العهد القديم الذى يؤمن به اليهود توحى بأن السيد المسيح سيولد فى بيت لحم وليس فى أورشليم. إذن لا علاقة لمجيئه ببناء الهيكل.

سؤال: ما رؤيتكم حول الفاتيكان وحملة البابا يوحنا بولس الثانى من أجل تطهير الذاكرة المسيحية من التزامها الصمت عما حاق باليهود على يد النازى؟

ـ ما يقوله الفاتيكان يسأل عنه الفاتيكان.

سؤال : وماذا عن مطالبة اليهود للمسيحيين بالاعتذار لهم عما حل بهم فى الماضى؟

ـ لقد سمعت عن ذلك، وفى الواقع إننا لو تعودنا الاعتذار عما حدث فى الماضى لأصبح الأمر معقداً جداً.. فهل مثلا نطالب اليهود بالاعتذار عما فعلوه بالسيد المسيح والأنبياء قديما؟! وهل يطالب اليهود الرومان بالاعتذار عن هدم الهيكل فى أورشليم سنة ٧٠ ميلادية؟ وهل كل دولة من دول العالم ستطالب دولا أخرى بالاعتذار عما حدث من حروب قديمة ضدها؟ وإذا مضى الوضع على هذه الحال فلن نجد له حدودا. أما أحداث التاريخ فهى موضع تحقيق العلماء يبدون فيها آراءهم على ضوء الوثائق والحقائق، ومع أن الثورة الفرنسية قد أرست مبادئ العدل والإخاء والمساواة؛ إلا أننا لا يمكن أن ننسى المذابح التى حدثت أيام «روبسبيير»وكانت ضد العدل تماما؛ فهل نطالب فرنسا اليوم بالاعتذار عن كل ماحدث من «روبسبيير» وأعوانه؟ نقول هذا بغض النظر عما حدث لجارودى فهذا موضوع آخر.

سؤال : غالبا ما تلجأ إسرائيل إلى انتهاك حقوق الإنسان واستخدام العنف ضد الفلسطينيين بدعوى الحفاظ على أمن الدولة.. ما رؤيتكم؟

ـ هنا نسأل: هل كان الاعتداء على المسجد الإبراهيمى حفاظا على أمن الدولة ؟! وكيف كان ذلك ؟ وهل كان اعتداؤهم على دير السلطان وتسليمه للأحباش حفاظا على أمن الدولة؟ بينما المحكمة اليهودية العليا أدانت رجال الشرطة الإسرائيلية فى هذا الأمر وبقى الوضع كما هو لم يتغير، إن أمن الدولة بالنسبة لأية دولة يمكن أن يتحقق بطرق غير دموية وبطرق بعيدة عن العنف، أما عبارة استخدام إسرائيل للعنف حفاظا على أمن الدولة التى ترونها ترد فى تصريحات الأمريكيين فيبدو أن هدفها تبرئة اليهود من أجل الحفاظ على مساندتهم فى الانتخابات الأمريكية القادمة.

سؤال : قد يطرح البعض فكرة إنشاء محكمة دولية لحقوق الإنسان تتبنى قواعد محايدة على مستوى العالم تحاكم الجميع وفق مسوغات أخلاقية ؟

ـ مَن الذى ينشئ هذه المحكمة الدولية ومن يكون أعضاؤها ؟ وما السلطة التى تكون فى يدها لتنفيذ الأحكام؟ لأنه إن لم يكن لأى محكمة فى العالم ـ تصدر حكما ـ القوة لتنفيذ هذا الحكم فلن يكون لها سلطان، ونحن أمامنا أمثلة فى القرارات الدولية التى أصدرتها هيئات دولية كبرى ضد الاحتلال الإسرائيلى منذ ١٩٦٧، ولا تزال هذه القرارات بلا تنفيذ على الإطلاق مع أنها صدرت من الأمم المتحدة وقرا رات مجلس الأمن إنما هى مسألة قوة تسند أى قرار وأى حكم إلا إذا اعتبرنا أن أحكام المحاكم لها مجرد الصفة الأدبية والمعنوية دون أى إجراء عملى.

سؤال : هذا يسوقنا إلى الوضع فى العالم العربى وعملية السلام التى وصلت إلى التعثر بعد العراقيل التى تضعها إسرائيل أمامها؟

ـ سيظل الوضع على ما هو عليه من تعثر وجمود مادام العرب على انقسامهم وتفرقهم؛ فانقسام العرب يشجع إسرائيل على تبنى كل السياسات المعوقة للسلام ويجعلها أكثر اجتراء على العرب بحيث لا تعمل لهم حسابا، إن كل ما يحدث لنا فى المنطقة هو نتيجة طبيعية لسياسة العرب وعدم توحدهم وشيوع الفرقة بين صفوفهم؛ ولهذا فإن قوة العرب فى وحدتهم والصوت المسموع هو صوت المجموع لا صوت الفرد.

سؤال : إسرائيل أوصلت السلام إلى طريق مسدود بتنصلها من تنفيذ كل الاتفاقات وهذا رغم المفاوضات التى مازالت تعقد بين الفلسطينيين وبينها ؟

ـ كل ما تفعله إسرائيل فى الوقت الراهن تستهدف بواسطته إضاعة الوقت، والتفاوض ليس إلا مظلة لإثبات أنها تعمل من أجل السلام بينما هى فى الحقيقة أبعد ما تكون عن ذلك، وأكبر مثال على ما أقول خطتها فى القدس التى صادقت عليها حكومة نتانياهو فى يونيو ١٩٩٨ والتى ترمى إلى توسيع وتطوير المدينة بصورة يجرى معها تهويد المدينة وطرد العرب واستئصال أراضيهم، وكما سبق أن قلت لك فإنه فى ظل الوضع الراهن والتطورات الحالية فإن إسرائيل قد صادرت القدس قلبا وقالبا.

سؤال : ما الذى يتعين على العرب عمله الآن؟

ـ إسرائيل فى الأساس وفى كل تحركاتها تعتمد على ضعف العالم العربى، وعليه فإن إسرائيل لن تتراجع عن سياساتها الراهنة ولن تلتزم بتنفيذ الاتفاقات إلا إذا شعرت بأن هناك موقفا عربيا قويا يجابهها، فطالما شعرت بأن العرب يخشونها فهى تزداد تعنتا وتمعن فى وضع العراقيل أمام السلام؛ ولهذا على العرب أن يقضوا على الفرقة والانقسام وأن تكون هناك اتصالات دائمة بينهم من أجل تنسيق المواقف ووحدة الكلمة.

سؤال : يؤكد ساسة إسرائيل بأنها هى أقوى دولة فى المنطقة وتعرف كيف تدافع عن نفسها وأتساءل ألا يتناقض هذا مع نظرية الأمن التى تتعلل بها إسرائيل دوما وتجعلها مبررا لعدم الانسحاب من الأراضى العربية؟

ـ نعم هناك تناقض بالفعل؛ إذ كيف يمكن لدولة أن تفتخر بقوتها وترى أنها أقوى دولة فى المنطقة ثم لا تلبث أن تتحدث عن خشيتها على أمنها وتوجسها من دول المنطقة، وعلى حين تبرر إسرائيل تعنتها وسياساتها التوسعية بذريعة الأمن.. أمنها فهى لا تكترث بأمن غيرها. يجب على إسرائيل أن تعلم أن تحقيق السلام يتطلب مراعاة أمن الجميع، وإذا تحقق السلام أمكننا أن نضمن عندئذ الأمن والاستقرار، والسلام يعنى أن تنسحب إسرائيل من كل الأراضى العربية المحتلة فى فلسطين وسوريا ولبنان.

سؤال : على ذكر القضية الفلسطينية وعد عرفات بإعلان الدولة الفلسطينية المستقلة، وترى إسرائيل أن هذا خطوة أحادية الجانب؟

ـ أنادى دائما وباستمرار بوجوب قيام دولة فلسطينية مستقلة؛ فمن حق الفلسطينيين أن تكون لهم دولتهم المستقلة ذات السيادة، والغريب هو ما تقول به إسرائيل من أن الخطوة أحادية؛ ذلك أن محصلة الاتفاقات تؤدى إلى قيام الدولة؛ وعليه لم يتخذ الفلسطينيون خطوات أحادية بل العكس هو الصحيح، فإسرائيل هى التى تكثف وتطور الاستيطان، وإسرائيل هى التى قامت وتقوم بتهويد القدس، وإسرائيل هى التى تعرقل عملية السلام على كل المسارات بعنادها وتشبثها بأرض غيرها، أرض كان من المفروض أن تكون قد انسحبت منها منذ صدور قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ – ٢٣٨ .

سؤال : الديانة اليهودية لم تعد مسألة لاهوتية بعد أن تحولت إلى ممارسة سياسية وعسكرية على الأرض على حساب الحق العربى ؟

ـ بدلا من أن تقولى الديانة اليهودية قولى الدولة اليهودية؛ فتصرفات إسرائيل هى تصرفات سياسية تماما وإن كان الدين له سلطة فيها، فهذا ينفى عبارة أنها لم تعد مسألة لاهوتية، ولكن حدث بالنسبة لإسرائيل امتزاج الدين مع السياسة لتحقيق هدف واحد.

سؤال : وسط هذا تظهر إسرائيل عنصر إرهاب وهيمنة وسيادة وتسلط فى المنطقة ؟

ـ وهل بكاؤنا على الأحداث سيصلح الأحداث ؟! بالطبع لا؛ وعليه لابد لنا من أن نتبنى التفكير الإيجابى والمنطق السديد والإيمان بعدالة قضيتنا؛ لنصل إلى ما نريد من سلام مأمول وحياة زاخرة بالخير والنماء.

سؤال : مركز القوة فى إسرائيل اليوم هو اليمين الدينى المتطرف، فرغم أن إسرائيل تعامل الدين والسياسة على أنهما أمر واحد فلقد نجح أسلوب الدولة الدينية فى إسرائيل ؟

ـ من قال إنه نجح ؟!

سؤال : إسرائيل تحرز مكاسب كل يوم !!

ـ هل تظنين أن السخط العالمى على سياسة إسرائيل يعتبر مكاسب؟! وهل تظنين أن ما يحصل عليه الإنسان عن طريق الاغتصاب والعدوان هو أيضا مكاسب؟! علما بأنه يوجد فى إسرائيل معارضة للسياسة القائمة من قبل الإسرائيليين المعتدلين؛ إنما الذى يحدث فى إسرائيل هو عمل سياسى بحت بضغط القوة العسكرية والتهديد بها وبضغط الڤيتو ، ولا أعتقد أن هذا يمثل نجاحا ـ فهو مثل أى طغيان سياسى حدث من قبل، مثل أيام هتلر ونابليون وانتهى أمره بمرور الوقت؛ لأن الواقع العالمى ما كان ليقبله ، ويقول المثل : «ما طار طير وارتفع ، إلا كما طار وقع».

سؤال : على ذكر القدس أتساءل هل القدس وصهيون مكانان محدودان على الأرض لسكنى اليهود أم أنهما مكانان سماويان مفتوحان أمام كل المؤمنين بالله ؟

ـ أحيانا كلمة «أورشليم» ترمز إلى ملكوت الله أو ما يسمى بأورشليم السمائية أى ملكوت الله ،ولا علاقة لها بالوضع الجغرافى لأورشليم على الأرض.

سؤال : وماذا عمن يروج لمعتقد يقول بأن اليهود سيتحولون إلى المسيحية بمجرد الظهور الثانى للمسيح؛ لأنهم سيعتبرونه واحدا منهم، وأن من مستلزمات هذا الظهور الثانى عودة اليهود إلى البلد الذى منحهم الله إياه عبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ؟

ـ رجوع اليهود إلى المسيحية شىء ممكن، أما أن يكون ذلك عند مجىء المسيح الثانى فهذا خطأ؛ لأن المجىء الثانى سيكون فى نهاية العالم والقيامة والدينونة.

سؤال : إذن العودة إلى المسيحية مرتبطة بأى شىء ؟

ـ مرتبطة بآية فى الكتاب تقول: «املأ وجوههم خزيا؛ فيطلبون اسمك يارب» ـ يعنى ينهزمون فيطلبون الله.

سؤال : هناك تأويل يقول بالواقع الأرضى لمملكة الله وبوعد الله المقدس لليهود بوكالتهم عن الله فى إقامة مملكته وبالعودة الثانية للمسيح ؟

ـ السيد المسيح ألغى المملكة الأرضية وقال عبارته المشهورة: «مملكتى ليست من هذا العالم».. وأراد إقامة مملكة روحية فيها يملك الله على قلوب الناس وأفكارهم وحياتهم وهذا المعنى الروحى لم يقبله اليهود الذين كانوا ينتظرون مسيحا سياسيا قائدا عسكريا ينقذهم من حكم الرومان وقتذاك وليس المسيح الوديع الهادئ الذى يقول: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله».. وعبارة تأسيس مملكة على الأرض هى عبارة سياسية فى طموح اليهود لا تعتمد إطلاقا على أى معنى دينى، ومن غير المعقول أن يكون لله مملكة من خمسة ملايين يهودى ويترك مليارات النفوس الأخرى التى تعبده.

إسرائيل والعرب

- الصهيونية عنصرية وهى معتقد يهودى يؤمنون به ؛ فالعنصر الدينى والعنصرية موجودان لدى إسرائيل .

- إسرائيل دولة دينية وتكوينها دينى وهذا لا يخيف، ما يخيف أمور ثلاثة :

التفوق العسكرى ؛ عدم وحدة العرب، مساندة أمريكا لإسرائيل.

- حينما استرجعنا سيناء لم تقف المستوطنات عقبة أمامنا بل قامت إسرائيل بهدمها من تلقاء نفسها.

ولو وجدت إسرائيل أمامها قوة عربية متماسكة لما شرعت فى بناء مستوطنات . ما يشجعها أنها لا تُجابه عربيا إلا بمواقف استنكارية لفظية.

سـؤال : تبقى إسرائيل على تصريحات تؤكد خلالها استحالة العودة إلى حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ ؛ حيث إنها حدود من وجهة نظرها لايمكن الدفاع عنها ويشمل هذا القدس وأراضى عربية أخرى محتلة ؟

- مصلحة إسرائيل كما قلت فى السلام وفى أن يسود الاستقرار المنطقة، والعرب مطالبون بوحدة الكلمة، لأن إسرائيل تستغل انقسامهم وفرقتهم وتمعن فى هذه التصريحات، ولو كانوا وحدة واحدة قوية ما استطاعت إسرائيل أن تقول هذا.

- إننى أدعو العرب إلى وضع استراتيجية عامة يلتزم بها الجميع بحيث تصبح الخطوة الأولى لإحراز التضامن العربى، ففى وحدة العالم العربى قوة تحمى المنطقة من أن تستغل من قبل إسرائيل..

سؤال : تمكنت إسرائيل بمساعدة أمريكا من إلغاء قرار الأمم المتحدة الذى كان قد صدر عام ١٩٧٥ والذى يجعل الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية.. هل يستقيم الإلغاء مع تشبث إسرائيل بالأراضى العربية وممارساتها فى الأراضى المحتلة ؟

ـ الصهيونية عنصرية أمر لايشك فيه أحد، ولا نستطيع أن ننكر هذا ولكن الصهيونية تجرى فى دماء اليهود؛ ولأنه إذا لم تكن عنصرية فما معنى المناداة بعبارة شعب الله المختار؟ وما معنى تسمية باقى الشعوب بالأمم Gemtiles الصهيونية ليست قرارا من الأمم المتحدة وإنما هى معتقد يهودى يؤمنون به سواء صدر قرار من الأمم المتحدة أم لم يصدر.

● المقاطعة العربية لإسرائيل :

سؤال : زوال الظلم هو الذى يؤدى إلى إحلال الوضع الطبيعى والمنطقى وفقا لهذه المقولة؛ أتساءل ما وجهة نظركم بالنسبة للمقاطعة العربية لإسرائيل ؟ هل لابد من رفعها رغم أن إسرائيل ما تزال تحتل الأرض وتوقع الظلم بأصحابها ؟

البابا شنودة: «نحن كأقباط لم يتغير موقفنا منذ خمس وعشرين سنة حتى الآن، بل منذ عام ١٩٤٨ فالسياسة بالها طويل ، ونرى أنه على المدى الزمنى يمكن حل بعض الأمور. فهل الأصلح هو المقاطعة الكاملة أم الصلة والتفاهم ؟ السياسة ترى الصلة والتفاهم ولو أن التفاهم مع إسرائيل ليس سهلا.. فالأمر يحتاج إلى صبر وأناة لكى يصل الإنسان إلى ما يريد الوصول إليه.. كما أن الأمور السياسية معقدة لاتصالها بأطراف عديدة وتدخل دول عديدة أيضا فى هذه الموضوعات، ولكن فليجاهد كل طرف بالقدر الذى يستطيعه *سواء بالصلة أو بالتفاهم أو بالمقاطعة أو بالاتصال بدول أخرى تكره الوضع الإسرائيلى ولا ترضى عنه».*

سؤال : أذكر المقاطعة على أساس أن الموقف المبدئى للكنيسة القبطية يؤكد ضمنا ضرورة استمرار المقاطعة إلى أن تنسحب إسرائيل ؟

البابا شنودة: المسألة ليست فى مبدأ المقاطعة إنما فى النتيجة التى يمكن أن توصل إليها المقاطعة، فإذا كانت إسرائيل معتدة بقوتها وتصر على نوع من التشبث بما هى فيه دون قبول للرأى الآخر؛ فهنا ينبغى أن نضع فى أذهاننا نفسية من نقاطعه وأسلوب التعامل معه بحيث إنه قد توجد المقاطعة فى الوقت الذى تجرى فيه المفاوضات للوصول إلى حل وإنهاء المقاطعة.

سـؤال : إسرائيل تصر على نوع من القهر المستمر للعرب وتعتمد على القوة والتسلح الدائم أساسا وأرضية للمساومة رغم أن هذا لا يتفق مع مبدأ السلام والتـوازن ؟

البابا شنودة: أيضا تفكك العرب لا يتفق مع مبدأ مقاومة إسرائيل، فكما ننظر إلى إسرائيل وضرورة ألا تستخدم العنف والقهر ينبغى أن ننظر إلى العرب وضرورة ألا يكونوا منقسمين على بعضهم البعض انقساما تستغله إسرائيل؛ لأنهم إن فعلوا ذلك لكانوا مثل الغزال فى المثل الذى يقول: «لا تلم الأسد إذا أكل الغزال، ولكن نلوم الغزال إذا وضع رأسه فى فم الأسد» ينبغى أن تكون لنا القوة التى يحترمها الغير فلا يغير عليها، قوتنا فى تضافرنا.

سـؤال : التسميات التى تتمسك بها إسرائيل حتى الآن هى التسمية التوراتية القديمة ومن ذلك يهودا والسامرا بدلا من الضفة الغربية، بل إن ما يخشاه البعض مستقبلا أن تتشبث إسرائيل بالضفة بوصفها إرثا دينى ؟!

ـ لم تكن الضفة مدرجة فى التقسيم القديم وكذا سيناء؛ لذا أمكن لإسرائيل أن تتنازل عن سيناء، ويمكنها اليوم أن تتنازل عن الضفة الغربية، غير أن الضفة ترى فيها مسألة سياسية أمنية، فإسرائيل تخشى أن يوجد بجوارها دولة معادية لها مما لا يتفق مع الأمن الإسرائيلى كما يقولون، تماما مثلما حدث فى جنوب لبنان عندما وضعت إسرائيل يدها على ما أسمته حزاما أمنيا لها، فالعنصر الدينى والعنصرية موجودان لدى إسرائيل، أما مسألة الضفة الغربية فأهميتها لإسرائيل أمنية.

سـؤال : ولماذا الإصرار على تسميتها بيهودا والسامرا ؟

ـ تسمية قديمة، فمازال الماضى القديم يعشش فى عقل إسرائيل، أيضا «أورشليم» وهى

التسمية القديمة للقدس وتعنى مدينة السلام، فالأسماء القديمة تدل على أنهم يتمسكون بتاريخهم القديم، ومجرد سكناهم فى فلسطين هو نوع من التمسك بالتاريخ القديم.

سؤال : على ذكر القدس أتساءل ما وجهة نظركم فى التصريح بأن القدس عاصمة إسرائيل الموحدة وبأنها لا تدرج كجزء من الأراضى العربية المحتلة ؟

ـ إسرائيل تقيم القدس كشىء جوهرى، وما كان يجب على أمريكا أن تذهب إلى هذا الحد لمجاملة إسرائيل، وما كان يجب على أمريكا أن تصرح بذلك ولعل التراجع عن التصريح فيما بعد من جانب الإدارة الأمريكية يدل على أنه لم يكن لهم أن ينجرفوا إلى ذلك أبدا، وأنهم بهذا التصريح قد أساءوا إلى كل الدول العربية وتجاهلوا شعور المسلمين فى العالم أجمع، ولهذا عاد كلينتون فيما بعد ليصحح الخطأ ويقول بأن مسألة القدس تدرج كقضية فى الحوار السياسى.

سؤال : بينما تعمد دول إلى إقامة فروق بين الدين والسياسة وبين الدين والأيديولوجى، فإن إسرائيل تعامل الأمرين على قدم المساواة وكأنهما شىء واحد ؟ ؟

ـ مادامت دولة دينية فإن الإيديولوجى الخاص بها سيكون دينيا؛ ولعل هذا نتيجة طبيعية لتكوين الدولة، فتكوين دولة إسرائيل تكوين دينى.

سؤال : ألا يشكل هذا خطرا فى المستقبل على الدول المجاورة لإسرائيل، خاصة مع ما تحاوله هذه الدول من تحجيم تدخل الدين فى الدولة ؟

ـ أفكار إسرائيل الدينية أو أنها دولة دينية لا يخيف، المخيف حقا أمور ثلاثة: التفوق العسكرى، وعدم وحدة العرب، ومساندة أمريكا لإسرائيل، فهذا هو المخيف وليس لأن إسرائيل دولة دينية .

سؤال : ولكن الدول المجاورة ليست بها أحزاب دينية وتحاول بقدر الإمكان الفصل بين الدين والسياسة ؟

ـ الأحزاب الدينية فى إسرائيل لا تخيف؛ لأنها غالبا تمثل الأقلية ولا يشكل الحكومة إلا

حزب الأغلبية ويتضامن مع أقلية برلمانية، وعامة فإن الأحزاب الدينية فى إسرائيل لا تمثل رأى الدولة .

سـؤال : ولكنها تشكل عنصرا ضاغطا على الحكومة ؟

ـ ليكن، ولكن حزب الدولة الحاكم ليس حزبا دينيا وهذا لا يخيفنا، المخيف كما قلت الأمور الثلاثة التى ذكرتها آنفا. أما كونها دينية أو غير دينية فمسألة لا ترهقنا ولا تسبب لنا أى إزعاج؛ فنحن نتعامل مع دول تختلف كثيرا معنا فى الدين، وفى وقت من الأوقات وأيام عبد الناصر كان لنا اتفاق مع روسيا رغم إنها تخالفنا فى ديننا، وكنا نشارك فى مجموعة دول عدم الانحياز وفيها الهند وغيرها، فالناحية الدينية ليست أساسا للخوف، ولو أن إسرائيل كان لديها الاتجاه الدينى فقط ولم تكن لها تلك القوة العسكرية الضاربة، أو الدعم الأمريكى الكبير ما كانت لتمثل أى خطر بالنسبة لنا.

سـؤال : فما بالكم وهى تجمع بين هذا كله ؟

ـ صعوبة الناحية الدينية لدى إسرائيل ستتجلى فيما لو أرادت إعادة بناء الهيكل، ودخلت فى صراع دينى سياسى مع العرب من جهة موقع الهيكل، هنا تكون الناحية الدينية قد سببت مشكلة سياسية أو حربية فى هذا الموضوع بالذات، ولكن ليست كسياسة عامة، وإنما فى هذا الموضوع بالذات.

سـؤال : هل يعنى هذا أنه وارد؟

ـ نعم وارد .

سـؤال : على حين تحاول إسرائيل تعميق النعرة الدينية اليهودية نراها تلصق صفة التطرف والإرهاب بدول الجوار، ألا يعتبر هذا نوعا من الصراع العقائدى؟

ـ إسرائيل هى آخر دولة يمكن أن تتهم الآخرين بالتطرف أو الإرهاب؛ لأن الوصف مرتد إليها، بل إن عملية المسجد الإبراهيمى هى أكبر شاهد على ذلك. وأتساءل أو ليست هذه عملية إرهاب بشعة ؟ وما الذى يمكن أن نطلقه على مقتل أضعاف أضعاف من قتل فى المذبحة من الفلسطينيين على يد قوات الأمن الإسرائيلية ووحداتها الخاصة؟ أو ليست

عمليات إرهاب وحشية؛ ومن ثم فمسألة الإرهاب يمكن أن تنتقدها أو تحاربها دول أخرى خلافا لإسرائيل، فإسرائيل بالذات ليس لها أن تنتقد أو تصوب اتهامات للآخرين، ففيما يتعلق بالإرهاب إن إسرائيل مردود عليها بما يحدث فيها.

سؤال : دعا شيمون بيريز إلى تحسين العلاقات بين الأديان.. وأتساءل: هل مازال العامل الدينى يشكل الجانب غير المرئى بالنسبة للنزاع فى المنطقة بين العرب وإسرائيل؟

البابا شنودة : عبارة تحسين العلاقات بين الأديان عبارة تحتاج إلى تصحيح؛ فالمسألة ليست بين الأديان وإنما بين المعتنقين لهذه الأديان. فشيمون بيريز لا يستطيع أن يتكلم عن الأديان وإنما عن التابعين لها.. ونتساءل: هل تحسين هذه العلاقات يكون على أساس سياسى أم دينى؟ لا أظن أنه على أساس دينى وإنما على أساس سياسى أو اقتصادى، وهو لم يذكر لنا كيف تتحسن هذه العلاقات على أساس سياسى أم اقتصادى بينما كثير من الأراضى العربية مازالت محتلة ؟ فكيف يمكن أن تتحسن العلاقات فى ظل هذا الاحتلال ؟ إن هذا يجافى القانون ويتعارض مع منطق الأشياء.

سؤال : فى معرض التطرق إلى الموروث الدينى، أتساءل: هل المسيحية تسمح وتحبذ إقامة علاقات مع إسرائيل؟

البابا شنودة : المسيحية تدعو إلى السلام مع جميع الناس، ولكن المهم ما قواعد هذا السلام وما طرقه؟ هذا هو السؤال. وكيف يمكن قيام سلام مع دولة وهى مازالت تحتل أرض مَنْ تريد عقد السلام معهم ؟ !!

سؤال : جاء عقد القمة الثلاثية بالإسكندرية عام ١٩٩٥ بمثابة مظاهرة تأييد ودعم للمسار السورى فى عملية السلام مع إسرائيل.. ما رؤيتكم، خاصة وأنه لم يُحرز تقدم حتى الآن ؟

البابا شنودة : ما يؤكده الواقع أن سوريا تقف موقفا يثير الاحترام والإعجاب، فهى لا تفرط فى شبر من أراضيها ولا تقبل سلاما إلا بعودة كل الجولان إليها وهذا من حقها؛ لأن الأرض أرضها ولابد أن تستعيدها بالكامل غير منقوصة

طبقا للشرعية الدولية، فاحتلال إسرائيل للأراضى العربية يشكل خرقا واضحا لمبادئ القانون الدولى وانتهاكا صارخا للشرعية الدولية. إن ما تطالب به سوريا ينسجم مع هدفها الرئيسى وهو مبدأ إعادة الأرض مقابل السلام وتطبيق مبادئ القانون الدولى وعدم إضفاء الشرعية على احتلال أراضى الغير بالقوة والتوصل إلى تحقيق السلام العادل والشامل على أساس إنهاء الاحتلال الإسرائيلى.. أما المشكلة فتكمن فى أن المطالبة بالسلام واستعادة الأراضى قد أتت بعد بناء كثير من المستوطنات اليهودية هناك، ونرجو أن تحل هذه المشكلة.

سؤال : هذا يستدعى محاولة توسيع مستوطنة «إفرات» وغيرها من المستوطنات فى الضفة الغربية وعدم حسم هذه القضية ؟

البابا شنودة : الاتفاق الذى وقع بين الفلسطينيين وإسرائيل يلزم الأخيرة بوقف توسيع المستوطنات والبناء على الأراضى العربية؛ وعليه فإسرائيل مطالبة بوقف عملية البناء، لأن هذا يتناقض مع الاتفاق نصا وروحا ويتنافى مع مبدأ الأرض مقابل السلام.

سؤال : القدس تظل نقطة استعصاء مع استمرار إسرائيل فى الحديث عنها كعاصمة أبدية موحدة لها ؟

البابا شنودة : القدس أصعب النقاط القائمة بين العرب واليهود، فقد يتنازل اليهود عن كثير من الأراضى أما القدس فتشكل عقبة كبرى ربما لا يتم حلها إلا بالقتال، الإسرائيليون مستعدون من أجل القدس أن يحاربوا حتى آخر طلقة وآخر رجل وهذا واضح من تصريحات رؤساء إسرائيل وساستها وواضح أنها ستكون آخر النقاط فى التفاوض. فالمفاوض الذى يريد أن يصل إلى نتيجة يبدأ بالنقاط السهلة أولا ثم يتدرج إلى الأكثر صعوبة.

سؤال : ماذا عن إسرائيل وهواجسها الأمنية واستمرار احتلالها لجنوب لبنان بذريعة الحاجة الأمنية ؟

البابا شنودة : المستغرب أن إسرائيل لا ترى ولا تهتم إلا بأمنها، بل تحتل أراضى الغير

وتتخذها كحزام أمنى يضمن سلامتها!! وأتساءل: أين أمن لبنان إذن، أو ليس لبنان له الحق أيضا فى أن يحافظ على أمنه وسيادته واستقلاله ؟ بالطبع ولن يتأتى هذا الأمن إلا بتحرير جنوب لبنان من سيطرة إسرائيل، وذلك بتنفيذ القرار ٤٢٥ والانسحاب الفورى من الأراض اللبنانية وفقا للشرعية الدولية، وهنا يكون العدل بأن يتساوى جميع الأطراف فى الحفاظ على أمن بلادهم؛ فلكى يدوم السلام يجب أن يكون عادلا ويجب أن يكون حافظا لأمن الجانبين بحيث لا يتحقق أمن طرف على حساب طرف آخر.

سؤال : ما رؤيتكم حيال مصطلح السلام الذى لم يستقر بعد وسط أطماع إسرائيل وتطلعاتها فى الهيمنة ؟

البابا شنودة : نحن نريد للعالم سلاما على أساس عادل وغير أنانى كالذى تدعو إليه إسرائيل، إذ كيف يمكن لدولة واحدة أن تبحث عن سلامها بما يتفق ومصالحها الذاتية التى تتجاهل مصالح الآخرين.. ونحن لا نريد سلاما وهميا أو شكليا؛ فالسلام لا يكون باتفاقات على الورق إنما يكون أولا وقبل كل شىء نيات طيبة داخل ا لقلب تؤدى إلى تعامل أفضل فى المستقبل، ونحب أن ينطبق هذا الكلام فى علاقة إسرائيل بالعرب بحيث يكون السلام حقيقة معاشة وليس بنودا فى اتفاقات ما أسهل أن تؤول تأويلا يضر بأحد الطرفين، وطبعا الطرف المضار سيكون هو العرب. إن الاتفاقات التى تأتى بعد جهد عنيف ومفاوضات طويلة محملة بالضغوط، مثل هذه الاتفاقات لا تشعر الناس بالنية الطيبة.

سؤال : فى الوقت الذى تعمد إسرائيل فيه إلى إبطاء مسار السلام مع الفلسطينيين وتستمر فى دعم وتطوير الاستيطان؟

ـ ما تقوم به إسرائيل فى الواقع هو سياسة التحرش بالسلام . إن سياسة إسرائيل فى تكثيف المستوطنات تشكل خطرا سياسيا على عملية السلام وعلى المنطقة، وهى خطوة لتعطيل السلام ومن شأنها أن تزيد الأمور تفاقما.. إن خطوة كهذه من شأنها أن تعصف بالأمن وتحرك العنف.

• **القضيــة الصعبــة :**

سـؤال : مـازالت إسرائيل تتـمسك بأن القدس عـاصـمـتـهـا الأبدية الموحـدة وأكدت ذلك عندما احتفلت بمرور ثلاثة آلاف سنة على القدس كعاصمة موحدة للشعب اليهودى، وهو الاحتفال الذى استمر عاما كاملا بدأ مع السنة العبرية الجديدة فى سبتمبر ١٩٩٥ حتى سبتمبر ١٩٩٦ ؟

ـ القدس أصعب القضايا القائمة بين العرب واليهود، فقد يتنازل اليهود عن كثير من الأراضى، أما القدس فتشكل عقبة كبرى ربما لا يتم حلها إلا بالقتال، ذلك أن الإسرائيليين مستعدون لأن يحاربوا من أجل القدس حتى آخر طلقة وآخر رجل، وهذا يتضح من تصريحات رؤساء إسرائيل و ساساتها؛ ولا أدل على ذلك من إرجاء الموضوع فى التفاوض لتصبح آخر النقاط التى يتم مناقشتها، ذلك أن المفاوض الذى يريد أن يصل إلى نتيجة يبدأ عادة بالنقاط السهلة ثم يتدرج بعد ذلك إلى الأكثر صعوبة .

سـؤال : مـاذا عـمـا يردده سـاسـة إسـرائيل يومـيـا من أنه لا عـودة لحـدود ٤ يونيو١٩٦٧ ؟

ـ عـمليا هذا الأمر انتـهى سنة ١٩٧٣ بالنسبـة لمصـر وحـدودهـا، كـذلك الاتفـاقـات بخصوص الجولان هى ضد كلام رابين، حيث إن إسرائيل مطالبة بالانسحاب إلى حدود الرابع من يونيـو سنة١٩٦٧ والانسـحـاب أيضـا من جنوب لبنان، علمـتنا الأحـداث أنه فى الاتفاقات الدولية ينبغى عدم وجود عبارات مطاطة أو مبـهمـة يفسرها أحد الأطراف وفق هواه .

سـؤال : ماذا عن وضع الخليل فى ظل وجود أربعمائة مستوطن يتحكمون فى مائة وخمسين ألف فلسطينى ؟

ـ مشكلة المستوطنا ت عـقدة لابد أن تحل وإلا ستظل بمثابة مـسمـار جـحـا بالنسبـة لإسرائيل، ولا ننسى أن الخليل هى التى وقع فيهـاحادث مذبحـة المسجد الإبراهيمى، كل الذين يتعاملون مع إسرائيل يرون أن التعامل معها يحتاج إلى النفس الطويل حتى لا تتحطم أعصابهم فى طرق الحوار الصعبة التى لا تسفر بسهولة عن أية نتيجة إلا بعد تعب شديد؛ بل إن النتيجـة التى يحصلون عليها يعاد فيها النقاش من جديد كما لو أنها لم تناقش من قبل،

إسرائيل ولوعة بأن يعاد تفسير صيغة الاتفاقات فهى مسألة تحتاج إلى صبر وإلا يفقد الناس أعصابهم، وما لم نأخذه اليوم سنأخذه غدا وما من يد إلا يد الله فوقها.

سؤال : ماذا نقول للعرب حيال أى مؤتمر اقتصادى جديد يُعقد بالمنطقة والذى يخشى البعض أن يصب فى مصلحة إسرائيل ؟

ـ ليت العرب يفكرون فى مشروع عربى تسهم فيه رءوس الأموال العربية وهى كثيرة، ويكون هناك صندوق عربى واقتصاد عربى بآلية عربية ومشروعات عربية تجتذب العمالة العربية والإنتاج العربى، ولا مانع من استخدام التكنولوجيا الغربية ومستشارين وخبراء إلى أن يتكون عندنا مجموعة من المستشارين العرب، هناك من لديه الفكر وليس لديه الأموال التى تنفذ، ونحن لدينا المال فلماذا لا يكون لدينا فكر لتدبير هذه المشروعات وتشغيلها من أجل مشروعات تفيد المنطقة وتفيد الآخرين ؟!

سؤال : ما تقييمكم الحالى للمسار السورى الإسرائيلى مع مناورات إسرائيل وتمسك سوريا بالثوابت وعلى رأسها ضرورة الانسحاب حتى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ ؟

ـ إن موقف سوريا هو درس عميق للجميع؛ لأن الصلابة التى سلكت بها طريقها حيال قضيتها ألزمت الكل باحترامها. لا سلام فى الشرق الأوسط بدون سوريا وأيضا بدأت إسرائيل تعيد ترتيب أوراقها من جهة سوريا ولما وجدت أن الحلول الجزئية فى موضوع الجولان لا تأتى بنتيجة أخذت تحد من تعنتها بأسلوب لابد من أن يأتى بالنتيجة المرجوة فيما لو ثبتت سوريا على صلابتها وهذا ما نتوقعه.

سؤال : بعض ساسة إسرائيل يدعون بأنه لا يوجد مبرر تاريخى أو قانونى يفرض على إسرائيل الانسحاب إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ ؟

ـ مجرد تعبير حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ يدل على أن التاريخ فى صالح سوريا؛ لأنها كانت تملك الجولان إلى هذا التاريخ قبل الاعتداء الإسرائيلى فى ٥ يونيو، وعلى صاحب ذلك الرأى أن يثبته تاريخيا إذا استطاع. أما من الناحية القانونية فإن القانون الدولى قد أدان الاعتداء الإسرائيلى على كل المناطق العربية المحتلة بما فيها الجولان .

سؤال : قال عمدة القدس «إيهود المورت» تعقيبا على أول زيارة لإسرائيل من قبل وزير خارجية الفاتيكان بأن الزيارة دليل على أنه طرأ تغيير على موقف الفاتيكان من إسرائيل ؟

ـ لا شك أن ذلك يدل على خطورة زيارة القدس، وما تحدثه الزيارة من مفاهيم وتعليقات سياسية وهذا يؤيد موقفنا الذى ثبتنا عليه باستمرار فى الدعوة إلى عدم زيارة القدس فى ظروفها الحالية، ولا شك أن عموم الناس لا يفرقون بين المعنى السياسى والدينى لهذه الزيارة، فقد تكون بغرض دينى وتفهم بغرض سياسى أو تؤدى إلى نتائج سياسية أو تستغل سياسيا، أما عن موقف الفاتيكان فيسأل فيه الفاتيكان.

سؤال : مع انفراد إسرائيل بامتلاك السلاح النووى.. أتساءل ألا يشكل هذا اختلالاً بالتوازن فى المنطقة ؟

ـ نعم بالطبع، والخطورة فى مجرد وجود السلاح النووى وليس فى كثرته؛ ذلك بأن قنبلة نووية واحدة تستطيع أن تشكل الخطورة المطلوبة وتثير السخط العالمى قبل أن تستخدم القنبلة الثانية، وفيما إذا تم إنتاج عدد كبير من القنابل واستغل بطريقة تجارية بتوزيع بعضه على الدول المؤيدة فى مقابل الثمن؛ فهنا تتسع دائرة الخطورة بحيث تدخل فى إرهاب نووى عالمى يحتاج إلى مقاومة عالمية.

سؤال : التخطيط الصهيونى الماكر أوصل إسرائيل إلى ما تريد فى خلسة من انقسام عربى وتمزق إقليمى.. ما رؤيتكم ؟

ـ لا شك أننا نساعد إسرائيل على الوصول إلى أغراضها، بما نحن فيه من انقسام بحيث إن الطاقات العربية مشتغلة بالصراع الداخلى بين العرب بعضهم وبعض وليست متفرغة لحل قضيتها مع إسرائيل. وأحيانا نرى أن كل دولة عربية تفكر فى مصالحها الخاصة، أما الاتجاه العربى العام فقد لا يأخذ إلا اهتماما هامشيا وبذلك لايدخل فى صميم كل وطن على حدة.

سؤال : معنى هذا أن التمزق الإقليمى يصب فى مصلحة إسرائيل ؟

ـ بالطبع فالصراعات الإقليمية موجودة، والخلافات حول الحدود موجودة والخلافات على الجزر فى الخليج العربى قائمة أيضا ولم تصل إلى حل والتحالفات الإقليمية قائمة أيضا،

ولكنها تبدو بعيدة عن الجامعة العربية؛ هذا فضلا على الانقسامات داخل التحالفات ولا شك أن إسرائيل على علم بكل هذه الخلافات وكل هذا الانقسام وتضع كل ذلك كعنصر مهم فى خطتها السياسية تديره لمصالحها بل يمكن أن تقوم باتصالات فردية بعناصر الخلاف لكى تكتسب حليفا من هنا أو هناك وكل حليف من هؤلاء يدخل نفسه تحت مظلة السلام؛ لكى لايجد من يعاتبه.

سؤال : هل لليهود حضارة خاصة بهم ؟

- الحضارة يكون لها مظاهر فى الثقافة والفن والعمارة، واليهود لم تكن لهم حضارة وإنما كانت لهم ثقافة دينية وسط شعوب وثنية.

سؤال : ما الذى ينبغى علينا عمله والقرن الحادى والعشرين يحمل لنا ملامح تشكيل هيكلية جديدة تتوج فيها إسرائيل كدولة لها الصدارة فى المنطقة ؟

- علينا أن نسير فى الخط العملى الذى يوصلنا إلى الصدارة، نحن نلوم اليهود فى أمور عديدة ولنا حق فى ذلك، ولكننا لم نسلك الأسلوب العملى الذى يوصلنا إلى نتيجة مثلما وصلوا هم، إنهم يخصصون مجموعات متفرغة لعمل اللوبى فى أمريكا والاتصال بكل أعضاء الكونجرس وبكل النواب لإيجاد ركيزة تدعمهم فى المجال السياسى حينما تناقش أمورهم، فلماذا لانفعل نحن هكذا ؟ لماذا لا تكون كل سفاراتنا وقنصلياتنا فى الخارج طاقة ديناميكية قوية تتصل بهؤلاء وأولئك ليس فقط بالساسة فى أمريكا وإنما أيضا برجال السلك الدبلوماسى لجميع الدول هناك، ولماذا أيضا لا تنتشر قنصلياتنا فى أوروبا لتعمل نفس العمل مع كل رجال السياسة هناك ؟! ولماذا لا توجد لنا صحف فى بلاد الغرب ومحطات إذاعة وتليفزيون خاصة وأن المال لا ينقص العرب الذين أنفقوا عشرات المليارات فى الحرب العراقية الإيرانية وعشرات المليارات فى حرب الخليج الثانية والذين لهم أموال مكدسة فى البنوك، أم أننا نكتفى بسب اليهود مثلما قال ذلك الأعرابى : «أشبعونى ضربا وأشبعتهم سبا».

سؤال : دعا بابا الفاتيكان أخيرا إلى التآلف بين الأديان خاصة لوجود قاسم مشترك بين اليهود والمسيحيين يتمثل فى العهد القديم من التوراة ؟

- طبعا العهد القديم يؤمن به كل من اليهود والمسيحيين، ولكن اليهود لا يؤمنون بما فيه من نبؤات ومن رموز، كما أن فهمهم للعهد القديم غير فهم المسيحيين تماما باستثناء ما

فى العهد القديم من تاريخ فهذا أمر غير مختلف عليه، وهناك نقاط أخرى وهى أن العهد القديم يركز على اليهود وأنهم شعب الله بينما المسيحية ترى أن عبارة شعب الله تشمل جميع المؤمنين به فى أقطار الأرض كلها، كذلك موضوع الخلاص يختلف فيه اليهود عن المسيحيين، فهم يرون أن المخلص هو الذى يخلصهم سياسيا وعسكريا وينتظرون مسيحا من نوع شمشون وجدعون، بينما المسيحية تنظر إلى المسيح كمخلص روحى يخلصهم من خطاياهم.

إذن ليس المهم فى أن العهد القديم عامل مشترك وإنما المهم هو فهم العهد القديم، وفهم ما فيه من نبوءات ورموز وتناول آياته بالروح، لا بالحرفية، فمثلا كلمة «أخ» «عبارة أخوك» فى العهد القديم يفهمها اليهود عن العبرانيين فقط، وتفهمها المسيحية عن كل آخر فى البشرية، وأمور أخرى كثيرة لا تدخل تحت الحصر. كذلك مفهوم الذبائح فى العهد القديم يفهمه المسيحيون بمعنى آخر وكذلك الفصح وما فى العهد القديم من حديث عن النجاسات والتطهير مفهوم مختلف تماما .

سؤال : عقد مؤتمر مسيحى يهودى فى إسرائيل أخيرا حضره ألف مراقب واختتم مداولاته بمسيرة تضامنية تركزت حول التطرف الإسلامى؟

ـ المسيحيون العرب لا ينضمون إلى مثل هذا الاتجاه، إنما قد يكون أصحاب هذا الفكر من الغربيين أو مؤيدى الصهيونية من الغرب، اليهود لا يؤمنون أن المسيح قد جاء وينتظرون أن يأتى المسيح، بينما الإسلام يؤمن أن المسيح قد جاء ويمكن أن يحتفل مع المسيحيين بميلاد المسيح، وهذا لا يحدث مع اليهود، كذلك يؤمن الإسلام بالإنجيل ويقول للمؤمنين به «لن تكونوا على حق حتى تقيموا التوارة والإنجيل» بينما اليهود لا يؤمنون بالإنجيل، والمسلمون يؤمنون بأن المسيح قد ولد من عذراء وهناك نبوءة فى العهد القديم تقول بذلك فى سفر أشعياء النبى، ولكن اليهود يحاولون أن يترجموا الكلمة إلى «فتاة» بدلا من «عذراء» أى من جهة السن وليس من جهة البكورية.

ومع ذلك أرى أن كل ما يحدث من حوار فى أمثال تلك الأمور بين اليهود وغيرهم من الأديان، إنما هو لون من التعاون فى أمور مدنية وليس فى أمور دينية فمن الناحية الدينية هناك خلاف كبير بالنسبة للشق الثانى من السؤال أقول بأن الإسلام هو دين والمسلمون هم أشخاص يتبعون هذا الدين، فمهاجمة الدين شىء ومهاجمة أتباعه من البشر شىء آخر والسياسة تدخل فى المعاملات بين الناس وليست فى الحوار الدينى فهذا شىء آخر.

سؤال: ماذا عن المخاوف التى أثيرت أخيرًا حول احتمال تسرب الاشعاع النووى من مفاعل ديمونة، وما قد ينجم عن هذا من مخاطر بالنسبة لمصر. ما الذى يمكن عمله؟

ـ إن العالم الآن يجنى ثمار أخطائه بل جرائمه فى الحروب وفى الاستخدام الخاطئ للعلم، ومازالت الشعوب تحصد ما خلفته التجارب النووية وما أفسدت به الجو من التفجيرات التى علقت نتائجها بالغلاف الجوى الذى يحيط بنا وأيضا تجنى ثمار النفايات التى دفنتها بعض الدول فى أراض معينة وكذلك المفاعلات النووية وتسرب الإشعاعات فى مناطق تهددها بالأمراض والموت. وهكذا نرى أن الطبيعة حاليا ليست هى الطبيعة بطبيعتها التى خلقها الله بها ونرى التغيرات التى انتشرت فى أيامنا هذه من الزلازل والفيضانات والسيول بكثرة لم نعهدها من قبل وفى أماكن متعددة، فلو وضعنا كل هذا إلى جوار الأمراض الحديثة التى انتشرت نرانا نرفع أكف الضراعة إلى الله أن ينقذ هذا الكون مما فعله البشر.

سؤال : تأتى الأحداث والتطورات لتعزيز وجهة نظر مصر طالما دعت إليها وهى إخلاء المنطقة من السلاح النووى الذى تنفرد به إسرائيل؟

ـ لاشك أن ترسيخ الاستقرار فى المنطقة يأتى أولا بتطبيق ما دعت إليه مصر دوما وهو إخلاء المنطقة من السلاح النووى، ويتطلب هذا توقيع إسرائيل على معاهدة الحظر النووى، وهنا يثور تساؤل: علام احتفاظ إسرائيل بكل هذه الترسانة النووية؛ وهى تتحدث عن السلام؟! لا يمكن أن يسود سلام وهناك طرف يملك السلاح النووى خاصة وأنها هى الطرف الوحيد الذى يملك ترسانة نووية فى المنطقة. إن وجود السلاح النووى فى حد ذاته يشكل تهديدا حتى ولو لم يستخدم؛ فوجوده يشجع أطرافا أخرى فى المنطقة على أن تسعى لامتلاكه على أساس التماثل والمساواة، فلا يمكن لدولة أن تحتكر السلاح النووى أو تنفرد به؛ ولذلك فإن الأسلم للجميع تطبيق المبادرة التى كان الرئيس مبارك قد دعا إليها وهى إقامة منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل وهو ما يتطلب من إسرائيل التخلص من أسلحتها النووية حتى لا تكون الدولة الاستثناء فى المنطقة.

سؤال : هناك من يرى أن التمزق العربى هو الذى شجع إسرائيل على التمادى فى استغلال المواقف ومحاولة الهيمنة والسيطرة على العالم العربى؟

ـ لا شك أن الانقسام بيننا كعرب من شأنه أن يساعد إسرائيل على تحقيق أغراضها، بحيث تصبح الطاقات العربية منهمكة بالصراع الداخلى بين العرب بعضهم البعض، وبالتالى فلا تملك وقتاً كى تتفرغ لحل قضيتها مع إسرائيل، وأحيانا قد تفكر كل دولة عربية فى مصالحها الخاصة، وبالتالى فإن الاتجاه العربى العام قد لا يأخذ اهتماما حقيقيا من كل دولة.

سؤال : البعض يتخوف من اختراق إسرائيل للمنطقة اقتصاديا وسيطرتها عليها ؟

ـ الخوف لا يأتى من سيطرة إسرائيل، إنما يأتى منا نحن، ومن خضوعنا للسيطرة فيما لو حدث، وهنا أذكر المثل السائر: «لا تلم الأسد إذا أكل الغزال وإنما لم الغزال إذا وضع رأسه فى فم الأسد». وأتساءل لماذا لا نكون نحن هذا الأسد الذى يخشاه الغزال ويفر منه؟!

سؤال : كيف ترى مستقبل القدس المحتلة من خلال التفاوض عليها فى المرحلة النهائية ؟

ـ كانت القدس كلها فى يد العرب، ثم قسمت إلى شرقية وغربية، وبتوالى الأيام فقدها العرب بكاملها، وأخذ عدد اليهود يزيد فيها، وكذلك المساكن أو المستوطنات. وما أخشاه مع إرجاء قضية القدس إلى نهاية المطاف ـ هو أن تتمكن إسرائيل من القضاء على كل وجود عربى، وليس مستبعدا بعد ذلك أن تلجأ إلى خدعة بإجراء استفتاء حول القدس بين غالبية من اليهود وأقلية ضئيلة من ا لعرب بحيث تأتى نتيجته فى صالح إسرائيل.. فكل يوم يمر ليس فى صالح العرب؛ إن عبارة إرجاء مشكلة القدس إلى المرحلة النهائية من المفاوضات إنما أريد بها إعطاء الوقت الكافى لإسرائيل؛ بحيث تحسم القضية لصالحها. وما تفعله إسرائيل اليوم هو أنها تهيئ النفوس العربية لاستقبال الكوارث المقبلة، ومن ضمن وسائل الإعداد النفسى إغراقهم فى اليأس إلى درجة لا يجدون فيها منفذا لحل مشاكلهم، وكذلك استعمال التهديد والتخويف لطرد العرب واستئصال أراضيهم، وأخشى فى ظل هذا الوضع أن تكون القدس صودرت قلبا وقالبا.

سؤال : هل يعنى ذلك أن العرب لم يعد فى مقدورهم مواجهة الخطة الإسرائيلية فى القدس، أو فى غيرها ؟

ـ إسرائيل لا تعتمد على قوتها، وإنما على ضعف العالم العربى متى ظهر لها هذا الضعف؛ ولذلك فإن (رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتانياهو) سيتراجع فقط إذا واجه موقفا عربيا قويا؛ لأن تطرفه قائم على افتراض خوف العرب منه.

وأى موقف قوى يتبناه العرب لا بد أن يكون له رد فعل فى إسرائيل، والقمة العربية التى عقدت فى حزيران (يونيو) الماضى، وكانت قراراتها قوية وإيجابية؛ أحدثت ردود فعل عند إسرائيل.. وكذلك تنبيه الرئيس حسنى مبارك إلى أن القمة الاقتصادية لدول الشرق الأوسط ستفشل إذا واصلت إسرائيل مخالفاتها لمبادىء السلام؛ ولاشك فى أن لإسرائيل أغراضا اقتصادية فى الشرق الأوسط ويهمها تحقيقها، وبالتالى فهى حريصة على أن تعقد القمة الاقتصادية فى موعدها، فإذا وجد نتنياياهو أن العرب لا يخافون، عندئذ فقط سيعيد التفكير فى حساباته.

سؤال : كيف يمكن الخروج من الاستعصاء الراهن فى عملية السلام؟

ـ بوحدة العرب وتجميع القوى.. لقد سعدت لأن الرئيس مبارك يقيم صلات كثيرة مع قوى عدة فى العالم، ويكسب من وراء ذلك تأييدا يمكن أن تعمل إسرائيل له ألف حساب، من ذلك مثلا اتصاله بفرنسا وبعض دول أوروبا، واتصاله باليابان، فهو لا يعتمد على أميركا وحدها، بل إن أميركا ستعمل حسابا لهذه العلاقات الدولية، وهى نقطة طيبة.

ولكن يبدو أننا نمر فى مرحلة لن يصدر خلالها قرار، فالكل ينتظر نتيجة الانتخابات الأميريكية والفترة الحالية هى فترة التفكير وتبادل الآراء.. وفى هذه الفترة ستظهر الإجابة على السؤال: من يخضع لمن ؟ العرب أم إسرائيل ؟ هل سيرى نتانياهو أن سياسة التعنت لا تأتى بنتيجة فيتراجع عنها، أم أن بعض العرب ستجذبهم إسرائيل وتغريهم بمنافع اقتصادية؟ ولهذا من المفيد جدا أن تكون هناك اتصالات عربية متواصلة لكى لا يقع البعض فى شباك الإغراءات الإسرائيلية.

سؤال : برغم الرفض العربى لاقتراح «لبنان أولا» مازالت إسرائيل تتمسك به بوصفه أساسا لبناء الثقة.. ما رؤيتكم ؟

ـ وحدة العرب تتجلى فى تبنى سياسة واحدة فى نطاق هذه الوحدة، نتكلم عن وحدة العمل بين لبنان وسوريا، حتى لا تحاول إسرائيل التفريق بينهما؛ وعليه فإن نظرية لبنان أولا

لم تطرحها إسرائيل حبا فى لبنان، وإنما طرحتها كراهية فى سوريا؛ لأنها إذا نجحت فى القضاء على الوحدة بين الدولتين، فما أسهل أن تضرب لبنان فى ما بعد أو تضرب سوريا أو تضرب التضامن العربى.

سؤال : هل ترون شبح حرب جديدة فى المنطقة مع تعثر العملية السلمية؟

ـ احتمال حصول اعتداء أمر وارد، ولكن لن يرقى إلى مستوى الحرب؛ فأى حرب تقوم بناء على حسابات متعددة الأطراف، يدخل فيها مبدأ توازن القوى وحرص بعض الدول الكبرى على ألا تترك الفرصة لدولة عظمى للسيطرة بمفردها على المنطقة، فالعالم حاليا يرقب بعضه بعضا، ولا يحب بعضه أن ينفرد بعضه الآخر بأكل الوليمة كلها؛ ومن هنا فإن تكوين صداقات للعرب مع قوى كبرى من شأنه أن يساعدهم فى الخروج من الأزمة، إذا ما حدث أى احتكاك أو اعتداء فى المستقبل .

سؤال : هل هناك إمكانية للتوصل إلى حل لمشكلة الجولان فى ظل السياسة الإسرائيلية الحالية وذرائعها الأمنية؟

ـ الغريب أن إسرائيل تتحدث عن أمنها فى الوقت الذى تفتخر كثيرا بقوتها، وأتساءل ألا يوجد تناقض بين الافتخار بالقوة وبين الخوف على الأمن ؟! إن المنطق يلزم إسرائيل أن تضع فى الاعتبار أمن غيرها أيضا، تماما كما تتحدث عن أمنها، وإذا وجد سلام عادل ومقبول من الجميع فسيكون هو السلام الذى يحفظ الأمن، والسلام العادل يعنى انسحاب إسرائيل من كامل الجولان وحتى حدود الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . على أن هناك نقطة مهمة فى موضوع الجولان، وهى المستوطنات المبنية على الهضبة، وهى كثيرة وتحتاج إلى حل سياسى .

سؤال : فى إطار دعوتكم من قبل «أبوظبى» لحضور مؤتمر عن القدس تحت لافتة «من أجلك ياقدس» أتساءل ماذا عما تدعيه إسرائيل من مرور ثلاثة آلاف سنة على مملكة داود؟

ـ كون أن داود كان ملكا حقيقة تاريخية لا يجادل فيها أحد، ولكن هذه المملكة لم تستمر الثلاثة آلاف سنة التى تدعيها إسرائيل، بل استمرت أيام ابنه سليمان ثم انقسمت إلى مملكتين فى عهد حفيده «رحبعام بن سليمان» ولم يعد فى مملكة داود سوى سبط واحد

وانشقت عشرة أسباط في مملكة أخرى ، بعد ذلك خضع اليهود للفرس ثم لليونان ثم للرومان ثم تشتتوا فى الأرض كلها فى منتصف القرن الأول إلى أن عادوا سنة ١٩٤٨ بوعد بلفور، فأين هى الثلاثة آلاف سنة التى تتحدث عنها إسرائيل ؟!

سؤال : متى ستتوجهون إلى القدس ؟

ـ حينما نتوجه إليها جميعا مسلمين ومسيحيين عربا وفلسطينيين، ولن يكون توجهى من جانبى منفردا.

سؤال : على ذكر المرحلة النهائية من التفاوض فإن إحدى القضايا التى أرجئت لبحثها فى تلك المرحلة هى القدس.. وأتساءل ماذا عن القدس بعد التغييرات الديموجرافية التى قامت بها إسرائيل فيها ؟

ـ لقد حذرت من قبل وقلت: إن ممارسات إسرائيل فى القدس إنما تعنى أنها قد صادرتها قلبا وقالبا بعد مصادرتها للأراضى العربية وطرد العرب وغلق مؤسساتهم ومكاتبهم وتكثيف الاستيطان اليهودى، كل ذلك أوجد واقعا جديدا للقدس. لقد استغلت إسرائيل عنصر الوقت كى تحسم القضية لصالحها وتهود القدس كلية.

سؤال : دعا الملك حسين إلى اقتراح فعال أن تكون القدس عاصمة للأديان الثلاثة.. ما رؤيتكم حيال ذلك المقترح ؟

ـ ليس المهم أن تكون القدس عاصمة للأديان الثلاثة، ولكن المهم من الذى يقوم بحكمها. إن استخدام القدس دينيا أمر لا يعترض عليه أحد، ولكن يظل من الأهمية بمكان معرفة من سيقوم بحكمها، ولكن أقل إن الخليل مؤشر واضح على توجهات إسرائيل؛ فإذا كانت قد تشددت فى موضوع الخليل فكم بالأولى يكون تشددها فى موضوع القدس؟!.

سؤال : ماذا عن سوريا خاصة أن المباحثات معها قد جمدت منذ فبراير ١٩٩٦ فى ميريلاند ؟

ـ إن موقف سوريا هو درس عميق للجميع؛ ذلك أن الصلابة التى سلكت بها طريقها حيال قضيتها ألزمت كل الدول باحترامها، ومن ثم وجدنا ساسة الولايات المتحدة يؤكدون

على أن سوريا تظل مفتاح السلام فى المنطقة، وأنه لا سلام بدونها، وعلى إسرائيل أن تعيد ترتيب أوراقها من جهة سوريا ولتدع الحلول الجزئية جانبا وتتخلى عن تعنتها وتبادر بتنفيذ استحقاقات السلام المبنية على مرجعية مدريد والتى تعنى انسحاب إسرائيل الكامل من الجولان إلى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧ .

سؤال : إسرائيل ترفض الانسحاب من الجولان على أساس ما تشكله من أهمية استراتيجية لأمنها، وهذا ما قاله باراك مؤخرا ؟

ـ إن أمن العرب هو المهدد وليس أمن إسرائيل؛ وهل يعقل أن تكون إسرائيل مهددة وهى تملك ترسانة أسلحة تقليدية وغير تقليدية. إن السلام وحده هو الذى سيكفل الأمن والاستقرار، والسلام يعنى أن تنسحب من الجولان حتى حدود الرابع من يونيو١٩٦٧ .

سؤال : على ذكر الأسلحة غير التقليدية ما الذى يمثله انفراد إسرائيل فى المنطقة بامتلاك السلاح النووى ؟

ـ لاشك أن ذلك يمثل خطورة على أمن دول المنطقة ويشكل اختلالا للتوازن بين دولها حيث تظل إسرائيل هى الدولة الاستثناء فى امتلاك السلاح النووى. إن الخطر النووى يمكن أن يهدد المنطقة كلها بما فى ذلك إسرائيل نفسها..

سؤال : إسرائيل تتحجج حتى الآن بأن السلاح النووى هو ضمانة ردع ضد أى تهديد من قبل دول فى المنطقة؟

ـ السلاح النووى لا يمكن أن يشكل ضمانة للردع أو الأمن، وكما قلت : إن وجوده يمثل خطراً ليس على دول المنطقة فحسب وإنما على إسرائيل أيضا؛ وعلى إسرائيل أن توقع على معاهدة الحظر النووى وتخضع منشآتها النووية للتفتيش.

سؤال : مع عناد إسرائيل وصلفها أتساءل كيف يمكن للعالم العربى مجابهتها ؟

ـ علينا نبذ الانقسام والفرقة؛ فلا يمكن أن تظل الطاقات العربية مشتغلة بالصراع الداخلى فيما بينها. لقد كانت القمة العربية التى عقدت فى القاهرة فى يونيو بمثابة مظلة عكست ما يمكن أن يحققه الموقف العربى من تضافر وكانت قراراتها قوية وإيجابية،على

العرب أن يدركوا أن إسرائيل تكسب الكثير من وراء الضعف العربى، إن إسرائيل على علم بالخلافات العربية بل وتضعها فى اعتبارها كعنق مهم فى خطتها السياسية تديره لصالحها بل يمكن أن تقوم باتصالات فردية بعناصر الخلاف؛ لكى تكتسب حليفا من هنا أو هناك، وكل حليف من هؤلاء يدخل نفسه تحت مظلة السلام لكى لا يجد من يعاتبه.

سؤال : هل يمكن تبنى وثيقة عمل للقرن القادم تلزمنا بما يجب اتباعه فى الحياة؟

- من الذى يضع هذه الوثيقة؟ ولمصلحة من؟ المفروض أن يوجد ميثاق بشرى يتعامل العالم من خلاله بأسلوب إنسانى شريف يبعد عن الأنانية وحب الذات والمصلحة الخاصة.

وأعتقد أن عبارة وثيقة للقرن الحادى والعشرين مجرد وهم؛ لأنه إن كان الناس لم يطيعوا ما وضعه الله من مواثيق فى الوصية الإلهية فهل سيطيعون مواثيق بشرية، إننا أمام ميثاق وضعته الأمم المتحدة وميثاق آخر لحقوق الإنسان وميثاق لمجلس الأمن، فمن الذى يطيع شيئا من هذا كله ؟

إن ما نأمله أن تتبنى إسرائيل منطق الحق والعدل وتشرع فى تطبيق قرارات الشرعية الدولية؛ ذلك أن احتلال الأرض هو الذى يولد العنف والتطرف وعدم الأمان، ولن يتحقق الأمن لإسرائيل إلا إذا انسحبت من جميع الأراضى العربية المحتلة.

سؤال : وما السبيل للحيلولة دون فصل جنوب لبنان عن لبنان وفصل الجولان عن سوريا؟

- لابد من انسحاب إسرائيل من الجولان ومن جنوب لبنان.. وإذا لم يحدث هذا فإن النار ستندلع فى المنطقة. لقد ظهر واضحا أنه لا يمكن أن يسود السلام إلا بإقامة العدل وتطبيقه مع أطراف المنطقة، ولا يوجد عدل مع احتلال الأراضى.

سؤال : وماذا عن الوضع المتردى الحالى على المسار الفلسطينى بعد إجراءات إسرائيل أحادية الجانب بتكثيف الاستيطان؟!

- لقد حذرت من أنه يخشى أن تكون قضية القدس قد صودرت قلبا وقالبا لصالح

إسرائيل، التى سعت منذ البداية للحصول على وقت كافٍ لحسم هذه القضية عبر إرجاء التفاوض عليها إلى المرحلة النهائية. إننا نأسف ونتألم لتردى الأوضاع على المسار الفلسطينى، فلقد بذل الفلسطينيون كل جهد ليعيشوا فى سلام فى المنطقة، وعلى إسرائيل وقف الاستيطان، فالسلام والاستيطان متوازيان لايجتمعان، على إسرائيل إن إرادت السلام أن تلتزم بالمرجعية الدولية ممثلة فى القرارين (٢٤٢) ، (٣٣٨) ومبدأ الأرض مقابل السلام، وأن تمتنع عن اتخاذ إجراءات أحادية الجانب وأن تلتزم بتنفيذ الاتفاقات التى وقعت معها بدءا من أوسلو ومرورا باتفاق القاهرة وطابا وبروتوكول الخليل الأخير الذى وقع فى يناير ١٩٩٧ واتفاق واى ١٩٩٨ واتفاق شرم الشيخ سبتمبر ١٩٩٩ .

سؤال : ما المطلوب من العرب تحديدا لمجابهة تعثر عملية السلام على المسارين السورى والفلسطينى ؟

ـ لاشك أن إسرائيل تضع الكثير من العقبات فى سبيل إحراز السلام، أما العرب فمطالبون جميعا أن يتخذوا موقفا موحدا إزاء قضاياهم؛ فالاتحاد والتضافر قوة يحسب حسابها من قبل الطرف الآخر .

سؤال : هل تستشعرون بأن الإحساس بالسلام عامة يمكن أن يسود، وإذا كان فما معاييره وما شروطه؟

ـ السلام لابد أن نرجوه حتى وإن كنا لا نحققه، فالرغبة فى السلام تقود إلى الوسائل التى بها يتحقق إن كان ذلك ممكنا، وكل خطوة فى طريق السلام هى خير وبركة، وربما إتمام الخطوات يحتاج إلى مدى زمنى والمدى الزمنى يحتاج إلى صبر واحتمال وحكمة، والأمور التى أدت إلى ضياع السلام على مدى طويل حسب فقدانه فى كل منطقة لا يمكن علاجها بطريقة فجائية أو بطريقة سريعة؛ لأن هذا شىء غير طبيعى، ولاشك أن ما يتم حاليا على صعيد السلام فى المنطقة أمر ما كنا نتخيله من قبل.

سؤال : هل ترون ـ على سبيل المثال ـ أن الاتفاق الفلسطينى الإسرائيلى يمكن أن يؤدى إلى تحقيق سلام فعال ؟

ـ هو خطوة أولى يمكن أن تعقبها خطوات كثيرة لتحقيق آمال إخواننا الفلسطينيين فى إنشاء الوطن الفلسطينى بأسلوب يتفق وآمالهم ويلبى طموحاتهم.

سـؤال : ولكن حتى لو نجح الاتفـاق الفلسطينى الإسرائيلى فإن هناك من يتخوف من فشل إحراز التعايش السلمى فى الأراضى العربية المحتلة بين الفلسطينيين والإسرائيليين ؟

ـ كل هذه مسائل سياسية وأعتقد أنها مسألة وقت، فكل الذى يحدث الآن هو مجرد خطوات نحـو الحل، ولكن الحل الذى يرضـاه الفلسطينيـون لم يتم بعـد، ونرجـو أن يتم، والخطوة تقود إلى خطوة إذا حسنت النيات، وسوف تظهر الأيام مدى الاستجابة من الطرفين لموضوع السلام.

سـؤال : كيف يستقيم السلام مع فرض نظريات التفوق بتنصيب إسرائيل كرادع نووى فى المنطقة ؟

ـ إذا جرى نزع لسلاح الدمار الشامل من المنطقة فينبغى أن يسرى النزع على كل الأنواع، النووى والكيماوى والبيولوجى، وينبغى أن يطبق على كل الأطراف؛ لأنه إذا بقى عند البعض سيكون مهددا للآخرين، وعاملا على عدم حفظ التوازن. إن مبدأ توازن القوى لا يصلح ولا يستقيم مع تفرد إسرائيل بامتلاك السلاح النووى بينما لا تمتلكه دول المنطقة.

سـؤال : ولكن ماذا لو لم تلتزم بتنفيذ الاتفاقات ولم تتراجع عن الاستيطان؟

ـ الأمر رهن بتوحيد العرب لمواقفهم؛ فإسرائيل تعتمد دائما على ضعف العالم العربى؛ وعليه فإن إسرائيل ستتراجع عن مواقفها الحالية إذا ووجهت بموقف عربى قوى ومتضافر.

سـؤال : مع نظام العالم الجديد وتطويع إسرائيل لإمكاناتها وقدراتها لتتماشى مع هذا النظام، هناك من يتوجس من محاولة إنشاء سوق شرق أوسطية تصب فى صالح إسرائيل ؟

ـ إذا أردنا أن نقاوم أى سوق ينبغى أن نضع أمامنا عنصرين أساسيين هما: جودة الإنتاج وانخفاض الأسعار؛ وبهذا نستطيع أن ننافس الأسواق الخارجية على أسس سليمة، فمجرد الشكوى لا توصلنا إلى نتيجة. ومن ثم علينا بالعمل الإيجابى الجاد فى استغلال قدراتنا ومواردنا، وفعلا استطاعت مصانع النسيج المصرى أن يكون لها تسويق خارجى مطلوب لتوفير العنصرين وهما جودة الإنتاج وانخفاض الأسعار. ولا شك أننا يمكننا أن نعمل

على زيادة الإنتاج فى مجالات كثيرة، ومن الأمثلة البارزة أيضا ما تنتجه مصانعنا الحربية مما يمكن تصديره إلى كثير من الدول العربية والأمثلة كثيرة.. ومن هنا يمكننا القول بأنه من السهل أن توجد سوق عربية تتبادل فيها الدول العربية جميع المنتجات التى تقدمها مصانع دولها.

سؤال : معنى هذا أنكم لا تتخوفون من إمكان قيام سوق شرق أوسطية تمتص فيها إسرائيل المنطقة اقتصاديا ؟

ـ نحن لا نتخوف مطلقا إنما إذا وجدت دواعٍ للخوف نعالجها بما يزيل هذا الخوف، فإن كانت عند إسرائيل قدرات لإنشاء سوق فى الشرق الأوسط، فعندنا الاقتصاد القوى الذى يستطيع أن يكون سوقا، وعندنا الأيدى العاملة وعندنا الإمكانات العقلية وإن كان ينقصنا التدريب فهذا ممكن. وكذلك الحال بالنسبة للتكنولوجيا الحديثة وإدخالها.. والمستقبل مضىء إن وجدت الإرادة تعززها العزيمة على العمل وأكبر مشروع فى الدنيا أوله فكرة، كما أن وضع الأموال فى البنوك الأجنبية لا يأتى بإيراد كافٍ لتنمية الاقتصاد، أما إنشاء مشروعات اقتصادية بهذه الأموال فهى التى تؤدى إلى إيراد أكبر وفى الوقت نفسه نضمن تشغيل عدد أكبر من الأيدى العاملة والقضاء على البطالة .

سؤال : ولكن تظل هناك فجوة التكنولوجيا بيننا وبين إسرائيل وهى مخيفة ؟؟

ـ لا يمكن أن تكون مخيفة إذا أدخلنا نحن أيضا التكنولوجيا، وأرسلنا بعثات ودرسنا أحدث أنواع التكنولوجيا فى جامعاتنا. من يخاف هو الذى يجلس فى مكانه خاملا ويبكى على تقدم الآخرين .

سؤال : فى معرض المقارنة بين إسرائيل والعالم العربى يذهب البعض إلى القول بأن وحدة الأيديولوجيا فى المجتمع اليهودى تمنح المجتمع قاعدة واحدة من الإجماع يتحرك وفقها بينما تغيب هذه القاعدة فى العالم العربى.. ما رؤيتكم ؟

ـ لا أستطيع أن أوافق على هذا الرأى بدليل أنه لم يحدث أن حصلت حكومة إسرائيلية

فى الانتخابات على أغلبية مطلقة، وكثيرا ماكانت الحكومات تلجأ إلى الأحزاب الصغيرة الدينية لكى تستوفى هذه الأغلبية لتستطيع أن تحكم؛ فكيف إذن نستطيع أن نتحدث عن وحدة أيديولوجيا. الأمر الواضح أنه توجد خلافات جذرية فى المحيط السياسى اليهودى وتوجد معارضات لها قوتها، ولكن ربما يتحد الكل فى موضوع اتساع سلطة اليهود وهيمنتهم على القدس أو غير ذلك من الأمور الجوهرية فى الفكر اليهودى، كذلك قد توجد لهم أيديولوجية متحدة فى الاستيلاء على الاقتصاد والإعلام فى كثير من البلاد، ولكن يوجد تفكك فى أمور أخرى.

نحن لم ننكر أن لهم فكرا يهوديا متحدا فى الحفاظ على الطابع اليهودى لكن فى داخلهم انقسامات وهذه لا تدل فقط على خلاف فى السياسات وإنما على خلاف فى المبادئ التى قامت عليها السياسات، والمبادئ هى الأيديولوجيات، أما كونهم يتحدون جميعا ضد العرب فهذه هى السياسة وليست الأيديولوجيا. الأيديولوجيا المتحدة هى العنصرية اليهودية.

نقطة أخرى فى الاختلافات بينهم وبين العرب هى أنهم يمثلون توجها واحدا بينما العرب يمثلون دولا كثيرة، ربما كل دولة لها اتجاهها الخاص، وعلى الرغم من المناداة بالقومية العربية إلا أن الوحدة العربية غير قائمة حاليا وسط الانقسامات العديدة والصراعات الداخلية التى تعانى منها المنطقة؛ ونحن نرجو أن يبذل العرب قصارى جهدهم للانتصار على هذه الخلافات مادام لهم عدو مشترك .

بروتوكولات حكماء صهيون

● فى أعقاب نشر هذا الحديث ثارت ثائرة إسرائيل، وتحرك مندوبها السامى ممثلا فى السفير الأمريكى لدى مصر «ود ووكر» الذى عمل سفيرا لأمريكا فى مصر بين ١٩٩٥ - ١٩٩٧ - قبل أن ينقل سفيراً لدى إسرائيل وحالياً مساعداً لأولبريت لشئون الشرق الأوسط - جاء ووكر إلى البابا شنودة فى أوائل يناير ١٩٩٧ يعاتبه، انصب العتاب على ما قاله البابا عن اليهود والصهيونية من خلال (بروتوكولات صهيون) وقال السفير يومها للبابا: إن هذه البروتوكولات تسىء إلى اليهود وإلى سمعتهم وإن ما قيل فيها ليس إلا فبركه ولا يمت للحقيقة بصلة. وهنا قال له البابا بذكائه المعهود: إذا كان الأمر كذلك فعليهم - أى على اليهود - الاعتراف بأنها لا تمثل الحقيقة وأنها فبركه. وقال له السفير: ولكن كيف تنشر ما يسىء إلى اليهود ومن أين أتيت به؟ فقال البابا : جئت بالبرتوكولات من أمريكا . ومثلما لديكم حرية النشر نحن أيضا لدينا هنا فى مصر حرية النشر.

وبعيداً عن تعليمات «ود ووكر» فإن بروتوكولات حكماء صهيون واحدة من الوثائق التاريخية القديمة للحركة الصهيونية . وقد وضعت عام ١٨٩٧ ، وهى تكشف النيات الحقيقية لمن وضعوها وآمنوا بها وحاكوا المؤامرات من خلالها وخاضوا الحروب لتحقيقها . لقد تصدى عدد من الساسة والمفكرين لمناقشة هذه البروتوكولات . وهنا يفند البابا شنودة الثالث - لأول مرة دينيا - من خلال حديثه معى الأفكار التى وردت فيها وأيضا بعض الأفكار التى وردت فى التلمود. إنهم - كما يقول البابا - يطمحون فى السيطرة على العالم كله؛ لأنهم يعتبرون أنفسهم ذئابا يتعين عليهم افتراس باقى البشر الذين ينظرون إليهم كدواب . وهم يحتقرون كل الأمم. حتى أبناء تلك الأمم التى تمد يد العون والمساعدة لهم، ويروجون أفكارا كاذبة حول أنهم الأرواح العزيزة عند الله وغيرهم شياطين ، ويتمادون أكثر فيتجرون على الله ويقولون إنه ليس معصوما من الخطأ . كل هذه النتائج استخلصها البابا شنودة من مناقشة بعض ما جاء فى البروتوكولات . وهذه هى الحيثيات كما وردت فى الحديث نفسه ..

سؤال : سلب اليهود من الآخرين قيمة الحق عندما قال التلمود فى معرض مخاطبة الأميين كلمة حق مجرد فكرة قائمة على غير أساس؟!

- لعلهم يقصدون بكلمة الحق هنا حقوق الناس؛ فهم لا يعترفون بحقوق لغيرهم، وإن

كان الأمر هكذا فتكون مفاوضاتهم مجرد وسيلة لكسب الوقت فلا يتفقون على شيء وإن اتفقوا ما أسهل أن ينقضوا اتفاقهم؛ لأنه لا حق لغيرهم، وكأن ما يأخذه الغير منهم فى اتفاقات رسمية ما هو إلا منحة مؤقتة يعطونها متى يشاءون ويسحبونها متى يشاءون؛ لأنه ليس لغيرهم حق ولهم كل الحق، ولعلهم يبنون ذلك على ادعاء أنهم شعب الله المختار.

سؤال : هذا ما يؤكدونه فى البروتوكول الثالث عشر عندما يقول الحق بمعناه الصحيح يجب ألا يعرفه أحد غيرنا.. نحن شعب الله المختار الذى اصطفاه الله ليكون قواما على الحق !!

ـ من المحال أن نصدق أن الله يترك العالم فى الباطل؛ لكى يرضى ما يقل عن واحد فى المليون من سكان العالم، ثم إذا كان الله لا يجعل الحق معروفا عند الناس ولا يكشفه إلا لليهود فكيف إذن سيحاسب العالم فى يوم الدينونة الرهيب وكيف سيقيم أعمال الناس إن كانوا لا يعرفون؟! وإن كان الله قد خص اليهود بمعرفة الحق فلماذا إذن وقعوا فى عبادة الأصنام حتى فى أيام موسى النبى، حينما عبدوا العجل الذهبى ؟! وكيف وقعوا فى عبادة الأصنام أيام «آخاب» الملك وزوجته «إيزابيل» وقبله أيام «يربعام بن نياط» وانتشار الوثنية انتشارا كبيرا وبخاصة أيام الملك «جنس» مما أدى إلى دفعهم إلى سبى بابل وآشور؟ فهل هذه صفحات من تاريخ شعب خصه الله بالحق ؟! على أن المهم ليس فقط معرفة الحق، وإنما العمل بالحق ودخول الحق فى كل ممارسات الإنسان، وليس من الحق ظلم الآخرين وليس من الحق أيضا استعباد الناس.

سؤال : جاء فى التلمود أن الناس حيوانات، وجاء على لسان اليهود: «نحن شعب الله فى الأرض سخر لنا الله الحيوان والإنسان وأهل كل الأمم والأجناس؛ لأننا نحتاج نوعين من الحيوانات: نوع أخرس كالدواب والأنعام والطيور، ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وغيرهم من أمم الشرق والغرب» ؟!

ـ نحن نود أن يعرف أعضاء مجلس الأمن هذا الكلام وكذلك أعضاء هيئة الأمم المتحدة وكل الشعوب التى تناصر هؤلاء، فهل إسرائيل تمتطى كل هؤلاء الأعضاء لكى تدب بهم على الأرض؟! وهل يعرف الأمريكيون نظرة اليهود إليهم فيما يوافقون على منحهم المليارات ؟

اليهود يحتقرون كل الأمم وكل الشعوب وكل الأجناس ولا يعتبرون أنفسهم فقط شعب الله المختار ـ وإنما أيضا الجنس المختار من كل الأجناس.

وكان الله قد عزلهم عن الأمم فى القديم؛ لأن جميع الأمم كانوا وثنيين وقتذاك وكان يخشى عليهم من أن تنتقل الوثنية إليهم بالاختلاط أو بالتزاوج، أما وقد انتقل الإيمان إلى جميع بلاد العالم واختفت الوثنية تماما تقريبا فأصبح الكلام عن الأمم قديما لا يوافق الوضع الحالى ومن غير المعقول أن يترك الله مئات الملايين أو آلاف الملايين من الذين يعبدونه؛ لكى يتخصص فى حوالى أربعة ملايين من اليهود؟ وهل معنى هذا أن آلاف الملايين الأخرى ستلقى فى نار جهنم؛ لأنهم ليسوا يهودا ومنهم طبعا الدول التى تؤيد اليهود حاليا، واليهود يعتقدون أن تلك الدول ستذهب إلى النار الأبدية.

سؤال : جاء فى البروتوكول السابع عشر: حينما يأتى الوقت لتحطيم البلاط البابوى فإن يدا خفية ستشير إلى الفاتيكان، وتعطى إشارة الهجوم، ثم ما نلبث أن تكون حماية وبذا نسيطر عليه؛ وعندئذ لن تستطيع قوة أن تخرجنا منه حتى ندمر السلطة البابوية تماما ؟

ـ لعلهم قالوا هذا حينما وضعوا كتاباتهم هذه فى وقت كانت البابوية فى روما تمثل أكبر وأقوى جماعات المسيحية؛ فأرادوا التخلص منها بمعنى التخلص من المسيحية جملة.

سؤال : وجاء فى البروتوكول السابع عشر أيضا بأن نفوذ رجال الدين على الناس يتضاءل يوما بعد يوم، ولن يطول الوقت إلا لسنين قليلة حتى تنهار المسيحية انهيارا تاما؟

ـ لعلهم قصدوا بذلك انهيار الإديان الأخرى التى تنافسهم؛ فيصيرون هم الدين الوحيد الذى له القوة والسيادة والانتشار فى العالم كله. وهنا لابد من مناقشة نقطة مهمة وهى هل يقبل اليهود من شعوب الأمم الأخرى أن يتهودوا ؟ أم يبقى اليهود وحدهم دينا وجنساً دون أن يتدين جنس آخر بدينهم ؟ وفى هذه الحالة ما مصير العالم كله على شتى الأديان؛ هل يعدوا كلهم كفرة وغير مؤمنين وليسوا من شعب الله؟ وحينئذ يصدق عليهم قول السيد المسيح: «إنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس؛ فلا تدخلون أنتم، ولا تدعون الداخلين يدخلون، ويلا لكم».

سؤال : مــاذا عـن الإبراهيميـة واليهـود ؟

ـ يعنى بها اليهود أنهم أولاد إبراهيم، وأن لهم كل الحق فيما وعد به الله إيان إبراهيم، والحقيقة أننا كلنا جميعا أبناء لإبراهيم، فالمسلمون ينتمون إلى إسماعيل وهو من نسل إبراهيم، والمسيحيون يؤمنون بما ورد فى الإنجيل من أن كل الذين يؤمنون بإيمان إبراهيم هم أولاد له؛ وبالذات حينما أعطى الله إبراهيم هذا الاسم إنما كان يقصد معناه أيضا؛ لأن كلمة إبراهيم تعنى «أب لجمهور» وكلمة جمهور هنا تعنى كل الأمم والشعوب وليس جنسا واحدا وإنما جمهور من الأجناس.

سؤال : يقول البروتوكول الأول مضى الزمن الذى كانت فيه الديانة هى الحاكمة ؟

ـ إننى أتساءل بدورى وهل ينطبق هذا أيضا على الديانة اليهودية ؟!

سؤال : فى البروتوكول الرابع عشر يقولون: دين موسى وكل إلينا بعقيدته الصارمة واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا؟

ـ لم يرد فى شريعة موسى إطلاقا عبارة أقدامهم، إنما ورد عدم خلطتهم بالأمم الأخرى حتى لا تؤثر وثنية تلك الشعوب عليهم، بمعنى أنه لم تكن لتلك الشعوب الوثنية صلة بهم لا صلة إخضاع ولا صلة تزاوج، بمعنى أن اليهودية كانت منعزلة تماما لكى تحمل دين الله فى الوقت المناسب إلى باقى الشعوب وقد حدث هذا حينما جاءت المسيحية وقال السيد المسيح لتلاميذه أن ينشروا الدين للخليقة كلها، وبذلك بدأت تنهار فكرة الشعب المختار؛ فشعب الله منذ مجىء المسيح هو كل من يؤمن به، فأصبحت عبارة المؤمنين تعنى شعب الله المختار وليست كلمة اليهود؛ وإن كان اليهود حسب زعمهم هم وحدهم شعب الله فما مصير كل الصلوات التى رفعت إلى الله خلال قرون عديدة من كل شعوب الأرض؟! هل كانت جميعا صلوات غير مقبولة أغلقت أمامها أبواب السماء إرضاء لليهود ؟

سؤال : لماذا أطلق عليهم فى القديم شعب الله المختار؟ ولماذا لم يطلق الله هذه العبارة على باقى الشعوب ؟

ـ لاننس أنهم كانوا شعب الأنبياء؛ فمنهم كان موسى النبى وإيليا النبى، وجدهم كان

إبراهيم أبو الأنبياء ومنهم داود النبى أيضا وابنه سليمان.. إلخ والأنبياء هم الذين نقلوا إليهم شرائع الله ووصاياه؛ بينما كانت باقى الأمم تعبد الأصنام والتماثيل والأحجار وبعضها يعبد الشمس وبعضها يعبد النار وما كانوا يعرفون الله إطلاقا.

لهذا كان هذا الشعب فى القديم يمثل العبادة الإلهية السماوية فى عصر سادته الوثنية، ولم يكن لقب شعب الله لقبا يشمل كل العصور والأزمان ،فلما آمنت باقى الشعوب بالله أصبحوا شعبه بهذا الإيمان؛ لأن الله لا يتحيز لجنس معين ولا يمكن أن يرفض كل من يؤمن به.

سؤال : ماذا عن نبوءة اليهود بانهيار المسيحية، وأن نفوذ رجال الدين على الناس يتضاءل يوما بعد يوم، كما ورد فى البروتوكول السابع عشر؟

ـ هذه مجرد رغبة عند اليهود وليست نبوءة، كما أن المسيحية لا تؤسس على نفوذ رجال الدين وإنما على عقائد، وعلى أية الحالات لم تتحقق هذه الرغبة حتى الآن، ثم هل يظنون أنهم سوف يرثون المسيحية إن إنهارت ؟ وهل سيكون هذا فى صالحهم ؟! وهل إذا حدث انهيار فى المسيحية سيكون هناك انهيار فى سياسات الدول فى الوقت نفسه بحيث لا يجد اليهود أمامهم لا سياسة ولا دينا فيرثون العالم؛ وها نحن نرى أن الواقع يكذب كل ما قالوه، ثم كيف يرثون العالم وهناك آلاف الملايين تؤمن بديانات أخرى غير اليهودية وغير المسيحى، فمثلا الصين واليابان والهند بها مئات وآلاف الملايين فهل سيصير كل هؤلاء يهودا ؟! وكذلك البلاد الإسلامية. إن أحلام اليهود مجرد أحلام وهمية إن كانت الأحلام قد وصلت بهم إلى هذا الحد.

سؤال : البروتوكول الخامس عشر يقول: إن الطبيعة أعدتهم إعدادا خاصا لقيادة العالم وحكمه ؟!

ـ ماذا يقصدون بكلمة الطبيعة ؟ هل يقصدون أن الله أعدهم فتحل كلمة الطبيعة محل الله كما يفعل الملحدون، أم يقصدون طبيعتهم الشخصية وأى نوع من الطبيعة ؟ هل هى طبيعة من النبوغ أم من الطمع والرغبة فى التسلط. إنهم يكافحون من أجل رقعة بسيطة فى فلسطين وهى جزء بسيط من الشرق الأوسط؛ فكيف يؤهلهم هذا للسيطرة على العالم كله، لاشك أن هذا مجرد خيال لا يرقى إلى المستوى الذى نناقشه.

سؤال : وفى البروتوكول الحادى عشر: يتحدث اليهود عن الأميين كقطيع غنم وأن اليهود توصلوا إلى غرضهم باللف والدوران والمراوغة، وأن تشتتهم هو السبب فى قوتهم التى أوصلتهم إلى أعتاب السلطة العالمية؟

ـ تعبير السلطة العالمية هو تعبير آخر يندمج فى سياسة الأحلام والخيال والرغبة فى التسلط، وتقف ضده الآية التى تقول: «قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح» هذه آية فى العهد القديم وهى آية فى «سفر الأمثال» الذى يؤمنون به وأيضا يقف ضده قول الوحى الإلهى فى «سفر أشعياء النبى» الذى يقول فيه: «إن لرب الجنود يوما على كل متعظم وعالم؛ فيخفض تشامخ الإنسان، وتوضع رفعة الناس، ويسمو الرب وحده فى ذلك اليوم».

إن الكتاب المقدس يقول لنا باستمرار إن الرب يقاوم المستكبرين، أما وصفهم لأنفسهم بأنهم ذئاب فهو وصف يهينون به أنفسهم ويصفون ذاتهم بالوحشية، وما كنت أظن أن إنسانا يؤمن بقيم ومبادئ يصل إلى الوضع الذى يصف فيه نفسه بالوحشية.

سؤال : طالعنا البروتوكول الثانى عشر بأن كل من يسمى نفسه حرا فهو فوضوى إن لم يكن فى عمله ففى فكره؟

ـ هل هم أيضا لا يسمون أنفسهم أحرارا ؟! من الطبيعى أن الحرية بدون انضباط تؤدى إلى فوضى، وينطبق هذا على كل الشعوب وكل الجماعات، ولا يمكن أن نقول إن أمم العالم ليس فيها انضباط وإلا فما معنى وجود الدساتير والقوانين واللوائح التى تضبط حرية الإنسان بالإضافة إلى الوصايا الإلهية والتقاليد الاجتماعية، ثم أيضا وجود الضمير وهو ضابط داخلى يتثقف بكل طرق الإرشاد والتوعية، ومع ذلك إذا لم ينضبط الإنسان بسبب سوء استخدامه لحريته؛ فإن هناك عقابا رادعا سواء كان عقابا تفرضه القوانين أو عقابا من المجتمع ذاته حيث يحتقر الخارج عن القيم، وإذا لم يوجد رادع فسوف تسود الفوضى، وهذا ينطبق على كل الأمم كما ينطبق على اليهود أيضا، والمثال أمامنا على الفوضى يتمثل فى الشاب «إيجال عامير» الذى قتل «رابين» مع كل الذين حرضوه على ذلك ؟!

سؤال : فى البروتوكول الرابع جاء على لسان اليهود: علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين، وأن نضع بدلا منها أرقاما حسابية وضرورات مادية ؟!

ـ هل معنى هذا أنهم ينادون بالإلحاد وينادون معه بتحطيم المبادئ والقيم؟ وهل يفعلون ذلك مع جميع الدول المسيحية وكيف ذلك؟ إنه أسلوب الخيال والأحلام نفسه، ونتساءل هل إن فعلوا ذلك سوف ينزعون فكرة الله من قلوب المسلمين أيضا؟ وينزعون فكرة الألوهية من قلوب الهندوس والبوذيين والكونفوشيسيين؟ علما بأن الإيمان بالله موجود بالفطرة فى قلوب البشر جميعا لكنهم قد يختلفون فى مَنْ هو الله؟ وما صفاته وتعاليمه؟

سؤال : ورد فى البروتوكول الأول أنه لا مساواة فى الطبيعة فالطبيعة خلقت نماذج مختلفة فى العقل والتفكير والشخصية والأخلاق والطاقة؟

ـ هنا يضعون الطبيعة مكان الله، فالله وحده هو الذى خلق كل شىء وبحكمة إلهية. إن استخدام كلمة الطبيعة هنا إنما هو ترديد لما يقوله الملحدون، ونحن لا ننكر أن الله خلق نماذج متعددة من البشر ولكنها كلها متساوية فى مبدأ الحرية ومفتوح أمامها جميعا الطريق إلى الله؛ على الرغم من تنوع العقليات والمواهب والفكر.

سؤال : و ورد فى التلمود تتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله ؟!

ـ هذا كلام غير مقبول دينيا ؛لأن الله لا يتجزأ. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الذى يقول إنه جزء من الله إنما يصف نفسه بالإلوهية، وأن تأله الإنسان فلا يمكن أن يخطئ؛ لأن الله يتسامى عن الخطأ وأخطاء اليهود كثيرة سجلتها التوراة نفسها، أما التشبيه بأن الابن جزء من الأب، فهذا التعبير نفسه خاطئ؛ لأن أى ابن ليس جزءا من أبيه وإنما هو كيان قائم بذاته، وقد يختلف الابن مع أبيه فى التصرف والسلوك وفى اتجاهه فى الحياة، بل قد يوجد ابنان من أب واحد وكل منهما له أسلوب عكس الآخر، مثل هابيل الصديق وأخيه الذى قتله. فهل قاتل أخيه يشبه أباه أو هو جزء منه، وإن كان اليهود جزءا من الله فهل كانوا كذلك عندما عبدوا العجل الذهبى؟!

سؤال : يقولون أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الأرواح؟

ـ كل أرواح البشر هى عزيزة عند الله، والله ليس عنده نوع من التمييز العنصرى؛ فهذا لا يتفق مع العدل الإلهى، وأرواح اليهود هذه التى يقولون إنها عزيزة عند الله أكثر من جميع الناس هى الأرواح التى قرر الله أن تتبدد فى برية سيناء وهى الأرواح التى عاقبها أكثر من مرة والتى سمح بتسليمها إلى سبى بابل وآشور والتى سمح بتشتيتها فى الأرض بعد خراب أورشليم والهيكل سنة ٧٠ ميلادية، وعليه فإن كانت باقى الأرواح شيطانية كما يزعمون؛ فهل يجرءون أن يصفوا بهذا الوصف أرواح الأمم التى تساعدهم وتمدهم المنح والدعم السياسى؟!

سؤال : النعيم مأوى أرواح اليهود، ولا يدخل الجنة إلا اليهود؟

ـ كيف هذا ؟! إذا كانوا وصفوا أنفسهم بالذئاب؛ فهل الجنة هى مأوى الذئاب؟ ثم ما مصير آلاف الملايين من البشر؟ وهل الذى ينقذهم بالڤيتو من أحكام مجلس الأمن هو أيضا لا يدخل الجنة لأنه غير يهودى ؟!

سؤال : جاء فى التلمود بأنه وقع خلاف بين الله وعلماء اليهود فى أمر فأحيل الخلاف إلى أحد الحاخامات الذى حكم بخطأ الله مما اضطره سبحانه إلى الاعتراف بخطئه؟!

ـ هذا كفر. وتطاول على الذات الإلهية.

سؤال : فى البروتوكول الأول دعوة إلى اليهود تقول: «علينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير، أو ما هو مبنى على الأخلاق بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد».

ـ إنه مبدأ مكيافيللى (الغاية تبرر الوسيلة)، وهذا كله ضد اليهودية أيضا التى هى تعليم إلهى يدعو إلى الخير والفضيلة؛ ولا يوافق على إلغاء الدين من أجل المنفعة الشخصية.

الفاتيكان

فى عام ٩٣ :

وقعت الفاتيكان اتفاقا مع إسرائيل؛ من أجل إقامة علاقات دبلوماسية ولم يرى البابا شنودة ذلك على أنه مصالحة بين اليهود والمسيحيين؛ كما لم يفسره على أنه يعنى موافقة الفاتيكان على خط إسرائيل أو سياستها فى المنطقة.

سؤال : فى البداية ما رؤيتكم حيال توقيع الفاتيكان لاتفاق إقامة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، وهو الذى يقود بالتالى إلى المصالحة التاريخية بين اليهودية والمسيحية ؟

ـ لا ننسى أن الفاتيكان يمثل دولة وليس مجرد كنيسة؛ فبابا الفاتيكان رئيس دولة وكنيسة وله سفراء فى دول خارجية؛ وعليه فليست هذه مصالحة بين اليهود والمسيحيين إلا أن بابا الفاتيكان يمثل الكاثوليكية فقط، وتبقى كل الكنائس الأرثوزكسية والبروتستنتينية والإنجليكانية خارج هذه السياسة ولا علاقة لها بها؛ أما نحن فبيننا وبين اليهود خلافات معروفة.

سؤال : ولكن الخطوة تمثل تبرئة اليهود من دم السيد المسيح؟

ـ موضوع تبرئة اليهود من دم المسيح موضوع قديم وقتل بحثا، وكان مجرد رأى لكاردنيال ألمانيا؛ لأن الألمان شعروا بعقدة الذنب نتيجة اضطهادهم اليهود وسياسة اللاسامية؛فبمجاملة لهم قالوا هذا الكلام على اعتبار أن يهود اليوم لا علاقة لهم باليهود أيام المسيح.

بينما ورد فى الإنجيل «دمه علينا وعلى أولادنا »، وإذا أراد اليهود أن يتبرءوا من دم المسيح فعليهم أن يؤمنوا به؛ لأنه فى القديم قالوا عنه إنه «ضال ومضل»، وتآمروا جميعا ضده، وأسلموه إلى الوالى الرومانى ليقتل.

إذا أراد اليهود أن يتبرءوا؛ فليقولوا لقد أخطأ آباؤنا، ونحن لا نوافق على أخطائهم، ثم كيف يتبرأ اليهود من دم المسيح وهم لا يؤمنون بأن المسيح قد جاء، وينتظرون مسيحا آخر من نوع شمشون الجبار يكون قائدا عسكريا لخلاصهم السياسى.

سؤال : إذا كانت خطوة الفاتيكان بإقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل قد أثارت مرارة الكنيسة القبطية فى بادئ الأمر؛ فإنى أتساءل ما الذى يمكن فعله الآن ؟

البابا شنودة: المفروض أن يكون للشرق اتصالاته، وقبل ذلك ينبغى أن تكون له استنتاجاته ونظرته البعيدة، فلو كان هناك اتصال مسبق ومتابعة للأحداث داخل الفاتيكان واتجاهاته، واتصال بالشخصيات البارزة المتصلة باتخاذ القرار لكانت النتيجة مغايرة لما حدث، ومع ذلك فما يزال الباب مفتوحا؛ لأن الفاتيكان حتى هذه الساعة لم يتخذ الإجراءات الأخيرة، مثل تبادل السفراء.

سؤال : ولكنهما تبادلا التمثيل، فهناك ممثل لكل منهما لدى الآخر الآن ؟

البابا شنودة: هذا لايصل إلى مستوى السفير، وحينما تكلمت مع سفير الفاتيكان هنا فى مصر قال: إن الفاتيكان لو أقام سفارة فى إسرائيل مستقبلا؛ فلن تكون فى القدس وإنما ستكون فى يافا أو تل أبيب. إذن الأمور لم تنته بعد، ومازال هناك خط للاتصال والمفاوضة مع الفاتيكان لمعرفة الحقيقة وأبعاد الخطوة المقبلة، ومحاولة الإسهام فى تشكيل الخطوة المقبلة بحيث لا يترتب عليها أى أضرار بالعرب. كما أن مجرد إقامة علاقات دبلوماسية لا يعنى الموافقة على خط إسرائيل أو سياستها فى المنطقة، فيمكن للفاتيكان أن يقيم علاقات مع إسرائيل وعن طريق هذه العلاقات يدفعها لحل الأمور والمشاكل المعلقة مع العرب، فليس معنى إقامة علاقات مع إسرائيل أنهم يتفقون معها فى سياستها فى المنطقة فنحن لنا علاقات مع كثير من الدول

ولم يمنعنا هذا من ألا نوافقها أحيانا على كثير من خطوطها السياسية إذا لم تتفق معنا، بل وننتقدها أحيانا. ولا يزال هناك طريقان للتفاهم مع الفاتيكان: الأول يتمثل فى نوع العلاقة التى يقيمها وعلاقة هذه العلاقة مع العرب، الثانى يتمثل فى الخط السياسى لإسرائيل؛ فإقامة الفاتيكان للعلاقات مع إسرائيل لايعنى موافقته على الخط الذى تتبناه إسرائيل وبمعنى آخر إنه يمكن للعرب أن يتفاهموا مع الفاتيكان أيضا فيما يتصل بحصولهم على حقوقهم، وأيضا يمكن التفاهم مع الحكومات الكاثوليكية لكى تتفاهم مع رئاستها الدينية الكاثوليكية فى هذا الأمر كحكومات سياسية تتفاهم مع الفاتيكان الذى له صفة دينية وصفة سياسية، وأقصد من كل هذا أن هناك خطوات كثيرة يمكن اتخاذها بحيث لا نعتبر أن التصريح الذى أعطى من الفاتيكان لإسرائيل هو نهاية المطاف، أو أنه أدى إلى استقرار السياسة الفاتيكانية على وضع معين لايمكن زحزحته أو ضياع الفرصة للأبد أمام تبنى الفاتيكان لموقف منصف من قضايا الشرق الأوسط.

سؤال : أخذ على الفاتيكان التعجل فى اتخاذ هذه الخطوة على الرغم من أن السلام لم يستتب بعد فى المنطقة؛ خاصة أن الفاتيكان كان من قبل يعلق خطوة إقامة العلاقات مع إسرائيل على استتباب السلام فى المنطقة؟

البابا شنودة: الفاتيكان وإن كان دولة سياسية فهو دولة دينية، وموضوع الدولة الدينية يفهم على اعتبار أن هناك مبادئ وقيما ومثلا ينبغى أن تراعى،س فالعملية ليست مجرد سياسة ويمكن الدخول إلى الفاتيكان من جهة هذه المبادئ وهذه القيم والمثل والعدل الذى تنادى به المسيحية والعمل على إنصاف الذين احتلت أراضيهم أو رحل رجالهم أو وأخذت حقوقهم والتشديد على إيجاد حل مع الفلسطينيين- فكل هذه الأمور يمكن التفاهم فيها. وما أراه ألا يقف الأمر عند مستوى النقد أو المقالات فى الصحف وإنما يجب أن يوجد خط دبلوماسى مع الفاتيكان للتفاهم معه حول نوعية خطه السياسى الذى يتبناه ومدى الخسائر التى يتعرض لها العرب من جراء هذا الموقف الأخير.

سؤال : هذا مع الاعتبار بأن هناك فجوة بين الكاثوليك والأرثوذكس بالنسبة للمصالحة بين اليهود والمسيحيين ؟

البابا شنودة: «نحن كأرثوذكس موقفنا واضح تماما، ونرى أن هناك ظلما بينا يقع على العرب وعلى الفلسطينيين بالذات وأن هذا الظلم ينبغي أن يعالج؛ لكي يسود العدل فيما إذا أرادوا أن يسود السلام فنحن نريد سلاما مبنيا على العدل وليس سلاما مبنيا على القهر، فالسلام المبنى على القهر لا يدوم».

سؤال : يقوم بابا الفاتيكان بزيارة إسرائيل؛ خاصة بعد أن شرع فى إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل.. ما رؤيتكم خصوصا وأن موقف الفاتيكان كان حريصا على ألا يتم ذلك إلا بعد إحراز تسوية سلمية للمنطقة ؟

البابا شنودة : يسأل فى هذا سفير الفاتيكان فى القاهرة، ولكنى أعتقد بأن العلاقة علاقة كدولة وليس ككنيسة.

سؤال : ولكن ماذا عن زيارته إلى «إسرائيل» خصوصا وأنه شخصية روحية ؟

البابا شنودة : هو أيضا شخصية سياسية، له سفراء لدى الدول، والفاتيكان تعتبر دولة من الدول، وقد زار الكثير من البلاد ولكن لاندرى ما سبب زيارته «إسرائيل» ولا ما قد تسفر عنه.

سؤال : بعد إقامة علاقات دبلوماسية بين إسرائيل والفاتيكان والتى تمت منذ عدة سنوات؛ تنوى إسرائيل الاحتفال بمرور ألفى عام على ميلاد السيد المسيح سنة ٢٠٠٠، ولهذا دعت بابا الفاتيكان «يوحنا بولس الثانى» إلى زيارة إسرائيل ؟

– إن اليهود لا يؤمنون بأن المسيح قد جاء، ولا بأنه ولد على الإطلاق !! فكيف يحتفلون بميلاده وهم لا يؤمنون بذلك ؟! إنهم لا يؤمنون بأنه جاء وينتظرون مسيحا آخر من نوع شمشون الجبار يكون قائدا عسكريا لخلاصهم السياسى.

سـؤال : ولكن الأنباء أكدت أن الدعوة وجهت لبابا الفاتيكان لزيارة إسرائيل في هذه المناسبة وهى الاحتفال بمرور ألفى عام على ميلاد السيد المسيح ؟

- إن الذين يحتفلون بمرور ألفى عام على ميلاد السيد المسيح هم لا شك المسيحيون سواء فى الغرب أو الشرق، وهو موضوع مطروح فى دوائر الفاتيكان، كما هو مطروح فى مجلس كنائس الشرق الأوسط، وتعد له الاحتفالات من الآن. وإن كان قداسة البابا «بولس الثانى» ينوى زيارة الأراضى المقدسة بهذه المناسبة فلا علاقة إطلاقا بين زيارته وما يؤمن به اليهود.

الأقباط وزيارة القدس

فى إبريل ١٩٩٥ :

توجه ثمانية آلاف قبطى إلى إسرائيل لزيارة بيت المقدس، رغم قرار البابا شنوده بمنع السفر؛ وبذا اعتُبروا عصاة وليسوا حجاجا. ورغم أن الأغلبية كانت مع قرار البابا إلا أنه كانت هناك وفى أوساط المثقفين مناقشات تتساءل: هل من حقِ البابا أن يمنع قبطيا من أداء شعائر دينه؟ لقد أكد البابا هنا أن المسيحية لا توجد فيها فريضة تسمى الحج ولو أنها موجودة لكان هو أول المسافرين إلى القدس، كما أن البابا لا يريد أن يكون الأقباط خونة للعرب والفلسطينيين وقضية دير السلطان.

سؤال : كثيرون يتكلمون عن موقفكم من زيارة القدس.. فما تعليقكم؟

ـ ولماذا يسألون بطريرك الأقباط الأرثوذكس وحده عن هذه الزيارة ؟! لماذا لا تسأل القيادات الإسلامية عن موقفها من زيارة القدس الآن ؟ ولماذا أيضا لا يسألون الرئاسات المسيحية الأخرى عند البروتستانت والكاثوليك عن موقفهم من هذه الزيارة؟.. وأظن أن المسيحيين الذين يذهبون إلى القدس غالبيتهم من البروتستانت والكاثوليك ويندر أن يذهب قبطى أرثوذكسى إلى القدس إما طاعة للكنيسة من الذين يعرفون قرار، وإما ذهاب البعض جهلا أو انخداعا بأن الموضوع مع إسرائيل قد انتهى باتفاقية «غزة ـ أريحا».

سؤال : ولكنى أتساءل هل زيارة القدس فريضة أو ركن من أركان العبادة الرئيسية فى المسيحية ؟

ـ لا توجد فى المسيحية فريضة تسمى «فريضة الحج» كما فى الإسلام، وإنما الموضوع لا يعدو أن البعض يريد التبرك بزيارة الأراضى المقدسة؛ ولو كان الذهاب إلى القدس فريضة لكان واجبا على أنا شخصيا وعلى جميع المطارنة والأساقفة وكل القساوسة أن يذهبوا إلى

القدس؛ لكى يكونوا قدوة فى أداء الفريضة أو على الأقل لا يكونوا عثرة أمام باقى المسيحيين لكسرهم تلك الفريضة.

سـؤال : هل ترون عدم الذهاب إلى القدس عملا كنسيا أم عملا قوميا؟

ـ إننى أنظر إلى الموضوع من الناحيتين معا، فمن ناحية القومية العربية لا يجوز أن نتخلى عن إخوتنا الفلسطينيين وإخوتنا العرب بتطبيع العلاقة مع اليهود، وإلا لكان من الممكن أن يعتبروا هؤلاء خائنين للقضية العربية التى كافحت عنها مصر منذ ١٩٤٨ حتى الآن ـ والتى هى فى عمق الخلاف بين العرب واليهود.

ـ ومن الناحية الكنسية يعتبر الأقباط الذين يذهبون إلى القدس يخونون كنيستهم فى قضية «دير السلطان»؛ وبالتالى يشعر اليهود بأنهم وصلوا إلى ما يريدون الوصول إليه مع الإبقاء على موقفهم الثابت من جهة هذا الدير وعدم احترامهم لقرار المحكمة اليهودية العليا التى أدانت الرهبان الأحباش وأدانت وزير الشرطة الإسرائيلى وحكمت بأحقية الأقباط فى هذا الدير، وهل هناك تعنت أكثر من أنه مضى ٢٥ عاماً على قرار المحكمة ولم تنفذه إسرائيل؟!

سـؤال : ما رؤيتكم إذن فى إثارة موضوع تطبيع العلاقات مع اليهود وزيارة القدس فى الوقت الراهن ؟

ـ أنا موقفى من اليهود واضح، ولم يتغير منذ أيام الرئيس جمال عبد الناصر، ومازال موقفى هو هو حتى الآن لم يتغير إطلاقا، وهو موقف عن عقيدة بعدم زيارة القدس، وأيضا موقفى هو هو من جهة احتلال إسرائيل للأراضى العربى؛ وعليه فإثارة الموقف الآن يدعو إلى الغرابة. فهل الذين يهاجمون هذا الموقف الآن ماكانوا يعرفون به من قبل رغم أنه مر على إعلانه أكثر من ثلاثين عامًا تقريبًا أم أن إثارته حاليا وراءه أهداف يستنتجها البعض، أما أنا فأقف أمامها حائراً متسائلاً ما هى؟!

سـؤال : ألم تنته الدوافع التى أدت إلى منع الأقباط من زيارة القدس نتيجة التطورات فى المنطقة؟

ـ ما هى هذه التطورات التى حدثت فى المنطقة ؟ هل يعنى من يقول بهذا الرأى اتفاقية «غزة وأريحا» إن كان هذا هو الجديد ـ ولا نرى غيره ـ فإن إخواننا الفلسطينيين يعانون كثيراً من اعتداءات اليهود، ومنها مصادرة إسرائيل لمساحات كبيرة من الأراضى العربية فى

شرق القدس، وأيضا اصطدامها فى معارك مع الفلسطينيين تنشر عنها الصحف باستمرار.. يضاف إلى كل هذا أن الفلسطينيين ليست لهم دولة مستقلة ذات سيادة حتى يومنا هذا، ولا يزالون يتمتعون بحكم ذاتى تحت مظلة إسرائيل؛ مما جعل جانباً كبيراً من الفلسطينيين يحتجون على هذا الوضع، بالإضافة إلى ما تنادى به إسرائيل فى مناسبة وغير مناسبة بأن القدس ستظل عاصمة أبدية موحدة لها، وأيضا محاولاتها إثارة بعض الدول الغربية ضد الفلسطينيين، فما الذى تغير فى هذه الأيام حتى يهلل له من ينادى بهذا الرأى؛ ولكن الأجدى به بدلا من ذلك أن يدافع عن الحق الفلسطينى والحق العربى، ولا يزال متأزما مع سوريا بسبب الجولان وتعنت إسرائيل فى الانسحاب منها، وأيضا تحاول إسرائيل أن تصطلح مع الأردن باتفاقية تتجاهل فيها حقوق باقى العرب.

سؤال : بعض المقالات التى كتبت تعرب عن اعتزازها بموقفكم وأطلقت عليكم البابا العربى ؟

- لقد قرأت هذا أنا أيضا، ولا شك أن من يعى أن موقفنا هو ضد الفلسطينيين هو أبعد ما يكون عن معرفة رأى الفلسطينيين، وأكون شاكرا لو زودنا من يدعى بأننا نزايد على الفلسطينيين باسم مواطن فلسطينى واحد يوافقه على هذا الكلام سواء من القيادات أو من أفراد الشعب، أما محاولة الوقيعة بيننا وبين الفلسطينيين فهذا أمر فوق حدود الخيال.

سؤال : هل فى هذا القرار شبهة إحراج للحكومة المصرية؛ كما لوح أحدهم بذلك ؟

- لا يوجد إحراج إطلاقا، بل على العكس توجد مساندة ودعم للحكومة، لأنه حينما يكون هناك اتجاه شعبى غامر يكون هذا سندا للحكومة فى مفاوضاتنا. وعمليا نحن قلنا رأينا منذ أيام جمال عبد الناصر إلى يومنا هذا أمام حكومات مصرية كثيرة جداً، كذلك هناك موقف الجامعة العربية وهو موقفنا نفسه وأمينها العام الدكتور «عصمت عبد المجيد» مصرى ولم يقل أحد بأن الجامعة العربية تحرج حكومتنا أو أية حكومة عربية.

سؤال : ألا يصادر القرار البابوى نصاً فى الدستور حول حرية الانتقال؟

- من حق أى أب أن يمنع ابنه من الذهاب إلى أماكن يشعر أن فيها ضررا عليه، دون أن يكون فيما يقوله هذا الأب مصادرة لحق الانتقال ولا لأى حق دستورى، وكذلك الأم إذا

منعت ابنتها من الذهاب إلى أماكن فيها ضرر على أخلاقياتها، بل إن مثل قرار المنع هذا: ما ورد فى المزمور الأول لداود النبى الذى يقول فيه: «طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار، وفى طريق الخطاة لم يقف، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس».

ـ فهو يمنع الإنسان البار من السير فى طرق معينة ومن الوجود فى مجالس خاطئة، دون أن يكون فى هذا الأمر أية مصادرة لحريته، ثم بالأولى نقول على الأمور التى تمس دولا بأسرها وقوميات لها مصالح تستدعى مثل هذا المنع على من يقيم تطبيعا مع أعدائها يستغلونه فى إضعاف القضية القومية أو القضاء عليها كنت أرجو ممن يقول بهذا الرأى أن يؤيد عدم الزيارة بدلا من أن يثير المخالفين لقرار أبيهم فيحضهم على الخطأ، ويتحمل مسئولية تحريضهم على المعصية أمام الله وأمام الكنيسة وأمام المجتمع.

سؤال : قال البعض فى دفاعه عن التطبيع بأنه حصل على موافقة من ثمانين شخصا بينما عارضه ثلاثة هم : الأستاذ «محمد حسنين هيكل» ، والدكتور ، «رفعت السعيد» ، والدكتور «وليم سليمان قلادة» ؟

ـ أحب أن أقول لهذا الشخص إن الآراء لا تعد وإنما توزن، وقد يوجد رأى لشخص واحد له ثقله أكثر من ألف رأى مضاد له؛ فلا يفرح بالثمانين الذين ربما يكونون من النكرات هم وآراؤهم. هذا لو كان عددهم بالفعل ثمانين.

سؤال : القرار البابوى قد يمثل حرمان الأقباط من البركة عند زيارة القدس ؟

ـ البركة هى فى الطاعة، والطاعة ليست حرمانا من البركة إنما هى مصدر من مصادر البركة.

سؤال : قد يكون الحرمان من التمتع بالبركة عقابا فرديا لشخص واحد، ولكن إذا سرى على شعب بأكمله كان قهرًا جماعيًا ؟

ـ المنع العام ليس قهرا؛ فحتى وصايا الله تبارك اسمه تحمل منعا عاما عن خطايا معينة ولا تعتبر لونا من القهر، وهناك أوامر كثيرة تصدرها بعض الهيئات للمنضمين إليها ولا تعتبر نوعا من القهر، ونحن حينما نقوم بتوعية عامة لمنع الناس عن طريق خاطئ

لا يعتبر هذا قهرا وإنما هو توعية بما يجب وما لا يجب. ولو تركت الكنيسة كل إنسان يسلك وفق هواه بلا ضابط لكانت تلام أيضا على أنها لم ترشد أبناءها إلى الطريق السوى، وإنى لأتساءل هنا هل الذين يدفعون الناس إلى مخالفة الكنيسة يعتبر أسلوبهم لونا آخر من القهر فى الاتجاه المضاد ؟!

سؤال : يسوقون هذا بدعوى الديمقراطية ؟

ـ هل معنى الديمقراطية أن تكون لونا من التسيب أو سلوكا بلا ضابط ؟! وهنا نسأل ما موقف الكبار من معاملة الصغار ممن هم تحت رعايتهم، هل كل أمر منهم يعتبر مخالفا للديمقراطية؟ وما معنى التوعية بالنسبة للمجتمع؟ وما معنى الوعظ، هل كل ذلك يعتبر قهرا للسامعين غير العاملين؟ وماذا عمن يكتبون فى الصحف ويدفعون الناس إلى اتجاه معين، هل يكون هذا قهراً لعقليات هؤلاء الناس أم يكون تثقيفاً ؟!

سؤال : يقال إن اثنى عشر ألفا من المسيحيين قد حصلوا على تأشيرة دخول من السفارة الإسرائيلية، وأن أربعة آلاف منهم قد اعتذروا بعد تصريحات البابا؟

ـ أعتقد أن هذه الرقم (١٢ ألفا) مبالغ فيه، ثم اعتذار البعض بالآلاف بعد حصولهم على التأشيرة هو لطمة واضحة لإسرائيل، أما عن الباقين فغالبا هم ليسوا من الأرثوذكس أتباع كنيستنا القبطية، أو ممن لا علاقة دينية لهم بأية كنيسة على الإطلاق أو قد يكون بعضهم من الأجانب الذين يسكنون فى مصر ولهم أسماء مسيحية.

سؤال : ولكن ماذا عن موقف كنيسة القيامة فى القدس؟

ـ إن موقف مطرانيتنا فى القدس هو موقف البطريركية نفسه فى القاهرة، وهو موقف المجمع المقدس نفسه كله للكنيسة القبطية. ومطراننا فى القدس نشر مقالا فى إحدى الصحف العربية بعنوان بارز يقول فيه: «الأقباط الذين يذهبون إلى القدس ليسوا حجاجا وإنما عصاة»س وكان لهذا أثره، إذ أن كنائسنا فى القدس منعت هؤلاء الزوار من الشعائر الدينية هناك، وبدلا من أن يأخذوا البركة أخذوا خجلا وإحباطا وشعورا بالذنب، فلا توجد بركة لمن يعصى أوامر رئاسته الدينية، ولعل هؤلاء كانوا درسا لغيرهم، أما أنهم قد ذهبوا لمجرد رؤية الأبنية والجدران فهذا لا يكفى؛ لأن هذه الأبنية لم تكن موجودة فى أيام المسيح ولا فى أيام

العذراء ولا أيام الكنيسة الأولى، وإن كانوا لمجرد زيارة الأراضى المقدسة فإن كان كل حجر فى الأراضى المقدسة يصرخ فى وجوههم بتلك العبارة المعروفة: «ابن الطاعة تحل عليه البركة، والمخالف حاله تالف

سؤال : نشرت إحدى الصحف أن بعضاً ممن ذهبوا للقدس اعتذروا لكم؟

- ليس كل من يعتذر يقبل منه اعتذاره؛ ولو سرنا على هذا المبدأ لدخل الناس فى مبدأ آخر وهو خالف ثم اعتذر، كما أن الاعتذار أيضا لا يمنع العقوبة؛ لأن التساهل فى العقوبة يؤدى إلى تكرار الخطيئة مرة أخرى، والابن الذى لا يؤدبه أبوه ما أسهل أن ينحرف فى حياته، وإذا فشل ربما فى أعماق نفسه يشكو من أن أباه لم يؤدبه فى أول خطأ له، وما أسهل أن يعتذر أى مذنب أمام المحكمة، ومع ذلك ينال العقوبة وتكون تأديبا له وإنذاراً لغير.

سؤال : بعض كبار السن يريدون رؤية الأراضى المقدسة لينالوا بركتها قبل موتهم فلماذا يمنعون من ذلك ؟

- البركة لا ينالها الإنسان عن طريق المخالفة، فإن خالف هؤلاء المسنون الأب الروحى للكنيسة، فما أسهل أن يخالفهم أبناؤهم أيضا، لأنهم قدموا لأبنائهم قدوة سيئة فى الطاعة، وإن كانوا يريدون أن يروا قبل موتهم الأرض التى ولد فيها المسيح ووطأتها أقدامه؛ فليطمئنوا أنهم سيرون المسيح نفسه بعد موتهم وليس فقط الأرض التى وطأتها قدماه.

وهم ككبار فى السن ليس من صالحهم أن ينهوا حياتهم الأرضية بالمخالفة، وكنت أرجو من كبار السن هؤلاء أن يقولوا لأبنائهم لا يجوز لنا أن نخالف رئاستنا الدينية، ولا يجوز أن نخون كنيستنا ونضع البابا فى موقف من يخالفه أولاده، وهذا ليس من صالحنا أيضا ككنيسة.

سؤال : ولكنكم عفوتم عن كل من توجه للقدس من الأقباط ؟

- عفوت عن الذين اعترفوا بأخطائهم ونشروا اعترافهم أمام الكل؛ فلقد كان هذا يعنى أنهم لن يعودوا إلى ذلك فى المستقبل لاهم ولا غيرهم، فما حدث كان درسا للآخرين،

سؤال : معنى هذا أنكم لم تعفوا عمن لم يعترف بخطئه؟

- نعم، سيبقى هؤلاء تحت الحكم كما هم؛ فلا يستوى التائبون وغير التائبين.

ســؤال : هل تتوقعون أن يرفع الحظر الذى كنتم قد فرضتموه على المسيحيين بعدم التوجه لزيارة القدس فى العام الحالى؟

ـ سياسة إسرائيل نحن لا نعرفها، ولا نستطيع أن نستنتج منها شيئا؛ ورفع الحظر فى ذلك يظل سابقا لأوانه، فالمسألة لا تتوقف على سنوات وإنما على سياسات.

ـ وعليه فإن الموضوع برمته يظل رهنا بسياسات إسرائيل حيال عملية السلام فى المنطقة والتزامها بالشرعية الدولية التى تتطلب منها الانسحاب من جميع الأراضى العربية المحتلة.

ســؤال : ما موقفكم من دير السلطان الآن؟

البابا شنودة: موقفنا كما هو. ونرى أن الموقف أكبر من مجرد عملية الدير، فنحن لا نريد أن ننفرد بموقف بينما العرب كلهم يتبنون موقفا آخر. المفروض أن نكون جميعا عند رأى واحد وفكر واحد وتصرف واحد فى العلاقة مع «إسرائيل»، ومن أجل هذا قلت إننا لا ندخل إلى القدس إلا مع العرب جميعا أو مع إخواننا المسلمين.. لن ننفرد بموقف.

القدس والاستيطان

احتلال إسرائيل للقدس لا يمنحها شرعية الملكية. والتدويل غير وارد؛ لأنه يعنى تنازل العرب عنها. إن أحقية إسرائيل فى القدس يعوزها المنطق والوقائع، وإسرائيل لن تتنازل عنها بالمفاوضات السياسية، فإذا لم تقهر على تركها قهرا لن تتنازل عنها طواعية. ويكفى ما قاله بنجوريون: «لا معنى لإسرائيل بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل»...!

ويقول البابا شنودة عن الاستيطان: إن جلوس إسرائيل على مائدة المباحثات يعنى أنها على يقين من أن الأرض قابلة للتفاوض، ومادامت قابلة للتفاوض فالمنطق يقضى بألا تستمر فى بناء المستوطنات.

سؤال : على صعيد قضية القدس: هناك من يدعو إلى التدويل كأساسٍ للخروج من المأزق الحالى بالنسبة لها خاصة وهى تبدو قضية غير قابلة للنقاش؛ حيث تتمسك بها الأطراف المعنية.. من وجهة نظركم هل يمكن أن يكون التدويل أمرًا واردًا ؟

ـ فى اعتقادى إن التدويل غير عملى، ولن يحل المشكلة؛ لأن العرب يرفضونه وإسرائيل ترفضه أيضا. القدس هى قدس العرب. واحتلال إسرائيل لها اليوم لايمنحها شرعية الملكية، فمازال العرب يطالبون بها كملكية لهم وكأرض اغتصبتها إسرائيل. إن قبول العرب للتدويل سيعنى ضمناً تنازلهم عن ملكيتها وعليه لا أرى أن التدويل أمر وارد.

سؤال : دعوى إسرائيل الدينية بالنسبة للقدس وأحقيتها فيها دعوى يعوزها المنطق السليم والأدلة التاريخية فى الواقع.. ما رؤيتكم ؟

ـ إذا حدث ونادى قوم بأحقيتهم السياسية لأراض ترجع إلى أكثر من تسعة عشر قرنا من الزمان ـ لاختلت الأنظمة فى كل دول العالم ـ ولاختلفت الخريطة السياسية عما كانت عليه منذ تسعة عشر قرنا؛ ولهذا فإن أحقية إسرائيل بالنسبة للقدس يعوزها المنطق والوقائع. ورغم هذا فإن إسرائيل تحاول تغيير معالم القدس وإزالة الوجود العربى وزرع مستوطنات جديدة وتكثيفها باليهود؛ لكى يتسنى لها أن تملك الأغلبية داخل القدس.

سؤال: ولكن تهويد القدس ضد الشرعية؟

ـ نعم، وهو أمر لايرضى عنه أحد لاسيما وهى تضم آثاراً إسلامية وأخرى مسيحية قديمة. والموضوع ليس سهلا. المفروض أن ينظر إلى القدس نظرة أخرى. هناك وجهتا نظر بالنسبة لها: الوجهة الدينية والوجهة السياسية، فمن الناحية الدينية توجد فيها آثار من جميع الأديان، ومن الناحية السياسية يطفو النزاع الضخم بين العرب واليهود ولايصلح لهذا الأمر إلا خطة سياسية وعربية موحدة ترمى إلى استرجاع القدس.

فمما لاشك فيه أن إسرائيل تستغل التفكك والنزاع فى الساحة العربية لتنفيذ أغراضها وتثبيت أقدامها. إن استرجاع الحقوق لا يأتى بالخطب والشعارات، وإنما يأتى بعمل عربى جاد وموحد.

سؤال: نظر إلى موضوع القدس كأكثر القضايا تعذرًا على الحل بدليل أنها موضوع لم يمس حتى الآن تفصيلا فى أية مفاوضات سياسية، فهو أشبه مايكون بموضوع معلق؟

ـ إذا بحثنا موضوع استرجاع القدس فلا بد أن نضع فى الاعتبار نظرة إسرائيل لها كمدينة مقدسة، تحمل ذكريات الآباء والأبناء وبها هيكل سليمان. وإن نسينا فلا يمكن أن ننسى يوم أن كان بيجين يتحدث عنها كشاعر يتلو قصيدة حب. وفى اعتقادى أن إسرائيل لن تتنازل عنها بالمفاوضات السياسية؛ ذلك أنها إن لم تقهر على تركها قهراً، فلن تتنازل عنها طواعية.

سؤال : السياسة الإسرائيلية فى المنطقة هل تأتى كدلالة على أن العلاقات بين العرب وإسرائيل لايمكن أن تحل إلا بالحرب أم أن هذا أدعى إلى

القـول بأن السـلام لابد أن يكون هو الطريق الفـعلى للعـلاقـة بين الطرفين ؟

ـ فى السياسة أقول هناك بعض الأمور يمكن إحرازها بالسلام، وأخرى قد يمكن الوصول إليها عن طريق الحرب أو التهديد بالحرب أو بالاستعداد لها. ولا يستطيع أى سياسى أن يستقر على أسلوب واحد طوال الوقت فلكل مجاله الذى يناسبه، استرجاع سيناء مثلا أتى بغير حرب.

ولكن قبل أن يفكر الإنسان فى الحر ب لابد أن يفكر فى نتائجها، وأيضا فى القوى الأخرى التى تقف إلى جواره أو ضده فيما إذا أعلن حربا، وأن يأخذ فى اعتباره مناورات العدو الذى قد يتظاهر بالضعف أحيانا ليستدرجه إلى حرب عنيفة شرسة؛ خاصة وأن الحروب فى أيامنا هذه غالبا لاتكون حروبا بين دولتين وإنما تمتد وتتسع إلى أطراف متعددة؛ ولهذا ينبغى التفكير العميق والحذر قبل أية خطوة.

سـؤال : ما هـو الأجدى على المـدى الطويـل ؟

ـ الأمور فى المنطقة أدعى لإرساء سلام كامل وشامل؛ فهذا على المدى الأبعد فى صالح كل من الطر فين العرب وإسرائيل. نؤيد أن تحل الأمور سلما بقدر الإمكان ولكن فى نفس الوقت يجب أن نكون مستعدين استعداد كاملا لأية حرب قد تشن على الأقل لحرب دفاعية إن لم تكن هجومية؛ فالحرب الدفاعية لا خطأ فيها من الناحية الدينية فيما إذا استوجبتها الظروف.

سـؤال : القدس التى يتأكد انسلاخها عن العرب يوما بعد يوم والتى تهددها الممارسات الإسرائيلية بالضياع إلى الأبد من يد العرب.. كيف يمكن استرداد حق العرب فى القدس التى تعتبرها إسرائيل عاصمة موحدة لها وقضية غير قابلة للنقاش أو الجدل.. كيف يمكن أن نطرق موضوع القدس بفاعلية؟

ـ حينما يتحد العرب وتتجمع كلمتهم يصيرون قوة يعمل لها حساب؛ وحينئذ فقط يمكن أن يطرق موضوع القدس بأسلوب أكثر فاعلية.

سـؤال : إلى أن تسترد القدس.. ما الدعوة التى توجهونها لكى تكف إسرائيل عن خرق المواثيق والضرب بالقوانين الدولية عرض الحائط وعن دعوات استفزازية كان آخرها دعوة أحد الحاخامات لإخضاع الحرم الشريف والمسجد الأقصى للسيادة الكاملة لإسرائيل ؟

ـ الدعوة التى أرفعها موجهة فى الأساس إلى العرب فى أن يتناسوا الخلافات الداخلية فيما بينهم ولو إلى حين، وأن يجتمعوا حول الهدف المشترك برأى واحد وخطة واحدة وموقف موحد؛ وعندئذ لابد أنهم سيرون تغيرا ملموسا فى موقف الطرف الآخر.

سـؤال: الأمم المتحدة أصدرت العديد من التقارير التى تحمل إدانة لما تقوم به إسرائيل فى الأرض المحتلة.. من وجهة نظركم هل هذه تكفى؟ أم أن المطلوب أمور أخرى بغية التوصل إلى نتائج أكثر فاعلية؟

ـ إن كل قرار من أية هيئة فى الدنيا ليست له قوة التنفيذ أو قوة المعاقبة سوف يقتصر مفعوله على التأثير الأدبى لاغير دون أن يصل إلى الحل العملى، وقد تعودت كثير من الدول على قرارات تصدر بدون خطة دولية لتنفيذها، واحتملوا الموقف الأدبى فى مقابل عدم التنفيذ.

سـؤال: على الرغم من شجب العالم بأسره للاستيطان، فإن إسرائيل تتبناه كأيديولوجية قومية على أساس القول بأنه مثلما أن هناك شعبا واحدا فهناك أرض واحدة.. ما منظوركم حيال الاستيطان الإسرائيلى؟

ـ من أوضح ما قرأت عن الاستيطان الإسرائيلى كتاباً تحت عنوان : «القدس والمدن الفلسطينية تحت الحكم العسكرى الإسرائيلى» للأستاذ «روحى الخطيب» عمدة القدس المبعد عن عمله وبلده بواسطة إسرائيل، وفيه دعم وتأكيد للمخاوف من جراء مخطط إسرائيل الاستيطانى، والذى يوضح لنا أن المستوطنات الإسرائيلية فى فلسطين المحتلة تنقسم إلى فرعين كبيرين:

١ ـ المستوطنات فى القدس مع مشروع القدس الكبرى كما تتخيله إسرائيل.

٢ ـ المستوطنات فى الضفة وفى القطاع وفى الجولان.

سؤال: قضية المستوطنات تثير جدلا وتنفث المحاذير بالنسبة لخطط إسرائيل فى الأرض المحتلة.. من منظوركم ما خطة إسرائيل تحديدًا ؟؟

- قامت الخطة الإسرائيلية العامة فى موضوع المستوطنات على شراء الكثير من الأراضى التى يملكها العرب، أو وضع اليد عليها بحكم السلطة وانتزاعها من العرب أصحابها الأصليين، ثم إجلاء العرب عنها. وبعد ذلك جاءت خطوة هدم الأبنية القديمة ووضع مشروعات لمستعمرات أو مستوطنات بأبنية جديدة وبشوارع وطرق جديدة تربط المستعمرات بعضها ببعض؛ وبهذه الطريقة يهدفون إلى زيادة عدد اليهود فى هذه المناطق العربية وتكثيفهم مع خطة أخرى مواكبة، وملازمة ترتكز على تهجير اليهود داخل أرض فلسطين وداخل القدس بالذات.

سؤال: هذا يسوقنا إلى الحديث عما سمى بمشروع القدس الكبرى وغايته كما لايخفى تبديد الهوية العربية بتهويد القدس.. فما كنه هذا المشروع ؟؟

- مشروع القدس الكبرى هو مشروع صممه «صادوق هاشمشونى» بحيث يصبح عدد اليهود فى القدس ثلاثة أضعاف السكان العرب بعد حوالى ثلاثة أعوام من الآن، وبحيث تحاط القدس الحالية بمستعمرات يهودية ويمنع العرب من البناء، وبحيث تصبح القدس الكبرى ممتدة إلى (رام الله) شمالا وإلى (بيت لحم) جنوبا.

سؤال: ترتبط بهذا عملية التهجير اليهودية وتكثيف المستوطنات التى تزرع عمدا والتهديد بإجلاء الفلسطينيين إلى الأردن.. ومن ثم فإن حركة الاستيطان لاتقتصر على القدس فقط، وإنما تتعداها إلى مناطق أخرى فى الأرض المحتلة.. ما الحقيقة وفقا لمنطوق الأرقام ؟

- بالنسبة للمستوطنات فى أهم المناطق المحتلة الأخرى - وأدعم قولى بما ذكره روحى الخطيب - فقد بلغت حتى سنة ١٩٨٧ مائة وخمسة عشر مستوطنة فى الضفة الغربية، وإحدى عشر مستوطنة فى قطاع غزة، وخمسة وثلاثين مستوطنة فى الجولان، ويبلغ سكان هذه المستوطنات ما يقرب من ربع مليون نسمة، وقد اختير لبعضها أن تكون على قمم جبال تشرف على المنطقة وتصبح لها أهمية استراتيجية، وكذلك اختيرات المستوطنات فى أماكن

واسعة حتى تكون لها فرصة للتوسع والامتداد فى المستقبل، وأقيم تخطيط للشوارع بحيث توجد المستوطنات مشرفة على الطرق من الناحية الأمنية، وأحيانا تكون ملاصقة لمدن ذات كثافة عربية بغية منع هذه المدن من التوسع، بل والأكثر من هذا خطط اليهود لوضع مستعمرات على طول نهر الأردن..

سؤال : عملية الاستيطان هذه لايمكن أن تكون عملية عشوائية مرتجلة وإنما هى عملية تتم وفق مخطط إسرائيلى مدروس يهدف إلى تحجيم العرب كلية، ومحاصرتهم بتجمعات سكنية يهودية قد تضطرهم فى النهاية إلى الجلاء عن هذه الأرض.. ولكن كيف يتم لإسرائيل إحكام خطتها من الناحية القانونية ؟؟

ـ لقد وضعت إسرائيل مجموعة من التشريعات؛ لإيجاد وضع قانونى يتم فى إطاره تمرير ماتقوم به من احتلال للأراضى، ومن بناء للمستعمرات، ومن محاولات لتهويد القدس، وتهويد الضفة والجولان.

سؤال : تهويد المناطق عن طريق تكثيف المستوطنات سياسة تترسمها إسرائيل عن عمد وسبق إصرار وترصد، بل إن مسئوليها يعلنون جهرا وبصوت عالٍ أن زيادة عدد المستوطنات هل أفضل سبيل لمجابهة عرب الأرض المحتلة؟!.. ما المشاكل التى قد تفرزها المستوطنات ؟

ـ مشكلة المستوطنات ليست مشكلة أبنية بقدر ماهى مشكلة سكان؛ لأنها تحمل معنيين خطيرين: أولهما إجلاء السكان العرب، وثانيهما إسكان هجرات يهودية متتابعة وافدة إلى الأراضى المقدسة. وهذا ما تلخصه عبارة «تهويد المنطقة» مع إزالة معالمها القديمة.

سؤال : زرع المستوطنات وتكثيفها فى الأراضى المحتلة ووسط المدن العربية ذات الكثافة السكانية العالية، هل يمكن أن يكونا دلالةعلى صراعات دينية قومية لايمكن التوفيق بينها لكى تتعايش.. وإذا لم يكن ذلك صحيحا فما الدلالة التى تعكسها ؟

ـ إنها مسألة صراع سياسى وليس صراعا دينيا إلا فيما يختص بمشكلة إعادة بناء

الهيكل والاعتداء على المسجد الأقصى، فهنا يبدأ التفكير الدينى الواضح. أما استعمار مناطق فى الجولان أو فى الضفة أو بناء مستوطنات متناثرة فى أماكن متعددة ـ فهذا أمر سياسى بحت المقصود به سكنى اليهود فى المنطقة وطرد العرب منها.

سؤال : رغم أن الاستيطان مخطط حكومى إسرائيلى ورغم أن مسئولى إسرائيل أمثال شامير، وشارون، وليفى وباراك مافتئوا يدعون إلى الاستيطان وتشجيعه ـ فإن المخطط يعكس فى الوقت نفسه اهتمامات يهودية صرفة يحركها التعصب الصهيونى الأعمى فى التخلص من العرب نهائيا إما بالإجلاء أو باعتناق اليهودية.. ولا أدل على ذلك من تصريحات المتطرف «مائير كاهانا».. هل لهذا انعكاس على أسلوب بناء المستوطنات ؟؟

ـ نلاحظ فى بناء المستوطنات أنها تتم إما عن طريق وزارة الإسكان الإسرائيلية، أو عن طريق شركات إسرائيلية تقوم بأعمال المسح وتسوية الأراضى وتمهيدها، وعن طريق جمعيات صهيونية، هذه الجمعيات قدمت مشروعا لإنشاء عشرة أحياء تحيط بالقدس بل إنه قد أقيم معرض يحتوى على ألف وثمانمائة نموذج بناء بيوت للمستوطنات الإسرائيلية والجمعيات الصهيونية تعرض للبيع ڤيلات فى القدس وما جاورها ، وتشترك فى العملية بنوك يهودية تقدم القروض اللازمة.

سؤال: هل يخشى فى ظل العمليات التى تتم حتى الآن من امتداد الأحياء اليهودية واستشرائها فى المناطق العربية، وما مخاطر ذلك ؟

ـ وضع مشروع لإنشاء حى يهودى فى الشمال فى منطقة (رام الله) فى الجبل المعروف باسم جبل النبى «صاموائيل» وتنشيط الدعاية له فى الولايات المتحدة الأمريكية لإقناع اليهود الراغبين فى القدوم للسكنى فيه، كما أننا نلاحظ أنه عندما احتلت إسرائيل القدس القديمة سنة ١٩٦٧ ـ قامت بهدم الأملاك العربية فى ثلاثة أحياء عربية وإضافتها إلى أملاك اليهود وأطلقت عليها اسم «الحى اليهودى» وأصبحت تشكل عشرين فى المائة من مساحة القدس القديمة، وكونت لجنة لتعمير الحى اليهودى بإجلاء العرب من المنطقة وهدم أملاكهم وإعادة بنائها والعملية مستمرة بالمستعمرات اليهودية؛ وهنا يكون المسجد الأقصى عرضة لاعتداءاتهم.

سـؤال: ولكن علام تمسك إسرائيل بالقدس كعاصمة موحدة لها رغم انتفاء مشروعية ذلك دوليا، وما الإجراءات التى تتخذها إسرائيل فى القدس إمعانا فى طمس معالمها العربية ؟

ـ إن أهمية القدس بالنسبة الإسرائيل يوضحها قول بن جوريون: لامعنى لإسرائيل بدون القدس، ولامعنى للقدس بدون الهيكل. ومن أجل إعادة بناء الهيكل «هيكل سليمان» الذى هو حلم إسرائيل الدينى؛ بدأت عمليات حفريات واسعة النطاق يمكن أن تهدم الحرم الشريف والمسجد الأقصى وقبة الصخرة التى يرون أن تحتها قدس الأقداس القديم. وقد قامت محاولات كثيرة للاعتداء على المسجد الأقصى، بل أكثر من هذا كانت هناك محاولة لحرق المسجد الأقصى فى ١٩٦٩/٨/٢١، لولا أن تصدى لها الحراس المسلمون وفرق الإطفاء، وقد بدأت عملية الحفريات منذ بدأ الاحتلال فى سنة ١٩٦٧، ونشأ عنها تصدع بعض الأبنية المحيطة، وقد احتجت على ذلك دائرة الأوقاف الإسلامية بالقدس، وقدمت شكاوى عديدة لمجلس الأمن ولليونسكو ولسلطات الاحتلال مطالبة بوقف الحريات؛ ولكن السلطات الإسرائيلية تحدت كل قرارات منظمة اليونسكو التى أوفدت مندوبين للتحقيق وأظهرت قلقها من عملية الحفريات، ومازالت العملية قائمة إلى الآن. وقد عملت إسرائيل على إجلاء العرب من أربعة أحياء مجاورة للحرم الشريف مع هدم مبانيها، وإقامة مبانٍ جديدة، وهكذا فإنها تحاول إضعاف الرقابة العربية على المنطقة، وكما إنها تقيم حلقة بلديات يهودية حول المنطقة السكنية العربية التى تحيط بالقدس ومصادرة بعض الأراضى العربية ومنع نزوح العرب من المناطق الشمالية إلى القدس.

سـؤال: مع استمرار الحفريات فى المدينة المحتلة القديمة رغم أن مبدأ الحفر مرفوض من حيث الشكل والمضمون.. أتساءل ما الذى تهدف إليه إسرائيل بذلك ؟؟

ـ بالنسبة للحفريات تهدف إسرائيل إلى إعادة الآثار اليهودية القديمة، حتى التى بنيت عليها آثار مسيحية أو إسلامية.

سـؤال : كيف يمكن الآن إنقاذ ما يمكن إنقاذه لاسيما فى القدس؟ وما الحل الذى ترونه لإحراز أية نتيجة إيجابية ؟

ـ الحلول تترك عادة لرجال السياسة، ويكفينى هنا أننى أوردت المعلومات، ولكنى فى الوقت نفسه أقول بأن الحل الأساسى الذى أشير إليه وأردده باستمرار وفى كل مجال هو وحدة العرب لمجابهة الموقف.

سؤال: ما النداءات التى يمكن أن توجه فى إطار التمسك بحق العرب فى القدس الشرقية لاستعادتها وإدراجها كموضوع فى المفاوضات؟

ـ ما أسهل أن نقول كل ما نطلبه ولكن المهم ما نصل إليه، ففى كل يوم تبنى مستوطنات جديدة، وهناك مشروعات أخرى لبناء مستوطنات تطلب إسرائيل تمويلها من الولايات المتحدة. وأخيراً احتل مستوطنون يهود منازل الفلسطينيين فى القدس الشرقية، وهناك اعتداءات على مواطنين عرب وهو أمر ندينه كما أدانه الكثيرون.س ولكنى أتساءل ما الإجراء العملى للوصول إلى حقوق العرب والفلسطينيين ؟ فالنداءات فقط لاتكفى.. المهم هو الإجراء العملى والذى يتمثل فى الاتصالات والاتفاقات والخطوات التى يمكن إحرازها ولو مرحليا فى الوقت الراهن بحيث تتبعها مراحل أخرى فيما بعد لاستكمال الحقوق، هذا هو الخط الذى يجب أن نسلكه.

سؤال: ولكن منطق تكثيف الاستيطان واستمراره هو الذى يسود ، بل إن إسرائيل حتى الآن لم تبد مجرد النية فى وقف المستوطنات ولو أثناء مباحثات السلام؟

ـ كون جلوس إسرائيل على مائدة المباحثات يعنى أنها على يقين من أن الأرض قابلة للتفاوض، ومادامت قابلة للتفاوض فالمنطق يقضى بألا تستمر فى بناء المستوطنات، والحل هو وقف المستوطنات والتى كان يجب وقفها منذ زمن طويل قبل أن تفرض علينا كأمر واقع.

سؤال: هناك من يرى أن السلام فرصة لإسرائيل وشعبها؛ ليعيشوا فى أمان وتسامح فى المنطقة ، وحتى لا يقضوا بقية عمرهم خلف متاريس عسكرية ووسط حشد هائل من الطائرات والترسانة النووية التى قد تودى بكل الشرق الأوسط وليس بإسرائيل فقط، ما رؤيتكم؟

ـ ما أكثر ما وردت كلمة السلام فى أسفار الأنبياء فى العهد القديم، يرددها اليهود فى صلواتهم وفى مزاميرهم. ونحن ننادى بهذا السلام الذى نادى به الأنبياء، ومن مصلحة

اليهود أن يعيشوا فى سلام مع جيرانهم بدلا من حالة التور السائدة حاليا والصراعات التى لاتبدو لها نهاية فى ظل الأوضاع الحالية لذلك فاشتراك اليهود فى عملية السلام أمر من صالح إسرائيل أيضا وليس من صالح العرب فقط.

سؤال: عانت المنطقة الكثير من إسرائيل ، ورغم الدعوات التى صدرت وتصدر لشجب وإدانة إسرائيل لممارساتها العدوانية فى الأراضى المحتلة وسياستها التوسعية فإن العائد الدعائى لم يحرز نتائج ملموسة فى تسليط الضوء على النوايا السلمية للعرب.. ما السبل العملية لذلك ؟

١ ـ نلاحظ أن هناك سياسة إسرائيلية ثابتة لم تتغير. فما قاله بن جوريون قديماً هو ماقاله بيجن فيما بعد وهو ما ينادى به باراك حاليا والسياسة لم تتغير.

٢ ـ الولايات المتحدة تساند إسرائيل؛ لأن اليهود لهم دخل أيضا فى الانتخابات الأمريكية التى يعمل لها حساب.

٣ ـ توجد سيطرة إسرائيلية على نواحٍ متعددة من الاقتصاد فى الولايات المتحدة وكذلك على وسائل الإعلام والتأثير على الرأى العام.

٤ ـ إذا أردنا أن ندخل البيوت من أبوابها؛ فلا يكفى مطلقاً الدعايات التى نقوم بها داخل مصر والدول العربية فى صحفنا لإقناع شعبنا بأمور هو مقتنع بها تماماً، وللمناداة بحقوق يشعر بها كل مصرى وعربى وكل فلسطينى. إنما الوضع السليم إذا أردنا أن نصل إلى حل هو ما يمكن أن يقام لأجل القضية العربية داخل بلاد الغرب وذلك يكون بالطرق الآتية :

(أ) إيجاد محطات إذاعية وتليفزيونية لنا داخل أمريكا ، والأموال العربية متوافرة جداً ويمكن استخدامها فى ذلك.

(ب) إيجاد صحف داخل بلاد الغرب تعبر عن الفكر العربى.

(ج) طبع نبذات وكتب تشرح القضية العربية وتشرح العوائق التى تقف ضد السلام.

(د) إرسال بعثات من أصحاب الفكر وأصحاب الرأى السليم فى السياسة لإلقاء محاضرات فى الجامعات الغربية لشرح وجهة النظر العربية بأسلوب مقنع يكون له تأثيره على المثقفين.

(هـ) أن تقوم كل أجهزتنا الدبلوماسية من سفارات وقنصليات ومراكز ثقافية بتقديم وجهة نظرنا إلى الرأى العام فى تلك البلاد.

وبهذا كله يكون لنا تأثير على الرأى العام الغربى، وتأثير يوجد توازنا مع التأثير الإسرائيلى المضاد. أما أن نصرخ فى بلادنا ونصيح ونتكلم فى وسائل إعلامنا حسبما نريد ولايقنع صوتنا أحداً فى الرأى العام الغربى، فهذا أمر لا يأتى بنتيجة علمية.

سؤال: ما رؤيتكم بالنسبة لنزع السلاح خاصة أن كل الشواهد حولنا تشير إلى محاولة لتقليص قدرات المنطقة العربية من السلاح على حين تظل إسرائيل منفردة بترسانتها النووية؟

- يجب بالطبع إذا كان هناك اتفاق على نزع أسلحة الدمار الشامل من المنطقة أن يكون النزع ساريا على جميع دول الشرق الأوسط، وأن يتم النزع بطريقة عادلة تشمل الكل؛ ذلك إنه إذا بادرنا بنزع السلاح من دولة وأبقيناه لأخرى فهذا يخل بالتوازن العسكرى وتوازن القوى حتما، ومبدأ توازن القوى مبدأ يقره العالم كله، سيما أن الدول الكبرى (الولايات المتحدة وروسيا) قد وجهت دعوة لخفض ترساناتها النووية وعليه فإذا كان هناك تنفيذ لنزع السلاح فينبغى أن يكون عادلا ويشمل الجميع. ولا أظن أن هذا بغائب عن العرب فالعرب متيقظون لهذه القضية ولا يمكن أبداً أن يسمحوا بأن يجردوا من السلاح بينما تبقى إسرائيل بترسانتها كاملة مصدر تهديد لهم.

ملف قتل الأسرى المصريين

ملف إسرائيل الأسود فى قتل الأسرى المصريين فى حربى سنة ١٩٥٦، ١٩٦٧.. هى جريمة العصر بلا منازع. ويدلى البابا شنودة بدلوه حيال هذه القضية فيؤكد أن الجريمة جريمة قتل عمد، ولا تسقط بالتقادم، ويجب محاكمة الفاعلين كمجرمى حرب، فإسرائيل ينطبق عليها العبارة القائلة: «لقد أخذتها العزة بالإثم وأنها على حين شكت من النازية فلقد سلكت بأسلوب النازية». وقال إن التعويض لا يكفى لأنّ النفس البشرية أغلى بكثير من الثمن المادى؛ فقتل النفس يستوجب أخذ نفس مقابلها.....

وما يزال ملف قتل الأسرى المصريين مفتوحا ....

سؤال: ما رؤيتكم حيال ملف إسرائيل الأسود بالنسبة لقتل الأسرى المصريين ؟

ـ ما قامت به إسرائيل غير إنسانى وغير شرعى من الناحية الدولية ومن الناحية العسكرية. والغريب أن اليهود هم الذين احتجوا على ما فعله بهم النازيون، فكيف يسلكون نفس السياسة التى أدانوها وأهاجوا الدنيا كلها بسببها ؟!

سؤال: هل السلام يفرض علينا أن نقبل إسرائيل بنزواتها وجرائمها ونغمض أعيننا عن أخطائها ؟

ـ لا بالطبع، يجب أن نسجل الجريمة وندينها ولا يعنى هذا أننا نعكر أجواء السلام؛ فهل لكى يحتفظ الإنسان بسلامه مع غيره يغض الطرف عن كل جريمة وإهانة ؟! ولكن قبل كل شىء فإن أمامنا عدة أسئلة لطرحها حول هذا الوضوع المؤسف:

أولهـا: ما مصلحة إسرائيل فى أن تكشف عن جريمة قتل الأسرى التى قامت بها ؟

ثانيهـا: ما تأثير كشف هذه الجريمة على الرأى العام العالمى وماذا كان موقفه منها ؟

ثالثهـا : ما الذى تحكم به القوانين الدولية على هذا الحادث ؟

رابعهـا : ما الأسباب التى دفعت إلى قتل الأسرى، ثم هل كانوا أسرى فى سجون أم فى الصحراء ؟

خامسها : ما دامت جرائم القتل لا تسقط بالتقادم فما موقف القانون الدولى منها خاصة وأن جرائم النازية التى أثارها اليهود لم تسقط بالتقادم.

سـؤال : الجريمة نفذت تحت سمع وبصر جنرالات إسرائيل ومن بينهم إسحاق رابين الذى قال: لقد أخطأ الإسرائيليون بثرثرتهم حول موضوع مقتل الأسـرى المصـريين وأنه لابد من البـحث عن طريقـة لطمس هذا الموضوع ؟

ـ إن نفس كل أسير مصرى قد قتل هى نفس عزيزة علينا جميعا، ومن حقنا ومن حق أسرة كل أسير قتيل أن تطلب بدمه وفى توراة موسى: «لما قتل هابيل الصديق قال الرب لأخيه: إن صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض».

إن القتل أثناء الحرب أمر جائز وحادث فى الحروب، أما الأسير فهو وديعة لدى الدولة التى أسرته وتجرى بخصوصه مفاوضات وإتفاقات فهو إنسان ليس فى يده سلاح يحارب به؛ فلا يعامل إطلاقا معاملة الجندى فى القتال. قتل الأسرى عمل غير إنسانى ترفضه كل الشرائع والأعراف والقوانين، ونحن كمصريين أكرمنا الأسرى اليهود أثناء حرب أكتوبر؛ فالأسير إنسان سجين، والسجين لا يقتل ولا يعذب ولا يساء إلى كرامته، لكن المهم أن موضوع الأسرى هذا لم يكن معروفا من قبل، فكيف تم كشفه الآن؟

سناء : هم الذين أثاروه عندما قام بعض جنرالات إسرائيل بإماطة اللثام عن جريمة العصر.

البابا شنودة: هل تعنى أن الإسرائيليين أنفسهم هم الذين كشفوا ذلك؟

سناء : نعم هذا ما حدث.

البابا شنودة: وما مصلحتهم فى كشف أنفسهم؟

سناء : ربما تعمدوا ذلك عن قصد لإحراج مصر..

البابا شنودة : إنها جريمة فظيعة ضد الإنسانية والشرعية؛ لأنها تتعارض مع الاتفاقات والمعاهدات الدولية خاصة اتفاقية جنيف الثالثة لعام ١٩٤٩ .

وأسأل البابا شنودة: المستشار القانونى لحكومة إسرائيل أصدر فتوى وقال بأن القضية سقطت بالتقادم وفقا لقانون إسرائيل ؟

ـ هذه جريمة قتل عمد، ولا يمكن أن تسقط بالتقادم. هل نست إسرائيل أنها لا تزال إلى اليوم تطارد وتلاحق عناصر النازية. وكثيراً ما وقف المجتمع الدولى ضد مجرمى الحرب حتى بعد انتهاء الحرب بسنوات طويلة؛ فليس هناك ما يسمى بالتقادم أو سقوط قضية قتل بالتقادم.

سؤال: عندما تقدم إسرائيل على هذه الجريمة النكراء بم يمكننا وصفها؟

ـ ليس مجرد وصف، وإنما المهم ما الموقف بالنسبة للإجراء الذى يمكن أن يتخذ ضدها؟ فهذا سؤال يمكن أن يوجه لأساتذة القانون الدولى.

سؤال: إذا كانت إسرائيل قد حصلت على تعويضات هائلة من ألمانيا مقابل الجرائم النازية وإذا كانت لا تزال تطارد عناصرها إلى اليوم، ومثال ذلك إيخمان «الذى اختطفته وحاكمته وأعدمته بتهمة قتل اليهود فى الحرب العالمية الثانية، فكيف يمكن أن تطبق قانونا على العالم كله ثم تتهرب هى من تطبيقه؟

ـ تقصدين أنها شكت من النازية وسلكت أسلوب النازية.

ســؤال: وهل السلام يقتضى منا بأن نلوذ بالصمت ؟

ـ السلام بدون احـترام.. فالمفروض أن يوجد السلام بين طرفين يحترم كل منهما الآخر ويحترم حقوقه، هؤلاء ارتكبوا عملا غير إنسانى وغير شرعى من الناحية الدولية.

ســؤال: هل السلام يقتضى أن نسكت على جرائم إسرائيل ؟

ـ لا طبعا، الجريمة هى جريمة، ولكن كيف يؤخذ الحق من الخصم هذا ما ينبغى أن يجيب عنه أساتذة القانون الدولى، ثم إن الأسرى بمثابة الرهائن، ولقد رأينا كيف أقامت أمريكا إشكالا ضخما حول بعض الرهائن الذين احتجزوا فى إيران إلى أن تم إرجاعهم فى عهد «ريجان» وكذلك فعلت بالنسبة للرهائن الذى احتجزوا فى العراق فى أعقاب غزوه للكويت، فلقد قامت أمريكا بجهد كبير وأقامت الدنيا وأقعدتها من أجل الرهائن وأصبحت مشكلة إلى أن أعيدوا. وعليه فإن معاملة أية دولة لأسرى الحرب تكون نفس المعاملة بالنسبة للرهائن؛ ومن ثم كان هؤلاء الأسرى من الجنود المصريين كرهائن، ولما كانوا يعتبرون كمفقودين لم تطالب بهم مصر كرهائن إلى أن كشف أمرهم بأنهم كانوا أسرى وجرى قتلهم على يد جنرالات إسرائيل.

ســؤال: على حين نجد أن القانون الإسرائيلى جرم ويجرم العالم كله من أجل العنصر اليهودى فهو يسقط القانون الدولى فيما لو طبق على إسرائيل ؟

ـ إن إسرائيل بهذا الموقف الذى اتخذته ينطبق عليها العبارة القائلة «أخذتها العزة بالإثم»، ويجب أن نلجأ إلى أساتذة القانون لنرى إمكانية رفع قضية عليهم.

ســؤال : ولكن ما الحكم من الناحية الدينية ؟

ـ ما فعلته إسرائيل جريمة تدينها الأديان وتستنكرها الإنسانية وتأباها المبادىء الحربية والدولية.. ولكن ما العمل ؟!

ســؤال: هل يمكن لنا الحصول على تعويضات من إسرائيل، كما حصل اليهود على تعويضات من ألمانيا ؟

– أما ضميرى فيقول: بأن التعويض بالنسبة للقتيل أمر لا يكفى، لأن النفس البشرية أغلى بكثير من الثمن المادى، وإلا كان يمكن أن يقتل أى عدد من الناس وتدفع الدية فى مقابلهم تطبيقا للمثل «إللى تعرف ديته اقتله». فالنفس البشرية أغلى من أن تقيم بثمن؛ ولذا حينما يقتل شخص تؤخذ نفس مقابله ولا يؤخذ مجرد تعويض، وإلا استطاع الأغنياء أن يقتلوا الفقراء ويدفعوا ثمنهم. أما التعويض فليس بهذه الأهمية، من الجائز أن اليهود طالبوا وحصلوا على تعويض؛ لأنهم يهمهم المال، أما نحن فما يهمنا هو النفوس لا المال.

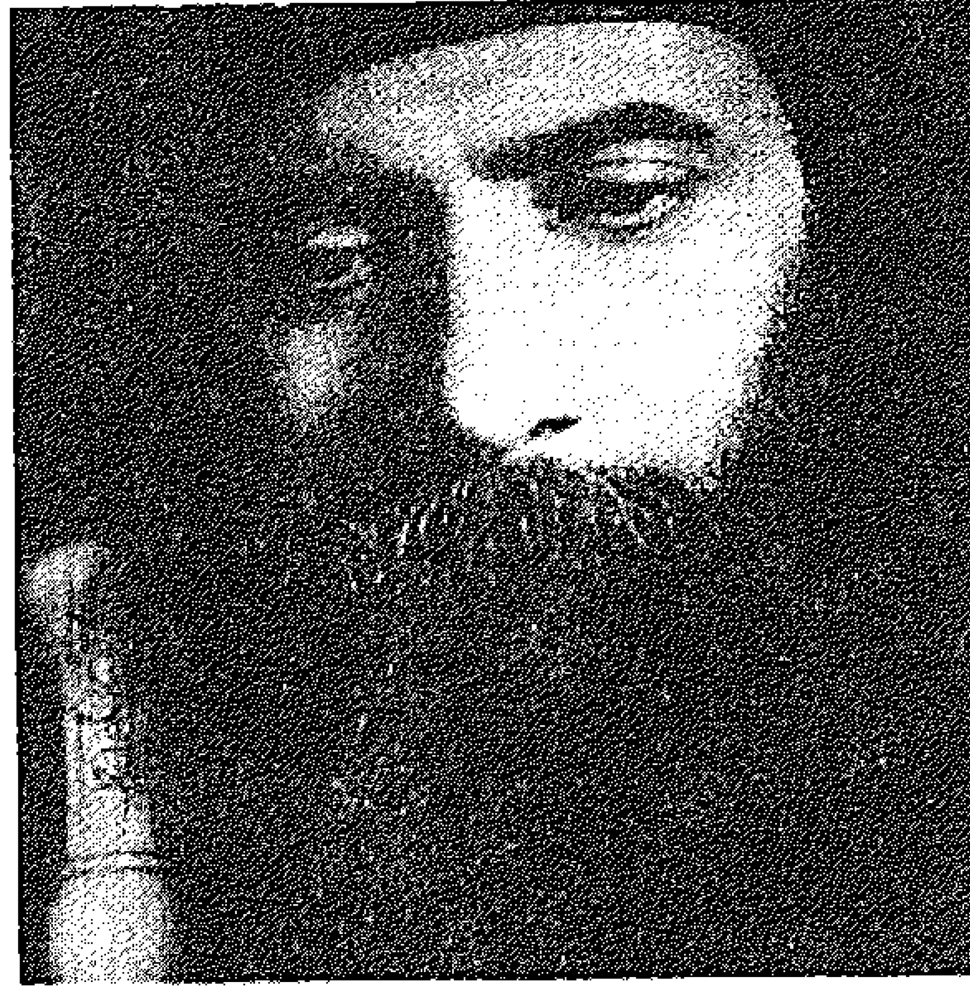
سؤال: أليس من المفروض أن يحاكم هؤلاء على ما اقترفت أيديهم؟

– القانون المدنى له قواعده والحروب لها قواعدها أيضا، ولكن سمعنا كثيرا فى تاريخ الحروب بمن يسمون بمجرمى الحرب والمقصود بهم من يتعدون حدود ما تسمح به الحروب فجرائم الحرب هى ما تتجاوز المشروع فى الحرب أو الحدود المتفق عليها دوليا، وارتكاب البشاعات التى لا يسمح قانون الحرب بها بالطبع، ومثال ذلك من يستخدم أسلحة غير مسموح بها، ومثل الغازات السامة أو الحروب الميكروبية، بحيث يعتبر من يستخدمها من مجرمى الحرب.

سؤال: مؤدى كلامكم أن إسرائيل يجب أن يطبق عليها هذا القانون؟

– نعم، وإنى أتساءل علام حدث هذا، هل قتلت مصر أسرى إسرائيليين فكان أن انتقمت؟! طبعا لا لأن دولتنا أحسنت معاملة الأسرى، هل هو مجرد اعتزاز بالقوة ؟ وأقول إن قتل الأسير لا يدل على قوة وإنما يدل على جريمة؛ لأن الأسير يظل رهينة عند الدولة إلى أن يعود إلى وطنه، ولهذا سمحت قوانين الحروب بتبادل الأسرى. ستظل هناك علامة استفهام كبيرة أمام ما حدث.. لماذا فعلت إسرائيل ذلك ؟ !!

الباب السابع



- أمـــريكا والمنطقـــة
- قـانون الاضطهـاد الدينى

أمريكا والمنطقة

لا يمكن للعرب وهم مفككون أن يمارسوا ضغطا على أمريكا لتبنى مواقف إيجابية وواضحة . عليهم أن يتحدوا ويسيروا معا فى خطة سياسية واحدة وعمل عسكرى واحد؛ عندئذ لن تستطيع أمريكا تجاهل قوتهم فى المنطقة، و ستتفاهم معهم على أساس هذه القوة وهذا الثقل .

إن الضغط على أمريكا لتضغط على إسرائيل هو حل أساسى للمشكلة، ولكن كيف وإذا أصرت إسرائيل على مواقفها فإن الضغط الأمريكى يغيب ؟

إن أمريكا ترى أن إسرائيل هى الصديق التقليدى الدائم والثابت و المضمون، أما صداقتها مع بعض الدول العربية فهى مجرد صداقات وقتية يمكن أن تتحول أو تتبدل أو تزول؛ ومن ثم فهى تعطى الأولوية لإسرائيل ثم لامانع بعد ذلك من أن تكون لها بعض الصداقات مع بعض الدول العربية .

– السياسة تحكمها المصالح لا العدل ولن يكون سبيلنا أن نلتمس من الدول الكبرى نسيان مصالحها.

– ما يلزم الجميع هو إعادة الحسابات مرة أخرى، وعلى العرب أن يتخلوا عن نزاعاتهم ويتبنوا موقفاً موحداً؛ هنا سيمثلون قوة تعمل لها أمريكا ألف حساب و حينئذ قد ترجح كفتهم على إسرائيل .

سؤال : تقييمكم للموقف الراهن فى المنطقة فى ضوء تحرك مصر المكثف حيال دفع السلام فى المنطقة ، والدور الأمريكى المنسحب ،وإسرائيل بكل أخطائها ، والموقف العربى بكل ما يعتريه من أزمات ؟

ـ الحق كل الحق أن إسرائيل غارقة فى كم من الأخطاء والتناقضات. أما الولايات

المتحدة فسياستها غير واضحة فى المنطقة، كما أن تأييدها المستمر لإسرائيل فى الحق وفى الباطل أمر لايقره إنسان. والحق أيضا أن روسيا لها أخطاء فى المنطقة وسببت بسياستها انقساما وخلقت تيارات مضادة. والحق كل الحق أن العرب منقسمون ومبعثرو الجهود والحق أن نقول بأن اندلاع الحرب العراقية ـ الإيرانية فى الثمانينيات كانت كفيلة بتفتيت القوة العربية واستنفاد اقتصادها وأموالها وسلاحها. وجاءت حرب الخليج الثانية لتكون سبباً من أسباب ضياع المنطقة أو على الأقل ضياع القوة الحربية التى كان يمكن أن تستخدم ضد إسرائيل، فبدلا من ذلك ارتدت لإهلاك البلاد وضياع اقتصاد المنطقة. بل إن الحرب نفسها كانت مثار نزاع وتفكك بين الدول العربية. فعلى حين نرى دولا خليجية تؤمن بأن لها حربا مع إيران على أرض العراق نجد دولا عربية مثل سوريا وليبيا تتبنى الموقف الإيرانى. وعليه فإن الحق يحدو بنا إلى أن نتحدث عن أخطاء الموقف كله لا أخطاء دولة واحدة وهذا يحتاج بالتالى إلى نظرة شاملة فى كل السياسات الأمريكية والإسرائيلية والروسية والعربية ومن الغبن أن نتحدث عن الجزئيات ونترك الموقف ككل.

سؤال : ماذا عن دور مصر وسياستها الحالية لاسيما وهى تبدو اليوم أكثر الدول تحركا وحشدا للجهد من أجل إقرار السلام كواقع وحقيقة ؟

ـ إن مصر حالياً لا تألو جهداً تجاه دفع الأمور قدماً والحيلولة دون تجمدها فعلى الصعيد العربى خطت مصر خطوات طيبة حيال تحقيق الوحدة العربية، فشرعت فى تحسين العلاقات وتبديد جو التوتر الذى ساد فى الماضى. وهذه ولاشك إحدى النقاط الإيجابية. ونجحت مصر فى تشكيل علاقة طيبة مع الأردن انتهت إلى وضع رسمى وسليم، وشرعت فى إرساء علاقات طيبة مع العراق كما أنها تتمتع بعلاقات طيبة مع الفلسطينيين وهكذا بدت إمكانية أن يمر الأطراف الأربعة فى خط سياسى موحد. ولو أن مصر استمرت فى هذه السياسة على المدى البعيد لأمكنها أن تقوم بدور فعال فى دفع مسيرة السلام إلى الأمام خاصة .وأن مصر مؤهلة لذلك بموقعها الاستراتيجى وقوتها العسكرية ولكونها أكثر الدول اعتدالا فى المنطقة؛ ولهذا يهم الولايات المتحدة أن تظل على صداقة معها.

سؤال : فى هذا السياق أتساءل ما وجهة نظركم بالنسبة للخطوات التى اتخذها الرئيس مبارك؟

ـ إننا نشكر الرئيس مبارك على كل ما يبذله من طاقة وجهد، ولايمكن أن نطالبه بما هو فوق طاقته. من المفروض أن تتبنى مصر كلها رأيا واحدا حيال القضايا القومية خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، وأعتقد أن الرئيس مبارك يبذل كل جهده لا من أجل مصر فحسب وإنما من أجل المنطقة العربية كلها. من الخطأ دوماً أن نتسرع النتائج؛ فالخطة السياسية الناجحة بالنسبة لأية دولة لايخدمها الانفعال والحلول السريعة، وإنما يحتاج الأمر إلى رؤية وهدوء وتفكير متزن إزاء ما ينبغي عمله؛ ولذا تلجأ دول كثيرة إلى سياسة النفس الطويل وبخاصة فى الأمور السياسية المعقدة، فالسياسة لايحكم عليها من خلال فترة زمنية قصيرة محدودة، وإنما الفترات حلقات فى سلسلة طويلة تأتى أكلها فيما بعد. وعليه قد نقد م الاقتراحات ولايصحبها استجابة فورية من الطرف الآخر، المهم أنها قدمت ولابد وأنها ستأتى بنتائجها فيما بعد، مالا يدرك الآن يدرك بعد الآن ، كالبذرة قد لاتصبح شجرة إلا بعد سنوات.

ولكن قوة الحياة تعمل فيها ولو تحت الأرض.

إن أبسط شيء هو أن نقف وننتقد أية سياسة، ولكن العمل الإيجابى النافع هو الذى يأتى بالنتائج وهو ما تقوم به مصر وبالإمكان دعم الموقف المصرى وتعزيزه بجبهة عربية موحدة.

سؤال : عنصر الزمن مخيف مع ما تقوم به إسرائيل من إجراءات فى الأرض العربية المحتلة؛ تهدف إلى تكثيف الوجود الإسرائيلى وتهويد المناطق كخطوة لضمها إلى الأبد ؟

ـ بالطبع إن استمرار إسرائيل فى سياسة بناء المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة إنما تهدف بواسطتها إلى فرض الأمر الواقع، وهو مالا يمكن أن نقره أو نوافق عليه، فهى تعقد الوضع السياسى يوما بعد يوم ومع ذلك فإننا حينما استرجعنا سيناء لم تقف المستوطنات عقبة أمامنا بل قامت إسرائيل بهدمها من تلقاء نفسها ومن الممكن أن يصدق هذا على أية مستوطنات إسرائيلية فى أى مكان فى الأراضى العربية المحتلة.

ولكن لو أن إسرائيل وجدت أمامها قوة عربية متماسكة لما شرعت فى بناء أية مستوطنات، إن ما يشجع إسرائيل على المضى فى سياستها الرامية إلى هدم إجراءات الثقة هو أنها لاتجابه عربيا، اللهم إلا بمواقف استنكارية لفظية. إن ما يشجع إسرائيل على أية خطوة

ضد العرب هو ما يعوز العرب من وحدة، فعندما ترى أن كل دولة تختلف عن نظيرتها فى المنطقة فإنها تسعى لاستغلال الموقف لحسابها وتمعن فى سياستها.

سؤال : إسرائيل وسياسة القبضة الحديدية التى اتبعتها فى جنوب لبنان وما يمكن أن يتفتق عن ذلك من تعميق هوة النزاع الطائفى ما دعوتكم اليوم للبنان ؟ وما الوسائل التى تدعم وتساعد على استقرار لبنان اليوم من وجهة نظركم ؟

- إن استقرار لبنان يحتاج إلى انسحاب إسرائيل الكامل من أراضيها وفقاً للقرار (٤٢٥). إننا ندين سياسية إسرائيل فى لبنان؛ ولهذا فإن عليها استكمال انسحابها دون أى تأخير، وعليها أن تبادر بتصحيح أخطائها الأخيرة ولا يعقل أن يستمر قصف لبنان يوميا من قبل إسرائيل.

سؤال : هل مازلتم تعتقدون بأن الولايات المتحدة مازالت تمثل الشريك الكامل فى عملية السلام خاصة أن روسيا مبعدة عن عمد بالنسبة للساحة ؟

- الولايات المتحدة تمثل الشريك على أساس اتصالاتها وعلاقتها الوثيقة بإسرائيل فسياستها الخاصة تدخل فى عملية السلام. أما بالنسبةلروسيا فهى ليست منحاة عن عمد، وإنما هى التى لا تضطلع بدورها الذى همش وترا جع.

سؤال : السياسة التى تتبعها الولايات المتحدة كشريك كامل فى عملية السلام غير منصفة وغير عادلة. وبذلك إذا أخذنا فى الاعتبار محاباتها الدائمة لإسرائيل ضد العرب ؟

- لاننسى أنه توجد صداقة تقليدية ومصالح مشتركة بين الولايات المتحدة وإسرائيل؛ ولهذا فمن الطبيعى أن تنحاز الأولى للثانية وتدافع عنها حتى فى الأخطاء، ولا أدل على هذا من استخدامها حق الڤيتو أكثر من مرة ضد قرارات هيئة الأمم المتحدة التى تدين إسرائيل. والمفروض لمجابهة هذا أن يتبنى العرب سياسة إيجابية موحدة، فلو وجدت جبهة عربية قوية لاستطاعت بلا شك ممارسة ضغوط مؤثرة وفعالة فى المحيط السياسى. إن الدول الكبرى دائما تتطلع إلى الاعتماد على جبهة قوية ومؤثرة فى المحيط السياسى والعسكرى، فلا يمكن

للعرب وهم مفككون أن يمارسوا ضغطا على الولايات المتحدة لتبنى مواقف إيجابية وواضحة فلا يفيد العرب الاكتفاء بالانتقادات الكلامية والانفعال تجاه احتلال أراضيهم إنما عليهم أن يتحدوا ويسيروا معا فى خطة سياسية واحدة وعمل عسكرى واحد. وفى هذه الحالة لن تستطيع الولايات المتحدة تجاهل قوتهم فى المنطقة وستتفاهم معهم على أساس هذه القوة وهذا الثقل الذى ستعمل له حسابا. والنقطة الثانية التى يجب أن يهتم بها العرب هى العمل على إصلاح وتقوية اقتصادهم؛ ففى ظل المتاعب الاقتصادية لن يستطيع العرب الوقوف ضد الولايات المتحدة أو ضد إسرائيل. علينا أن نعتمد على سياسة النفس الطويل التى تبدأ بخطوة لتتلوها خطوات.

سؤال : هل يعنى هذا أن سياسة الضغط على الولايات المتحدة لتمارس بدورها ضغطاً على إسرائيل سياسة غير مجدية ؟

ـ لاشك أن الضغط على الولايات المتحدة لتضغط على إسرائيل بدورها هو حل أساسى للمشكلة، ولكن كيف يمكن الوصول إليه ؟ إن الولايات المتحدة تضغط على إسرائيل فى حدود رضا واحتمال إسرائيل. وعليه فإن رأت أن إسرائيل قد أصرت على مواقفها فإن الضغط الأمريكى يغيب حينئذ.

ولاشك أن احتفاظ الولايات المتحدة بصداقة إسرائيل وإصرارها على معاونتها راجع إلى اعتقادها بأن مصلحتها العسكرية والسياسية تكمن فى مساعدة إسرائيل. فإن أمكن إقناع الولايات المتحدة عملياً بأن لها مصلحة فى صداقة العرب ومساندتهم أو أن مصلحتها معهم هى أكثر نفعا لها، فحينئذ ستتغير نظرتها السياسية إلى إسرائيل وهذا الأمر لايتأتى بالكلام وإنما يأتى بعمل إيجابى.

إن الولايات المتحدة فى تقييم مصالحها ترى أن إسرائيل هى الصديق التقليدى الدائم والثابت والمضمون. أما صداقتها مع بعض الدول العربية فهى مجرد صداقات وقتية يمكن أن تتحول أو تتبدل أو تزول ومن ثم فهى تعطى الأولوية لإسرائيل، ثم لامانع بعد ذلك من أن تكون لها بعض الصداقات مع بعض الدول العربية خاصة وهى ترى أن دولا عربية أخرى تتبع فى سياستها الاتحاد السوفيتى سواء كان الاتباع حقيقياً أو مجرد واجهة.

سؤال : ولكن موقف الولايات المتحدة بالنسبة لأطراف المنطقة يعوزه العدل ؟؟

ـ لا ننسى أن السياسة كثيراً ما تحكمها المصلحة وليس العدل ولن يكون سبيلنا أن نلتمس من الدول الكبرى نسيان مصالحها وإنما علينا أن نقنعها بأن مصالحها لدينا وفى جانبنا وحينئذ نطالبها بالعدل.

سؤال : عملياً كيف يمكننا تحييد الولايات المتحدة على الأقل لتصبح سياستها أكثر إنصافا أو وضوحا ؟

ـ إذا تمكن العرب من إقناع الولايات المتحدة بأن مصالحها تكمن لديهم سيتحقق ما يريدون، ولكنى أتساءل: أين العرب من هذا وهم مشغولون بنزاعاتهم؟! إن ما يلزم الجميع هو إعادة الحسابات مرة أخرى. على العرب أن يتخلوا عن نزاعاتهم وأن يتبنوا موقفاً موحداً هنا، وهنا فقط سيمثلون قوة تعمل لها الولايات المتحدة ألف حساب؛ وحينئذ قد ترجح كفتهم على إسرائيل.

سؤال : مع الألفية الثالثة يتطلع الجميع أن تسود نغمة التعايش السلمى لتنعكس على الأحداث التى تمر بها المنطقة والتحركات والجهود التى تبذل لتعزيز السلام وروح الاستقرار.. وأتساءل كيف يمكن أن نقترب أكثر وأكثر تجاه تعايش سلمى حقيقى ؟

ـ التعايش السلمى معناه أن يعيش الناس معاً فى سلام، ويمكن أن يكون بين الأفراد والحكومات والشعوب والدول. ولعلك تقصدين هنا التعايش السلمى بين الدول والذى ينبغى أن يبنى على أسس سلمية: أولها احترام حقوق الآخرين، واحترام الحدود الدولية المتفق عليها، وعدم التوسع على حساب الغير؛ لأنه إذا كانت لأية دولة أطماع سياسية أو أطماع فى ضم أراض جديدة فسينتهى الأمر إلى نزاع بينها وبين الدول الأخرى ولا يمكن أن يعيش الجميع فى سلام. ويتعمق التعايش السلمى بالعلاقات والمودة وتبادل السفراء والعلاقات التجارية والاجتماعية والخدمات المشتركة والتعاون فى كافة المجالات؛ وبهذا يعيش الناس معاً فى سلام. فالتعايش السلمى يتأكد باحترام حقوق الآخرين.. وباحترام الحدود الدولية وبعدم الرغبة فى التوسع كما يأتى بفض النزاعات عن طريق السلام والتسوية، وكل هذا يتم بمحبة وبهدوء ، فإذا لم يتسن ذلك لابد أن تتدخل دول أخرى لكى تحل المشاكل فى سلام، وأسوق مثالا على ذلك بمشكلة «طابا» التى أمكن حلها بالطريق السلمى وبالمفاوضات وعن طريق التحكيم الدولى. وهذا يجعلنا نفكر أيضا فى أنه يجب احترام قرارات الهيئات الدولية مثل الأمم المتحدة ومجلس الأمن وأية هيئات تتدخل لكى يعيش الناس فى سلام.

سؤال : لكن هل تتماشى مع نعمة التعايش السلمى والجهود الإيجابية المبذولة من قبل الفلسطينيين وأطراف عربية ودولية أخرى تلك الممارسات القمعية التى تقوم بها إسرائيل فى الأراضى المحتلة ضد الفلسطينيين والتى تشكل اغتصابا يوميا لكافة حقوق الإنسان المنصوص عليها فى الشرعية الدولية ؟

- طبعا نحن لا نوافق على أعمال وحشية تقمع بها إرادة الفلسطينيين؛ ولذا فإن الحاجة باتت ملحة بالنسبة لحق الفلسطينيين فى وجود وطن لهم وأرض يعيشون عليها أى إقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة، فمن غير الإنسانى أن يبقى شعب بلا إرادة وبلا تقرير مصير؛ ومن أجل هذا قامت الثورات ضد الحكم اليهودى؛ لأن التعايش السلمى معناه ألا يكون حق أية دولة على حساب حق دولة أخرى أو طرف آخر، وكل دولة يجب أن تحترم الدول الأخرى. ويبقى علينا أن نبحث فى هذا المجال مدى مراعاة حقوق الفلسطينيين لكى يكون لهم وطن يعيشون فيه، وأنا لا أبحث معهم عن هذا الوطن. ولكن أبحث عن الحق فى وجوده؛ لأن هذه مسألة إنسانية وليست مسألة سياسية، فالسياسة لها تصرفات أخرى.

سؤال : كيف يمكن تعميق نغمة التعايش السلمى عن طريق أمريكا خاصة وأن التعايش السلمى كفيل بحل الكثير من القضايا الإقليمية ؟

أول شيء نريده من أمريكا أن تتبنى موقفاً حيادياً، وأيضا ألا يكون لها أغراض خاصة تنفذها على حساب الدول الصغرى، بمعنى أنه يجب عليها مراعاة أن للدول الأخرى شخصيتها ووجودها السياسى وحقوقها ولها مصالحها؛ ومن ثم لايجوز أن تتدخل الدول الكبرى لتنفيذ مصالحها هى وإنما لتنفيذ مصالح الدول الأخرى الموجودة فى المنطقة على أساس من العدل واحترام الحقوق السياسية والحياد والرغبة فى السلام الدائم فى المنطقة، بحيث تحل المشاكل بطريقة شاملة ولاتبقى لها ذيول تحتاج إلى أن تحل بطريقة عنيفة أو بمزيد من المفاوضات .

سؤال : عكس عرفات بسياساته رسالة للعالم أجمع برغبة الفلسطينيين فى التعايش السلمى والاستقرار .. ما رؤيتكم ؟

- دعوة عرفات للسلام كانت وستظل واضحة، وهنا نذكر بقرار الأمم المتحدة رقم

(١٨١) الذى يقرر وجود دولتين إحداهما فلسطينية. ونعجب كيف ينفذ نصف القرار بالنسبة لليهود ولا ينفذ النصف الآخر؟!

سؤال : وما الذى تتطلعون إليه من الإدارة الأمريكية ولم يبق على ولاية كلينتون إلا أشهر معدودة؟

- نحن نرجو من الولايات المتحدة أن تمارس واجبها السياسى فى المنطقة بحيث تسهم فى العدل والسلام بمراعاة حقوق كل دولة فيها. ونرجو أن يوفقنا الله فى هذا، وإذا وجدت عقبات فلاشك أنه توجد حلول كثيرة لهذه العقبات بحيث لا تطول عملية البحث عن حل وتمتد إلى أزمنة طويلة.

سؤال : وماذا عن حكومة إسرائيلية يقودها اليوم إيهودا باراك ؟

- نحن نرجو من الحكومة اليهودية الجديدة أن تستفيد من الدروس السابقة فى المنطقة. وأن تبنى سياستها على أساس من التعايش السلمى وليس على أساس من العنف أو القهر.

سؤال: كثرت الاجتماعات وعقدت المؤتمرات ومازالت اللاءات الإسرائيلية تتصدر الواجهة.. كيف نخرج من هذا الاستعصاء؟

- أى اجتماع ليس هدفا فى حد ذاته، فالاجتماع هو وسيلة للوصول إلى نتيجة، وأنا دائما أرى وجوب أن تكون هناك مقدمات لأى اجتماع، وهذه المقدمات تتم بواسطة من يملكون مواصفات صانعى السلام.. وهؤلاء يمهدون الجو ويقربون وجهات النظر. فمن مصلحة إسرائيل أن يسود السلام حتى لا يتفجر العنف، كما أن وجود اضطرابات دائمة ليس فى صالح أحد، المهم أن يحل الموضوع ويحل بطريقة ترضى الطرفين، وسياسة النفس الطويل فى هذه المشاكل قد تأتى بمشاكل أطول منها. فهناك مسائل تحتاج لبتٍ سريع ولا تحتاج لنفس طويل تتراكم معه الخسائر وتتعمق فى ظله عوامل نفسية من كراهية وحقد ومرارة يكون من الصعب بعد ذلك استئصالها إذا ما فاتت الفرصة؛ ولهذا نأمل أن تبادر كل الأطراف باغتنام الفرصة وإلا ضاعت للأبد.

سؤال: عندما تتحدثون عن وجود وسطاء للتمهيد هل هذا يعنى الولايات المتحدة فقط أم أنه يمكن أن يتعدد الوسطاء ؟

- مصر وسيط مطلوب ومحبوب.. والوسطاء يشترط فيهم بداية أن يكونوا مقبولين من الطرفين، وأن تكون لهم قوة التأثير، وأن تكون لهم الصفة المحايدة غير المتطرفة حيال أو ضد أحد الجانبين. ومن هنا فإن العبرة بالصفات فهي المهمة وليس بالشخصيات التي ستمارس الوساطة، ولكن عندما تكون دول لها قيمتها وأهميتها وتتوافر فيها هذه الصفات فهنا تأتي وساطتها بالنتائج الإيجابية الفعالة.

سؤال: العقبة الرئيسية أن إسرائيل تريد فرض توجهاتها على السلطة الفلسطينية في مفاوضات الوضع الدائم.. بل رأيناها تنتقد تعيين «ياسر عبد ربه» رئيساً لطاقم التفاوض الفلسطيني؟

- من حق الفلسطينيين أن يختاروا ممثليهم، والسلطة الفلسطينية هي المفوضة بالاختيار. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إذا كان الجو مشحوناً بالتشبث بمواقف غير عملية من قبل إسرائيل فكيف سيحل الموضوع ؟ لأنه لابد في نهاية الأمر أن تتولى السلطة الفلسطينية القيادة وإلا فمن سيحكم؟ السلطة الفلسطينية هي المفوض الطبيعي لاختيار من يمثلها في التفاوض، وإذا أصرت إسرائيل على تنحيتها عن اختيار ممثليها لكان معنى ذلك أنها لاتريد حلا.

إن مشكلة إسرائيل في هذه النطقة أنها متأثرة بالصراع القديم دون أن تتأثر بالتوجيهات الجديدة لياسر عرفات وبالنهج السلمي الجديد الذي تبناه وطرحه جهراً أمام العالم بأكمله، فمازالت إسرائيل بمواقفها تعيش أعواما مضت ولا تعيش في العصر الحاضر، وهو نفسه ما عكسته تصريحات مسئوليها حول القدس واللاجئين والاستيطان فهذا الكلام غير منطقي وغير معقول وغريب أن يقال، ولهذا فإن ما تطالب به إسرائيل أصلا غير معقول.

سؤال: إسرائيل تنتهج سياسة التعجيز.. هل معنى ذلك أنها تطلب المستحيل ؟

- إسرائيل تتبنى ما يسميه البعض بسياسة تعجيز أو سياسة كسب وقت أو تعقيد الأمور؛ بحيث تبدو في الواجهة والمظهر أنها مستعدة للتفاهم، ولكنها عمليا تضع العراقيل والتعقيدات للحيلولة دون أي تفاهم، فالمفروض أساسا أن توجد النية الطيبة أولا لكي نصل إلى تفاهم مثمر.

سؤال: مع عاصفة التغيير السريع المتنامي حولنا في العالم تظهر النظم الاقتصادية كنقطة ارتكاز في التحرك نحو التغيير والتقدم.. هل نعتبر

أنفسنا كدول عالم ثالث متخلفين عن الركب؟ وهل يمكن لهذه التغييرات ووسط هذه الكيانات الاقتصادية الجديدة أن تؤثر علينا سلبا؟

ـ الانفتاح على الاقتصاد العالمى قد يكون ذا فائدة كبرى لنا، وهو ما يرتبط بالسماح بدخول رءوس الأموال الأجنبية لتنشيط الاقتصاد المصرى مع أخذ الاحتياطات اللازمة بحيث لاتكون هناك شروط، وتحوطات مبالغ فيها تعقد السبيل لدخول المستثمرين. فلابد من تهيئة الوسائل لإيجاد مجال قوى للاستثمار. أما النقطة الثانية فهى تدريب العمالة المصرية لتكون على مستوى العمالة الأجنبية فى عصر التكنولوجيا الحديثة. أثناء جولاتى بين العالم لاحظت فى الولايات المتحدة واستراليا وسنغافورة وهونولولو ـ أن رجال الأعمال الصينيين واليابانيين قد وجدوا مجالاً واسعاً جداً للعمل هناك ولاستثمارات واسعة النطاق لدرجة أن السيارات الخاصة اليابانية والصينية تكتسح السوق حالياً فى الولايات المتحدة؛ فلأنها أجود صنعاً وأرخص ثمنا عليها إقبال شديد. وطبعا هناك مصانع على هذا المستوى يمكن أن تكون لدينا، ولكن المشكلة فى العمالة؛ فهؤلاء يريدون عمالة مدربة من عندهم يضمنون قيادتهاوخبرتها. ولابد أن نبحث لنرى هل يوجد مجال لإرساء استثمارات أجنبية فى تعمير الصحراء مثلاً خاصة ونحن سنستفيد بالقطع منها اقتصاديا. البعض يشكو من اشتراطات كثيرة فى مجال الصناعة وتوقف النمو الصناعى وتأسيس الشركات والمصانع والبعض يشكو من فرض عمالة معينة غير مدربة، والبعض يشكو من الضرائب والجمارك بالنسبة للاستيراد من الخارج ودخول المصانع، وعامة فالمسائل تحتاج إلى رأى الاقتصاديين فى هذا الأمر وأنا لست رجل اقتصاد ولكن أقول فقط ما أراه.

سؤال : ماذا عن التعاون العربى والتطلعات إلى إنشاء سوق عربية مشتركة؟

ـ ما من شك فى أن كل تعاون له فائدته، ونحن فرحنا بالتعاون العربى. ونرجو أيضا أن تدخل التكنولوجيا العالمية فى مجالاتنا الاقتصادية؛ لكى نستطيع أن نواجه العالم فى نموه السريع الواسع جداً فى مجال التكنولوجيا، لقد أصبح الكومبيوتر حالياً فى يد التلاميذ فى كل مكان، ويستخدم فى كل مجال وفى تخزين المعلومات والحصول عليها، بل إن استخدام الكمبيوتر فى عمليات كثيرة أصبح من الأمور العادية جداً جداً فى الخارج. وعلينا أن نشجع الصناعات سواء الصغيرة أم الكبيرة، وأن نعمل على تسهيل الإجراءات بحيث لايجد المستثمر

نفسه مضطرا لأن يمر على عدد ضخم من اللجان قبل السماح له بالإسهام والعمل، لابد من تشجيع الاستثمار والصناعة وتسهيل الإجراءات بقدر الإمكان وتسهيل الاستيراد والتصدير مع الانفتاح على الاستثمار الأجنبى فى الحدود التى لاتضر البلاد بل تفيدها.

سؤال : مازالت منطقة الخليج تظللها سحابة عدم الأمان رغم الوجود العسكرى الأجنبى الذى يرابط بها منذ عام ١٩٩١ ؟

ـ الأمنية الأولى التى نتمناها هى السلام فى بلاد الخليج. ونرجو أن يعود الاطمئنان إلى هذه المنطقة وتهدأ الأمور وتعود إلى طبيعتها؛ لأهنئ الكل برجوع المودة والإخاءوالسلام والمحبة إلى هذه المنطقة، وأيضا حتى يتسنى مراجعة الحسابات لتكوين أسس جديدة تقوم عليها العلاقات فى تلك المنطقة ويبنى عليها السلام ا لفعلى فى ربوعها. ونرجو لباقى جهات العالم كل خير وبركة، ونحن دائما نضع فى قمة اهتمامنا أن يكون للناس علاقة طيبة مع الله وسلام داخل القلب، سلام مع الله وسلام مع الناس وحياة مطمئنة نقية مقدسة.

سؤال : مراجعة الحسابات لتكوين أسس جديدة تقوم عليها العلاقات فى المنطقة قد تتطلب إعادة النظر فى أوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية، وأول مرتكزات هذه العلاقة هو التضامن العربى.. كيف يمكن إحرازه ؟؟

ـ المطلب الأول لإحرازه نبع من اهتمام كل دولة بالصالح العربى العام أكثر من تركيزها على صالحها الخاص كما تفهمه، فكثيرا ما تضيع بعض القضايا العامة بسبب أن بعض الدول تفكر فى إطارها وفى إطار منفعتها أكثر من التفكير العام وتبحث وسط هذا عن صالحها الخاص بغض النظر عن الصالح العام. فوضع استراتيجية عامة والتزام الكل بها هى الخطوة المركزية الأولى لإحراز التضامن العربى، فكيف توضع هذه الاستراتيجية وكيف يلتزم الكل بها ؟ هنا السؤال الذى نحب أن نرى له إجابة عملية.

سؤال : ولكن هل يمكن القول بأن أزمة الخليج قد عكست ضرورة إعادة النظر فى أوضاع سياسية واجتماعية و اقتصادية فى المنطقة ؟

ـ هذا لمن يريد الاستفادة منها، علماً بأنه قبل أن تحدث تلك الأزمة كانت هناك أزمات

سابقة ليست على نفس المستوى، ولكنها أزمات. وكان هناك تفرق لايوحى أبداً بإمكان أن يكون بعده تضامن تام، وقصة هذا التفرق طويلة لمن يتتبعها تاريخيا، فقبل أن نتكلم عن عمل التضامن العربى علينا أن نسعى أولا إلى إيجاد هذا التضامن، فإن وجد فلابد أنه سيعمل بصورة طبيعية تلقائية، كما أن الدول العربية تتفق أحيانا فى المبدأ ولكن لاتتفق فى الوسيلة وتتعدد الآراء وقد تتناقض من أجل مبدأ واحد متفق عليه.

سؤال : نتوقف عند التنمية الاقتصادية لدول المنطقة لأتساءل: هل يمكن أن تكون مسئولية عربية ؟

ـ هذا الأمر يمكن أن يتم عن طريق التبادل التجارى مثلاً، أو عن طريق وجود بلاد عربية منتجة تستطيع أن تصدر إلى بلاد عربية تعتمد عليها فى استيراد حاجاتها سواء فى الإنتاج اللازم للحياة المدنية أو للإنتاج الحربى. هذه البلاد العربية المنتجة يلزمها أن ترفع مستوى إنتاجها فى النوعية والعدد، ويمكن للبلاد العربية الغنية أن تساعدها على إنشاء المصانع واستيراد الآلات الحديثة اللازمة، كما يمكن لبعض البلاد الغنية أن تقيم مصانع فى بلاد عربية أخرى أو شركات أو مؤسسات اقتصادية تمنح فرصة لتشغيل العمالة وتكون مجالاً أيضا لربح هذه الدول الغنية.

سؤال : لماذا يبدو الشرق فى معرض مقارنته مع الغرب قزماً لا أهمية ولا صلاحية له ولا اعتبار؛ ولهذا نجد أن الغرب يتعامل معه من وجهة نظر استعلائية ونبرة استفزازية ، وجاءت أزمة الخليج لتعكس غياب الندية بين الشرق والغرب؟

ـ لا ننكر أمرين فى الغرب ـ مهما تحمسنا لشرقنا ـ الأول التفوق العلمى والثانى التفوق العسكرى تبعاً له، فإذا أردنا أن نجابه الغرب فلا نجابهه بحالة نفسية معينة يسيطر عليها الضيق والتبرم، وإنما نجابهه بحالة علمية ترتكز على السعى فى المجال العلمى بحيث نكون على مستوى الكفاءة العلمية أو على الأقل نقترب منها وتكون لنا أيضا القوة العسكرية التى لا يحتكرها الغرب، وفى مسألة الخليج وضح بلاشك أن الغرب يعمل ألف حساب للقوة، ومن ثم فإذا كانت كل دول الشرق تحظى بهذا القدر من القوة فلاشك أن الغرب سيعمل لها حسابا، فلنكن عمليين فى نظرنا للموضوع ولانبحثه على المستوى العاطفى أو النفسى.

لقد بدأت النهضة العلمية عندنا منذ أيام الخديو إسماعيل ومنذ البعثات التى أرسلت إلى الغرب. فنحن فعلا نحتاج إلى نهضة علمية وإلى استخدام الطاقات البشرية الموجودة لدينا والرخيصة الأجر والتى لا نستخدمها، ثم هناك سبب مهم وهو أن الشرق خضع لفترة كبيرة وقريبة للاستعمار الأجنبى، فالاستعمار تاريخه حديث بالنسبة لكل الشرق. وحينما استفاق الشرق من الاستعمار وبدأ يهتم بنفسه كان هناك فارق زمنى طويل، فمهما ركض لكى يلاحقه يحتاج إلى وقت، هناك نهضة موجودة بالفعل فى بلاد الشرق لا نستطيع أن نتجاهلها ولكن المسألة تحتاج إلى وقت، خذى السعودية مثلاً بعد أن كانت فى الماضى مجرد صحراء تحولت إلى العمران الجديد والمبانى والمصانع والنهضة العلمية، وسنجد فارقاً كبيراً جداً بين اليوم والأمس.

كما أن التقدم الذى وصلت إليه أغلبية دول الخليج أيضا فى فترة وجيزة من بدء النهضة الحاضرة هو تقدم كبيراً جداً ولكن نظراً لقصر المدة لم تستطع أن تصل إلى المستوى الذى وصلت إليه بلاد الغرب فمنذ حركة النهضة فى القرنين الـ (١٥) و (١٦) مرت مئات السنين، فإن قارنا لانقارن بين نهضة شرق فى سنوات قصيرة ونهضة غرب فى مئات السنين. وهناك نقطة أخرى هى الإمكانات، فدولة مثل مصر لها حضارة منذ ستة آلاف سنة استهلكت إمكاناتها خلال هذه الفترة الطويلة. خلافا لبلاد الغرب فهى بلاد بكر لم تبدأ نهضتها إلا قريبا، فالثروة الوطنية مازالت محفوظة كما هى من صلب وحديد.

ودولة مثل أمريكا مازالت تحتفظ بأراضيها الزراعية الشاسعة التى يمكن أن تغذى العالم كله بالقمح؛ لأن البلاد بكر والأرض واسعة، وهناك إمكانات أكثر من حاجة الناس.

سؤال : الظروف غير مواتية لدينا ، الشرق يحاول أن يصل إلى التقدم ولكن هناك مؤامرات الإجهاض المستمرة لتحجيم هذه القدرات العسكرية والتكنولوجية ؟؟

ـ أولاً ماذا تقصدين بمؤامرت الإجهاض وبعملية التحجيم علماً بأن الغرب يبيع أسلحة كثيرة للشرق تعتبر متطورة بالنسبة للشرق، وإن كان الغرب قد وصل إلى ماهو أعلى مستوى منها، وتطلع الغرب إلى إفساح المزيد من الأسواق التجارية وأن يتخلص من القديم وأن يجرب أسلحة جيدة ليعرف مدى صلاحيتها. أما عن التكنولوجيا فمن رأيى أنها لاتمنح لنا وإنما

نأخذها بجهد ومثابرة وسعى وراء العلم، ومجال العلم مفتوح فى الغرب لمن يقصده والكتب تملأ المكتبات والمصانع والمعامل مستعدة لاستقبال طالبى المعرفة، والمفروض أن معاهدنا المصرية يزداد تقدمها فى مجال التكنولوجيا إن العلم لانأخذه منحة وإنما ينبغى أن نجاهد فى سبيله، وعقلياتنا تساعدنا وكذا تراثنا، وكثير من شبابنا ذهب إلى بلاد الغرب وصاروا أساتذة فى الجامعات أو رؤساء أقسام فى مستشفيات، و أفسح المجال أمامهم فى الاقتصاد، ولدينا أمثلة من بلاد الشرق الأقصى وصلت إلى مجال كبير فى العلم والتكنولوجيا والاقتصاد لم يصل إليه الغرب، مثل: اليابان والصين وكوريا وتايلاند.

مشكلتنا أن شبابنا يريد أن يجلس على المكاتب ويشتغل بالإدارة، ويجب فى مجالاتنا العلمية أن نفسح المجال ونسهله أمام الشباب.

سؤال : فى نطاق الحديث عن مؤامرات الإجهاض التى يقوم بها الغرب بالنسبة للشرق فى محاولة تحجيمه تظهر محاولاته للحد من حصولنا على التكنولوجيا وتحجيم طاقاتنا، فرغم مبادرة الرئيس مبارك فى إبريل سنة ١٩٩٠ التى دعا فيها إلى نزع أسلحة الدمار الشامل من دول المنطقة ـ تركز أمريكا على وجوب نزع سلاح الدول العربية ولا تشير إلى إسرائيل؛ رغم أنها أعلنت رسميا امتلاكها للأسلحة النووية، ألا يعد هذا كيلا بمعيارين، بل إن أمريكا مازالت تصر على فرض الحصار على العراق بذريعة سعيه لامتلاك أسلحة الدمار الشامل؟؟

ـ إذا كان هناك اتفاق بالطبع على نزع أسلحة الدمار الشامل من المنطقة فينبغى أن يكون بطريقة عادلة تشمل الكل؛ لأننا إن نزعنا سلاح بعض الدول وأبقيناه فى دولة أخرى يصبح التوازن العسكرى غير موجود، وبالتالى توازن القوى غير موجود، ومبدأ توازن القوى مبدأ يقره العالم كله، ولما كان هناك اتفاق بين أمريكا وروسيا على نزع كل أسلحة الدمار فإن هذا الاتفاق يشمل كل دول أوربا. فإذا كان هناك تنفيذ لنزع السلاح فينبغى أن يكون عادلا ويشمل الجميع، ولا تظنى أن الدول العربية ساهية عن هذا الأمر بحيث تنزع سلاحها بينما تبقى إسرائيل أو غيرها سلاحها كى يهددها، فذكاء العرب لايمكن أن يتجاهل هذه النقطة. وبالنسبة للعراق أقول بأنه يهمنا توازن القوى فى المنطقة، فالقضاء على العراق ليس من صالح توازن القوى ولا من صالح القوة العربية بصفة عامة، فهدفنا هو المصالحة وليس التحطيم.

سؤال : كل ساسة إسرائيل توسعيون، فى حين أكد شامير أن للإسرائيليين الحق فى أن يستوطنوا أرض إسرائيل من البحر إلى النهر فلقد رفض باراك تجميد الاستيطان فى قمة «أوسلو» الثلاثية التى عقدت فى ٢ نوفمبر ١٩٩٩ . ومازالت كل التصريحات تظهر إمعان إسرائيل فى النزعات التوسعية والهيمنة على المنطقة ؟ ؟

ـ رأيى أن إسرائيل تستغل انقسام العرب، ولو كانوا وحدة واحدة قوية ما استطاعت إسرائيل أن تقول هذا، فالصراع العربى مازال موجوداً، ولو كانت قوة العرب قوة موحدة لخشيت منها إسرائيل؛ فعلينا أن ننادى بالوحدة العربية الشاملة وهذه الوحدة لن تعطى إسرائيل فرصة للتحكم فى العرب.. لكن العرب منقسمون ـ مع الأسف الشديد ـ ويضرب بعضهم بعضاً مما يحدو بإسرائيل إلى أن تتحدث كيفما تشاء. ليس المهم فيما تقوله إسرائيل وإنما فيما نفعله نحن لمواجهة هذا الموقف، والمواجهة الأساسية هى فى الاتحاد، تصورى مثلا أن كل العرب كانوا موحدين عسكريا واقتصاديا، إذن العيب الأول أننا كعرب غير موحدين، يقتل بعضنا البعض الآخر ويهدد بعضنا بعضا فتستغل إسرائيل الفرصة، وكما قال أحدهم: «تنازع نسران على فريسة فكانت من نصيب الثعلب ! » فحاليا يبدو انقسام جبار فى موقف العرب وهو ما يستغله الغير، ونحن الذين نعطى للآخرين فرصة استغلالنا بموقفنا المنقسم.

سؤال : ظهرت أصوات عديدة تدعو إلى ضرورة قيام حرب لردع العدوان ورد الغزو.. هل يمكن أن تستقيم دعوة إشعال حرب مع منطق السلام؟ هل يمكن للحرب حل المشكلة دون ترديات وعواقب وخيمة على المنطقة ؟ ؟

ـ لاشك أن الهدف ليس الحرب وإنما الهدف هو إقامة العدل، فإذا أقيم العدل بغير الحرب يكون هو الوضع الأمثل، أما إذا لم يقم العدل فيضطر الناس حينئذ إلى اتخاذ الطريق الصعب والخطر؛ لأن إقامة العدل هى الأساس، فالعدل أساس الحكم وأساس التعامل مع الناس، فالذين يتحدثون عن الحرب يتحدثون عنها لإقامة العدل وليس الحديث عن الحرب من أجل شهوة الحرب.

سؤال : حتى لو كان ضحايا كثيرون ؟

ـ وأيضا إذا كان ضمن الضحايا دولة بأكملها؛ وذلك لإحقاق الحق وإقامة العدل.

السؤال : كانت قد برزت مخاوف عربية فى أعقاب فوز كلينتون بالرئاسة الأميريكية، وذلك لانتمائه للديموقراطيين الذين عرفوا تاريخيا وتقليدياً بتعاطفهم الكامل مع إسرائيل ؟

البابا شنودة: الدول الكبرى تحكمها سياسات ثابتة ولاتخضع لأهواء رؤساء، والخلاف بين رئيس ورئيس هو خلاف فى الوسيلة وليس فى الهدف. وفى مجال علاقة دولة كبرى بدولة أخرى، فإن السياسة العامة تكون معروفة، لكن بعضها يسير بأسلوب هادئ لتحقيق هذه السياسة، والبعض الآخر يتبنى أسلوباً عنيفاً، بعضها يحقق الهدف بسرعة والبعض الآخر ينتظر.. وعلى سبيل المثال فإننا نلحظ أن السياسة الأميركية تجاه إيران واحدة، ولكن على حين أراد «كارتر» تحقيقها بهدوء فإن «ريجان» تبنى أسلوباً عنيفًا. وعدا ذلك ليس هناك سوى سلطة المؤسسات مثل «الكونجرس»، فهذه المؤسسات تحد من جموح أى رئيس حيال اتخاذه لقرار.

سؤال : لكن هناك من يحكم على الرئيس الأمريكى من خلال تصريحاته عشية الانتخابات الأميركية ؟

البابا شنودة : كل ما يقال أثناء الانتخابات هو سياسة كسب مواقف، ولا يعول عليه؛ وبالتالى لايمكن أن يشكل أساساً حقيقياً للحكم على السياسة التى سيتبعها رئيس أمريكا القادم.

سؤال : ما الحقيقة فيما يقال من أن هناك نوعاً من المشاركة الوجدانية من قبل الكنيسة القبطية حيال الغرب خاصة الولايات المتحدة، وأن السبب قد يكون الدين الواحد وهو المسيحية ؟

ـ الدين الواحد لا يمثل سياسة واحدة فهناك بلاد إسلامية كثيرة ولكل منها سياستها الخاصة، وأيضا البلاد التى تغلب عليها المسيحية لكل منها سياسته، فلا نستطيع مثلا أن نقول إن سياسة إنجلترا هى سياسة إيطاليا أو أسبانيا بل وحتى فى الجزر البريطانية نجد نزاعاً كبيراً بين البروتستانت والكاثوليك وكلا الطرفين مسيحى فى ديانته، ومعروف فى التاريخ أن أقباط مصر كانوا ضد الحروب الصليبية بينما أولئك الذين سموا بالصليبيين كانوا مسيحيين وما أكثر

الحروب التى قامت بين الدول المسيحية. ويذكر التاريخ أنه قامت حرب طويلة الأمد بين فرنسا وإنجلترا فى استعمار الهند، ونذكر ما كان بين إنجلترا وفرنسا أيضا من جهة مصر فى موقعة أبى قير البحرية، وذاكرة التاريخ الحديثة تشرح كيف كانت إنجلترا وفرنسا ضد ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية وكلهم كانوا مسيحيين؛ إذن فالدين لا يشكل سياسة، والسياسة عموماً هى المصلحة.

نقطة ثانية : وهى أنه وإن كانت عبارة دين واحد قد تستخدم، ولكن فى الوقت نفسه لايوجد مذهب واحد، فالأقباط أرثوذكس وغالبية الغرب إما بروتستانت أو كاثوليك؛ إذن يوجد خلاف مذهبى قد يسبب صراعاً بين الطرفين وبخاصة لأن الإرساليات الأجنبية كانت تأتى لتغزو المسيحيين فى مصر كى تحولهم عن مذهبهم بأنواع وطرق شتى فينشأ صراع آخر، ومن ثم أتساءل أى تعاطفٍ أو مشاركة وجدانية يعنيها سؤالك ولأى دول من دول الغرب ؟!

سؤال : الولايات المتحدة.. وربما هذا لأنها الأقوى ؟

ـ المعروف أن الولايات المتحدة تساند اليهود، ونحن سياستنا تجاه اليهود معروفة. ومساندة اليهود على طول الخط أمر لا يقبله أحد، وهذه المساندة ذاتها تدل على أن الاختلاف فى الدين أيضاً لا يكون سياسة، فأمريكا واليهود مختلفون فى الدين ومتفقون سياسياً.

نقطة رابعة: ما وضح فى حرب الخليج هو التعاطف بين أمريكا وبين السعودية والكويت مع وجود اختلاف شديد فى الدين، لقد كانت الدول العربية كلها تقريباً وأمريكا فى جانب واحد فى حرب الخليج؛ لإنقاذ الشرعية فهل كلمة تعاطف بسبب الدين الواحد لها مجال فى هذا الأمر ؟

نقطة خامسة: إذا قلنا إن هناك تعاطفاً بسبب الدين الواحد فما أسهل ما نسأل قائلين ما الذى فعلته أمريكا من أجل الأقباط ؟

والجواب لاشىء طبعاً، فأمريكا تبحث عن مصالحها فى الشرق الأوسط والمصالح تتكون فى العلاقات مع الشعوب أو مع الدول والحكومات وليس مع الأقليات.

نقطة سادسة: لماذا يساق مثل هذا السؤال بلا دليل، بينما يوجد العكس المدعم بالأدلة على تعاطف الأقباط مع العرب ومع الفلسطينيين ومع كل قضايا الشرق الأوسط. إن الحديث

عن تعاطف الأقباط مع الغرب من قبل البعض قد يكون مجرد تشكيك لا يتفق مع مشاعر الوحدة الوطنية التى نتحدث عنها، وأقول إن الأقباط مصريون تقودهم كل مشاعر الحب فى سياساتهم ولا داعى للتشكيك فى ذلك.

سؤال : أمريكا خير داعم لإسرائيل وإلا فماذا يفسر الضغط الأمريكى على العالم العربى من أجل رفع المقاطعة عن إسرائيل التى مازالت تحتل الأرض العربية ألا يشكل هذا نوعاً من القهر بالنسبة للعرب؟

البابا شنودة : هل التعامل مع الناس يتم وفق المنطق أم السياسية أم المصالح الذاتية، الناس يتعاملون بمبدأ المصالح الذاتية؛ ولو أثبتنا لهذه الدول أن مصالحهم الذاتية تتفق مع وجود علاقات طيبة مع العرب لتغير الموقف.

سؤال : أمريكا تدفع العرب إلى تسريع المصالحة مع إسرائيل رغم تهديدها النووى للمنطقة، كيف يمكن مجابهة ذلك ؟

ـ هناك فرق بين أمرين: التسليح النووى واستخدام الطاقة النووية فى الإضرار بالآخرين، وهذه مسائل يتكلم فيها أهل العلم المتخصصون، كما يتكلم فيها أيضا أهل السياسة؛ لأن الخطر النووى يمكن أن يهدد المنطقة كلها بما فى ذلك إسرائيل نفسها. ولا شك أن مناطق النشاط النووى تحت رقابة مشددة ليس من إسرائيل فقط وإنما من دول أخرى والسؤال المطروح أمامنا الآن هو: ماذا يمكن عمله حيال الدفاع الحربى والمدنى وأيضاً من جهة توازن القوى ويطرح هذه السؤال على المختصين أيضاً أما أنا فأتساءل هل من توازن القوى أن جبهة تعمل وجبهة أخرى تكتفى بالتعليق على ما تقوم به الجبهة الأولى؟ كلنا يدرك الخطر الموجود ولكن المهم ما دورنا العملى لمجابهته ؟

قانون الاضطهاد الدينى

فى السادس والعشرين من مارس ١٩٩٨ :

وافقت لجنة العلاقات الخارجية بمجلس النواب الأمريكى على تعديل قانون الاضطهاد الدينى، أو ما عرف بقانون تحرير الأقليات الذى يسمح للإدارة الأمريكية بالتدخل فى شئون بعض الدول بحجة حماية الأقليات المضطهدة فيها . مشروع القانون المذكور نص فى البداية على اسم: مصر، السودان، السعودية، ثم الصين؛ على أساس أنها دول منتهكة لحقوق الأقليات، ثم عدل المشروع بحذف أسماء الدول ووضعت قواعد عامة لا يسمح با لخروج عنها . المشروع المذكور تمت صياغته ليصدق على دول مناهضة للسياسة الأمريكية أو التى يحتمل أن تتمرد عليها .

غير أن فكرة القانون المذكور ليست وليدة عام ١٩٩٨ ، و لكنها بدأت منذ أكثر من عامين على يد أحد المحامين اليهود، ثم تطورت على أيدى بعض اليهود أو المسيحيين الأصوليين ممن يشكلون مدرسة المسيحية الصهيونية، ثم تطورت الفكرة إلى إصدار بيانات لإثارة الضمير الأمريكى تجاه ما تتعرض له الأقليات المسيحية فى بعض الدول.

مع بداية سنة ١٩٩٦ بدأت حرب البيانات؛ حيث أصدرت الرابطة القومية للإنجليين بيانا لإثارة الضمير الأمريكى، حتى شكل كلينتون لجنة الشريط الأزرق برئاسة «جون شاتوك» مساعد وزير الخارجية لبحث الحريات الدينية واضطهاد المسيحيين فى الشرق الأوسط . وبدأت فى إعداد تقارير نصف سنوية عن أحوال المسيحيين فى العالم ودور أمريكا فى حل تلك المشاكل، جاء بعد ذلك مشروع «فرانك ولف» عضو الكونجرس لفرض عقوبات على بعض الدول بحجة اضطهاد الأقليات المسيحية .

وفى ١٦ مايو ١٩٩٨ وافق مجلس النواب الأمريكى بالأغلبية (٣٧٥) ضد (٤١) على مشروع قانون يلزم الحكومة الأمريكية بفرض عقوبات صارمة على الدول التى تمارس الاضطهاد الدينى . القانون يمنح أمريكا حق الوصاية على الأقليات الدينية وإنشاء مكتب لرصد الاضطهادات الدينية وكانت مصر هى المستهدفة أساساً بالقانون المشبوه رغم حذف اسمها من مشروع القرار .

وفى الفترة ما بين ٨- ١٠ يوليو ١٩٩٨ «زار فرانك» وولف مصر، وفى ٢٥ يوليو عقد مؤتمرا صحفيا اتهم الحكومة المصرية بتجاهل ما أسماه بقضية اضطهاد الأقباط.

أما البابا شنودة فتبنى موقفاً واضحاً وقويا، وهو يؤكد هنا بأن الكنيسة لا تقبل فرض عقوبات على مصر تحت أى بند . وقال إن لكل دولة الحق فى أن تشرع ما تشاء من قوانين لتطبقها لديها لا لتفرضها على دول أخرى . ووصف مشروع قانون مكافحة الاضطهاد الدينى الذى قدمه «وولف» إلى الكونجرس بأنه تدخل صريح فى شئون مصر الداخلية، مؤكدا بأن أقباط مصر يرفضون أن يمارس أحد وصاية عليهم، كما أنهم لا يقبلون أ ية حماية من أية دولة أجنبية و أن من يحمى مسيحى مصر هم مسلموها و الحكومة و القيادة فى مصر .

سؤال: فى عام ١٩٩٤ روج البعض لفكرة عقد مؤتمر عن الأقليات فى الشرق الأوسط يعتبر أن أقباط مصر أقلية على أساس دينى.. كيف ترون هذا الذى يجرى ؟

ـ نحن مصريون. جزء من شعب مصر ولسنا أقلية فى مصر، ولا نحب أن نعتبر أنفسنا أقلية ولا أن يسمينا الناس أقلية؛ فعبارتا أقلية وأغلبية تدلان فى أسلوبهما على التفرقة والتمييز أو التمايز بالنسبة إلى البعض، وهذا لا يليق بالنسبة لأبناء الوطن الواحد وبخاصة أن هذا الوطن هو مصر المحبوبة، وإن كان السبب الذى يدعو إلى استخدام عبارتى أقلية وأغلبية هو الاختلاف فى الدين فإن سماحة الدين أى دين لا تسمح بهذه التفرقة، فكلنا أبناء أب واحد هو آدم وأم واحدة هى حواء.

وإن كانت للأقباط بعض مشاكل أو طلبات فإن هذه الأمور تحل بروح المحبة فى الوطن الواحد بحيث لا تؤدى إلى عبارة أقلية أو أغلبية، أى أن تحل بعيدا عن الحساسيات النفسية، ومحاولة البعض بروح طيبة أن يدافعوا عن الأقباط لا يستلزم هذا منهم أن يدعوهم بالأقلية.

سؤال: هل يمكن القول بأنه فى ظل النظام العالمى الجديد نشطت محاولات لإثارة النعرات الدينية وتعميق الصراع بين أطرافها، بل إن دولة إسرائيل استغلت ذلك عندما حذرت مما أسمته تطرفا إسلاميا فى محاولة منها لاكتساب أرضية مع الغرب ؟

ـ وجهة نظرى أن الدول تقودها المصلحة وليس الدين؛ بدليل أنه أثناء الحرب العالمية الثانية اتحد الحلفاء مع الشيوعية (مع روسيا) ضد «هتلر» وكان اتحادا مرحليا، فكل دولة

تقودها المصلحة وليس الدين، حتى إذا دخل الدين فى الموضوع كان هامشيا وليس أساسا وكان استخدامه وقتيا، ومثال ذلك حالياً أمريكا التى تساند اليهود رغم أنها مختلفة مع إسرائيل فى الدين.. فالمسألة تخضع للمصالح فى الأساس.

سؤال: ولكن إسرائيل تركز دائماً على استخدام الدين وتظهر وكأنها دولة دينية ؟

ـ فى إسرائيل بالذات يندمج الدين مع طبيعة الدولة؛ لأنها دولة يهودية طبيعتها الدين. واليهود ما كانوا يتعاملون مع غير اليهود فى العصور القديمة، ولكن الناحية الدينية أساسية لدى إسرائيل، ومن بين أهداف إسرائيل السياسية هناك أهداف دينية.

سؤال: وهذا يعكس العنصرية لدى إسرائيل ومعاييرها المزدوجة والتى تنعكس فى التفرقة فى المعاملة بين المستوطنين اليهود والفلسطينيين !!

ـ بالطبع فدولة إسرائيل تجمع بين العنصر الدينى والعنصرية، وسياسة إسرائيل ربما توصل إلى هذين الأمرين معاً؛ لأنهم إذا أطلقوا على أنفسهم بأنهم «شعب الله» فإن التعبير نفسه تعبير دينى مع أهداف دينية، وما الرغبة فى إعادة بناء الهيكل ـ على سبيل المثال ـ إلا رغبة دينية، بالنسبة لإسرائيل بالذات فإن العنصرية وا لمسألة الدينية أمور ثابتة ولكن هذا لا يسرى على باقى الدول.

سؤال: قداسة البابا صدرت أصوات أخيراً تطالب بمعاملة الأقباط كأهل ذمة وفرض الجزية عليهم من جديد (وآخرها ما قاله مرشد الإخوان).. ماروئيتكم لكل هذا ؟

ـ هل هذه ردة أم نكسة أم سوء فهم ؟! البلد الآن بصدد الرد على ما تقولينه فى بداية حديثك، هذا من جهة نقل صورة محرفة عن طريق أجهزة إعلام تسيطر عليها الصهيونية، فهل لو فرضت الجزية على الأقباط نقول أيضا إنها صورة محرفة تسيطر عليها أجهزة إعلام صهيونية ؟ أم هى إساءة لبلادنا التى قد توصف حينذاك بأنها تتبنى سياسة التفرقة العنصرية داخل البلد الواحد، إن من يدعو إلى ذلك يسىء إلى مصر ويعمد إلى وصمها بممارسة التفرقة العنصرية.

فى تاريخ الإسلام كذلك كان يربط بين الجزية والإعفاء من الخدمة العسكرية - فهل سيحدث هذا أيضا وبذا لا تقتصر التفرقة فى الناحية المالية فقط وإنما تتعداها إلى تكوين الجيش ؟ وإذا حدث هذا فكيف نقول عندئذ ونتحدث عن المساواة التامة بين المسيحيين والمسلمين ؟ !

إن ما لاحظناه فى السنوات الأخيرة من الجماعات المتطرفة أنها كانت تفرض إتاوات على المسيحيين بأسلوب التهديد بالقتل والاعتداء إن لم يدفعوا الإتاوات، وهذا الأمر لا علاقه له إطلاقا بموضوع الجزية فى التاريخ الإسلامى؛ أولا: لأنه يصدر من المتطرفين وليس من سلطة شرعية فى البلاد، وثانيا: لأن هذه الإتاوات تفرض بغير ضابط مالى كما كان يحدث مع الجزية، حيث كان يجرى تقدير قيمتها، أما الإتاوات فهى عبارة عن نوع من الاستغلال وفرض القوة، كما أنها لم تكن تصل إلى «بيت المال» كما كان يحدث فى الجزية وإنما تصل إلى جيوب المتطرفين ويستغلونها فيما يريدون.

سـؤال : معنى هذا أن الجزية لا تتفق مع حق المواطنة ؟

- بالطبع لا تتفق مع حق المواطنة، وأيضا لا تتفق مع كل ما ورد فى الدستور من مساواة بين المصريين جميعا. وإنى أتساءل فيما إذا فرضت الجزية فبماذا تجيب صحافتنا ودولتنا عما يثار فى الخارج من هجوم سياسى على الوضع القائم ؟ هل تقول عندئذ إنه إعلام صهيونى يروجونه كذبا وبهتانا ؟!

سـؤال : إذا اختلط الأمر على البعض وروج دعوات مثل فرض الجزية.. فهل يمكن أن يفهم ضمنا أن هناك من لا يزال يصنف الأقباط بوصفهم أقلية ؟

- لكلمة الأقلية مفهومان: مفهوم عددى ومفهوم سياسى، فمن جهة العدد لا ننكر أن الأقباط أقلية بالنسبة للمسلمين، أما من جهة المفهوم السياسى من حيث التعامل مع الأقليات فهذا يتنافى مع مفهوم المساواة فى الدستور وفى الروح العامة بحيث إن هذه الأقليات تعامل معاملة خاصة وتحرم من مميزات تتمتع بها الغالبية؛ ولعله لهذا السبب السياسى كانت بعض الدول تنادى بحماية الأقليات، والمقصود بذلك حمايتهم من طغيان الغالبية عليهم بأسلوب يفقدهم وجودهم أو يفقدهم حقوقهم أو بعض الحقوق، ولكن الكنيسة القبطية رفضت مبدأ حماية الأقليات عبر فترات حرجة من التاريخ ومازالت ترفض هذا الأمر حتى الآن. إن

حماية الأقلية يكمن فى عدل ومحبة الغالبية، فإذا لم توجد هذه المحبة لم يوجد هذا، فلا فائدة من قوانين نظرية ولا من تدخلات أجنبية.

سـؤال : معنى هذا أنكم لا تحبون أن ينعتكم أحد بالأقلية؟

ـ نحن مصريون فى الأساس،جزء من شعب مصر ولسنا أقلية فى مصر، ولا نحب أن نعتبر أنفسنا أقلية، فعبارة أقلية فيما إذا قورنت بعبارة أغلبية فإنهما تدلان فى أسلوبهما على التمييز والتمايز وهو ما لا يجوز مع أبناء الوطن الواحد.

سـؤال : حتى إذا كان الاختلاف فى الدين هو السبب الذى يدعو إلى استخدام عبارتى أقلية وأغلبية ؟

ـ نعم؛ لأن سماحة أى دين لا تسمح بهذه التفرقة أصلا، فكلنا أبناء أب واحد وهو آدم وأم واحدة هى حواء.

سـؤال : ولكن لماذا التوقيت الآن، وما الهدف من إطلاق دعوة الجزية هذه؟

ـ على أية حال لم أكن أظن أن تفكيرا فرديا من هذا النوع تتناوله الصحافة كقضية، وكأنها بذلك تنشر هذا الفكر ولو عن غير قصد، ليصبح موضوعا يتحدث فيه الناس ويشغلهم عن القضايا الوطنية الأساسية، ويفتت من وحدتهم ويثير مشاعر الأقباط بلا أى منفعة لبلادنا من هذه الأفكار التى ترجع بنا إلى الوراء قرونا عديدة، مع عدم فهم لموضوع الجزية فى الإسلام الذى نتركه ليتحدث عنه الفقهاء والأئمة بأسلوب علمى وأسلوب تاريخى يرتفع فوق مستوى ما يروجه المتطرفون.

سـؤال : قدمت لجنة العلاقات الخارجية بمجلس النواب الأمريكى ما أطلق عليه «قانون الاضطهاد الدينى» الذى يسمح للإدارة الأمريكية بالتدخل فى شئون بعض الدول بحجة حماية الأقليات المضطهدة.. ما رؤيتكم؟

ـ لكل دولة الحق أن تشرع ما تشاء من قوانين لتطبيقها لديها لا لفرضها على د ول أخرى، ولكننا لا نقبل إطلاقا أن تفرض العقوبات على مصر؛ فهذا تدخل صريح فى شئونها

الداخليـة، وأى مطالب للأقبـاط تحل بروح الحب والتـفـاهم مع الدولة دون تدخل أية دولة أجنبية بيننا وبين بلادنا.

ســؤال : قيل بأن اللوبى الصهيونى هو الذى يقف وراء هذه القضية، تماما كما وقف فى التحريض ضد «روجيه جارودى» ومحاكمته لكونه شكك فى حقيقة «الهولوكست» اليهودى وأفران الغاز، وجرت محاكمته بتهمة معاداة السامية ؟

ـ فى الواقع لا أعـرف لماذا يتـخـفى اليهود تحت شعار معاداة السامـيـة بحيث إن من يكتب ضدهم يعتبر ضد السامية، فالعرب أيضا ساميون ولم يحدث أن اعتبر العرب أن من يهاجمهم ضد السامية.

ســؤال : ما تقييمكم لمشروع قانون «وولف» حول اضطهاد الأقليات وإصراره على التدخل فى شأن داخلى يخص مصر ؟

ـ أولا أنا لم ألتق بالسيناتور الأمريكى «فرانك وولف» عندما جـاء إلى مصـر، بل لم يحدث أن التقيت بأى سيناتور من هؤلاء من قبل.

ســؤال : ولكن «وولف» قال: «لم أطلب لقاء البابا شنودة لمعرفتى بردوده».. وأتساءل هل سبق أن تحدث معكم من قبل فى هذه القضية ؟

ـ لا، لم أره هذه المرة ولم يسبق لى أن التقيت به من قبل.

ســؤال : إذا كـان الأمـر كـذلك فـمـا الذى يعنيـه عندمـا يقـول:«لم أطلب لقـاء البابا شنودة لمعرفتى بردوده» ؟!

ـ معناها أن لديه علما مسبقا بطبيعة ردودى التى ربما سمع بها أو قرأ عنها، والتى لم تكن لتخدم ما يدعو إليه.

ســؤال : ولكن سبق لقداستكم أن التقيتم بوفد كنائس نيويورك الذى زار مصر عام ١٩٩٨ وجاء بدعوة من الدولة لرؤية الموقف على الطبيعة ؟

– نعم، التقيت بوفد كنائس نيويورك وتحدثت مع أعضائه عن القضية، وخرجوا راضين عن اللقاء، وذهبوا إلى أمريكا بعد ذلك ليعلنوا ويؤكدوا بأنه لا وجود لما يسمى بالاضطهاد الدينى فى مصر

سؤال : المشروع يدعو لفرض عقوبات اقتصادية على مصر بدعوى اضطهاد الأقباط ؟

– إننا نرفض توقيع أية عقوبة اقتصادية على مصر بذريعة الأقباط؛ لأن هذا من شأنه أن يضر بالأقباط عمليا.

سؤال: ولكن السيناتور «وولف» تعهد بمواصلة متابعة ما أسمته بقضية اضطهاد الأقباط فى مصر.. وأتساءل هل يمكن لأمريكا أن تنصب من نفسها حارسا أو وصيا على أقباط مصر بوصفهم أقلية مضطهدة ؟

– نحن نرفض أن تمارس وصاية علينا من أحد، ولا نقبل أية حماية من أية دولة أجنبية، ومشاكلنا تحل داخل مصر وفيما بيننا ولا علاقة لأية دولة بنا، وهذا هو الأسلوب الذى يكفل سيادة بلادنا.

سؤال: من الاجتراء أن تفرض دوائر فى أمريكا قانونا يضع أسفينا بين أفراد شعب واحد وهو الشعب المصرى ؟

– نحن نحب بلادنا، ولا نحب أن يصيبها ضرر بسببنا، وأقول: نحن كأفراد يجمع بيننا وبين إخواننا المسلمين كل الحب، وإن من يحمى مسيحيى مصر هم مسلموها والحكومة والقيادة فى مصر.

سؤال : هل تأخذون قانون التحرر من الاضطهاد الدينى الذى تحاول أمريكا تشريعه بدعوى إنقاذ الأقليات الدينية، هل تأخذونه على محمل الجد كأساس يمكن الاعتماد عليه فى حماية الأقليات ؟

– مشكلة حماية الأقليات حسمتها الكنيسة القبطية منذ القديم ورفضتها. فنحن لا نقبل أن نعتبر أقلية داخل بلادنا، ولا نقبل حماية لنا من الخارج. نحن مصريون ونحب مصر

وندافع عنها بكل قلوبنا، ولا نقبل أن يصيب مصر ضرر بسبب الأقباط، ولا نقبل أن يصيبها ضرر فى سمعتها ولا ضرر فى اقتصادها ومقدراتها ولا ضرر فى سيادتها؛ لأن أى تدخل أجنبى هو تدخل فى السيادة المصرية على أراضيها وعلى حكمها.

سؤال : كيف يمكن لدولة أن تستبيح لنفسها فرض تشريعات تسنها على دول أخرى، وتتوقع منها أن يلتزموا بها ؟

ـ التشريعات الأمريكية تكون ملزمة لأمريكا ولكن لا يمكن أن تكون ملزمة لدولة أخرى، فلكل دولة الحق فى أن تشرع ما تشاء من قوانين لتطبق لديها ولكن لا لتفرضها على دول أخرى وإلا كان هذا من قبيل التدخل الصريح فى الشئون الداخلية لمصر وهو ما لا يقبله أحد.

سؤال : إذا كان الأمر كذلك فما الاقتراح الذى تطرحونه اليوم والذى يمكن أن يشكل أرضية لحل أية مشاكل معلقة للأقباط فى مصر؟

ـ مشاكلنا نود أن تحل داخل مصر وليس خارجها، وأى مطالب للأقباط تحل بروح الحب والتفاهم مع الدولة دون تدخل أية قوة أجنبية بيننا وبين بلادنا. وأنا أقترح أنه كما تشكلت لجنة مشتركة بين الكنيسة ووزارة الأوقاف وأمكنها حل مشكلة الأوقاف القبطية، كذلك يمكن أن تتكون لجان مشتركة فى باقى الأمور الأخرى ويجلس المصريون مع بعضهم البعض فى حرية وفى صراحة يبحثون تلك المشاكل ويحلونها ولا يتدخل أجنبى بينهم.

سؤال : فى الوقت الذى تبدى فيه الولايات المتحدة حماسا لما تسميه باضطهاد الأقليات فى بلدنا فإنها تتغافل عما يحدث للمسيحيين والمسلمين معا فى فلسطين والأراضى التى احتلتها إسرائيل ؟

ـ إن كانت أمريكا لها حماسة قوية نحو حماية الأقليات ـ فما أسهل أن تستغل هذه المشاعر الطيبة فى حماية الأقلية الفلسطينية مسلمين ومسيحيين فى القدس، أو التى أصبحت أقلية بسبب عدوان اليهود وممارساتهم لتغيير التركيبة الديموجرافية، و لو أن أمريكا بسطت مظلة الحماية لهؤلاء فإنها تكون قد عملت عملا طيبا فى الشرق الأوسط، بحيث لا تنتظر إلى أن يطرد الفلسطينيون من أراضيهم ثم يعقد استفتاء باسم الديمقراطية لتشارك فيه عندئذ الأقلية التى بقيت من الفلسطينيين بعد أن كانوا فى السابق يمثلون كل البلد.

سؤال : فى معرض الحديث عن قانون الاضطهاد الدينى الذى أصدره الكونجرس فى العام الماضى لتطبيقه على عدة دول ومنها مصر، ما رؤيتكم ؟

ـ كل ما يمكننى قوله هو أننا لا يمكن أن نسمح لدولة خارجية أن تتدخل فى سياستنا الداخلية؛ لأن هذا ضد سيادة الدولة. لكل من يشاء الحق فى أن يعلق ويبدى رأيه ولكن ليس لهم أن يفرضوا سياسات علينا.

سؤال : سياسات التحرش التى يمارسها الغرب ضد دول المنطقة بدت وكأنها استعمار جديد.. هل ترونها كذلك ؟

ـ فى القديم كان احتلال الأراضى يسمى استعمارا، أما الآن فاحتلال المناطق الاستراتيجية يسمى مواقع رقابة ومراكز شرطة دولية.

سؤال: ماذا عن الوحدة الوطنية هل تعمقت فى عهد الرئيس مبارك خاصة مع شعور دوائر أجنبية مثل الكونجرس الأمريكى بأن الأقباط فى مصر أقلية مضطهدة ومن ثم عكف على تشريع قانون تحرير الأقليات الذى تم تمريره العام الماضى؟

ـ لسنا أقلية ولسنا مضطهدين. إننا مصريون وجزء من شعب مصر ونحب ألا نعتبر أنفسنا أقلية، فعبارتا أقلية وأغلبية تدلان فى أسلوبهما على التفرقة والتمييز أو التمايز بالنسبة إلى البعض وهذا لا يليق بالنسبة لأبناء الوطن الواحد، وبخاصة أن هذا الوطن هو مصر المحبوبة حتى إذا كان السبب الذى يدعو إلى استخدام عبارتى أقلية وأغلبية هو الاختلاف فى الدين فإن سماحة الدين لاتسمح بهذه التفرقة، فكلنا أبناء أب واحد هو آدم وأم واحدة هى حواء.

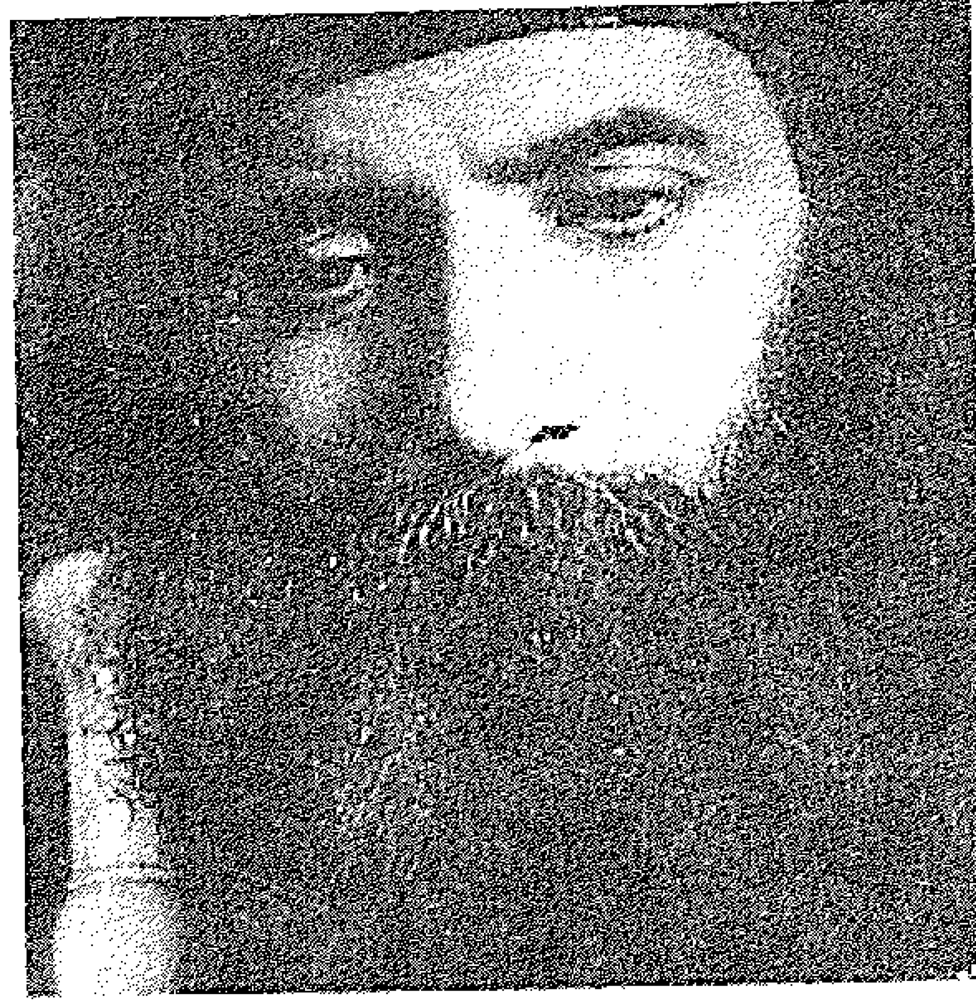
سؤال: دوائر أمريكية تتعلل بأن للأقباط مشكلات معلقة لم تحل؟

ـ إن كانت للأقباط بعض المشكلات أو الطلبات فإن هذه الأمور تحل بروح المحبة فى الوطن الواحد بحيث لا تؤدى إلى عبارة أقلية أو أغلبية، أى أن تحل بعيدا عن الحساسيات النفسية ومحاولة البعض الدفاع عن الأقباط بروح طيبة لا يستلزم أن يدعوهم بالأقلية.

سؤال: وما الذى تقترحون تحقيقه فى ظل الرئيس مبارك؟

- إنشاء مكتب للوحدة الوطنية، يتبع رئاسة الجمهورية أو وزارة الداخلية أو الحزب الحاكم؛ يتبنى علاج كل القضايا التى قد تؤثر على الوحدة الوطنية ونرفض مبدأ حماية الأقليات عبر فترات حرجة من التاريخ ولا نزال نرفض هذا الأمر حتى الآن، الحماية الحقيقية لنا تكمن فى عدل ومحبة الغالبية.

الباب الثامن



- الفـرد والمجتـمع والسلوك
- الشباب والمتغيرات الاجتماعية
- عـبـدة الشـيطـان

الفرد والمجتمع والسلوك

فى هذا الفصل يواصل البابا شنودة سلوكيات المجتمع ويحللها. فالعنف ليس مبرراً لأنه استخدام خاطئ للقوة، وصاحبه يستخدم سلطانا لم يستخدمه الله نفسه؛ ولذا يمنح لنفسه صلاحيات معينة لم تعط له من الله أو من الناس. وعن الخير يقول: يتبض أن يكون الخير بكامل إرادة الإنسان واختياره، يفضله على الخطيئة، لكن لا يرغم عليه إرغاما لأن الخير الذى يفعله الإنسان مرغماً ليس خيراً خالصاً.

وعن اليأس يقول: اليأس ليس من صفات الأقوياء والحكماء، ويدل على عجز فى التدبير والتقدير والتفكير وعجز فى الاحتمال والتصرف، والمفروض إذا يأس أن يخرج من يأسه إلى الرجاء لا إلى العزلة، فالعزلة المبنية على يأس هى معالجة خطا بخطأ.

وعن الديقمراطية يقول: الديمقراطية لا تعنى الإهانة والتجريح، وإنما تعنى المشاركة فى الرأى بأسلوب لائق.

سؤال : ما أفضل الحلول لظواهر انحراف بدت فى مجتمعنا اليوم وكأنها نبت شيطانى ؟

ـ ليست أفضل الحلول هى أسرعها وإنما أكثرها إتقاناً؛ فلو أن الإنسان صبر بعض الوقت إلى أن يجد الحل الذى لاعيب فيه لوصل إلى الأفضل، فالتسرع لن يحل الأمور أبدا والانفعال لن يذيب المشاكل، ولكن الجلسة الهادئة المفكرة التى تطرق الأمر من جميع زواياه وتتصور نتائج كل خطوة هى التى توصلنا إلى المحصلة المطلوبة.

سؤال : بهدوء وبلا انفعال.. كيف تفسرون ظاهرة الشاب الذى يقتل والديه لإراحتهما ؟

ـ قتل الوالدين موضوع بشع وضد الطبيعة الإنسانية، و لكن الذى يطفو هنا بالنسبة لهذا

الشاب ليس عنصر العنف وإنما عنصر الانحرا ف الفكرى، فهو قد تشبع بفكرة مؤداها أن الحياة على الأرض عبء على الإنسان وأن والديه يشقيان بهذه الحياة، ومن خلال انحرافه الفكرى آمن بأن الفناء هو راحة للإنسان وأن الموت هو الطريق الموصل إليه؛ فرأى أن يقتل والديه ليمتعهما بهذا الفناء المزعوم، ولا أعرف كيف يمكن أن يتمتع الإنسان بالفناء وهو لايحس ولايشعر خلاله وبالتالى لايجد أية متعة. ولكن هذا الشاب قادته السلبية إلى أن ينجو من متاعب الحياة كما اعتقد وظن أفكاره حطمته من الداخل وقضت على ضميره وصورت له القتل على أنه الخير بأكمله. فى رأيى أن هذا الشاب كان ضحية فكره المنحرف وبالتالى كان والداه ضحية انحرافه.

سؤال : هل يمكن القول بنقيض هذ، بمعنى أن هذا الشاب كان ضحية والديه منذ البداية؛ فلولاهما ما وصل إلى هذه الصورة المهترئة من الفكر ؟

ـ لانستطيع أن نقول بهذا؛ لأنه مهما كانت هناك مشاركة ورقابة من قبلهما بالنسبة له فستأتى فترة سيترك فيها لقراءة ما يريد ومصادقة من يرغب من الناس، فلا يمكن لوالديه أن يقيدا شاباً فى مثل سنه ويتابعا كل ما يقرأ وكل ما يفكر فيه بالمناقشة والحوار.

سؤال : الحياة أصبحت صعبة، فالقيم اهتزت ولم تعد الحياة كما كانت عليه من السلاسة والهدوء، وذلك فى ظل عصر السرعة.. الازدحام.. خروج المرأة إلى العمل؟

ـ بداية أقول بأن حادثة هذه الشاب لاتمثل المجتمع المصرى، فهى حادثة فردية، وكان من الممكن أن تشكل خطورة بالفعل فيما لو أن كثيرين آمنوا بهذه الأفكار، فالمفروض علينا لعلاج هذه الظاهرة أن نبحث عن مصادر الفكر التى أدت وشجعت على انحراف هذا الشاب؛ فقد يكون هناك آخرون ربما يستقون من نفس النبع السيئ ويصلون إلى نفس النتيجة، لابد أن نعرف ماهية القراءات والمعارف والأفكار التى أضاعت هذا الشاب.

سؤال : لم تكن العملية مجرد قراءات بقدر ماكانت ظروفاً معينة قادت هذا الشاب إلى الانعزال هربا من مؤثرات وبيئة لم يشعر حيالها بأى

تعاطف وهى التى أثمها وجرمها بدليل تجريمه وتأثيمه للمجتمع ككل، فالمجتمع من وجهة نظره سطحى وتافه وعليه الخروج عن نطاق المجتمع العبثى السطحى القاصر المكروه الذى شكل والداه جزءا من محتواه ؟

- لم يكن الشاب يكره والديه كما قال وأكد، فقد كان يحبهما ولكن بحب منحرف؛ يرى سعادتهما فى الموت، أما المجتمع السطحى فى نظره فيعنى ا لمجتمع الذى لم يصل إلى عمق تفكيره هو. إذن المسألة لا تعود إلى علاقاته بالمجتمع بقدر ماتعود إلى أفكاره، لقد اعتقد أنه وصل إلى عمق معين فى التفكير لم يصل إليه الناس، وكثير من الفلاسفة له هذه النظرة.. ونحن نقرأ عن «ديوجين» الفيلسوف الذى عاصر «الإسكندر» الأكبر والذى قال الإسكندر فى مديحه: « لو لم أكن الإسكندر لتمنيت أن أكون «ديوجين»». لقد وجد الناس «ديوجين» هذا يحمل مصابحا فى وضح النهار وعندما سألوه عما يفعل قال: «إننى أبحث عن الإنسان» وهذا يعنى أنه لم يجد فى الكون كله إنساناً واحدًا ولهذا فهو يبحث عن إنسان.

نفس النظرة نجدها لدى هذا الشاب، فالمجتمع كله سطحى ولاقيمة له.

سؤال: قد تكون أفكار هذا الشاب امتداداً لآراء وأفكار فلاسفة أمثال «شوبنهاور» ؟

- كثير من الفلاسفة إذا تعمقوا فى الفكر، لا أقول إنهم يؤثمون المجتمع بقدر ما أقول إنهم يشعرون بسطحية المجتمع وأنه لا عمق له؛ ولهذا علينا أن نبحث عن ماهية الفلسفة التى قد يلجأ إليها البعض وتدعوه إلى احتقارغيره. ما الفلسفة التى تدعو إلى الفناء؟ إننى لا أستطيع أن أصدق أن هذا الشاب وجودى؛ لأن الوجوديين يريدون أن يتمتعوا بالوجود ولذلك نجد كثيرا منهم إباحيين ومنحرفين يبحثون عن لذات جسدية، فلم نسمع مطلقًا أن وجوديا يؤمن بالفناء.

سؤال : قاتل والديه نظر إلى الفناء على أنه الحقيقة الوحيدة المؤكدة والوجود المنطقى الأوحد فى هذا العالم ؟

- ربما اقتبس الفناء من بعض أفكار الهندوسية والبراهمية والبوذية، وربما قصد به الفناء فى الله أوالفناء فى الذات العليا.

سـؤال: الحادث فى حد ذاته مؤشر على أن هناك أوضاعًا خاطئة تحدث فى هذا المجتمع نتيجة لما يعوزنا من ضمانات كافية للوعى والتربية والدين والترشيد؛ ولهذا قد يستشعر البعض بأن المجتمع بات هشا أجوف، مجتمعا لايرتكز على دعائم قوية ؟

ـ المجتمع قد يوجد فيه الفراغ ولكن لا نستطيع أن نسم المجتمع كله بأنه أجوف وإلا فحرى بمن يقول بهذا أن يعيش فى المريخ أو يصل إلى العزلة الكاملة. لابد أن نعرف أن كل مجتمع يضم المستويات المتباينة فيه العناصر السطحية منها والعميقة، وفيه أصحاب القيم ومن لاقيم لهم، وفيه أناس بين بين، فالحكم على المجتمع كله حكمًا واحداً مسألة صعبة للغاية. فأى خطأ ناجم عن حوادث فردية كحوادث اغتصاب الفتيات لا يمكن أن نعممه، ولايمكن أن نأخذها كمقياس للمجتمع كله بدليل أن المجتمع ساخط عليها وبدليل أنه أدانها بشدة. إن أية أفعال رديئة تصدر عن البعض ويسخط عليها المجتمع لانستطيع أن نأخذها صفة للمجتمع أو أساسا وركيزة لتجريمه وتأثيمه خاصة وهو يدينها ويستنكرها بشدة.

سـؤال : مبحث الخطأ من أين إذن ؟

ـ لخطأ نفسه يكمن فى مرتكبى الشرور.

سـؤال : أليس هؤلاء نبتا ونتاجا طبيعيا لهذا المجتمع ؟

ـ يمكن أن نقول إنهم نبت ونتاج لبيئات معينة فى هذ ا المجتمع، ولكن ليس المجتمع كله.

سـؤال : لماذا لم تظهر هذه الظواهر فيما مضى بهذه الكيفية وبهذه الحدة؟

ـ لاننسى المشكلة الاقتصادية التى اجتاحت العالم كله، وما تبعها من مشكلات الإسكان ومحدودية الدخل مشاكل كثيرة مترابطة ومتداخلة ويمكن أن يتفتق عنها بعض الانحرافات ولكن ماأؤكد عليه هنا أن مجتمعنا مازال بخير؛ وعليه فلا أتجاوب مع النغمة الحادة التى تدين المجتمع كله وتصوره على أنه بات ظلا وارفا للجريمة والانحراف والخطأ.

سـؤال : البعض يرجع الانحراف إلى جهاز التليفزيون كجهاز إعلامى والنقد فى معظمه ينصب على المنوعات والمسلسلات التى تقدم جرعة من

السلوكيات الهابطة إلى الدرجة التى حدت بالبعض إلى القول بأن التليفزيون يلقن الدرس الأول فى الجريمة ؟؟

ـ أنا لا أشاهد التليفزيون حتى أستطيع الحكم على ما يقدمه؛ وعليه وحتى لانبالغ فى تصوير الأمور ونلتزم بالمعقول ـ أقول ليتهم يشكلون جهازاً لمراجعة هذه الأفلام وهذه المسلسلات لينقذنا من الأخطاء إن وجدت، على أساس ألا يكون جهازا رسميا وإنما يتشكل من إناس محايدين من ذوى الفكر والعلم شريطة أن يكونوا عادلين بحيث لاينتقلون من تطرف إلى تطرف، بمعنى ألا ينتهى بهم الأمر إلى منع كل شىء وإلا فسيغلق الجهاز أو يتحول إلى جهاز للوعظ والإرشاد. يجب أن يوضع فى الحسبان أن العظات التى تأتى بطريقة غير مباشرة تكون أكثر تأثيراً من تلك التى تقدم كعظة، فالعظة التلقائية التى تأتى من واقع الحياة تكون أكثر تأثيراً من تلك التى تأتى نتيجة النصوص.

سؤال : هناك قضية أخرى تطرح نفسها اليوم نظرًا لما لها من مؤثرات حالة على المجتمع عامة والطفل بصفة خاصة ـ وهى وضعية الأسرة اليوم مع خروج المرأة للعمل، فهناك من يرى بأن كم المعاناة الذى يجابهه الطفل قد زاد عن الحد بخروج المرأة إلى العمل.. وأتساءل ماهى وجهة نظركم ؟

ـ هذه إحدى المشاكل، ولكنها من المشاكل التى لاتحل فرادى، فمسألة عمل المرأة لاتحل من جهة علاقة المرأة بالعمل فقط وإنما يجب حلها أيضا من الوجهة الاقتصادية، فإيراد الرجل أحيانا لايكفى فيضطر إلى أن تساعده زوجته. وكذلك فإن هناك بعدا آخر فى عمل المرأة وهو ثقافتها، فكل واحدة تحصل على ثقافة ما تتطلع إلى أن يكون لها مجال تستخدم فيه هذه الثقافة.

كما أن الخبرات التى تحصل عليها المرأة من العمل فى المجتمع تصقل شخصيتها أحيانا. فهناك شعور لدى بأنه إذا وجدت المرأة للبيت فقط ولم تختلط بأى مجال خارجى يظل مستواها الفكرى أقل كثيرا من الرجل الذى ربما يشعر حينئذ بأنها لاتشبعه فيما لو أراد أن يتحدث أو يطرق أى موضوع فيبحث عن إشباعه فى النوادى ولدى الأصدقاء، و لا يأتى إلى بيته إلا لماما؛ وهنا تقل قيمة المرأة ولايشعر أحد بمكانتها فى المجتمع. هناك نقطة أخرى ينظر إليها فى عمل المرأة هى الحروب التى تستنفذ كل طاقات الرجال أحيانا ويترك عبء

العمل المدنى فى جزء كبير منه على المرأة، خاصة فى الميادين التى تتقنها لاسيما تلك التى تعوز الرجل فيها الخبرة وتحتاج لعقلية ونفسية المرأة خاصة فى مجالات التربية والحضانة والمشاكل الأسرية.

سؤال : ماذا عن الطفل.. كيف يربى ؟

ـ الطفل مشكلة، أشعر بلاشك بأن المرأة العاملة تركت فراغًا من جهة تربية الطفل، وحتى الحضانات التى أنشأت لاتكفى؛ لأن الطفل لايمكن أن تعوضه تربية عن تربية أمه ولا عناية مثل عنايتها. فهذا يحتاج إلى بحث واسع، وقد نتساءل ولكن هل من أجل مجرد حضانة الطفل يلغى عمل المرأة كله، أم تظل هناك مراحل يسمح للمرأة فيها بالعمل مادامت تؤدى واجبها بالنسبة لحضانة الأطفال؟

بمعنى أن تتفرغ لتربية الطفل فى السنوات الخمس الأولى من عمره حتى إذا خرجت المرأة للعمل كانت ناضجة سنًا. إن هذه هى إحدى النقاط المعتدلة خاصة وإن هناك الكثير من النساء يرددن بأن جزءًا كبيراً من مرتباتهن يضيع فى المواصلات وا لملابس وغيره.

سؤال : التعليم الآن قد ينظر له البعض بمنظار نقدى يرتكز على أنه قد تحول إلى عملية تلقينية لا قدرات فيها، فهو مجرد سد فراغ وقتى ليس فيه الجرعة التربوية والتعليمية الكامنة ؟

ـ الانتشار الواسع للتعليم مع عدم وجود إمكانات كثيرة أدى إلى الوضع الحالى وهو تخمة الفصول بالتلاميذ وتكديسهم بحيث أن المدرس لا يستطيع أن يوجه عناية كافية لكل تلميذ، بل يمكن أن تكون مجالاً للضوضاء حتى فى الجامعة. فى الماضى كان المدرج يضم مائة وعشرين على الأكثر، الآن المدرج قد يضم ثلاثة آلاف فى بعض الكليات النظرية. وأتساءل ماعينة الأستاذ الذى يستطيع أن يمارس العملية التعليمية وسط كل هذا العدد، ويطلب منه أن يفيد هذا الكم ويتولى انضباطه السلوكى. إن تعدد الجامعات فى بعض الأحيان كان على حساب كفاءة الأساتذة.. لكن ما البديل؟ هل لدينا إمكانية لبناء مدارس أوسع وأكثر وتخريج عدد كبير من المدرسين ؟

سؤال : هناك اقتراح يدعو إلى قصر التعليم العالى على الكفاءات فقط، بحيث لايدخل الجامعة إلا نخبة بسيطة قد لا تشكل سوى نسبة من ٢٠ : ٣٠٪ ؟

ـ أنا أؤمن كثيراً جداً فى مجتمعنا الحالى بالتعليم المهنى الذى سيوفر كثرة متقنة للحرف المتعددة التى يحتاج إليها الوطن فى ظروفنا الحالية، وهذه لها عدة فوائد: إحداها استيفاء حاجة المجتمع من الحرفيين ثم ما يتبع ذلك من تخفيض الأسعار، وبالتالى تخفيض تكاليف المعيشة؛ ذلك لأنه مع وجود عدد قليل من الحرفيين يقل المعروض ويزيد الطلب؛ فيحتكرون السوق ويفرضون مايريدونه من أسعار ولا يملك العميل إلا أن يقبل ويدفع.

سؤال : ولكن حتى يمكن أن يحدث هذا كيف يمكن أن نصل إليه عن طريق التعليم؟

ـ فى اعتقادى أن كل شاب يميل إلى الالتحاق بالجامعة بمجرد انتهائه من الثانوية، ولتجاوز هذا الميل وسد هذه الثغرة من المفروض أن يشرع فى التعليم المهنى من الإعدادية بحيث لايدخل السلك الثانوى إلا أصحاب الكفاءات العالية. وفى هذه الحالة أيضا سيتسنى للفقراء توفير ماكان ينفق على أولادهم فى التعليم بل إن الابن الملتحق بالتعليم المهنى يمكنه الإسهام فى الإنفاق على أسرته منذ فترة الإعدادية؛ والذى يعطى له خلالها جزء من الإيراد مقابل التدريب العملى الذى يقوم به. وليت مدارسنا تتيح لمن يدخل الثانوى أن يتلقى جزءاً من التدريب المهنى يمكنه من إصلاح ما يستعمل فى البيت من كهرباء وسباكة؛ وبذا يكون لديه الثقة بنفسه كإنسان نافع يعتمد عليه؛ وبذا يسهم تلقائيا فى تحمل المسئولية.. من عيوب التعليم لدينا أنه يتسم بالطابع النظرى أكثر؛ وعليه قد نجد مهندسا ميكانيكا لم يأخذ تدريبا عمليا كاملا فى شكل الماكينات وتركيبها بينما نجد العامل الفنى لديه خبرة أكثر، فى دول أخرى مثل ألمانيا نجد طالب الهندسة يعمل بيده ويقوم بفك وتركيب الماكينة وكذا فى الكهرباء بحيث لا يعتمد على العمال، نحن هنا نعتمد على العمال الفنيين أكثر من المهندسين. إن هناك نواحى ممتازة فى التعليم لدينا ولكن فى الوقت نفسه هناك نواحى نقص يمكن أن تؤخذ فى الاعتبار.

سؤال : معنى هذا أنكم تشددون على تعميم التعليم المهنى فى سن مبكرة؟؟

ـ نعم، فلو أن التعليم المهنى بدأ فترة الإعدادية فسيمتد إلى المرحلة الثانوية الفنية وهنا تتوفر تلقائية وآلية الإقبال عليه منذ سن مبكرة بحيث تختفى الحساسيات التى تنظر إلى التعليم الفنى كمستوى أدنى مقارنة له بالتعليم الثانوى المفضى للجامعة.

سؤال : قداسة البابا كيف يمكننا مجابهة ظاهرة الاجتراء على القيم والمبادئ والأشخاص ونحن نعيش فى مجتمع سقطت فيه الحواجز ولم يعد هناك ما يسمى بالهيبة أو بالقانون ؟

ـ إننى أتساءل هل نحن حقًا فى مجتمع بهذه الصورة التى تصورينها ؟ على أية حال أتكلم من الناحية الموضوعية وليس من ناحية الواقع الذى تلمسينه بطريقة ما، وأقول القيم من المفروض أن تغرس فى الإنسان من سن الطفولة فإذا لم توجد تربية دينية وروحية سليمة، وإذا لم توجد تربية اجتماعية منذ الصغر يمكن أن يشب الفتى أو يدخل فى طور الشباب والرجولة وقد سقطت عنه بعض القيم أو لم توجد قيم أصلا لكى تسقط. فالقيم يأخذها الإنسان من مصادر متعددة، وفى رأيى أن المصدر الأول هو الأسرة والثانى هو المدرسة والثالث هو المجتمع المحيط به والرابع هو الإعلام والقراءة بوجه عام من الكتب التى تترك تأثيرها فى ثقافة الناس فينشأ الإنسان متشبعا بأفكار معينة، وواجبنا أن نرعى هذه القيم وهذه المبادئ وتكون أعيننا مفتوحة على ما يحيط المجتمع من أساليب؛ لأن هذا الجيل هو أمانة فى أعناقنا أمام الله وأمام الوطن وأمام الجميع.

سؤال : فى الماضى كانت حكمة الشيوخ سدًا منيعا ضد التردى فى الأخطاء، وفى الماضى كانت قداسة القانون صكًا لايمكن انتهاكه، وفى الماضى كانت قيم المجتمع إطارا وكيانا مقدسا لايمكن الخروج عنه أو تعديه. فى الماضى كان الدين سياجا يحمى ولايمكن اجتيازه أو تجاوزه. ولكن ما يحدث اليوم هو أمر آخر وعرض غريب مستهجن من الجميع.. ومع ذلك لا يملك أحد تغيير الحادث وإصلاح المعوج ؟

ـ فى الحقيقة ينبغى أن يشعر الناس بقيمة الكبار. ولكن فى بعض الأحيان يظن الشباب أنهم يعيشون فى جيل غير جيل الكبار فى السن ممن سبقوهم، بحيث إن امتداد الزمن يجعل كل جيل يعيش أزمته بعيدا عن خبرة الآخرين؛ ولذلك فإن المثل العامى يقول عن بعض الكبار: «ده دقة قديمة» كما لو أنه إنسان مختلف أو إنسان لم يدرك نمو العصر أو نمو الثقافة والحضارة، ولكن أيا ما كان التغيير فى الحضارة أو التمدن أو الثقافة فهناك حقائق ثابتة لايمكن أن يتجاهلها الناس، وهناك قيم راسخة ينبغى ألا يتجاهلها أحد، هناك حقائق لايمكن

إلا أن تكون حقائق وفى ظلها يمكن أن يسود الرأى القوى. فعلى الشيوخ أيضا وعلى الكبار ورجال الدين حينما يخاطبون الشباب أن يخاطبوه مراعين عقليته ونفسيته وينزلوا إلى مستواه ليرفعوه إلى مستواهم. فلابد من نقطة تلاقى والمبادرة تأتى من الكبار. لكل إنسان مهما كان مفتاح لشخصيته. والرجل الحكيم يعرف كيف يستخدم المفتاح المناسب للباب المغلق.

سؤال: الاجتراء على الحاكم صار مشروعا وعلى القديس والقائد، وظهرت صور قبيحة مشوهة مغلوطة لحمتها تسفيه الآخرين وأفكارهم، بغض النظر عن النتائج ؟

ـ فى الحقيقة ينبغى أن يفهم الناس ما معنى الديمقراطية؟ الديمقراطية أن يشارك الكل فى الرأى، ويمكن أن ينتقدوا أى أمر من الأمور انتقادا موضوعيًا سليما يهدف إلى حفظ الأمور انتقادا موضوعيا سليمًا يهدف إلى حفظ كيان المجتمع، غير أن البعض يفهمون الديمقراطية فهما خاطئا، ويفهمون إبداء الرأى بأسلوب قد تكون الوسيلة فيه وسيلة خاطئة، فيمكن للإنسان أن يبدى رأيه، وهذا لايمنع من أن يحترم الرأى الآخر المعارض، ويمكن أن ينتقد تصرفا من الحاكم دون أن يهين الحاكم أو يشوه سمعته، ويمكن أن يقدم انتقاده فى هيئة سؤال على اعتبار أن الحاكم يعيش فى أفق أوسع ولديه من المعلومات الشيء الكثير الذى لايتوافر للشخص العادى وربما يكون النقد فى غير موضعه، فإذا قدم كسؤال يكون هذا أفضل، وإذا قدم بطريقة موضوعية يكون هذا أفضل، وإذا قدم بأسلوب فيه الأدب واللياقة والاحترام يأتى بنتيجة أفضل مما إذا قدم بطريقة هجومية أوعنيفة أو تحمل الإهانة والتجريح، فالديمقراطية لاتعنى الإهانة والتجريح وإنما تعنى المشاركة فى الرأى بأسلوب لائق.

سؤال : كيف يمكن للمرء أن يحرز معيار التوازن فى الحياة؟ أليس من الضرورى لذلك أن يكون هناك رصيد قطعى من الحكمة والذكاء ؟

ـ أولا هناك فرق كبير بين الذكاء والحكمة، الذكاء موهبة عقلية فى التفكير السليم، أما الحكمة فتشمل التصرف المناسب أو الحسن فى كل أمر من الأمو؛ ولذلك فإن كل حكيم يتميز بالذكاء ولكن ليس كل ذكى يشترط فيه أن يكون حكيما. فمن الجائز أن يكون الإنسان ذكياً جداً ولكنه يتصرف تصرفا غير حكيم بسبب شهواته أو رغباته التى تحكمه وتقوده، وفى هذه

الحالة لايقوده العقل وإنما تقوده الرغبة، ومن الجائز أن يكون ذكيا وأعصابه غير سليمة، ففى بعض التصرفات تحكمه أعصابه وليس ذكاؤه، وهنا يقف العقل لأن الأعصاب تتولى قيادة الموقف. وقد يندم كثيرا لأنه اندفع وراء أعصابه ولم يتصرف تصرفا حكيما على الرغم من وجود العقل الذكى، فالعقل الذكى هنا كان معطلا، مرة من أجل الشهوة وأخرى من أجل الأعصاب، أو ربما يكون الإنسان ذكيا ولكن ليست له خبرة عملية كأن يكون حديث السن أو حديث الصلة بعمل من الأعمال، فنتيجة قلة الخبرة وعدم وجود الذكاء لاتكون تصرفاته حكيمة، فالذكاء وحده ليس هو كل شىء، وإنما ينبغى أن تضاف إليه تجارب عملية، ومن أجل هذا تكلم الكثيرون عن حكمة الشيوخ لأن لديهم الخبرة.

سؤال : هل يعنى هذا أن يسلم المرء ذاته للعقل وحده ليصل إلى قمة الحكمة ؟

ـ لم أقل هذا؛ لأن قمة الحكمة تحتاج إلى عقل وأعصاب هادئة وخبرة فى الحياة.

سؤال : أى التوازن ؟

ـ التوازن بمعنى الجمع بين هذا كله بما فى ذلك النواحى النفسية. فمع النفسية المتعبة قد يجنح الإنسان إلى التسرع والاندفاع مع أنه ذكى. فلا يدرس الأمر دراسة متقنة أو جيدة ولا يفحص ولا يعطى لنفسه فرصة للتفكير ولا فرصة للمشورة ولا للصلاة ليلهمه الله التصرف السليم؛ فيتصرف تصرفا خاطئا غير حكيم فيندم عليه، و عندما يرجع إلى عقله يجد أن تصرفه لم يكن سليما، وعبارة يرجع إلى عقله عبارة لطيفة لأن عقله كان معطلا ثم عاد. وفى ضوء هذا أقول ليس الحل السريع هو أفضل الحلول وإنما الحل المتقن هو أفضل الحلول، تماما كما يقال للسائق: ليس المهم أن تصل بسرعة ولكن المهم أن تصل سليماً.

سؤال : الحكمة ترتبط بالصفوة أو القلة؛ لأنه لايعقل أن يكون المرء متحدثا عن مجتمع كله من الحكماء ؟

ـ لايمكن أن يجتمع فى كل شخص كل عناصر الحكمة، فليس كل شخص ذكيا، وليس كل ذكى هادئ الأعصاب، وليس كل هادئ الأعصاب ذا خبرة، وليس كل صاحب خبرة متزناً فى تصرفاته ومتروياً يفحص الأمور ولايكون متسرعاً فيها، فكل هذه الأمور لاتتوافر بسرعة وخاصة بالنسبة لحديثى السن؛ ولذا تكلموا عن حكمة الشيوخ، وعندما يجلس

إنسان مع أحد الكبار أصحاب الخبرة ويستمع إليه ويستشيره فإن هذا الذى سبرته الخبرة يضيف إلى عقل السائل عقلا وفكرا آخر من زاوية أخرى، لأن من الخطأ أن يندفع الإنسان صوب اتجاه واحد، إنما الحكيم ينظر إلى الأمر من زوايا متعددة، فتجتمع أمامه كل أطراف المسألة ، فتكون لديه رؤية واسعة تميزه عن أصحاب الرؤية الضيقة الذين يفكرون فى اتجاه واحد؛ لذا يقال إنسان ذو عقل متسع، وكذا قد نجد شخصا يعرض له أمر من الأمور فيفترض له سببا معينا، ويندفع وراء هذا السبب، وربما كان هناك سبب آخر وثالث ورابع وعاشر؛ فالإنسان الحكيم إذا عرض له أمر أو مشكلة أو سوء تفاهم مع إنسان لايفترض سببا واحدا ويصر عليه ويحصر نفسه فيه.

سؤال : التخبط فى المجتمع وظواهر التطرف والسلوكيات المستهجنة هل يمكن أن نرجعها إلى الحكمة التى تعوز المجتمع ؟

ـ لتطرف سببه أن يضع الشخص أمامه اتجاها واحدا ولايقبل باقى الاتجاهات فيندفع وراء هذا الاتجاه فى غير حكمة وبسرعة بعيداً عن التروى والفحص والتحقق من الأمور ومعرفة الآراء الأخرى فيتطرف، بمعنى أنه يأخذ طرفًا واحداً من الموضوع ويترك باقى الأطراف، إنما الحكيم من يلم بجميع الأطراف وينظر نظرة شاملة ويدرس الموضوع من كافة نواحيه وهذا لايمكن أن يكون متطرفا؛ لأن التطرف أيضا ينقصه الفهم السليم، والإنسان الحكيم والإنسان الذكى لايسلك بفهم سقيم إنما يدقق فى الفهم ويدرس الموضوع من جميع أطرافه، ربما يصبح الإنسان متطرفا إذا اهتم فى موضوع ما بالسبب وحده ولم يهتم بالنتيجة ولا بردود الفعل ولا بتأثيرها على الآخرين ولا بما يتولد عنها من أخطاء؛ ولذلك يكون التطرف فيه قصوراً فى الفكر وقصورا فى الفهم وعدم رغبة فى دراسة الرأى الآخر وإغلاق العقل تماما فى دائرة ضيقة.

سؤال : ولكن الأغلبية تشارك فى عملية كهذه، ومن هنا يرد التساؤل كيف يمكن حمل المرء على أن يكون حكيمًا خاصة أنه لايمكن أن نصل إلى حد الحكمة بكل مواصفاتها فى عصرنا اليوم ؟

ـ إذا كانت الصفوة هى من الحكماء فينبغى للباقين أن يستفيدوا من هذه الصفوة، وأن يستمعوا وأن يتعلموا، والإنسان الحكيم يتتلمذ طوال حياته، يقرأ ويدرس ويستمع باستمرار؛

ليضيف إلى فكره أفكارا أخرى وليوسع مداركه ومعارفه وخبراته، بل إن المجال الذى لايستطيع أن يوسع فيه خبراته يستفيد فيه من خبرات الآخرين.

وكما قال الشاعر :

فخذوا العلم على أربابه

واطلبوا الحكمة عند الحكماء

إن الإنسان يطمئن حينما يكلف شخصاً حكيماً؛ لأن الحكيم لايتقيد بالحرفية، إنما يكون متسع العقل أيضا فى التطبيق، ولذلك قيل :

إذا كنت فى حاجة مرسلا

وفأرسل حكيما ولا توصه

وإن باب أمر عليك التوى

فشاور حكيما ولا تعصه

سؤال: بمعنى آخر يجب أن يترك الحكيم لمرونة المواقف؟

ـ نعم، فالحكيم يعرف ما يلزم لكل موقف وسما يتماشى وكل شخص. المهم أن يصل الشخص المكلف بأمر من الأمور إلى النتيجة المطلوبة وتعطى له حرية الحركة وحرية التصرف، فالمهم أن يصل إلى النتيجة بالطريقة التى يراها مناسبة للمقام وليس فيها شبهة الخطأ.

سؤال : أن نكل الأمر لحكيم يعنى أن التجربة أثبتت أنه حكيم. ولكن كيف نضمن أن إنسانا ما سيتصرف بحكمة فى موقف من المواقف. ألا يمكن أن تتباين المواقف بحيث يمكن أن يكون حكيما فى موقف وغير حكيم فى موقف آخر ؟

ـ الإنسان الحكيم حتى لو أخطأ فى موقف يستفيد من أخطائه ويجعل الخطأ الذى وقع فيه سبباً لخبرة جديدة يضيفها إلى خبرته السابقة. أتذكر أن أحد الآباء قال : «لا أتذكر أن

الشيطان أطغانى فى خطيئة واحدة مرتين، يقصد أن المرة الأولى جاء الخطأ عن جهل أو عدم معرفة، ولكن بعد أن نال الخبرة وحصل المعرفة لايقع مرة أخرى، وفى الحديث الشريف: «لايلدغ المؤمن من جحر مرتين» فحتى لو وقع أول مرة نتيجة جهل أو عدم معرفة أو عدم خبرة فإنه لايقع مرة أخرى، وليس معنى الإنسان الحكيم أنه إنسان لم يخطئ أبدا، فالحكيم يمكن أن يخطئ ولكنه يستفيد من أخطائه فلا يكررها مرة أخرى.

سؤال : إذا نظرنا إلى الإنسان الحكيم فإن هناك فجوة بين المواصفات التى يتمتع بها وتلك التى يتصف بها الآخرون.. ما السبيل إلى الإقناع؟

ـ الحكيم ليس هو الشخص الواسع المعلومات والكثير الخبرة فقط، ولكنه أيضا هو الإنسان الذى يعرف كيف يتصرف ويتعامل ويسلك بحكمة مع جميع الناس، وهذا يقتضى أيضا أن نخاطب كل إنسان بما يناسبه أو على حسب فهمه وإدراكه، فالحكيم لايتكلم بعقلية الفيلسوف مع شخص عامى أو بسيط أو طفل أو غيره، وإنما يتحدث مع كل بالطريقة التى يفهمها ويدركها وإلا لايكون حكيما،وأتذكر فى هذه المناسبة أن بعض الحكماء كانوا يظنون أن العظمة أن يكون مستواهم أعلى من الآخرين وأن يقولوا مالا يستطيع الآخرون فهمه بسرعة. من أمثلة ذلك أبو تمام، جاءه شخص فى إحدى المرات قائلا: لما لاتقول مايفهم؟ فقال له ولماذا لاتفهم ما يقال ؟!

سؤال : هذه تؤكد الفجوة، فكل متشبث بما لديه ؟

ـ ولهذا لم يكن الشاعر حكيما فى إجابته؛ لأن الشخص الذى لايفهمه إلا قلة من الصفوة. أفكاره لاتنتشر وشعبيته لاتتسع، فهو إنسان يظن أنه يبنى نفسه وذاته عن طريق العظمة والعلو ولكنه لايبنى المجتمع الذى يحيط به بالنزول إلى مستواه.. ونحن نعرف أن الله غير محدود فى علمه ومعرفته، ومع ذلك فهو يخاطب جهلنا بالطريقة التى نستطيع بها أن نفهم، لهذا يشترط أيضا فى الحكيم أن يكون متواضعا فلربما يكون فى قمة العلم ومع ذلك يتكلم بأسلوب السهل الممتنع، فكلامه سهل ولكن إن أراد الناس أن يحاكوه لامتنع عليهم، ويأتى «سقراط» ضمن الحكماء المتواضعين، قالوا له إنه حكيم فقال: «أنا لست حكيما وإنما محب للحكمة» وهذا ماتعنيه كلمة فيلسوف فى الحقيقة، فـ (فيلو) : محب وحكمة «صوفية»،

ومن هنا جاءت كلمة فلسفة، ولكن كلمة فيلسوف حاليا ربما تعنى مستوى فوق مستوى طاقة الآخرين بمعنى من الصعب أن يصلوا إليه، والذى ينزل إلى مستوى الناس لكى يرفع الناس إلى مستواه.

سؤال : كونفوشيوس الحكيم الصينى قال إن الناسك الذى يعيش فى صومعة لايأتى أمرًا مذكورًا، أما الناسك حقا فهو ناسك المدينة.. هل تتفقون مع هذه الرؤية ؟

ـ الحياة الروحية السليمة ليست فقط البعد عن السلبيات، وإنما أيضا القيام بالعمل الإيجابى الروحى السليم، فالفضيلة ليست فقط ألا تكره غيرك وإنما هى أيضا أن تحب غيرك، عدم كراهية الناس، الامتناع عن السلبية، أما محبة الناس فهى عمل إيجابى، فالناسك الذى يعيش وحده يبعد عن السلبيات من ناحية عدم التصادم مع الناس ولكن وفى نفس الوقت لابد من أن يوجد فى قلبه الحب الكامن نحوهم بحيث إذا التقى معهم يظهر هذا الحب فى التعامل، فالفضيلة لاتقتصر على تجنب السلبيات وإنما تتعدى ذلك إلى الإقبال على الإيجابيات.

سؤال : فى هذا الإطار هل يمكن الحديث عن بناء ذاتى منفرد يضعه بنفسه ولنفسه بعيدًا عن المجتمع ، أم أن المجتمع هو الذى يشكل هذا البناء؟

ـ أى إنسان يبنى ذاته فهو يعتمد على ما أخذه قبّلا من المجتمع؛ لأن كل مالدينا من المعرفة مستمد من المجتمع حتى إذا جلس فى وحدته يقرأ فإن هذه القراءة تعلمها من المجتمع فلا يستطيع الإنسان أن يفصل نفسه عن المجتمع تمامًا، لكنه إذا كان يحب الخلوة بنفسه فنحن أيضا محتاجون إلى هذا النوع من الناس، أما مايقصده «كونفوشيوس» فلعله يقصد الشخص الذى يعيش فى المدينة ويحتفظ بنسكه إن وجد هذا النوع ولكن «ديوجين» الفيلسوف الذى أخذ مصباحه وسار فى المدينة لم يجد هذا النوع، أما إذا وجد إنسان يسلك وسط الناس وهو ناسك يكون أفضل بكثير، وأعتقد أن الشخص الذى يسلك بنسك وسط الناس لابد من أن يكون أصلا قد تدرب على النسك وهو منفرد، أما من جهة النسك فكما قال أحد الأباء: «ازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس»، فإذا عاش إنسان وهو زاهد فيما يريد الناس

اقتناءه يحبه الناس لسببين: أنه لاينفاسهم، والثانى أنهم يجدون فيه صفة يحترمونها غير موجودة فيهـم.

سـؤال : حتى لا يتحول المرء إلى يائس على أساس أنه فقد القدرة على تغيير الأمور على النحو الذى يريد، وبالتالى يتحول إلى منعزل، كيف يمكن الحيلولة بينه وبين العزلة ؟

أولا اليأس صفة خاطئة ومرض نفسى، فالإنسان السوى لاييأس كلما فاتته فرصة يلتمس غيرها، كلما فشل فى أمر يعاود النهوض من جديد بأسلوب آخر مستفيدا من أخطائه، فاليأس ليس من صفات الأقوياء والحكماء ويدل على عجز فى التدبير والتقدير والتفكير وعجز فى الاحتمال والتصرف، فنحن لانوافق على إنسان يائس وإذا يأس فالمفروض أن يخرج من يأسه إلى الرجاء لا إلى العزلة، فالعزلة المبنية على يأس هى معالجة خطأ بخطأ.

سـؤال : كيف يمكن الحيلولة بينه وبين العزلـة ؟

ـ الشـخص الذى يقع فى اليأس نفتح أمامـه طاقـة من نور ونوسع له أبواب الرجـاء ونبحث أسباب يأسه ونعالجها، ولكن لانتركه ليأسه فيجب أن نمنعه عن العزلة.

سـؤال : مع عصرنا بكل متناقضاته.. هل باتت الحكمة فيه بالشىء المتعذر المستحيل ؟

ـ لو كانت مستحيلة ما طلبها الله منا، ولو كانت مستحيلة لألغينا قيمة العقول المفكرة كلها، فالحكمة ممكنة ولكنها درجات ينمو فيها الإنسان نموا ويزداد فيها ازدياداً بمضى الوقت وبكثرة الخبرة وبالتعامل مع الأحداث والأمور جميعها، ولكن لايمكن أن نقول إن الحكمة متعذرة وإلا كان معنى هذا أننا نصف الجيل كله بالجهل والغباء وهذا هو المستحيل.

سـؤال : ولكن الحكمـة كمـا هو شائع مرحلة من العقلانيـة غاية فى الشفافيـة ؟

ـ أنا لا أقصد هذا، وإنما أقصد أن كل إنسان يأخذ من الحكمة القدر الذى يناسب عقليته

وخبرته وتفكيره ثم ينمو فى هذا القدر حتى يصل القمة، ولا يمكن لإنسان أن يبدأ بالقمة فهذا مستحيل، الحكمة كأى فضيلة ينمو فيها الإنسان، كما أن الحب أيضا حب الناس والمجتمع فضيلة ينمو فيها الإنسان.

سؤال : هناك مشكلة أخرى نجمت عن تصنيف الطبقات وفقا لمجتمع الأغنياء والفقراء وضياع الطبقة المتوسطة ؟

ـ هذا بند فى التغيرات التى طرأت على المجتمع وهو التفاوت الكبير الذى أوجده ثراء ضخم إلى جوار فقر مدقع. فكثر فى بلادنا عدد المليونيرات وكثر أيضا عدد الذين لايجدون القوت الضرورى، ومع وجود طائفة المليونيرات وجد جزء كبير منهم يعمل فى تهريب الأموال إلى الخارج. وجزء آخر يعمل على زيادة هذا الثراء مع محاولة التهرب من قوانين الضرائب وما إلى ذلك.

سؤال : توليفة المجتمع هكذا أفرزت أنماطا من الجريمة ترتكز على الغش والتدليس والتهرب، بل إن هذه الجريمة باتت شائعة بين الفقير والغنى على حد سواء ؟

ـ مع وجود الفقر المدقع نشأ لون جديد من الإجرام لم يعد مجرد سقطة أخلاقية وإنما أصبح فنا له متخصصون وباتت فى المجتمع جرائم متخصصة. كوجود جماعات تتخصص فى سرقة السيارات أو الشقق التى يسافر أو يتغيب أصحابها، أو جماعات تحترف تأسيس جمعيات وهمية لبيع الأراضى أو الإسكان الوهمى أو جماعات تبنى مساكن وتبيعها عدة مرات لأشخاص عديدين ، أو جماعات تحترف سرقة حلى السيدات أو خطفه فى الشوارع، وجماعات أخرى تعمل فى المخدرات وتسويقها وإغراء الناس بها، إلى آخر تلك الفنون الإجرامية العديدة. والإجرام قد يقع فيه الغنى جداً الذى يقوده الغنى إلى الترف والمتعة الخاطئة فينساق إلى الجريمة، وقد يقع فيه الفقير جدا الذى يبحث عن قوته عن طريق السرقة، ونحتاج إلى معالجة كل منهما ، وقد وجدنا إجراما آخر فى المجتمع من نوع جديد وهو كثرة حوادث القتل فى محيط الأسرة كقتل الابن لوالديه أو قتل أم لولدها أو زوج لزوجته أو شقيق لشقيقه، وهى أمور كانت نادرة فأصبحت شائعة، ويحتاج علماء المجتمع والإجرام إلى أن يدرسوا هذه الظاهرة وطريقة مقاومتها.

سؤال : هناك من يذهب إلى أن الجريمة شاعت واستفحلت نتيجة مهادنة مرتكبيها والنظر إلى بعضهم بوصفهم مرضى يجب علاجهم بدلا من الضرب على أيديهم واستخدام الشدة معهم ؟

ـ قد يكون المجرم مريضاً لكن ينبغى إنقاذ المجتمع منه ومن أمراضه، ولهذا ينبغى أن يعامل بكل حزم طبقا للقوانين الرادعة. وهذا يصدق على من يتجر بالمخدرات لأنه يتلف نفوساً كثيرة ويضيعها، ولكن ما أود قوله هنا أن التصدى للنتائج بالعقوبات لايمنع التصدى للأسباب بالعلاج. وكلا الأمرين يسيران جنبا إلى جنب؛ ولذا يطالب الكثيرون بتطبيق الإعدام على من يغتصب الفتيات وكذلك على من يقتل المجتمع بالهيروين وأمثاله من المخدرات الفتاكة. ولكن مع وجود هذه الأحكام الرادعة ينبغى أيضا البحث عن وقاية المجتمع من أمثال هذه الآفات الاجتماعية الخطيرة.

وهذا أمر نرجو أن يتعرض له علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا والطب.

سؤال : فى الوقت الذى تحول كل شىء فيه وكل مشكلة فى المجتمع إلى قضية أمنية يغيب عنا ركيزة التدين والرادع الدينى الطبيعى الذى يتسلل إلى النفس بيسر فيمنع الشرور ويحض على الخير..

وأتساءل هل يعوزنا التدين ؟؟

ـ كل ما يحدث، يحدث على الرغم من وجود الوعظ الكثير والدعوة إلى التدين، ولكن التغيرات الاجتماعية تعمل فى ميدان آخر لايصله تأثير الوعظ؛ وذلك لأن السبب الذى يدعو إلى الجريمة لم يقاوم بعد. فكثيرون يحاولون معالجة النتائج دون معالجة الأسباب، وأسوق مثالا على ذلك مشكلة إدمان المخدرات، فكثيرون يتحدثون عن معالجة الإدمان، ولكن القليلين هم الذين يتحدثون عن الوقاية من الإدمان، وما يجب علينا هو أن نحاول البحث عن الأسباب والوسائل التى عن طريقها يتورط الإنسان فى الإدمان ونحاول أن نجد طريقة تخلصه من الوقوع فى الخطيئة بدلا من أن ننتظر حتى يقع ويستمر وتتحول معه إلى عادة تؤثر على دمه وأعصابه ونفسيته وأخلاقه مع الآخرين، ثم نستيقظ بعد ذلك لنقول ماذا عسانا أن نفعل؟ إننا نفرح كثيرا حينما نقرأ فى الصحف عن ضبط مهربى المخدرات ومحاولة تعقبهم وإنقاذ المجتمع مما يحملونه من سموم، ولكن تجارة المخدرات ليست كل

شيء، وهناك أسباب أخرى في أعماق المجتمع لاتدخل بالضرورة في نطاق عمل رجل الأمن.

سؤال : ولكن يجب ألا ننسى أن عدم تطبيق القانون بالحرفية الواجبة يمكن أن يكون سبباً فيما يحدث من استشراء الجريمة أياً كان نوعها؟

ـ إن القانون ليس هو كل شيء فما أسهل التهرب من القانون، وما أسهل أن يسيطر الطبع على الإنسان، أو الغريزة أو العادة، بحيث إنه وقت ارتكابه الخطيئة أو الجريمة لايبالي بقانون لأن الدافع الداخلي يكون أقوى من الخوف الخارجي ومثال ذلك من يقع في الرشوة إذ تكون شهوة الوصول إلى غرضه هي المسيطرة عليه وتحجب عنه كل مواد القانون الخاص بالرشوة، وكذلك مرتكبو حوادث الاغتصاب وجرائمه فهم يقعون فيها رغم ما سمعوه عن إعدام من اقترفوهامن قبل. إذن علاج النفس من الداخل يجب أن يتماشى جنبا إلى جنب مع تطبيق القانون أو بالأحرى يجب أن يسبقه ويكون أعمق منه.

إننا أحيانا نطالب الفتاة بالاحتشام في الملابس والمساحيق دون أن نعمل داخل شعورها، بحيث تصبح الحشمة داخلها سابقة على الحشمة الخارجية، ونحن لانستطيع أن نلقي كل التبعة على القوانين، إنما العناية يجب أن توجه أولا إلى طهارة القلب ونقاوة الفكر، والتمسك بالقيم الروحية والقيم الخلقية قبل كل شيء مع معالجة الأسباب التي تؤدي إلى الانحراف، على أن يكون العلاج علاجا داخليا وليس مجرد مظهر خارجي. ويكون العلاج عن طريق الإقناع لا عن طريق القهر. فالإقناع أثبت لأنه يوجد صوتا داخلياً في أعماق الإنسان ينهاه ويمنعه بقوة أعظم من الأصوات الخارجية ومن القلب ينبع كل شيء، الخطأ والصواب حسب حالة القلب الداخلية.

أما من جهة القانون وموضوع الإدمان نحن نسأل متى يبدأ القانون في أن يمارس تطبيقه على الناس؟ هل بعد الإدمان أم قبله؟ ذلك إن كان بعد الإدمان يكون الأمر قد خرج عن حدود الإمكان، وتكون الفريسة قد وقعت وأصبح القانون عاجزا عن أن يعالجها

سؤال : العلاج سيكون لا على الظاهرة حال حدوثها وإنما بالنسبة لغيرها على أساس الردع التأثيري ؟

ـ أريد أن أسألك في صراحة: ماذا عن الشخص الذي خدع من قبل الآخرين أو غرر

به أو أجبر فأخذ أول شمة من الهيروين ثم أصبح عبداً له ـ ماذا ينفعه؟ الردع هنا! مطاردة القانون يجب أن تتبع المتسببين فى كل هذا، وأيضا لابد من أن توجد توعية للناس حتى لايقعوا فى شراك الإدمان. فالمسألة تحتاج إلى حرص وإلى توعية وإلى عملة إعلامية كبيرة بأفلام تصويرية تبين الطرق التى يقع فيها الشباب من الإدمان وخطورة النتائج، مع سلسلة من الأفلام تكتب فى هذا الموضوع بشرح مستفيض يخيف الناس من الإدمان.

سؤال : أحيانا يخيل للبعض أن تمادى الإعلام فى طرح قضية الإدمان يحمل ضمنا إمكان مشروعية تجريب هذا الإدمان من باب العلم بالشىء ؟

ـ أنا لا أقصد كثرة الإعلام بقدر ما أقصد عمق الإعلام، فربما يحدث الإعلام كثيراً عن الإدمان دون أن يترك عمقا أو تأثيراً، هذا من ناحية. أما أن يحب الشباب المخدر فأقول هل يستطيع إنسان أن يحب السم مثلا حتى إذا وجده يميت لايتناوله مرة أخرى ؟ أو يحب العدوى بمرض خطير حتى إذا أرهقه تفاداه ؟

إن التجربة العميقة حقاً هى أن ينتفع المرء بتجارب من سبقوه وهذا يمكن أن يتأتى بالتصوير الإعلامى الذى يحدث أثره الملحوظ. ولعلنا هنا لا ننسى تأثير الإعلام فى مجتمعنا فلاشك فى أنه استطاع أن يوجد تغييرا فى تفكير الناس وعقولهم وثقافتهم حسب نوعية هذا الإعلام.

والإعلام ليس مجرد سياسة بلادنا الإعلامية، فهناك إعلام يصلنا من كل بلاد العالم عن طريق الراديو والتليفزيون والصحف والمجلات والكتب؛ ولهذا فإن مايحدث فى قارة أخرى يصل إلينا فى نفس الوقت و يحدث تأثيرًا ، وهكذا وجد لدينا خليط اجتماعى وثقافى وإعلامى لانستطيع وسطه أن نرسم خريطة محددة له، فهو أشبه مايكون بكوكتيل، وإلى جوار هذا تورد الأفكار والعادات عبر الأسفار المتبادلة، ومن ثم لايمكننا القول بأن كل ما نراه فى بلدنا هو مصرى خالص.

سؤال : أحد المتغيرات الاجتماعية والتى ربما تكون قد عمقتها روافد الغزو الفكرى ـ العنف والتطرف اللذان ظهرا كواجهة تصيغ السلوك التلقائى للبعض فى مجتمعنا .. هل يمكن أن يكون العنف مبررًا ؟

ـ لايمكن أبداً أن يكون العنف مبررا ، فالعنف هو استخدام خاطئ للقوة، لقد أعطى الله الإنسان قوة للخير لكى يستخدمها بطريقة سليمة. والعنف وأد لحرية الآخرين؛ لأنه بالعنف توجد محاولة لإرغام الغير على سلوك معين، سواء كان يوافق عليه فى داخله فكريا وقلبيا أو لايوافق، بينما الله نفسه لايستخدم العنف مع الإنسان، فكأننا بالعنف نستخدم سلطانا لم يستخدمه الله نفسه؛ لأن الله ترك الإنسان فى حرية، كما أنه بالعنف نريد أن يكون الخير فى مفهوم الغير هو إجبار للإنسان على الرغم منه. وهنا يفقد الخير معناه الروحى لأن الخير ينبغى أن يصدر عن قلب محب للخير، وينبغى أن يكون الخير بكامل إرادة الانسان واختياره يفضله على الخطيئة لكن لايرغم عليه إرغاما، فالخير الذى يفعله الإنسان مرغما أو مجبرا ليس خيرا خالصا بالمفهوم المطلق بمعنى الكلمة. والإنسان الذى يستخدم العنف يمنح نفسه صلاحيات معينة لم تعط له من الله أو من الناس، ويقيم نفسه لقيادة غيره بينما لم يعينه الله لهذا الأمر. وأسوأ العنف هو الذى يقوم عن غير فهم حيث يستخدم أحدهم العنف لينفذ خيرا يعتقده، بينما لايكون هذا الأمر خيرا بالمعنى الصحيح، وبالعنف يريد الإنسان لغيره أن يكون نسخة منه، بينما لم يخلق الله الناس هكذا نسخا كربونية وإنما خلقهم متنوعين.

سؤال : ولكن قد يستخدم العنف ويبرر بأن باعثه هو الغيرة المقدسة على أمر من الأمور ومحاولة نشر الصالح والخير ؟

ـ الخير ينبغى أن يكون خيراً فى ذاته وفى وسيلته، فلا تكون وسيلة الخير غير خيرة وإلا فقد معناه، فالخير خير فى هدفه وفى ذاته وفى وسيلته.

سؤال : هناك من لايتأتى له الإصلاح إلا بالعنف؛ لأن مخالفة الرأى تستفزه وهنا يعمد إلى العنف لفرض الرأى ؟

ـ العنف منفر. ربما يوجد لدى الإنسان نوع من العناد والمقاومة، وربما يوجد لديه شدة أو حزم، أما أن يتمادى لكى يقتل ويخرب أو يستخدم الإرغام الجسدى فهذا مالا يمكن؛ فالقتل لايفرض رأيا لأنه ينهى حياة الإنسان ولايصلحها، كما أن فرض الرأى لايعنى الاقتناع بالرأى وإنما يعنى الخضوع، ويجب ألا ننسى أن الاقتناع يحبب الآخرين فى الفضيلة وطرق الخير والصلاح، أما العنف فهو ضد سمو الإنسان، بل إن من ينظر إلى مستقبل ثابت لايستخدم العنف؛ لأنه وسيلة اعتداء على إنسانية الإنسان ذاته يفقده بواسطتها حريته،

ويخضعه للقوة ويتجاهل عقليته. إن إنسانية الإنسان يجب أن تكون ظاهرة فى كل ما يقال له، بل إن الله يستخدم مع الإنسان هذه الوسيلة، وسيلة الإقناع والتفهيم والتوعية، وكذا كان الأنبياء والرسل، فلم يكن هناك أمر للقتل أو للعنف.

سؤال : معنى هذا أنه لايمكن لإنسان اللجوء إلى العنف بدعوى أن الغاية تبرر الوسيلة ؟

ـ كما قلت العنف منفر، فالإنسان الذى يستخدمه يمنح نفسه صلاحيات معينة لم تعط له من الله أو من الناس، ويقيم نفسه لقيادة غيره، بينما لم يعينه الله لهذا الآخر، وأسوأ العنف هو الذى يقوم على غير فهم حيث يستخدم أحدهم العنف لينفذ خيرا يعتقده بينما لايكون هذا الأمر خيرا بالمعنى الصحيح، وبالعنف يريد الإنسان غيره أن يكون نسخة منه بينما لم يخلق الله الناس هكذا نسخاً كربونية وإنما خلقهم متنوعين.

سؤال : مع ازدياد عدد السكان ومشكلة التخمة السكانية شاعت ظاهرة جرائم المساكن واغتصابها دون وجه حق، وتمادى آخرون فطوعوا مبدأ حيازة الأرض والمسكن لصالحهم مستغلين بذلك الملاك فى أبشع صورة من الاستغلال ؟!

ـ بالنسبة للمساكن هناك مشكلتان : الأولى قانونية وهى أن القانون يفرق بين الملكية والحيازة، وقد يغتصب إنسان مسكناً ويصبح حائزاً له أو قد يستأجر فلاح أرضاً ويصبح حائزاً لها، حتى إذا أراد مالكها أن يخرجه منها فلربما يدفع له نصف ثمنها، وما أكثر محاولة الحاصلين على الحيازة فى أن يقيموا إشكالات قانونية عديدة تطيل مدة حيازتهم أو توقع الملاك فى إشكالات!

المشكلة الثانية فى موضوع المساكن الخاصة بموضوع المساكن القديمة ذات الإيجارات التافهة. فقد يوجد مثلا سكن إيجاره جنيه أو جنيه ونصف أو أقل، وقد تم ذلك الإيجار فى وقت كان فيه الجنيه ذا قيمة؛ وعليه نجد بيتاً يضم عشر شقق وكل إيجاره لايتعدى عشرين جنيها بينما البواب يتقاضى أكثر من أربعين جنيها، ومع ذلك فصاحبه يعتبر من أصحاب الأملاك، فالمسألة تحتاج إلى إعادة نظر دون إجحاف بحق الساكن فى السكنى، وذلك بعملية توازن اجتماعية بسيطة لا تؤثر على الساكن كثيراً.

سؤال : مع المتغيرات الاجتماعية ظهرت أمراض جديدة لم تكن موجودة من قبل أطلق عليها أمراض العصر مثل مرض الإيدز أو نقص المناعة .. كيف يمكن القضاء عليها واستئصالها ؟

- هذا المجتمع المتغير الذى نعيش فيه قد تغير حتى فى صورة أمراضه؛ فسمعنا عن أمراض لم تكن موجودة من قبل مثل الإيدز، وعن أمراض أخرى كانت نادرة الحدوث فأصبحت شائعة مثل الفشل الكلوى، وأخرى أصبحت مخيفة ومسيطرة مثل السرطان والعجيب أن العالم على الرغم من كل ما وصل إليه من علم مازال عاجزاً أمام هذه الأمراض التى تبدو متحدية لعقل الإنسان وخطيرة على المجتمع.

أما عن استئصال هذه الأمراض فهذا أمر يدخل فى نطاق رجال العلم، ولكن عامة إذا عرف سبب المرض أمكن تفاديه، وكذلك إذا عرفت طريقة انتشاره يمكن أيضا تفاديها، ومع الأسف لم يعرف سبب السرطان حتى الآن وكلها تكهنات من العلماء، وربما أراد الله أن يجعل العقل البشرى المفتخر بذاته يتضع قليلا ويعرف أنه لايزال يجهل أمورا عديدة على الرغم من وصوله إلى القمر.

أما عن مرض الإيدز فالمعروف أن له سببين: الفساد الخلقى والعدوى عن طريق حقنة ملوثة أو نقل دم ملوث أو ماشابه ذلك. ويحتاج الأمر إلى الحرص الدقيق فى نقل دم الإنسان وقد سمعت عن طريقة يتبناها البروفيسير «ألدريت Aldrete» أستاذ التخدير فى شيكاجو أثناء إجراء بعض العمليات وهى أن يأخذ من دم الإنسان ليعطيه له ثانية وهى مسألة تحتاج إلى أن تكون موضع دراسة فى جامعاتنا خاصة أنها نجحت فى كثير من العمليات التى أجراها هذا الأستاذ ومساعدوه وعرضها فى مؤتمرات إعلامية حضرها رجال الصحافة والتليفزيون الأمريكى.

وأنها مسألة إنسانية جداً أن نرى إنساناً يصاب بمرض لاشفاء له لمجرد إهمال فى حقنة أو فى نقل دم إلى جوار ما قد يشاع عن سمعته وهو برىء من أى اتهام.

سؤال : ولكن مرضا مثل الإيدز قد لا يكون مقصورا على العصر الحالى خاصة أن أسبابه من شذوذ جنسى وخلافه كانت شائعة وموجودة من قبل فهى ليست وليدة اليوم ؟

ـ هذه نقطة أخرى لاتغيب عن أذهاننا وهى أنه ربما كانت توجد مثل هذه الأمراض فى الماضى ولكنها لم تكن معروفة ولم يكن العلم قد وصل إلى درجة تشخيصها أو تسميتها، وربما كان هناك من يموت نتيجة هذه الأمراض أو ما يشبهها وهم لا يعلمون بالوضع العلمى الدقيق لما أصيبوا به. وعود إلى موضوع الفشل الكلوى والذى يؤسفنا أيضا أن علاجه يكلف نفقات فوق احتمال الإنسان العادى وفوق العادى لأن المصاب به قد يحتاج إلى غسل كليته أسبوعيا بأكثر من مائتى جنيه. فهل من نظرة إنسانية إلى هؤلاء المرضى؟ وهل من تأمين صحى لهم حتى لايحكم على هؤلاء بالإعدام أو الإفلاس أو الاستدانة التى لا حدود لها.

أما عن موضوع نقل الكلية فتكاليفه أيضا باهظة وأتذكر أن أحد كبار الأطباء كان قد اقترح اقتراحا نافعا أثناء حديث لى معه، وهو وجود بنك للأعضاء البشرية بحيث يوصى المريض قبل موته بأن يؤخذ من أعضائه ما يمكن أن ينفع إذا زرعت هذه الأعضاء لإنقاذ مريض آخر.

سؤال : ألا يبدو هذا الأمر بشعا خاصة أنه يتعلق باستئصال أعضاء والتعدى على حرمة الموتى ؟

ـ الإنسان عندما يموت سيكون جسده طعاما للدود، ويتحول إلى تراب. فإن أمكن أن تؤخذ بعض أعضائه لإنقاذ آخرين ومنحهم الصحة ألا يكون هذا الشخص قد فعل خيرا بعد مماته يحسب له فى الآخرة ؟

هذا ولا ننس أن غالبية أسر الموتى ترفض التشريح والعبث بالجثة، ولكن الجثة لابد من أن تعبث بها الديدان بعد الموت أرادوا أم لم يريدوا.

سؤال : وسط الكم الهائل من المتغيرات الاجتماعية التى نعيش بين ظهرانها أتساءل ما الركيزة فى مواصفات الإنسان أو بالأحرى الركيزة لصياغة النسيج التلقائى لسلوك الفرد الإيجابى فى المجتمع؟

ـ تنقية القلب، واتساع الفكر والثقافة، والحكمة فى التصرف، ونتيجة لهذا كله يمكن للإنسان أن يكون منتجا وبناء فى المجتمع الذى يعيش فيه بحيث يكون له تأثيره الطيب على الآخرين وتكون لديه الروح المعطاءة الباذلة الخادمة للآخرين؛ لأن الأنانية والانطواء والتمركز حول الذات مواصفات يمكن أن تحطم شخصية الإنسان بسهولة.

سـؤال : إثارة الشـائعـات هى إحـدى الجـرائم الـنفـسيـة التى يقـودها بعض العابثين ضد أناس أبرياء، وتمتد الشائعة فى مجتمعنا أحيانا لتمسك بتلابيب بعض الشرفاء فى محاولة لإسقاطهم بصورة يتضافر فيها الثأر لحين الظروف والعبث بالقيم وتجريح الجميع ؟

ـ ليس العجيب فى صدور الشائعة إنما العجيب فى تصديقها، والعجيب أن كثيرا من الناس فـى سذاجـة – يمكن أن يصدقـوا كل مـا يقـال، وعن هذه النوع من النـاس يقول أمـير الشعراء أحمـد شوقـى :

أثــر البـــهـــتـــان فـــيـــه .. .. وانطـــوى الـــزور عليـــه

يالـــه مـــن ببغـــــــاء .. .. عـقلـه فـــى أذنيـــــه

أو كما يقول أيضا :

قد صادفوا أذنا صغواء لينـــة .. .. فأسمعوها الذى لم يسمعوا أحـد

فـهو يصدق دون أن يفكر، ويقبل دون أن يفحص، ثم أكثر من هذا ينشر مـاقد سمعه من شائعات كأنه حقيقة ويتسلمها غيره ليسلمها لآخرين، وتنتشر ولا تسمى شائعة وإنما واقعة. وقد تثبت الأيام عكس ذلك بعد حين بعد أن تكون الشائعة قد تركت مفعولها النفسى فى قلوب الناس وأفكارهم ورسخت وصار من الصعب اقتـلاعـهـا، وإذا أراد أصـحـابهـا أن يقتلعوها فـهم يفعلون ذلك بنشر شائعة أخرى أعمق تأثيرا، والشعب فى هذا كله ضحية أذنيه وألسنة الناس.

سـؤال : القصـة دومًا تأتى إذا نسجت الشـائـعة وأطلق العنان لانتشارها بلا دليل وبلا أرضية من الحقيقة ؟

ـ إن إطلاق الشائعة له أسبابه وله مـحترفوه إذا كان يرقى إلى مـستوى الشائعة العامـة التى تهدف إلى تأثير شعبى معين له أهدافه. وقد يكون هذا الهدف هو تغيير سياسة خاصة أو الانتقام من شـخص مـعين أو تشويه سمـعة إنسان أو تغـيير اتجـاه تفكير الناس حتى ينشغلوا بالشـائعـة ولا تكون لهم فـرصـة للانشغال بأمـور أهم. ويمكن عن طريق الشـائعـة اصطناع مشكلة معينة تأخر حيزها من الوقت وحيزها من التأثير.

وربما يتعطل العمل الإيجابى فى سبيل الرد على الشائعات، وما أسهل أن تقوم مظاهرة أحيانا بسبب شائعة.

سـؤال : الشائعة بذلك تمثل منهجا فاسدا يحطم كل ماهو قدوة فى المجتمع ويسعى للنيل والتشهير بأناس أبرياء بعيدين عن كل شبهة..كيف يمكن الحد منها وقصر تداولها ؟

ـ الشائعة قد تتعاون فيها مجموعة من الناس، وتبدأ بشعلة يلقيها أحدهم ويضيف إليها كل واحد من الباقين وقودا حتى تتحول الشائعة إلى مؤامرة أو مشكلة يختلق فيها كل فرد من المجموعة خبرا يكمل به الصورة. وقد تكون الشائعة لغرض فى النفس وأحيانا يلقيها البعض لأجل الفكاهة والتندر أو لمجرد الإثارة، والشائعة أحيانا تكون فى محيط فرد أو محيط ضيق وسط جماعة وليس وسط شعب ويكون لها أهدافها أيضا مثلما يريد شخص أن يعطل خطبة بين عريس وعروس بشائعة يطلقها فتفك هذه الخطبة أو شائعة تتسبب فى خلاف عائلى وشائعة ينجم عنها رفت موظف من وظيفته أو منع ترقية عنه. وفى هذه الحالة يكون السبب هو أن رئيس العمل له مجموعة حوله تسير أذنيه فتسير عقله، فإرادته ، فإدارته بالتالى؛ ولهذا يجب على كل من تعهد إليه مسئولية ألا يكون سماعا، بل يفحص كل شىء حتى لايصيب أحداً بجهالة.

إن عدم قبول الشائعة يحتاج إلى عقلية فاحصة وإلى إرادة ثابتة وإلى خلق متين يرفض ظلم الآخرين.

سـؤال : التمركز حول الذاتية أحد الأسباب التى قد تقود المرء إلى استغلال الظروف والأشخاص لإعلاء نفسه والوصول إلى أهدافه هى أيضا واحدة من الطرق التى قد تقود المرء إلى امتطاء العنف والسيطرة والجريمة لتحقيق غاياته.. ما السبيل إلى الخروج من دائرة الذاتية ؟

ـ لا يوجد مرض روحى أشد فتكا بالإنسان من الذاتية التى يحاول فيها الإنسان أن يتمركز حول ذاته ناسيا مصلحة المجموع كله أو مضحيا بمصلحة المجموع كله، وياليته يبنى ذاته بطريقة روحية تحفظ أبديته أو تحفظ سمعته، وإنما يحاول أن يبنيها بطريقة خاطئة

على حساب الآخرين. فالجريمة قد تكون أحيانا إشباعا للذات، والشهوة أيضا هى إشباع للذات، والرشوة هى محاولة لملء الذات بتفريغ ما عند الآخرين ، والمكيدة هى انتقام للذات وكل خلاف عائلى سببه الذات.

سؤال : ما السبيل إلى إنكار الذات فى ساحة تتنازع فيها الأهواء؟

ـ أول خطوة فى طريق الفضيلة مبدؤها هو إنكار الذات حيث تتحول حياة الإنسان إلى سلسلة من العطاء والبذل يتعب فيها من أجل الآخرين ويضحى من أجلهم ويبذل ذاته من أجلهم فإن تحدثنا عن مشكلة كالإدمان نرى الذات واضحة فيها أيضا، فهى إشباع للذات لكى ينسى همومها أو لكى يغرقها فى عالم من الخيال يلذ له الاستمتاع به، أو كأن يكون هناك إنسان لا يعجبه حال ذاته فيخلق له أوضاعا خيالية عن طريق الخمر أو المسكرات أو المخدرات، ومرض السلطة أيضا متعلق بالذات التى يريد لها صاحبها جوا من العظمة والسيطرة يعيش فيها، فالإنسان الذى يسيطر على غيره هو إنسان مغلوب من ذاته، ربما يستطيع أن يخضع من هو خارجه ولكنه يفشل فى إخضاع داخله..

سؤال : الحد من الاستغراق فى التمركز حول الذاتية أمر يصعب على الكثيرين فى محيط يجتاحه الكثير من المعوقات، الأمر الذى قد يدفع بالإنسان إلى محاولة السيطرة على الآخرين ؟

ـ إن الذى يسيطر على الآخرين عن طريق المال والغنى والجاه إنما يضيف إلى ذاته مرضًا آخر، والإنسان الحق هو الذى قد يملك المال ولكن لايملكه المال، يحصل على المال ليخدم به الخير ويخدم به الغير، ويجد سعادته الحقة فى إسعاد المجتمع الذى يعيش فيه وهو ينسى الخير الذى يفعله من أجل التفكير فى خير آخر أعمق منه، فكل ما يشغله هو العطاء الذى يسعد به الناس وليس اكتناز مال فى حوزته يزيد بكثير على حاجته. إننا نحاول أن نعالج هؤلاء الناس بالقانون أو بالقضاء ولكن علاجهم الحقيقى هو فى القضاء على الذاتية وهذا هو العلاج الروحى.

وما استخدام القانون سوى درس للآخرين لكى يتخلصوا من الذات، وهناك درس آخر يقدمه الله تبارك اسمه حينما يجرد الموت الإنسان من كل ماكنزه على الأرض وتقف ذاته أمام الله عارية عن كل ما اقتنت فى الدنيا. ومع الأسف فإن الذين تستعبدهم نزواتهم لا يفكرون فى الأبدية وكل ما يهمهم هو وهم زائل فى هذه الحيا ة الأرضية.

إن الجندى الذى يضحى بحياته فى سبيل وطنه هو إنسان قد تفرغ تماما من حب الذات وامتلأ بحب هذا الوطن أو بحب ذاته الكبرى وهى وطنه. وكذلك كل مصلح يحتمل عنتا أو ضيقا من أجل تخليص المجتمع من أخطائه مهما لاقى فى سبيل ذلك، فهو يضحى بذاته وبما يقال عنها فى جرأة وشجاعة من أجل خير المجتمع، وعكس ذلك الذى يتملق الأخطاء لكى تعيش فيه ذات مريضة خائفة يراها صغيرة فى عينيه.

سؤال : الانقياد هو الوجه المعتاد للاستغراق فى الذاتية، وهو إحدى الظواهر المقيتة خاصة أنها قد تكون واجهة يندرج تحتها من ينقاد إلى مروجى التطرف والعنف فى غير وعى منه بما سيئول إليه انقياده هذا؟

ـ كما تكبر ذات الإنسان فى نظره حتى ينشغل بها ويريد أن يشغل الناس بها أيضا، نرى من الجانب الآخر أشخاصا يصابون بصغر النفس؛ ولذلك ينقادون إلى ذات أخرى، يصور لهم خيالهم أنها الذات الرائدة أو الذات القائدة التى يلتمسون فيها الوحى أو يلتمسون منها الرضاء فهى عقلهم المفكر أو هى قائدهم المدبر يسيحون وراءها أينما اتجهت ويهتفون بصوتها، إن صاحت صاحوا وراءها وإن تكلمت كانوا صدى لصوتها، وهؤلاء لايفكرون ربما ليست لهم ملكة للتفكير أو أنهم يكتفون بتفكير غيرهم لهم، مثال ذلك إذا وقف قائد مظاهرة ورددت كلماته حناجر أخرى بلا تفكير فإذا خلوا إلى أنفسهم ربما يجدون أنهم قد اخطئوا فى الانقياد.

ومثال آخر لهذا الانقياد أن يوجد صاحب رأى ينشر رأيه فيعتنقه الكثيرون بلا فحص أو إنسان يقرأ كتابا فيصير تلميذا لهذا الكتاب بدون تحليل لما فيه. ومثال آخر هو سامع الشائعة الذى يرددها دون أن يتأكد من صحتها أو زيفها، وهذا الانقياد يكون مرضا فى المجتمع يستغله أصحاب الأغراض. ويذكرنا الانقياد بما يروى عن التنويم المغناطيسى من حيث وجود نفس ضعيفة أو روح ضعيفة تقودها روح أقوى. والعجيب فى المصابين بمرض الانقياد أنهم يصابون أيضا بعبادة البطولة أو ما يسمونها بطولة. فالذى يجرؤ على عمل عنيف أو يجسر على كسر قانون أو تحدى سلطة قد يصير بطلا يتبعه الآخرون. والناس يحتاجون إلى فهم البطولة ماهى؟ فالبطل الحقيقى يعمل أولا فى قطاع النفس الداخلى ويسيطر على ذاته أولا قبل أن تتمادى جسارته إلى غيره والمنقاد قد يسير وراء أية كلمة

مطبوعة أو مسموعة وهو ينظر بعين واحدة دون أن يستخدم عينه الأخرى فى رؤية الاتجاه الآخر. الشخص المنقاد يذكرنى أحيانا بالمرآة التى تعكس صورة آخر من ينظر إليها.

سؤال : قد يطفو المثل الأعلى على السطح هنا بوصفه عاملا يغرى على اتباعه والاحتذاء به، ذلك أنه ماكان للمنقاد أن ينقاد إليه سوى لأن لديه إمكانات يفتقدها هو ؟

ـ نحن نريد أن نفرق بين الانقياد إلى الحق الخالص وكلمته على أفواه صفوة من الناس، يقدمون المثل العليا للآخرين وبين الانقياد الخاطئ وراء زيف يصوره الوهم حقيقة. والوضع السليم هو أن ينقاد الإنسان إلى الحق الخالص بفهم حقيقى واقتناع داخلى، وقد ناقش الأمور مع نفسه وميز بين مايجب اتباعه ومايجب اقتلاعه.

سؤال : الشركات الوهمية مظهر على سذاجة مجتمع بأكمله.. ما رؤيتكم حيال هذه الظاهرة ؟

ـ شعبنا شعب بسيط وطيب وميال بطبيعته إلى تصديق الآخرين وعدم الشك فيهم، ولا يصل إلى الشك إلا إذا دفع إلى ذلك بإثباتات من الخارج، مثال ذلك قد يرى بعض المحتالين والباحثين عن الثروة بطرق غير شرعية أن ينشئوا مثلا شركة وهمية لبيع الأراضى كما يفعل بعض البدو فى الصحراء، ويبدءون فى بيع أراض لا يملكونها، ويجدون من يشترى هذه الأرض وعند تسلمها والعمل فيها تظهر المشكلة ويجد هؤلاء المشترون أنفسهم أمام وهم، والعجيب أن بعض هؤلاء يعلقون لافتات يراها الكل. ويلزم الأمر أن يتأكد كل مشتر من الوثائق التى تثبت ملكية هذا الأراضى لمن يبيعها لهم. ويلزم أيضا أن يستشير أحد رجال القانون لكى يضمن توافر الشرعية فى عملية الشراء والبيع؛ وذلك لأن الاحتيال أصبح له فنونه ودراساته وقد يعتمد فى نفس الوقت على ذكاء وحيلة وخبرة.

سؤال : فى معرض الحديث عن الإنسان والنفس البشرية وتعقيبا على دعوة كان قد طرحها الرئيس مبارك دعا فيها جميع الأجهزة فى الدولة للقيام بدورها فى رعاية الفرد لغرس القيم وتصحيح السلوك .. ما رؤيتكم ؟

ـ لاشك طبعا أن غرس القيم من أهم الأمور فى حياة أى مجتمع من المجتمعات؛ لأن الإنسان يعيش بقيمه أكثر مما يعيش بحكم القانون، وإذا اختلت قيم الإنسان لأمكن أن يتهرب من القانون وأ ن يقاومه، ويوجد كثيرون خارجون على القانون لأن القيم فى داخلهم قد اختلت.

سؤال : هل التركيز هنا فى إصلاح الإنسان يكون منصبا على الجوهر فى الداخل أم على الواجهة فى الخارج ؟

ـ أنا من رأيى أن إصلاح الإنسان من الداخل أهم من إصلاحه من الخارج. إصلاحه من الداخل بإصلاح تفكيره ومعتقداته ومدى مراعاته لالتزاماته الداخلية، فكل إنسان يتصرف وفق فكره من جهة ووفق عواطفه ونزواته من جهة أخرى، فإذا صلح من الداخل فكرا وعاطفة وصلح من جهة الرغبات والنزوات فإن سلوكه من الخارج يكون سلوكا طبيعيا سويا بدون حاجة إلى أن تضبطه العقوبات.

سؤال : هل يعنى هذا أن العقاب لا يشكل رادعا للفرد؟

ـ كثيراً ما رأينا أن العقوبات نفسها لا تكفى لردع الإنسان بدليل أن البعض وهم فى السجون يرتكبون جرائم داخل السجن أو يخرجون من السجن ليرتكبوا جريمة أخرى، إذن العقوبة فى حد ذاتها لا تردعه شخصيا بل قد تحمى المجتمع منه إلى حين ويبقى الشر فى داخله، علينا إذن غرس القيم منذ الطفولة المبكرة جدا، وغرس القيم منذ الطفولة يحتاج إلى وجود المعلمين والمرشدين الذين يمكن ائتمانهم على هذه النوعية وهذا الارشاد وتنشئة الأطفال على قيم سليمة.

سؤال : ولكن هذه النوعية من المعلمين والمرشدين قد لا تكون متوافرة فى مجتمعاتنا التى قتلت فيها المادية قيما كثيرة؟

ـ المهم إيجادهم، وهذا يتطلب تكوين المرشدين الذين يرشدون الأطفال وتكوين القادة الروحيين الذين ينشرون وعيا روحيا سليما يكون له تأثيره وإقناعه وتكون له فاعليته فى النفوس وقدرته على تغيير منهج المنحرفين وتثبيت هذه القيم فى الناس، ولا مانع من العقوبة مع وجود التوعية داخل العقوبة، وعلى ذلك أحيانا يقال على السجن أنه تهذيب وإصلاح،

فليس هو مجرد عقوبة، بل المعروف أن يكون للتهذيب والإصلاح، العناية بالسجون أيضا وتقويم السجين أمر لازم. ونعود مرة أخرى للقول بأن غرس القيم ينبغى أن يبدأ من الطفولة ويكون عن طريق الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام والمكتبة هذا إذا أردنا بناء مجتمع سليم.

سؤال : من الصعوبة بمكان أن نشرع فى تغيير السلوك خاصة أن هذا سيحتاج إلى بتر الخلايا التى باتت معطوبة ؟

ـ إذا أصيب الإنسان باليأس انتابه شلل فكرى وشلل إرادى، ولكن نحن لا نيأس إطلاقا وفى كل ظلمة تفتح طاقة من نور لكى يشعر الناس أن كل شىء ممكن وغير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله. فهذه مسألة غرس قيم، وهذه تشترك فيها كل أجهزة الدولة كما قال السيد الرئيس ومن بينها الصحافة والإذاعة والتليفزيون ومن ضمنها كل أجهزة الثقافة فى الدو لة ومن ضمنها المفكرون، ومنها المثقفون ورجال الدين، الكل يتعاون معا فى هذا الأمر بمن فيهم أيضا رجال الفن، فغرس الخير فى الناس عن طريق الفن يكون أمرا مطلوبا.

سؤال : ولكن كيف يمكن تغيير السلوكيات والسلوك ليس إلا ترجمة لما فى النفس من عقائد وقيم ؟

ـ إذا تغيرت القيم يتغير السلوك تبعا لها، لأن الإنسان يسلك على حسب القيم التى يؤمن بها عدا شىء واحد ـ إذا كان هناك ضعف فى الشخصية أو ضعف فى الإرادة والعزيمة يجعل الإنسان يسلك عكس قيمه، لكن كلما تحولت القيم من أفكار فى الذهن إلى إيمان فى القلب اكتسب الإنسان قدرة وإرادة وعزيمة للإيمان بالفكرة وليس لمجرد اقتناعه الذهنى بالفكرة.

سؤال : إذا تطلعنا إلى تغيير السلوك فسيصدق هذا على شرائح المجتمع التى تعدت سن الطفولة وباتت لها قيمها ومعتقداتها الخاصة بها والتى يصعب استئصالها.. كيف يمكن تغيير سلوكياتهم رغم ما يحملونه من قيم رديئة وانحرافات ؟

ـ حينما أقول ينبغى غرس القيم من الطفولة لا أعنى ترك باقى طوائف المجتمع، فنحن فى هذا المجتمع لنا اتجاهات: اتجاه على مدى زمنى طويل فى خلق جيل جديد منذ الطفولة والاتجاه الثانى مع إصلاح الجيل الموجود شبابا أو رجالا أو نساء، أى من وصلوا إلى

سن النضج، بل العجائز أيضا، أى كل طوائف المجتمع، بمعنى أن الاهتمام بالطفولة لايعنى عدم الاهتمام بكل طوائف المجتمع وبباقى مراحل السن.

سـؤال : ما أعنيه أن التغيير المنشود سيكون من الصعب إجراؤه؟

ـ هناك فرق بين كلمة صعب وكلمة مستحيل، والانتصار على الصعاب أمر يلذ للنفس أيضا تحقيقه، فليكن هذا الأمر صعبا، ولكن بالمثابرة والإلحاح والإقناع بالعمل الدائم الدائب، بمعرفة العوائق والانتصار عليها بإعطاء مدى زمنى. إصلاح أى مجتمع لا يأتى طفرة أو فجأة، ولكن يحتاج إلى مدى زمنى وفى خلال ذلك لايوجد يأس ولا قلق ولا إهمال للمثابرة.

سـؤال : فى هذا الإطار ما مضمون القيم ؟

ـ مضمون القيم هو كل شيء له قيمة من جهة المبدأ والفكر والحياة والفضيلة؛ لأن الخطيئة ليست لها قيمة فى ذاتها والشر ليس له قيمة.

سـؤال : قد يقول القائل إن الخطيئة والشر لهما قيمة فى نظر صاحبهما؟

ـ هذه لا تعتبر قيماً بل تعتبر انحرافات.

سـؤال : قد تعتبر انحرافات فى نظر الآخرين ولكن فى نظر صاحبها يعتبرها قيمة ويصل بواسطتها إلى ما يريد ؟

ـ نحن لا نتكلم عن الموضوع من الناحية النسبية، أى نسبة إلى الناس ولكن نتكلم عنه من جهة الحق المطلق، فكل شيء له قيمة من جهة الحق المطلق وليس من جهة الفهم النسبى، فبالنسبة للأشخاص قد ينحرفون فى نظرتهم للأمور ومفاهيمهم، ولكن يبقى الحق حقا وإن انحرف عنه البعض، فالقيم نقصد بها كل ماله قيمة فى نظر الحق وفى نظر المثالية، فالحق من ضمن القيم وكذلك العدالة والمحبة والمساواة والبر والفضيلة، وهكذا توجد قيم كثيرة بها توزن أعمال الناس وتوزن حياة المجتمع، أضرب مثالا بسيطا فى إحدى زياراتى لدولة من الدول الأجنبية وكنت فى السيارة عائدا إلى مكان إقامتى، وصلنا إلى نقطة مرور والوقت منتصف الليل ولا يوجد عسكرى مرور على الإطلاق ولايوجد زحام، ومع ذلك بقى السائق واقفا يحترم إشارة المرور مع أنه لا يوجد من يزاحمه ولايوجد من يراقبه ولكن هناك قيما: احترام القانون من ضمن القيم، إكرام الوالدين أيضا إحدى القيم، والعفة من

بين القيم واحترام حقوق الآخرين، هذه هى القيم والمبادئ، الأشياء التى لها قيمة فى ذاتها من جهة الحق المطلق. ولابد من غرس القيم فى نفوس الناس وتدريبهم على السلوك فى القيم.. التدريب العملى ومعرفة العوائق التى تصادفهم وتوعيتهم فى الانتصار على العوائق.

سؤال : هذا كله يحتاج إلى تفرغ وهو ما يعوز الكثيرين منا اليوم؟

– الأم والأب لديهما تفرغ فى تربية الأولاد، والمدرس لديه تفرغ فى تنشئة الأبناء والأمثلة كثيرة: مدرس فى مدرسة يدرس علما من العلوم ولكن فى حياته قيم معينة تجعل الأولاد يستفيدون من سلوكه وليس فقط من تدريسه؛ لأن هناك قيماً فى معاملة الأولاد، قيما فى أخلاقياته فى أسلوبه فى الكلام وفى حركاته وفى أسلوب تعليمه وتفهمه بحيث لايقسو على أحد أو لايقصر فى واجبه. هناك قيم، فإذا أمكن أن نصل إلى أن كل إنسان فى حدود وظيفته ومسئوليته ومركزه الاجتماعى ومركزه الأسرى سلك بقيم معينة، فإن هذه القيم لابد أن تتسرب بصورة طبيعية إلى نفوس الآخرين؛ و لأن القيم يمتصها الإنسان أكثر ما يتلقاها، وهى لا تأتى فقط بالتعليم بل تأتى أيضا بالقدوة.

سؤال : القدوة هى الأساس إذن ؟

– لأن القدوة تبين إمكان التنفيذ العملى للقيم فلا تكون القيم مجرد نظريات ذهنية، بل واقعاً مطبقاً.

سؤال : إلى أى حد يمكن أن تصطدم القيم بالدين؟

– القيم السليمة لا تصطدم بالمفهوم السليم للدين؛ لأن الدين يمثل أمرين: مجموعة من العقائد ومجموعة من القيم. والقيم التى فى الدين مادامت هى وحيا إلهيا وتعليما إلهيا فلا يمكن أن تكون مجالا للخطأ، فحاشا لله أن يكون هذا؛ إذن توجد قيم نابعة من تعاليم الدين. أما الذين ينشرون قيما خاطئة باسم الدين فأحب أن أقول إنها باسم المفهوم الخاطئ للدين وليست باسم الدين ذاته، ولذلك لا تصبح قيمة ولا تسمى قيما، ولكن تسمى مفاهيم خاطئة؛ لأن الباطل ليس فيه قيمة، لماذا ؟ لأن القيمة الحقيقية هى للحق. والباطل فى الواقع ليس له وجود قائم بذاته، ولكن الباطل هو عدم وجود الحق أو هو سلبيات الحق، فليس له قيمة، السلبيات ليست لها قيمة، الإيجابيات وحدها هى التى لها قيمة؛ ولذلك ندعو الناس للمفهوم السليم للدين، وهذا يحتاج إلى معلمين يفهمون الدين فهما سليما، ويقدمون الفهم السليم للآخرين.

سؤال : القانون لا يحترم فهل يظل معرضا للخرق من قبل أى إنسان تتاح له فرصة خرقه كما أن العرف لا يراعى.. وأتساءل أيهما أحق بالاتباع وله الأولوية، القانون أم العرف ؟

ـ القانون هو ما تعارف الناس عليه رسميا، فمنشأه العرف أولا مع ضوابط أدبية وإنسانية ورسمية، فهو الأعمق والأكثر اتباعا. أما كلمة العرف فقد تشمل بعض أخطاء يسمح بها العرف، فقد كان العرف فى الجاهلية يسمح بوأد البنات، والعرف فى كثير من المناطق غير المتحضرة يسمح بالثأر بل يوجبه، والعرف عند بعض العائلات لا يسمح بزواج البنت الصغيرة قبل الكبرى وقد يؤدى هذا إلى تعطيل زواج الاثنتين، وكل هذه الأمثلة عبارة عن عرف خاطئ ويوجد مثيلات لها كثيرات، ولكن القانون يهدف إلى الحق فى ذاته غير متأثر بمشاعر خاطئة عند بعض المنظمات البشرية.

سؤال : كيف يمكننا مجابهة ظاهرة خرق القانون التى قد يلجأ إليها كل إنسان ؟

ـ يأتى هذا بالتربية السليمة وتعويد الإنسان منذ طفولته على إطاعة القانون و النظام العام، ونقطة أخرى توجد فى المجتمعات وهى العقوبة الصارمة جداً على مخالفة القانون وعدم تمييز أى إنسان فى تطبيق القانون عليه مهما علت مكانته، مثال ذلك قد يصل الأمر أحياناً إلى سحب رخصة السائق فى حالات كسر قواعد القانون وليس مجرد غرامة.

سؤال : أخذ على رجال الأعمال عدم مراعاتهم للبعد الاجتماعى والذى يوجب عليهم المساهمة فى مشروعات المجتمع على أساس مراعاة حق المجتمع فى مالهم ؟

ـ المساهمة ينبغى أن تكون بحرية إرادة وبدافع قلبى يكافأ عليه أمام الله وليس عن اضطرار حتى لا يخاف كل رجل أعمال ناجح من سطوة المجتمع عليه وبهذا يدخل فى المجتمع كراهية الأغنياء لمجرد غناهم بينما هؤلاء الأغنياء يسهمون فى الاقتصاد العام للدولة كلها، وفى الخارج توجد الضريبة التصاعدية بالنسبة لتضخم الثروات، وهكذا يسهم الأغنياء بحكم القانون فى ر فاهية المجتمع عن طريق الضرائب.

الشباب والمتغيرات الاجتماعية

من خلال روحانية رحبة ونفس تتهادى فى تؤدة وروية يتحدث البابا شنودة عن المجتمع وسلوكياته، عن مواصفات بناء الإنسان السوى فى مجتمعنا؛ حتى تنحلى عريدة الفكر المنحرف وحتى نقترب من الحقيقة فلا تختفى من أمامنا أو تحجبها الرؤية أو تحتجزها أسوار الحياة بكل ما فيها من زحمة ورغبة.

وحتى نصل إلى مجتمع متوازن ينأى الشباب فيه عن الزيف والتكلف والشبق المادى والتأنق اللزج فى كل شىء فى الكلمة فى المسار، فى السلوك، ويطوف بنا الحديث عن الأسرة والتعليم والإعلام كمجالات ثلاثة رئيسية فى صياغة النسيج التلقائى المبدئى لسلوك الفرد فى المجتمع.

سؤال : الطغيان المادى فى مجتمعنا أفرز تطلعات لاتتمشى ووضعية ومستوى الشباب؛ ولهذا برزت ظاهرة مطالبة الشباب لأسرته بما لا يتلاءم وإمكاناتها ومستواها المادى والاجتماعى ؟

- فى رأيى أن التربية الروحية تضع أساسًا سليمًا لهذا؛ فهى ترسى قيمًا دينية واجتماعية وسلوكية وعائلية بالنسبة للشباب لغرسها فى ذاته حتى يشب منذ الطفولة وهو مؤمن بها. بهذا يمكن أن نعلم الشباب أيضًا كيف يبذل ويعطى ولا يتمركز حول ذاته؛ فالتمركز حول الذات يحدو بالشاب إلى أن يبنى ذاته بكثير من المظاهر الخارجية الخادعة أو بالمتعة الشخصية أوعلى حساب الآخرين، فنراه يهتم بالمبالغة فى ملبسه وبالمظهر الخارجى دون أن يهتم بروحه وشخصيته وعقليته التى تشكل عنصره الداخلى، فلو علمنا الشباب هذه القيم الروحية منذ الصغر سينشأ وهو لايشعر بالحرمان إذا لم يقدم له أبواه كل شىء بل سيتحمل المسئولية ويسهم مع أبويه فى نفقات المعيشة مدركاً بأن الشاب العصامى يكون أقوى شخصية من الشاب المدلل الذى يرتع فى الرفاهية.

سؤال : كيف يمكن إرساء معالم هذه التربية ؟

ـ لابد أن يؤمن بها المدرسون أولا لكى يدرسوها للشباب، أما كيف يؤمنون بها وهم لم يتلقوها فى حياتهم السابقة فيمكن أن يستعيضوا عن ذلك باللجوء إلى كتب منهجية تناقش أمثال هذه الأمور التى يحتاج إليها الشباب.

هناك بعض أمور هامة لابد أن نكتب للشباب عنها ليفهمها على حقيقتها: معنى القوة ومفهومها؛ ذلك أن البعض قد يفهمها فى العنف أو السيطرة أو القوة الجسمانية، معنى الحرية، فالشاب قد يرى أن الحرية هي أن يفعل ما يشاء بلا ضوابط، فكيف يمكن إيجاد ضوابط للحرية ؟ لو أننا أفهمنا الشباب بأن الحرية الحقيقية هى تحرر الشاب داخليا من العادات الرديئة والشهوات والطبائع الخاطئة فإن مثل هذا الشاب المتحرر داخليا يمكن أن يستخدم الحرية بأسلوب سليم. ليس هناك من يؤمن بحرية مطلقة، فالحرية تكون دائما مقيدة وقيدها هو أن يستخدمها المرء دون أن يعتدى على حريات الآخرين أو على حقوقهم، فليست الحرية أن يغنى بصوت عال أو يثير ضوضاء أو يجرح الآخرين أو يسلبهم حقوقهم أو يفسد نفسه؛ لأن النفس أمانة استأمنه الله عليها وسيحاسب عليها أمام الله .

سؤال : كيف يمكن لنا تذويب مظاهر الانحراف.. وماذا عن الاغتصاب والذى قد يتسلح به البعض لنيل ما يريد ؟؟

ـ هذا الموضوع يعكس أمرين: الأول أنه لابد أن يدرك الناس بأن العطاء والبذل من أجل الآخرين أفضل من الأخذ بكثير؛ ولابد للإنسان تبعاً لهذا أن يتحرر من الذاتية، من الأنا من «الأيجو»، يتحرر منها وينظر إلى المجتمع نظرة شاملة بحيث تصبح سعادته فى إسعاد الآخرين. الأمر الثانى أن التدين الذى يشعر به الإنسان دائما ما يشكل عنصراً هاماً يحدو به إلى الاقتناع بأن كل خير يعمله هنا على الأرض يلقاه يوم الحساب حينما يقف أمام الله. وهذه نقطة مفيدة ولاشك لأن الانهماك فى الحياة الدنيا يجعل الإنسان ماديا إلى أقصى درجة، فما بالك باغتصاب حقوق الآخرين بكل ما يحويه من العنف والأنانية وعدم المحبة. لو أننا علمنا الناس محبة الآخرين وعلمناهم البعد عن العنف، وعلمناهم البذل بدلا من الأنانية لذابت كل هذه الظواهر من حياتنا واختفت الى الأبد؛ لأن اغتصاب حقوق الآخرين خطيئة ابنة، لها خطيئة أم أو لها أمهات كثيرات.

سؤال: وسط كم المتغيرات الاجتماعية التى تحدث اليوم بدأت التكنولوجيا وسيلة فرضها العصر لتحل محل الأيدى العاملة ويحل الجهاز محل العقل.. هل ساعد هذا على تراكم المشكلات بدلا من حلها ؟

ـ واضح للعيـان أننا نعيش اليوم فى زمن تغير فيـه كل شىء، وأصبـحت التـغيرات الاجتماعية تشمل مجالات متعددة فى مجتمعنا، ولعل من أبرز أسبابها ما أدخلته التكنولوجيا والاختراعات الحديثة والآلات الإلكترونية فى المجتمع الحديث، فمثلا يمكن للآلة أن تقوم وبإتقان شديد بما يعمله مئات العمال سواء فى المجال الزراعى أو الصناعى؛ ومن هنا قلت نسبة الاحتياج إلى الأيدى العاملة، فأربعون فداناً مثلاً من الأرض يمكن أن تروى بالرش بآلة يديرها شخص واحد ولاحاجة إلى عدد كبير من الفلاحين يشتغلون فى تسويتها أو ريها. كما أن بعض الآلات حلت محل العقل البشرى مثل الآلات الحاسبة. حتى فى الطب حلت آلات كثيرة محل عقلية الإنسان، وكل هذا ترك بصماته على المجتمع، ونتيجة لكل هذا وجدت مشكلات لابد منها وفى مقدمتها مشكلة البطالة ومحاولة إيجاد عمل لمئات الألوف من الناس.

سؤال : هل ارتبط بهذا مشكلات أخرى تولدت عما حدث فى المجتمع من متغيرات ؟؟

ـ نعم، مشكلة مثل هجرة كثير من أهل الريف إلى المدن، فبعد أن كانت القرية مكاناً للفلاح الأب وحوله مجموعة من أولاده يشتغلون فى الحقل ويسهر الكل معا فى جو عائلى فى بيوت متجاورة من الطين فى بساطة الحياة وتماسك المجتمع، بات الفلاح موجودا فى القرية وله ابن مهندس فى إحدى المدن، وآخر طبيب فى مدينة أخرى، وابنة متزوجة فى مدينة ثالثة، ولايكاد يجتمع الكل إلا فى مناسبات محددة، لقد فقدنا كثيراً من الجو الريفى البسيط الجميل الذى يتصف بالبراءة ونقاء الطبع، وأصبح الباقون فى الريف من نوعية فريدة لم نشهدها من قبل، فلا هم وصلوا إلى عقلية المدينة ولا إلى بساطة الريف، ولاهم تثقفوا ولا بقوا على طبيعتهم. إنما دخل إليهم لون من الفكر الجديد عن طريق الراديو والتليفزيون وعن طريق ألوان من التوعية قد تكون متضاربة، وأصبحوا يتكلمون فى أمور قد تكون فوق مستوياتهم بعقلية من نوع خاص.

سؤال : هذا يثير ظاهرة اتصال الريف بالسياسة والحكم المحلى ومفهوم العامل والفلاح فى تشكيلاتنا السياسية ؟

ـ لا ننسى أن جونا السياسى بعد الثورة قد جعل نصف المجالس الشعبية والدستورية من

الفلاحين والعمال؛ ولذا فإن كلمة فلاح حاليًا كلمة تحتاج إلى تفسير وإلى تأمل، فهل هو الفلاح العامل فى الأرض أم هو الفلاح الحاصل على بكالوريوس زراعة أم هو الفلاح الذى يملك مائة فدان ؟ أم أن كلمة فلاح مجرد لقب فيه الكثير من المحتوى؟ وكذلك لفظ العامل، فقد يوجد شخص حاصل على الدكتوراه ومع ذلك فهو من ضمن العمال. ومادام الجميع يعملون فإن لقب عامل يمكن أن يندرج تحته لغة كل من يعمل بما فى ذلك رجل الأعمال المليونير، وفى الواقع فإن كلمة عامل وكلمة فلاح تحتاجان إلى تفسير دقيق نسأل خلاله ماذا عن العامل المثقف والفلاح المثقف، وهل يدخلان تحت طائفة المثقفين أم طائفة العمال والفلاحين س؟

سؤال : إزاء مشكلة البطالة يقف أمامنا سؤال هام وهو ما أثر ذلك على سياسة التعليم فى بلادنا خاصة أن مشكلة التعليم الجامعى تفرخ متعلمين عاطلين وتعمق مشكلة الجلوس على المكاتب بعيدًا عن الإنتاج ؟

- ألا نلاحظ أن الجامعات تخرج لنا كل عام عشرات الآلاف من الجامعيين الذين ينتظرون مكاتب يجلسون عليها بينما لاتوجد مكاتب متوافرة لكل هؤلاء. وربما ينفعنا كثيرا أن يتجه منذ سنوات التعليم المبكر إلى التدريب المهنى ؛ لأن الطالب الذى يدخل التعليم الثانوى يتجه تلقائيا إلى الجامعة. بينما لو بدأ التدريب المهنى من الإعدادية مثلاً لأصبح وهو طالب متدرب يتقاضى شيئًا من الأجر ينفعه وينفع أسرته قبل أن تتسع طموحاته نحو الألقاب الجامعية والشهادات والمكاتب. وإذا كثرت الأيدى العاملة بالتدريب المهنى سوف نتخلص بالطبع من الزيادة الخطيرة فى أجور العمال الفنيين وبالتالى يقل تضخم الأسعار. وفى التدريب المهنى يعوزنا أيضا أن نفكر فى المهنة التى لا تطغى عليها الآلة. فما أسهل أن توجد ماكينة نجارة يشتغل عليها خمسون نجارا علما بأن العمل اليدوى أحيانًا يعطى لمسات فنية وطابعًا جماليًا قد لاتتمكن الآلة من أدائه. لقد فقدنا فى المجتمع الحديث العنصر الفنى فى الصناعات الخشبية وأصبح المشتغلون فى عمليات التطعيم بالسن أو العاج أو الصدف قلة قليلة جدا فى بلادنا.

سـؤال : تقولون فى كتابكم «انطلاق الروح» ليس فى العالم شىء أشتهى ؛ إذ لاتوجد فيه سوى المادة ونحن نبحث عما يتعلق بالروح غير ناظرين إلى مـا يرى ؛ لأن الأشيـاء التى ترى وقـتـية أمـا ما لايرى فـأبدى.. وأتساءل كيف لنا أن نحد من الطغيان المادى الذى اجتاح المجتمع وأفـرز تطلعات لدى الشبـاب لا تتـمـاشى ووضـعيـتـهم الاجـتمـاعـيـة وإمكاناتهم المادية الأمر الذى يقود حتمًا إلى الانحـراف ؟

ـ التربية الروحيـة تضع أساسًا سليماً، لهذا فهى ترسى قيمًا دينية واجتماعية وسلوكية وعائلية بالنسبة للشباب لغرسها فى ذاته حتى يشب منذ الطفولة وهو مؤمن بها؛ لهذا يمكن أن نعلم الشباب أيضا كيف يبذل ويعطى ولا يتمركز حول ذاته.

عبـدة الشـيطان

صحت مصر ذات يوم على فئة من الشباب تمارس طقوساً غريبة وترتدى ملابس غريبة ويصدر عنها أفعال أكثر غرابة أسموها (عبدة الشيطان) لقد تحدث البابا شنودة عن الظاهرة فى هذا الحوار، يومها طالب بالأخذ على يديهم، وطالب بعقوبات رادعة ومشددة.. وفند دعواهم مؤكداً بأن عبادة الشيطان لا علاقة لها بالحرية وإنما هى تسيب وعبودية للأرواح الشريرة. فالحرية هى أن يتحرر الإنسان من أخطائه، أما عبدة الشيطان فكل ألوان الفساد التى يمارسونها من مخدرات وجنس وعبادة الشيطان ليست إلا قيودا. فهم يمارسون الجنس بلا خجل ويشربون الدماء ويعتدون على من يقاومهم ويفند البابا شنودة دعوة أن للشيطان ابنا حيث إن الأرواح لا تتزاوج ولا تتناسل ولا يوجد فيها ذكر أو أنثى.

سـؤال : عبادة الشيطان أليست ظاهرة غريبة على مجتمعنا ؟

ـ نعم، إنها أمر غريب على مجتمعنا المتدين المحافظ، ولعلها مستوردة من الخارج، إذ يوجد فى أمريكا من يعبدون الشيطان وقد تركوا لعبادتهم من باب الحرية التى تصل هناك إلى التسيب، وفى الواقع ليست هذه حرية حقيقية وإنما هى عبودية الإنسان للأرواح الشريرة.. إن انتقال عبادة الشيطان إلى الشرق المحافظ أمر نعجب له جداً، ونعجب أكثر لأن الذين وقعوا فى هذا الكفر يجاهرون به ويدافعون عن أنفسهم ولا يخجلون ولا يخافون.

سـؤال : إذا كـان لكل فـعل رد فـعل فـمـا الذى أدى إلى هذه الظاهرة التى تجسد الازدراء للذات الإلهية والاحتقار للأحتقار للأديان السماوية ؟

ـ فى رأيى أن الذى حدث مع هؤلاء هو مصلحة لأنواع من الفساد والضياع اجتمعت معًا عبر التاريخ، فقد حدث منذ ثلاثة أرباع قرن من الزمان أن انتشر الإلحاد فى ظل

الشيوعية بإنكار وجود الله ثم زحف هذا الإلحاد إلى كثير من البلاد، ثم جاءت الوجودية الملحدة التى تشعر أن وصايا الله تقف ضد حريتها ومتعتها، وصار شعارهم: «من الخير أن الله لا يوجد لكى نوجد نحن» ويقصدون بهذا أن يشعروا بوجودهم فى ظل المتعة الجسدية الخاطئة التى يتحررون فيها من وصايا الله ويتحررون من كل القيم الروحية.

ومن أقوالهم الشريرة: «إن السماء هى لله وللعصافير أما الأرض فهى لنا، فليعيش الله فى السماء وليترك لنا الأرض»!!

وهنا نرى عدم المبالاة بالدين والأخلاقيات والتمسك بالتسيب الذى يستريحون له، بعد ذلك أتى «الهيبز والبيتلز» الذين كانوا يسمونهم بالخنافس فساروا فى نفس طريق الإلحاد والفساد وكانوا يمارسون الجنس بلا خجل كما كانوا يشربون الدماء ويعتدون على من يقاومهم وكانت لهم خلايا يعيشون فيها، وكل هذا الذى ذكرناه موجود عند عبدة الشيطان هؤلاء.

سؤال : ظل الإنسان دوماً عرضة لغواية الشيطان حتى إذا وقع فى الخطيئة قيل بأن الشيطان نجح فى استدراجه إليها، ولكن الجديد أن هؤلاء يجاهرون بعبادتهم للشيطان؟

- تعبير عبادة الشيطان تعبير خطير؛ لأن أقصى ما ينتظر من الخطاة أن يطيعوا إغراءات الشيطان عن ضعف مع بقائهم فى عبادة الله تبارك اسمه إلى أن يرسل لهم الله من يعالجهم ويقيمهم من سقطاتهم لأن الإيمان لايزال موجوداً فى قلوبهم.

أما الذين يعبدون الشيطان فقد تركوا الإيمان تماما وانحلوا من كل قيم المجتمع وأصبحوا يكونون خلايا تندمج فى هذا الاتجاه وتحاول أن تتسع دائرتها، وهذا أمر له خطره وخصوصاً إذا أمكنهم إغراء الشباب بطرق الفساد الواضح مثل الجنس الجماعى الذى لا خجل منه.

سؤال : يقول عبدة الشيطان بأن ممارساتهم تتجه لإرضاء الشيطان انتظاراً لمقدم ابنه كى يحكم العالم؟

- الشيطان روح، والأرواح لا تتزاوج ولا تتناسل ولا يوجد فيها ذكر أو أنثى وليست لها أجساد تلد. فهذا الانتظار لابن الشيطان هو نوع من الخديعة دخل إلى أفكارهم، ثم ماذا يفيدهم أن يكون للشيطان ولد وأن يجىء هذا الولد إليهم؟

سؤال : ماذا عما يدعونه من أنهم يستدعون الشيطان وتجرى مخاطبته ؟

- إن ما يقولون عن استحضار الشيطان والحديث معه معناه أنهم دخلوا فى مملكة الشيطان، فإما أن يكون ما يقولونه هو لون من الهلوسة والخيالات أو أنه قد ظهر لهم الشيطان حقا متشكلا بصورة ما فيكونون قد وقعوا تحت سيطرته.

وعجيب أنهم يصورون الشيطان بمنظر مفزع له قرون أحيانا فهل فى هذا شيء من الجمال يغريهم؟!! طبعا هم لا يؤمنون بالجمال فما يعيشون فيه كله بشاعة سواء من جهة الدم أو من جهة المقابر أو من جهة شرب دماء الحيوانات أو دهن أجسامهم بها. كل هذا يدل على أنهم يعيشون فى جو مرعب ويكونون بذلك قد تحولوا إلى وضع أسوأ بكثير مما كانوا فيه، وحقًا إن الخطيئة تترك طابعها على وجوه الناس وملامحهم كما تترك آثارها فى قلوب الناس ومشاعرهم.

سؤال : ماذا عن الطقوس الشاذة التى يمارسونها من جنس جماعى وشذوذ جنسى وتلطيخ الأجساد بدماء الحيوانات وتحريف القرآن والإنجيل ؟

- هم قد وقعوا فى خطايا كثيرة منها المخدرات والسحر والتعاويذ والتسيب الأخلاقى وألوان كثيرة من الفساد، كما أنهم انشقوا على أسرهم وآبائهم وأمهاتهم وأصبحت حياتهم مجموعة معقدة مركبة من خطايا عديدة. هم يريدون أن يقنعوا أنفسهم بالتحرر من كل قيد بينما ألوان الفساد التى يمارسونها كلها قيود: المخدرات قيد، والجنس قيد وعبادة الشيطان قيد.

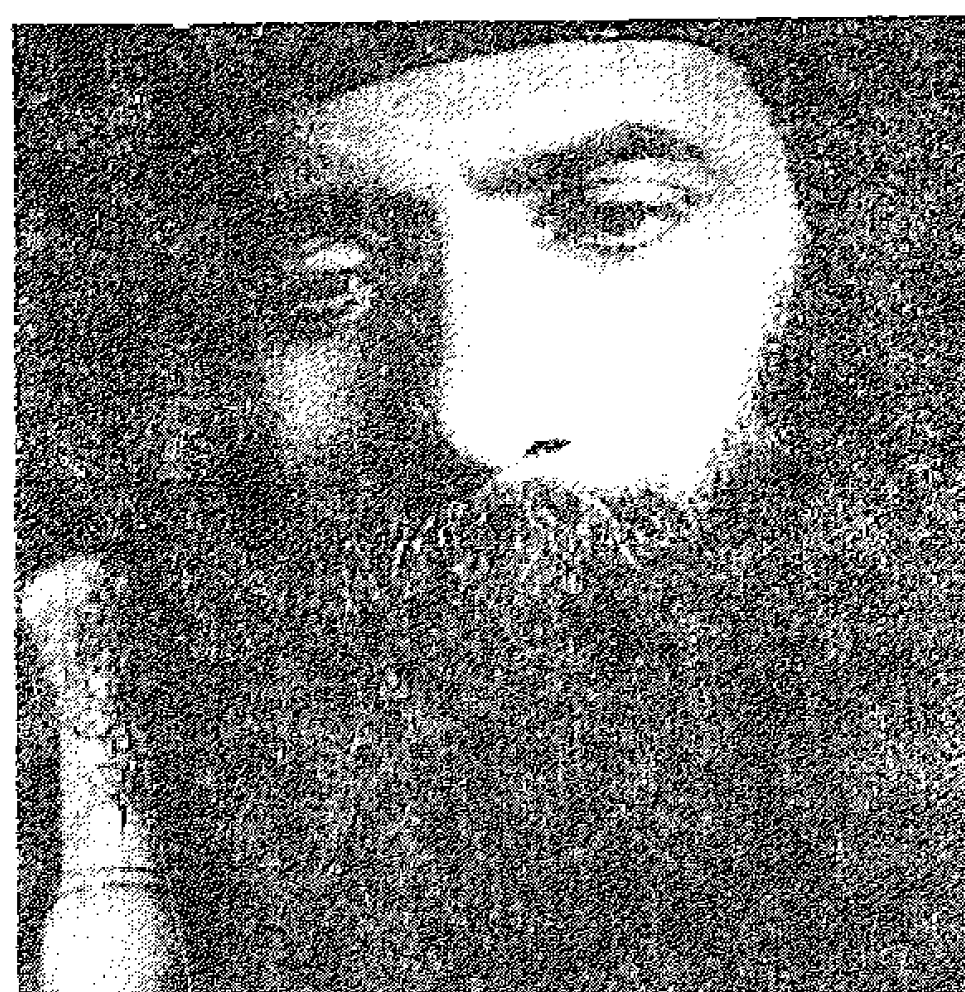
سؤال : يتعاطفون مع الشيطان على أساس زعمهم بأن الله اضطهده ولم يمهله فرصة الدفاع عن نفسه والتوبة ؟

- بالنسبة لدفاعهم عن الشيطان بأنه ضحية فإنى أتساءل ضحية من؟ إنه يحصد نتيجة تمرده على الذات الإلهية الكلية القادرة، ويعرف أنه قد تسبب فى فساد طبيعته، وليس حقًا أن الله لم يمهله أن يتوب وإنما هو الذى يرفض التوبة ويتحدى ملكوت الله ويختطف من هذا الملكون أشخاصاً فى كل يوم ليجعلهم من أتباعه، وليس هذا دليلا على قوته وإنما ستتجمع كل أخطائه يوم يلقى به الله فى العذاب الأبدى هو وكل أتباع. إن الله يستطيع أن يحرقه بنار فى التو واللحظة ولكن ساعته لم تأت بعد وحينما تأتى الساعة لا يعلم هو وأتباعه أى منقلب سينقلبون.

سـؤال : عبـادة الشيطان قـد تعكس نوعًا من الحـرية التى تصل إلى حـد الفوضى وهو ما يغرى هؤلاء باتباعها؟

ـ على هؤلاء الذين يعبدون الشيطان أن يفهموا ما هو المعنى الحقيقى للحرية، فالحرية هى أن يتحرر الإنسان من أخطائه، يتحرر قلبه وفكره وبالتالى تتحرر سلوكياته، والمفروض أيضا أن نحمى النشء الجديد والشباب من هذه الأفكار الخاطئة ونحن فى انتظار حكم القضاء على هؤلا. وقد سبق حكم القضاء حكم المجتمع الذى ينفر من كل تلك الأساليب الشيطانية، وقد رأينا كثيرين قد وقعوا تحت عقوبات مشددة بينما أخطاؤهم لا تصل إطلاقا إلى شىء من الدرك السحيق الذى انحدر إليه عبدة الشيطان.

الباب التاسع



- قضايا عامة
- قصة موسى
- الشيخوخة والمرض
- الهندسة الوراثية

قضايا عامة

يعرض البابا شنودة هنا للماركسية والأسباب التى أعانت على سقوطها . يتحدث عن حرية الفكر ؛ فالإنسان له حرية فى أن يفكر كما يشاء ولكن ليست له حرية أن ينشر كل أفكاره خاصة إذا كانت فى أفكاره خطورة على غيره .

يتحدث عن القرن الحادى و العشرين وأن التكنولوجيا هى الدعامة لمجابهته يقول:

– إن القوة لا تكون فوق الحق إلا إذا كان الحق ضعيفا .

– الإجهاض للفتاة التى اغتصبت لا يوافق عليه لأنه خطية.

– يتحدث عن التكنولوجيا مالها وما عليها .

سؤال : خرج أحد أطباء النفس الكبار أخيرا ليقول فى حديث لإحدى المحطات الإذاعية بأن الحشيش ليس حراما وهناك فرق بين التعاطى والإدمان ؟!

ـ الإدمان يأتى من التعاطى. والمعروف عند علماء النفس أن العادة هى عمل إرادى متكرر.. فتكرار تعاطى المخدرات يقود إلى الإدمان، وهناك ألوان من المخدرات تجبر الإنسان على تعاطيها عن طريق تأثره بنتائجها فيه. ولذلك فالدين يمنع الخطوة الأولى إلى الخطية حتى لا يصبح الإنسان تحت سيطرة هذه الخطية بتحولها إلى عادة أو إلى طبع. والمعروف أن المخدرات تترك سموما فى الجسم، فالذين يتعاطون الهيروين مثلا يحتاجون أولا إلى علاج طبى لإخراج هذه السموم من جسدهم ثم بعد ذلك إلى عملية تأهيل لكى يتعودوا الحياة خارج هذا الإدمان.

سؤال : ما تعقيبكم على ما طالب به مجلس اللوردات البريطانى أخيراً بخفض سن الموافقة على المثلية الجنسية إلى ستة عشر عاماً؟ وما الحكم عامة على الشذوذ الجنسى ؟

ـ الشذوذ الجنسى هو خطية مزدوجة، فهو خطية زنا من جهة وخطية شذوذ من جهة أخرى؛ وبالتالى فهو نجاسة تحرمها جميع الأديان.. وقد بدأت منذ القديم ومعها عقوبة إلهية عنيفة فى حرق «سادوم» أيام النبى «لوط»، ولذلك تسمى هذه الخطية بالسدومية أو اللواطية، وقد حرق الله مدينة «سادوم» من أجل هذه النجاسة. وبالنسبة للشذوذ لا يحكمه السن وإنما المفروض أن تحكمه العفة، فالنجاسة هى النجاسة فى أى سن كانت، ولا يجوز إطلاقا أن تحمى بتشريع لأن هذا التشريع ضد تشريع الله نفسه؛ وعليه فالذى يقوم بهذا التشريع يشترك فى الخطية أيضا وفى مسئوليتها أمام الله وأمام المجتمع العالمى، وأيضا يشجع هؤلاء الخطاة على حياة النجاسة التى يعيشون فيها.

سؤال : ما رؤيتكم حيال انتحار قس فى معرض احتجاجه على حكم أصدرته إحدى المحاكم فى باكستان على أحد المسيحيين.. وأتساءل هل يمكن لرجل دين أن يقدم على هذا الإثم ؟

ـ لا يجوز أن يصدر من رجل دين مثل هذا العمل خاصة أنه يعرف أن الانتحار جريمة قتل وأنه سيقابل الله بعدها وهو قاتل لنفس. كما يعرف أن نفسه ليست ملكا له وإنما هى ملك لله أولا وللمجتمع الذى يعيش فيه ثانياً. كما أن الانتحار ليس هو نهاية حياة وإنما هو بداية لحياة لا تنته.

سؤال: ماذا عن الزواج بين المسيحية واليهودية ؟

ـ الزواج المدنى موجود فى بعض الدول ونحن لا نعترف به حتى بين مسيحى ومسيحية ولا نعترف إلا بالزواج الكنسى بين اثنين متفقين فى الدين والمذهب، أما التشريعات المدنية التى ليست هى وضعا مقدسا لعلاقة مقدسة يربطها الله فهم يفعلون ما يشاءون، وعلى أى حال إن وجد هذا النوع من الزواج فهى حالات فردية لا تشكل سياسة عامة، والزواج عموماً يوضع قانونا باسم الأحوال الشخصية؛ وعليه فهى مسائل شخصية لكن ينبغى أن تكون فى نطاق الدين.

سؤال: ما عقاب المغتصب فى المسيحية؟ وأقول ذلك فى ظل تبرئة القضاء لساحة أربعة من الشباب اغتصبوا فتاة عندما تقدم أحدهم للزواج منها؟

ـ المسيحية لم تفرض قوانين مدنية؛ فالمغتصب يحاكم أمام المحاكم المدنية. المسيحية تضع روحاً وليس قوانين. وطبعاً الزنا مدان فى جميع الأديان، ثم الإكراه على الزنا جريمة أخرى وتحوى فى الوقت نفسه جريمة قطع الطريق التى تسمى «الحرابة» فى الإسلام، وهى أيضا ضد إنسانية المعتدى عليها وضد مستقبلها بعد هتك عرضها وهى أيضا عملية وحشية. والزواج بعد الاغتصاب مرفوض فى القوانين الكنسية لأنه إكراه على الزواج بحكم الأمر الواقع ويشكل إذلالا للمرأة وضغطا عليها فيما لا تتقبله نفسيتها، وإذا تزوجت ممن اغتصبها يظل عالقاً فى ذهنها صورة ذلك الوحش الذى هجم عليها واغتصبها، والمفروض أن يكون هناك حكم رادع يخيف المغتصب فى المستقبل وهذا تطبقه قوانين الدولة.. نحن لا نتدخل فى قانون الدولة وفق مقولة: «أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، ولكن الكنيسة لا توافق على القوانين الظالمة.

سؤال : على ضوء التغييرات الكبرى التى شهدها العالم أخيراً خاصة فى أوروبا الشرقية وسقطت معها نظريات سياسية واقتصادية.. أتساءل بعد سقوط الماركسية هل يمكن أن تعطى الفرصة للأديان لكى تشحذ نفسها أكثر وأكثر ؟

ـ المسألة هل تنظرين إلى الماركسية كنظام دينى أم كنظام اقتصادى أم نظام سياسى أم للثلاثة معاً؟

سؤال: انظر إليها ككل.. أى كنظام اقتصادى وسياسى ودينى ؟

ـ النظام الماركسى له الاتجاهات الثلاثة، بل وله اتجاه رابع أيضا نتيجة لها وهو النظام الاجتماعى. لقد بدأ الناس بالبحث عن الحرية السياسية والحرية الدينية، وكلما أخذوا جانباً من هذه الحرية بدءوا يفكرون أيضا فى الحرية الاقتصادية خاصة أنه لم يكن مصرحاً قبل التغيير ومع هذه الأنظمة بالملكية الخاصة، فلقد كانت الدولة هى المالك الوحيد، بحيث بات كل

الذين يعملون فى مجالات اقتصادية مستأجرين لدى الدولة أو منتفعين ولكن ليسوا مالكين، وهذه النظم بدأت تتغير بثورات شعبية عنيفة وبعضها باتجاهات سلمية.

سؤال: هل التغييرات الحادثة اليوم هى تأكيد لعنصر مبادرات شخصية بدأها جورباتشوف من خلال البيرويسترويكا والجلاسنوست أم أن عوامل دولية أخرى هى التى أثرت ؟

ـ جورباتشوف يعتبر شخصاً قاد ثورة سياسية واقتصادية فى العالم السوفييتى كله ولا أدل على هذا من أنه عندما ذهب إلى أوربا وأمريكا استقبل استقبال الأبطال، فضلاً عن شعبيته الضخمة لأنه بدأ يحل القيود التى تقيد بها الوطن سبعين عاماً أو أكثر، بل والأكثر من هذا ما قرأته فى الصحف من أنه أعد قانونا للحرية الدينية فى الاتحاد السوفييتى يومها، وأنه أعلن عن هذا بالفعل. ولو وجدت الحرية الدينية ودخل الإيمان إلى الاتحاد السوفييتى فإنه سيكون سبباً لتغييرات كبيرة جداً من الصعب على المرء أن يتكهن بمداها.

إن الذى حدث بتحطيم سور (برلين) كان حدثاً عالمياً تناولته أجهزة الإعلام والتليفزيون بالذات فى العالم فى أيام متتابعة. فالحدث عالمى وتاريخى ينبئ عما تكتنزه مشاعر الناس من أحاسيس مكبوتة جاء وقت كى تنفجر فيه. لقد كان هناك بالفعل فارق كبير بين برلين الغربية وبرلين الشرقية، وهذه الإحداث أثرت بالتبعية على «هونج كونج» التى تخلت عنها إنجلترا فتحرك منها الكثيرون فى هجرة متتابعة خوفاً من أن تحكم حكما شيوعيا بعد ذلك، فواضح أن هناك عملية تغيير أو تطوير لهذه الأنظمة لدرجة أن الكلام عن الديمقراطية اليوم فى روسيا بات كلاما عاديا يتحدث عنه رجل الشارع دون خوف أو حرج أو محاسبة.. وأصبحت المطالبة بالانتخابات ورأى الشعب مطالب لها أهميتها وقوتها.. ولقد تجاوب مع هذه النغمة الجديدة أحداث أخرى فى أوربا الشرقية شملت بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر، وآخرها رومانيا التى كان انهيار الحكم فيها متوقعاً رغم عمليات القمع والعنف التى شنها نظام شاوشيسكو ضد المتظاهرين.

سؤال: إذن عدوى التغيير التى طالت النظم الشيوعية والتى لم يكن ليحد منها قمع أو عنف ؟

ـ أعتقد أن ما جرى فى رومانيا من مذابح أو ما جرى فى الصين من قمع لثورة الطلاب من قبل ـ هى مسائل نسميها مراحل انتقالية من مناخ إلى مناخ، وماحدث فى رومانيا هو أكبر دليل على أن من الجائز لأية حركة أن تقمع اليوم لكى تقوم أخرى محلها

غداً. فما دام الشعور بدأ يدخل إلى الناس فمن الصعب اقتلاعه.. لكن من الجائز تأجيل المشكلة أو إرجاؤها، غير أنها لاتحل ولا تصادر بالقمع أبداً إن التغييرا ت الاقتصادية والسياسية فى العالم تغييرات جوهرية وتدعو إلى الانتباه. وأعتقد أن جورباتشوف فى كل هذا ظهر فى موقف البطل السياسى العالمى الذى يدخل التاريخ. لقد زرت الاتحاد السوفييتى سنة ١٩٨٧ ورأيت صدى التغيير فى صور «ستالين» و«برجنيف» التى تنزع وفى حملات الانتقاد الصريحة التى تشن ضدهما عبر الإذاعة والتليفزيون وفى الحديث عن مفاسد هذه العصور وعن القيود التى وضعتها نظمهما وكبلت بها الكثيرين.

سؤال: بعد سقوط الشيوعية ليس أمام الديانات إلا أن تتكاتف.. وأتساءل لماذا لا تكون هناك مبادرة للقوى الروحية خصوصاً أن الشيوعية قد سقطت وتراجع الإلحاد ؟

ـ إن شئت الدقة فى الحقيقة، فمع انحسار الشيوعية وتراجع الإلحاد لايزال الجو السياسى مرتبكاً أيضاً ولم يستقر بعد، ولا تزال الصراعات السياسية قائمة بحيث إن الهيئات الدينية ربما تحتاج إلى جو مستقر كى تعمل فيه. الذين يقولون: إن الشيوعية قد انتهت وأن الإلحاد قد اختفى ينسون حقيقة مفادها أنه لاتزال هناك بقايا كثيرة جداً من الاضطراب ولا نضمن على أى وضع ستستقر الأمور سياسياً فى هذه البلاد.

وطبعا، الاستقرار السياسى يساعد على الاستقرار الدينى؛ لأن الناس عندما يكون اضطراب سياسى يكونون منشغلين بهذا الاضطراب السياسى أكثر، ولأن الجو حتى الآن مازال على ما هو عليه؛ لذا يجب الانتظار قليلاً.

سؤال : التقدم العلمى قد تكون له انعكاسات سلبية بل قد يخشى المرء من أن يأتى الوقت الذى يوضع فيه العقل البشرى فى المتاحف؟

ـ إن التقدم العلمى له جانبان: أحدهما إيجابى والآخر سلبى، فالذين يسيئون استخدامه يصل بهم إلى الجانب السلبى فى نشر البطالة، أما الذين يحسنون استخدام التقدم العلمى فإنه يفتح أمامهم أبواباً جديدة من العمل ومن الإنتاج ومن الرقى فى الحياة البشرية.

سـؤال : لإحراز السلام مع النفس والوصول إلى حـد أدنى من الطمـأنينة فى المجـتـمع اليـوم.. هل يحـتـاج المرء لورقـة عـمل جـديـدة لحـقـوق الإنسان؟

- حقوق الإنسان ور قة معروفة أقرتها الأمم المتحدة ونشرتها ولكن هذه الورقة تحتاج إلى أمرين : الأمـر الأول تفاصيل كل حق من هذه الحقوق الإنسانية، والأمر الثانى كيف يمكن تطبيق ذلك عمليا فى الحياة العامة، فحقوق الإنسان يكفلها الدين والقانون والدساتير ولكن المهم فى التفاصيل والتطبيق.

ولندخل مثلاً فى حرية الفكر: إلى أى مدى يعبر الإنسان عن فكره؟ وماذا يحدث لو اصطدم هذا الفكر بقيم معينة أو لو كانت هناك خطورة من نشر أفكاره؟!

لا شك أن القوانين لا تسمح بحرية مطلقة، والمجتمع أيضا لا يسمح. فالإنسان له حرية فى أن يفكر كما يشاء ولكن ليست له حرية أن ينشر كل أفكاره كما يشاء إذا كانت فى أفكاره خطورة على غيره وهنا تظهر نقطة أخرى: وهى كيف يحاسب إذا قام بنشر هذه الأفكار؟ ومن القيم على حسابه؟ إذن المسألة تدخل فى تفاصيل وفى مدى التطبيق، والأمر المعروف أن القانون هو الذى يحاسب والقضاء هو الذى يشرف على سيادة القانون، ولكن ماذا إذا تدخل المجتمع؟ هل تكون النتيجة أن يرفض المجتمع أفكاره أم أن يدخل المجتمع معه فى حوار ويرد على الفكر بالفكر، أم تستخدم معه القوة لمنعه؟ وهنا نسأل وماذا تكون قانونية هذه القوة؟ وهل يقف القانون ضد القوة التى تمنع الفكر مثلما يقف ضد الفكر ؟

سـؤال : ومن الذى يقيم الفكر ويصنفه ويحافظ على التوازن بحيث لاتطغى حرية جماعة على حريات الآخرين ؟

- ويستمر التساؤل: من الذى يحكم على الفكر بالخطأ ؟! هل هو مستوى العلماء والمفكرين والمثقفين الذين يحللون الفكر ويظهرون موضع الخطأ فيه وفى الوقت نفسه يعطون صاحب الفكر فرصة لشرح أفكاره أو يعطون أنفسهم فرصة لتقويم هذا الفكر وتصحيح مساره؟ الأمر لاشك يحتاج إلى وضع قواعد وضوابط بحيث لا تطغى حرية على حرية أخرى وبحيث يوجد تصالح بين الحريات وتنسيق فى العمل، وما يقال عن حرية الفكر يقال عن حرية الاجتماعات.

سـؤال : ولكن مصطلح حـقوق الإنسان قـد تسـتغله فـئـة للقفز على حريات الآخرين والإطاحـة بحقوقهـم ؟

ـ عبارة حقوق الإنسان معناها حقوق كل إنسان وليست حقوق على حساب إنسان آخر لأنه من غير المنطقى أن يضار إنسان باسم حقوق الإنسان، ومن هنا فإن التمايز العنصرى مرفوض من الجميع لأن فى إطاره تنال مجموعة حقوق ولا تستطيع مجموعة أخرى أن تنالها إنما ينبغى أن تتفق حقوق الإنسان مع الحق وتتحول من مجرد فكر إلى حقيقة واقعة، ولاشك أن الذى يؤمن بالحق إيمانا حـقـيـقـيـا هو الذى يستطيع أن يعطى كل ذى حق حـقـه؛ ولذلك ينبغى حينما نتكلم عن حقوقنا أن نضع أمامنا حقوق غيرنا ونداقع عنها كما لو كانت تخصنا. إن العدل لا يطالب به القضاء فقط، إنما يطالب به كل فرد.

النظام العالمى الجديد حمل منطقتنا تبعات جساما فى ظل زوال أنظمة وأيديولوجيات وظهور الولايات المتحدة كقوة منفردة تملك الهيمنة وتسيير دفة أمور العالم أجمع الأمر الذى أعان على ظهور خلل غريب فى الموازين اختفت معه معايير الحق والعدل والإنصاف ليحل محلها نظام قصر وفرض وإجبار يطبق فقط اليوم على فصيل المستضعفين فى الأرض، وعالمنا العربى جزء من هذا الفصيل.

سؤال : ماذا يمكن أن نفعل من موقعنا ؟!

ـ لماذا هذه النظرة المتشائمة ؟! لقد مر وقت أتيحت فيه الفرصة لقوى أن تسيطر على العالم كله بمفردها، فالوضع ليس جديدا أو فريدا، فى وقت من الأوقات كان الإسكندر الأكبر يسيطر على العالم، وفى وقت من الأوقات كانت الامبراطورية الرومانية تسيطر على العالم. وفى وقت من الأوقات كان صلاح الدين قد أشرف على أن يسيطر على الشرق الأوسط كله.. بمعنى أن الفرصة مهيأة دائما لظهور شخصيات أو قوى تسيطر على الساحة ككل. المهم أن يستطيع الإنسان الاحتفاظ بثباته ويحاول أن ينشر الخير فيما حوله على قدر استطاعته.

سؤال : ولكن العالم العربى لم يستطع أن يحتفظ بثباته ؟

ـ بسبب انقساماته، انقساماته لا تنتهى فما أن تنتهى واحدة حتى تبدأ أخر؛ ولذلك سعدت سعادة بالغة بالخطوة الرائعة التى قام بها الرئيس حسنى مبارك فى ديسمبر ١٩٩٢ لإزالة أسباب التوتر حول الحدود بين شقيقتين عربيتين هما السعودية وقطر، وأتمنى أن تكون

مبادرة الرئيس مبارك هذه هى الإطار والصيغة التى تحتذى لإزالة ما قد يعرض من خلالف أو توتر بين الدول العربية بعضها وبعض، و بذلك نضمن عالما عربيا واحدا متضافرا قويا بعيدا عن أى انقسامات أو نزاعات.

سؤال: وسط هذا تظهر إسرائيل عنصر إرهاب وهيمنة وسيادة وتسلط فى المنطقة ؟

- وهل بكاؤنا على الأحداث سيصلح الأحداث؟! بالطبع لا؛ وعليه لابد لنا من أن نتبنى التفكير الإيجابى والمنطق السديد والإيمان بعدالة قضيتنا لنصل إلى ما نريد من سلام مأمول وحياة زاخرة بالخير والنماء.

سؤال: هل ما يحدث فى المنطقة من تحرشات أمر ناجم عما نسميه بصراع الحضارات ؟

- لست أرى هذا الرأى؛ فمثلا الصراع بين العرب وإسرائيل سواء فى لبنان أو سوريا أو فلسطين لا يمكن أن يسمى صراع حضارات بل هو صراع سياسات وأطماع، والموقف ما بين أمريكا من ناحية والعراق وليبيا من ناحية أخرى هو صراع سيادة وليست الحضارات هى السبب، والصراع فى مناطق أخرى هو صراع حول الحدود وليس بين حضارات، وعلى العموم العالم حاليا عن طريق المخترعات الحديثة ووسائل الإعلام والإنترنت - تمتزج فيه الحضارات والأفكار والثقافات، ولم يعد التمايز ظاهرا فى هذا الالتحام الثقافى الذى يبدو فيه أن الكل يسعى إلى غاية واحدة من العلم والمعرفة دون أن يتصارعوا.

سؤال : إذن هل يمكن أن نرجع ما يحدث إلى صر اع الديانات ؟

- لست أرى هذا أيضا؛ فأمريكا قد تتعاون مع الكويت والسعودية رغم اختلاف الدين، وهنا لا يوجد صراع دينى، وكثيرا ما تحاول الصين واليابان أن يوجدا لهما مجال تعاون فى البلاد العربية والإسلامية على الرغم من الاختلاف فى الدين. إن الخلاف فى الدين لم يعد هو المسيطر إنما الذى يسيطر على كل بلاد العالم هو عنصر المنفعة، فكل دولة تبحث عن مصالحها الخاصة وتتعاون مع الدول الأخرى التى تحقق هذه المصلحة، ولا يدخل فى ذلك نوع الحضارة أو الدين، كذلك التعاون الوثيق والارتباط الشديد بين أمريكا وإسرائيل مع اختلافهما فى الدين لا يدل إطلاقا على وجود صراع دينى وإنما تعاون فى مصلحة مشتركة. المسألة إذن هى التقاء مصالح والتقاء سياسات وتبادل منفعة مشتركة.

ســؤال : ما رؤيتكم حيال ما يعانيه الشعب العراقى حاليا نتيجة للعقوبات التى فرضت منذ عشر سنوات، مع توصيف البعض لما يحدث فى العراق اليوم على أنه جريمة ترتكب ضد الشعب العراقى؟

ـ إننا جميعا نشفق كل الإشفاق على شعب العراق فيما يقاسيه حاليا من نقص فى التغذية ونقص فى الأدوية ومشاكل اقتصادية متعددة ظهرت آثارها فى أحداث سجلتها الصحف. فما ذنب هؤلاء جميعا فى نتائج سياسات دولية فوق مستواهم؟ ولا شك أننا نرجو أن تحل المشكلة العراقية بعيدا عن إذلال شعب العراق وإنقاذا للضحايا الذين يسقطون صرعى يوما بعد يوم.

ســؤال : ما يقال فى تبرير فرض العقوبات على العراق حتى اليوم هو التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ؟

ـ إذا سبق هذه كتبرير لفرض الحصار على العراق؛ لتساءلنا لماذا لم يحدث الوضع نفسه بالنسبة لإسرائيل، وما أكثر ما يقال عن الأسلحة التى تملكها ومصادر هذه الأسلحة التقليدية وغير التقليدية خاصة ترسانتها النووية!

ســؤال : لعل أكثر المشاكل التى تجابه العالم اليوم هو الدولة الأحادية القطبية.. وأتساءل كيف يمكن الخروج من بوتقة الأحادية القطبية إلى التعددية حتى لا تستأثر دولة بالهيمنة والنفوذ على المجتمع الدولى؟

ـ هل تظنين أن حديثا صحفيا يمكن أن يحل هذا الوضع الدولى؟! المجال مفتوح أمام كل دولة أن ترتب شئونها كما تشاء حتى تصل إلى وضع المنافسة فى المجال الدولى. وأمامنا أمثلة فى دول الشرق الأقصى التى تقدمت فى الصناعة فأصبحت تنافس أمريكا نفسها، ويكفى أن نرى الكثيرين من الشعب الأمريكى يستخدمون السيارات اليابانية والصناعات الصغيرة، وهناك الصين وباقى بلاد الشرق الأقصى. وقديما كانت هناك دولتان كبيرتان تتنافسان هما أمريكا وروسيا، ولكن تغير الوضع بالنسبة لروسيا نتيجة لتفكك الكتلة الشيوعية ولم يكن هذا بسبب أمريكا طبعا.

سؤال : «القوة فوق الحق» شعار يرفع فى العالم اليوم من قبل قوى دولية.. وأتساءل كيف يمكن أن نقنع الإنسان العادى بأن السياج الدينى سيعصمه ويحميه، ويغلب المبدأ القائل «الحق فوق القوة» ؟

ـ الدين يضع باستمرار مبادئ قوامها الحق. أما الاعتداء على الحق فهو يصدر من أطراف لا تعبأ بمبادى الدين؛ ومع ذلك فإن الدين أيضا يدعو الناس إلى أن يكونوا أقوياء ولا يوافق على تفشى الضعف بين الأفراد أو المجموعات أو الدول. ونحن ندعو كل إنسان إلى أن يكون قويا وكل دولة إلى أن تكون قوية بشرط ألا تكون قوة غاشمة أو قوة تهدف إلى الاعتداء على الغير أو تستخدم أساليب غير دينية. ونحن قبل أن نلوم الأقوياء على استخدام قوتهم بأسلوب خاطئ نلوم أيضا الضعفاء على بقائهم فى ضعفهم دون أن ينهضوا منه ويقووا أنفسهم أو على الأقل يعتمدون على قوة الله وهو أقوى الأقوياء، وما أعمق ذلك المثل القائل: «لا تلم الأسد إذا أكل الغزال، وإنما عليك أن تلوم الغزال إذا ترك رأسه فريسة فى فم الأسد».

سؤال: ونحن على أعتاب القرن الحادى والعشرين ـ يرد تساؤل ملح مفاده هل نحن مؤهلون لمجابهته أو على الأقل التكيف معه أم أن إمكاناتنا تقصر عن ذلك ؟

ـ أكثر ما يؤهلنا للتكيف مع القرن الحادى والعشرين هو التكنولوجيا؛ بحيث تستطيع مصر مسايرة التقدم العلمى الجبار الذى يسير بخطى واسعة فى كثير من بلاد العالم، ليس فقط فى بلاد الغرب، وإنما أيضا فى الصين واليابان وباقى دول الشرق الأقصى. وما نقصده بالتقدم التكنولوجى هو استخدامه ليس فقط فى الجامعات وإنما أيضا فى الصناعة والطب والاقتصاد بل وفى الحياة الخاصة، ومجد مصر لا يتوقف فقط على افتخارها بالماضى الطويل فى الحضارة وإنما ينبغى أن يكون حاضرها ومستقبلها فى المستوى نفسه الذى بدأت به منذ ستة آلاف سنة على الأقل، ويحتاج الأمر إلى دراسة التطور العلمى فى الخارج وإلى إرسال بعثات متخصصة لاستيعاب هذه العلوم ونشرها فى مصر مع الاستعانة فى بداية الأمر بخبراء وأساتذة وأجهزة علمية والتوسع فى استخدام بنوك المعلومات، وإذا استطاعت مصر أن تصنع ما تستورده من الخارج فإن هنا يكون هو قمة ما نصبو إليه فى الاستعداد للقرن الحادى والعشرين. ولا شك أن عملية التصنيع وما يتبعها من عملية الصيانة تكون مجالا لتشغيل عدد

ضخم من الأيدى العاملة ومن العلماء والمفكرين وأيضا تغطى احتياجاتنا الضرورية وتعفينا من الاحتياج إلى النقد الأجنبى، بل يمكننا أن ندخل فى مجال التصدير بالنسبة إلى الصناعات الحديثة الإلكترونية.

سؤال : متى يمكن للقوة أن تعتلى الحق ؟

ـ القوة لا تكون فوق الحق إلا إذا كان الحق ضعيفاً، وما أسهل أن يغلب الحق القوة ولو أن الأمر يحتاج إلى شىء من الصبر. والدين كما يدعو إلى الحق يدعو أيضا إلى القوة شريطة أن تكون قوة لها مبادئ وقيم روحية بحيث لا تنحرف؛ ولذلك لا يجوز لنا أن نجعل القوة فى جانب والحق فى جانب، لأنه يمكن أن نجمع القوة والحق معاً سواء أكانت قوة حقانية أو كان الحق قوياً.

سؤال : الحديث عن القوة يقودنا إلى الحديث عن حق الفرد فى المجتمع.. وأتساءل هل يصبح ممكنًا وفق قاعدة: «الضرورة تبيح المحظور» إباحة الإجهاض للفتاة التى اغتصبت عنوة ؟

ـ لا نوافق عليه فكرياً بصفة مطلقة ؛لأنه إذا كانت المحظورات خطايا، فهل الضرورات تبيح هذه الخطايا ؟!

سؤال : ولكن يجب أن يكون الإجهاض مباحاً لمن اغتصبت، وتأبى أن يكون لها طفل سفاحًا ؟

ـ لا يمكن معالجة خطية بخطية. وإذا أبحنا هذا الأمر فربما التى حملت سفاحا حملت برغبتها ـ أى أنها جريمة زنا، ونتج عنها هذا الحمل وعليه ستكون معالجة خطية الحمل غير الشرعى بخطية القتل بالنسبة للجنين، وبالمثل هذا يصدق على فتاة فقدت بكارتها عن طريق خطية فتلجأ إلى عملية جراحية لكى تبدو بكرا وهذه معالجة خطية بخطية، وإذا أبحنا هذا نكون قد فتحنا المجال للإباحية مادامت تغطيتها سهلة، وبمعنى آخر تتحول الإباحة إلى إباحية.

سؤال : حذر الغرب أخيرًا من أن انتشار المخدرات يمكن أن يتم عن طريق «الإنترنت» التى تشرح كيف يمكن زراعة الخشخاش فى البيوت..

وأتساءل ألا ينبهنا هذا إلى ما قد تسببه التكنولوجيا من مخاطر على المجتمع ؟

ـ التكنولوجيا فى مظهرها رقى علمى ويمكن استخدامه لجنى فوائد متعددة، ولكن التكنولوجيا الحديثة عكست مخاطر ضارة بالمجتمع العالمى، فهل ـ على سبيل المثال ـ أن المكتبات يمكن أن تتحول الآن إلى متاحف ولا تستعمل؛ لأنه يمكن على «ديسك» واحد وضع ١٢٠ كتابا يستطيع الإنسان أن يطلع على أى منها متى شاء فى أى مكان، فما لزوم المكتبات إذن؟ وإذا أراد أن يستخدمها فى البحوث العلمية المطلوبة له أو منه ما أسهل أن يصدر أمراً إلى الكومبيوتر بأن يستخرج له من كل هذه الكتب موضوعا معيناً، ومن ثمّ يحصل على أوراق متعددة فيها كل المادة التى يريدها من البحث، فما تأثير كل هذه على البحوث التى تطلبها الجامعات فى الدرجات العلمية كالماجستير أو الدكتوراه أو الأبحاث التى تطلب لترقية مدرس إلى أستاذ مساعد مثلاً ؟

وأثناء أسفارى فى الطائرات كنت ألمح أحياناً شخصاً يخرج جهاز الكمبيوتر وبعض الأوراق ويسلى نفسه فى الرحلة بهذه البحوث التى لا تستغرق منه جهداً كبيراً؛ فلقد تحول الكومبيوتر إلى عقل ألكترونى يساعد الإنسان فى أية معلومات يريدها.

أيضا فى الترجمات وجدت أنواع من الكومبيوتر تساعد فى الترجمة إلى خمس لغات: الإنجليزية ـ الفرنسية ـ الألمانية ـ الإيطالية ـ الأسبانية. فمن الممكن أن يضع الإنسان فيها ورقة بإحدى اللغات فتقدمها له مترجمة ترجمة كاملة تشمل تركيب الجملة والقواعد اللغوية وما إلى ذلك ولا تحتاج إلا إلى مراجعة طفيفة.

وكما تدخلت التكنولوجيا فى تغيير مركز المكتبات والاستغناء عن بعضها وتدخلت فى البحوث العلمية وكل أنواع البحوث وفى الترجمة، فإن هذا كله سيكون له تأثيره العلمى والاجتماعى بالاستغناء عن الطاقات البشرية، ويقف العقل لتحل محله الآلة حتى فيما يتعلق بالعلم والجامعات وما يتعلق أيضا بمركز رجال الفكر، ولم يعد الشخص يبذل مجهوداً؛ ليحصل على المعلومات، وإنما تقدم إليه كاملة صافية بلا جهد.

سؤال: الإنترنت ستدخل فى كل موقع فى الحياة وستحل بالتالى محل الصحافة ومعه لن تكون هناك أسرار ولن تكون هناك بالتبعية أية ضوابط أخلاقية ؟

– ستدخل الإنترنت بطريقة عجيبة فى نشر كل ما يريده الإنسان، سواء أفلاما سينمائية عادية أو فاضحة أو أسراراً معينة أو مخاطبات بين الناس والرد عليها، وهكذا حلت محل الصحافة والفن فى أمور عديدة. وما أسهل على الطالب المراهق أن يجلس إلى الإنترنت ويطلب منه ما يشاء! وما أسهل أن يدخل الناس فى صراعات فكرية عن طريق الإنترنت ويكتب كل فريق ما يشاء ضد الآخر ويرد عليه الطرف الثانى! وهذه الصراعات يطلع عليها من يشاء بكل سهولة. وهنا نسأل ما نتيجة كل هذا ؟! وتدور أمامنا هذه المشكلة «التكنولوجيا مالها وما عليها وما يمكن أن تجره من نتائج حسنة أو سيئة، وما مدى وسائل استخدامها على المستوى الفردى أو الجماعى؟ وما مدى تعطيلها أو مساعدتها لأعمال الفكر وفى جمع المعلومات وفى استخدامها للخير أو للشر مع عدم وجود ضوابط على الإطلاق.. ذلك أننا إذا أوجدنا ضوابط للصحافة والنشر والفكر فلن نوجد ضوابط للإنترنت، وكيف توجد ضوابط للدش وما تقوم به الأقمار الصناعية وما تقدمه من أخبار ومن أفكار ومن نشر للأسرار ومن مثيرات لا تدخل تحت حصر.

سؤال: فيما إذا صنف البعض العلم على أن مادى، وصنف الدين على أنه روحى، فإن العلم إذا أوصلنا إلى مكاسب ستظل بعيدة عن حياة الإنسان الروحية ولا ترتقى بها؟

– العلم يشمل أنواعا شتى عديدة جداً لا يمكن أن نقول إنها كلها مادية، مستحيل! هناك نوع من العلم يبحث فى المادة وليس كل العلم يبحث فى المادة، وليس كل العلم متصلا بالمادة، هناك من العلوم ما يسمى «الميتافيزيقا» يعنى ما وراء المادة وهو علم، الفلسفة أيضا علم وليست مادة، ثم إن بعض العلوم تبحث فى المادة وهناك من يستطيع من البحث فى المادة أن يصل إلى الدين، كأن يتساءل هذه المادة من أوجدها؟ إذ لا يمكن أن تكون قد أوجدت نفسها؛ إذن البحث فى المادة من هذه الناحية يمكن أن يوصلنا إلى وجود الله.

ويصبح العيب قائما فى طريق البحث ومنهج البحث وليس فى العلم ذاته.

سؤال: ربما أراد البعض بتعبير العلم المادى نوع العوائق التى قد تقف أمام الإيمان بالحقيقة، وأعنى بذلك الشبق بالحياة والشهوة؟

– الشهوة أمور نفسية أم أمور مادة؟

سؤال: مادة؟

أمور نفسية تبحث فى نواحٍ مادية.

سؤال: ولكنها تدرج تحت العلوم المادية كلها؟

ـ لا، ليس صحيحاً. الشهوة تدخل فى الأمور النفسية.

سؤال: ولكنها مادة، فعندما يتعامل الإنسان معها فهو يغرق نفسه فى المادة؟

ـ يغرق نفسه فى المادة بعوامل نفسية، لكن المادة ذاتها ليست خطأ فى ذاتها؛ فالمادة حينما خلقها الله لم تكن شرا ولا تزال المادة ليست شرا، إنما الشر هو فى استخدام المادة بطريقة خاطئة وذلك حينما نخلط المادة بعوامل نفسية خاطئة، وهنا تتحول المادة إلى ضرر، مثال لهذا الجسد، فالجسد ليس شرا فى ذاته وإلا ما كان الله يخلق جسدا؛ لأن الله لا يخلق شرا، فكل ما خلقه الله هو خير ولكن إذا استخدم الإنسان الجسد بطريقة خاطئة يكون الخطأ فى الاستخدام وليس فى الجسد ذاته، بدليل أننا أحيانا نحاول أن نتبارك بأجساد بعض الأبرار الذين انتقلوا من هذه الدنيا، أو نشعر أن المكان الذى دفنوا فيه مكان مبارك؛ لأن الأجساد لم تستخدم بطريقة خاطئة، والجسد أيضا يمكن أن يستخدم فى العبادة ويمكن أن يستخدم فى خدمة الآخرين وأن يستخدم فى البذل من أجل الغير كما يفعل الشهداء والجنود وكما يفعل عمال إطفاء الحرائق وعمال إنقاذ الغرقى إلى آخره. فالجسد يمكن أن يستخدم فى الخير؛ إذن المادة ليست شرا فى ذاتها وإنما استخدام المادة استخداما خاطئا هو الشر.

سؤال: ماذا عن علاقتكم بأثيوبيا الآن، خصوصا وأنها كانت متوترة من قبل، إذ يقال إنه بعد رحيل مانجيتسو تغير الوضع وباتت العلاقة أفضل؟

ـ ما زال الموقف على ما هو عليه. موقف الإنسان من أوضاع خاطئة يظل هو هو، ولسنا نحن الذين نخفف من حدة الأوضاع الخاطئة، وإنما يجب أن تتغير هذه الأوضاع أولا كى تقابل بإيجابية سليمة. وأنا أرى أن الأمر لم يستقر بعد داخل الكنيسة الأثيوبية، يجب أن يستقر الأمر داخلها حتى يكون هناك استقرار فى علاقاتها الخارجية.

سؤال: على ذكر ميلاد السيد المسيح.. أتساءل علام الاختلاف حول تاريخ ميلاده بين مسيحيى الغرب والشرق؟ لماذا ديسمبر ويناير؟

ـ كان الناس يعتقدون أن السنة عبارة عن ٣٦٥ يوما وربع اليوم، ثم فى التقويم الغريغورى قيل: إن السنة ٣٦٥ وربع اليوم وإحدى عشرة دقيقة. هذه الدقائق على مر القرون أوجدت فارقا ثلاثة عشر يوما بينما بقينا نحن على نفس تقويمنا القديم، فليس هذا خلافا فى العقيدة، إنما هو مسألة علمية بحتة لا علاقة للعقيدة الدينية بها.

سؤال: ماذا عما يردده البعض من أن المسيحية ليس فيها تشريع، فالمسيحى يمكن أن يقبل أى نظام يحكمه؛ لأن دينه ليس فيه شريعة معينة فى الزواج والطلاق والمعاملات وفى العلاقات الدولية؟

ـ المسيحية وضعت شريعة للزواج تتميز بها، وهى شريعة الزوجة الواحدة، وكذلك الزواج الدينى (وليس المدنى أو العرببى) وفى ذلك قال السيد المسيح فى الزواج: «ما جمعه الله لا يفرقه إنسان». وكذلك فإن المسيحية وضعت تشريعا فى الطلاق؛ فى أنه لا يكون لأى سبب فالمسيحية تقول: «إنه لا طلاق إلا لعلة الزنا» وتوجد لهذا آيات كثيرة فى الإنجيل كما أنه يجوز الطلاق إذا ترك أحد الزوجين دينه على اعتبار أنه غصن قطع من شجرة فلا يمكن أن يتحد بغصن آخر فى نفس الشجرة، وعلى اعتبار أنه من شروط المرافقة الموافقة وقد وضعت المسيحية شرائع كثيرة فى المعاملات ومنها مبادئ المحبة والتسامح والمغفرة للمسىء واحتمال الضعفاء والعطاء للمحتاجين بغير حدود وما إلى ذلك.

سؤال: قد يقول القائل إن الكنيسة تتبنى موقفا سلبيا حيال التشريع؟

ـ ليس معنى هذا أنها تقف موقفا سلبيا من التشريع بل لابد أن تشهد للحق، فلو وجدت قوانين تمس حريتنا الدينية نعترض عليها.

سؤال: ماذا عن الأوقاف القبطية.. هل تم ردها الآن أم أن هناك مشاكل لم تحل بعد؟

ـ لاشك أن وجود لجنة مشتركة بين وزارة الأوقاف والهيئة القبطية للأوقاف ساعدعلى التفاهم الذى أوصل إلى نتائج طيبة، والمسألة فى دور الحل النهائى لبحث ما بقى من أوقاف بالروح الطيبة نفهسا التى نشكر عليها الدولة.

سؤال: فى هذا السياق هل تفزعون لأفكار المتطرفين؟

ـ نحن لا نقف ضد المتطرفين فى أفكارهم وإنما نقف ضد العنف فى نشر الفكر وإرغام الناس عليه. هناك فرق بين صاحب فكر وقائد فكر، فكل إنسان فى الدنيا ربما يكون صاحب فكر، ولكن إذا تحول إلى واحد من قادة الفكر بحيث ينشر فكرا ويكون له أتباع وأنصارلهذا الفكر ـ هنا لا تكون المسألة مسألة حرية شخصية لأنها خرجت من الشخص إلى المجتمع وأصبح من الواجب والضرورى هنا حماية المجتمع من الفكر الخاطئ ولكن لابد أن نسأل كيف تكون هذه الحماية؟ هل بتصارع الأفكار للوصول إلى الحقيقة أم بمنع هذه القيادة الفكرية الجديدة بكل الوسائل الممكنة.

سؤال: هل تخشون المد الحالى المتصاعد للتطرف والعنف من قبل بعض الأفراد؟

ـ نحن لا نخاف أحدا. الوحيد الذى نخاف معصيته هو الله، وحتى بالنسبة إلى الله نفسه نريد أن نخرج من الخوف إلى الحب، وحينما نحب الله لا تعود تربطنا به مشاعر من الخوف. ونحن نريد أن يكون جميع الناس متدينين ولكن لا نريدهم أن يكونوا متطرفين أو متعصبين.

سؤال: هناك متطرفون بلوس أنجلوس فهل مثلوا مشكلة بالنسبة لكم؟

ـ صدقينى لم أشعر بهم. أنا زرت لوس أنجلوس مرات عديدة ولم ألتق بأحد من المتطرفين. وفى نيوجيرسى ـ التى يوجد بها مقر لنا ـ كان يوجد الشيخ عمر عبدالرحمن ولم يحدث شىء ولم يكن وجوده يشكل خطرا علينا أو يمثل ضيقا لنا. وعود إلى محاولاتى توثيق العلاقات بين الجانبين لأقول بأننى حينما زرت استراليا فى أوائل التسعينيات حاولت أن أوجد علاقة بين المسلمين والمسيحيين وجلست معهم جميعا، واتفقت على أن يكون الاجتماع المقبل

فى جماعة أبو بكر الصديق وأن يقوم الأستاذ «باسليوس» من الجمعية القبطية بالتنسيق وفعلا اجتمعوا، ولكنه كان الاجتماع الأخير والسبب أن وزارة الهجرة فى مصر عندئذ سارعت فكونت لهم لجنة بدون علمهم. وقلت لسفير مصر فى استراليا يومها: إذا أردتم أن تكونوا لجنة فانظروا إلى نوع القيادات الموجودة لديكم فى استراليا من ميسحيين ومسلمين وتختارون من كل قيادة لتشكيل اللجنة المطلوبة، ولكن لا يمكن أن تأتى اللجنة من مصر وهى لا تعلم شيئا عن ظروفهم فى استراليا.. ولكن ماذا نفعل أحيانا هناك إدارات تتصرف بطريقة مركزية دون أن تعرف بطبيعة الجو. لقد فشلت هذه اللجنة، ولكن ومع ذلك تحاول أن نجمع الكل معا على قدر ما نستطيع وهدفنا من ذلك إيجاد نوع من الألفة بين الجميع.

قصة النبى موسى

يتحدث البابا شنودة عن حقيقة هوية النبى موسى، بعد أن ذكر بعض الباحثين أنه هو رمسيس الثانى أى أنه أمير مصرى وليس عبرانيا ويهوديا. انتشلته أميرة مصرية من الماء، فسمى موسى ومعناها المأخوذ من الماء؛ وبالتالى لا يمكن أن يكون هو رمسيس الثانى أو أى فرعون من الفراعنة؛ لأن حياته كانت صراعا ضد فرعون انتهى بغرق فرعون وجنودده فى البحر.

سؤال : علقت مجلة «التايم» الأمريكية على فيلم: أمير مصر أخيرًا وقالت ما مفداه بأن النبى موسى هو رمسيس الثانى، أى أنه أمير مصرى وليس عبرانيا .. ما مدى صحة ذلك؟

ـ موسى كان عبرانيّا ويهوديّا، وقد انتشلته أميرة مصرية من الماء فسمى «موسى» ومعناها «المأخوذ من الماء»: «مو» ماء «تشى» يأخذ . فكأن «موسى»: المأخوذ من الماء .. السين والشين يتبادلان الوضع فى كثير من اللغات، وقد عاش فى القصر الملكى زمنا ثم تركه لعامل دينى، ولا يمكن أن يكون هو رمسيس الثانى، أو أى فرعون من الفراعنة لأن حياته كانت صراعا ضد فرعون انتهى بغرق فرعون وجنوده فى البحر، أما «موسى» فترك مصر إلى سيناء ثم إلى كنعان. ومن المحال أن يكون رمسيس الثانى الفرعون العظيم قد ترك بلاده وهاجر منها مع مجموعة من الناس، ومن المحال أن يوجد فرعونان فى وقت واحد: أحدهما يتسبب فى غرق الآخر ثم يترك البلاد وتبقى بلا فرعون بعد رحيل الاثنين: أحدهما إلى الموت والثانى إلى بلد آخر. أما أم موسى فطبيعى أنها كانت عبرانية، وفى الوقت نفسه كانت الأميرة المصرية تعتبر كأم له ـ عن طريق التبنى ـ لأنها تبنته .

سؤال : إذن القول بأن «موسى» هو رمسيس الثانى أو فرعون مصر هو قول مجافٍ للحقيقة والتاريخ؟

- نعم، فالقول بهذا أضحوكة لا تبنى على أى علم أو دراسة.. فهل رمسيس الثانى هو الذى تسلم الشريعة اليهودية من الله؟ وهل كان رمسيس الثانى نبيًا تعترف به كل الأديان اليهودية والمسيحية والإسلام؟

سؤال : مجلة التايم «الأمريكية» روجت أيضا لمعلومة تقول: إن «جبل سيناء» حيث تلقى موسى الوحى قد لا يكون فى «سيناء»؟

- إذن أين يكون؟ وحينئذ يقف أمامنا سؤال آخر مفاده ما علاقة المكان الخيالى الثانى بقصة موسى وفرعون؟! وهل تصارع الاثنان فى قارة أخرى؟ ألا يبدو هذا خيالا غير علمى؟!

سؤال : طالعنا بابا الفاتيكان عند زيارته لبنان سنة ١٩٩٧ بدعوى غريبة يتحدث فيها عن انتماء المسيح إلى اليهودية، وهى دعوى قد يستغلها اليهود لتهويد الأديان أو احتكار المسيح رغم أن يسوع لم يأت ليبرر عدوانًا أو يقيم شعبًا فوق الشعوب كما يفعل اليهود؟

- ينبغى أن نفرق بين اليهودية كدين والصهيونية كسياسة، كما ينبغى أن نفرق بين التاريخ القديم والسياسات الإسرائيلية الحالية، مثال ذلك إن قلنا إن موسى النبى كان نبيا يهوديا فلا يعنى هذا أن موسى النبى ينتمى إلى سياسة إسرائيل الحالية، وإن كان السيد المسيح قد ولد فى بيت لحم اليهودية فليس معنى هذا أنه ينتمى إلى أية سياسة يهودية فى الماضى أو الحاضر بدليل أنه اضطهد من اليهود اضطهادا يفوق الوصف وقدموه إلى والى الرومان «بيلاطوس» وقالوا له : «اصلبه، اصلبه دمه علينا وعلى أولادنا». إذن مولد السيد المسيح فى بلاد فلسطين، فى بلدة يهودية لا علاقة له إطلاقا بالسياسات الحالية.

سؤال : ماذا بالنسبة إلى من ذهب إلى أن المسيح سورى بدليل أنه كان يتحدث السريانية وهى لغة سوريا القديمة؟

- كونه كان يتكلم الآرامية - لهجة سريانية حاليا - لا ينفى إطلاقا ولادته فى بيت لحم اليهودية الأمر الذى هو واضح جداً فى الإنجيل.

سؤال : ولكن ما يدحض انتماء المسيح إلى اليهودية هو العداء الصارخ الذى يكنه اليهود للمسيحيين؛ وعليه فلا مجال لتمسحهم فيه اليوم؟

ـ كما أن اليهود وقفوا موقفا عدائيا من المسيح كذلك أخذوا موقفا عدائيا ضد المسيحية في نشأتها وأول شهيد في المسيحية الشهيد «أسطفانوس» والذى قتله اليهود رجما، وظلوا يتتبعون المسيحيين بالاضطهاد العنيف إلى أن تشتتوا سنة ٧٠ ميلادية بعد تحطيم الهيكل وأورشليم؟ فما معنى أن يتمسح البعض في يهودية المسيح الذى لم يقبله اليهود؟ وقيل عن ذلك في الإنجيل: «إن النور أضاء في الظلمة، والظلمة لم تدركه . وأحب الناس الظلمة أكثر من النور؛ لأن أعمالهم كانت شريرة». يضاف إلى هذا أن اليهود حتى الآن لم يؤمنون بأن المسيح قد جاء، وإنما ينتظرون مسيحا يأتى كشمشون وجدعون له قوة سياسية تؤيدهم في مساراتهم السياسية.

الشيخوخة والمرض

يتحدث البابا شنودة عن فلسفة الألم؛ فحينما سمح الله بالألم إنما سمح به لإنقاذ الإنسان منه، ولكى يتجاوب المجتمع مع من يشعر به ولكى يوجد فى قلوب الذين يرونه مشاعر إنسانية عميقة. وسمح بالآلام لكى نبحث عن أسبابها وننقيها.

سؤال : قد ينظر البعض إلى الشيخوخة على أنه عنصر معرقل فى الحياة وأن متاعبها وآلامها تستدعى لدى البعض إمكان وضع حد لها خاصة إذا تحولت لأن تكون عبئا على الآخرين وبات الإنسان معها خارج هامش الحياة؟

ـ أنا أعلم أن الشيخوخة لها متاعبها ولقد وصفها ذلك الشاعر العربى فقال :

المرء يأمل أن يعيش وطول عيش قد يضره
تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره
وتخونه الأيام حتى لا يرى شيئًا يسره

غير أن المجتمع عليه واجب حيال الشيخوخة ورعايتها، وحاليًا توجد بيوت المسنين يرعون فيها كبار السن ويوفرون لهم كل أسباب العناية والترفيه أيضاً، وفى استراليا يسمونهم Seniors وحسنا سميت هذه البيوت بيوت المسنين وكانوا قديما يسمونها بيوت العجزة وهو تعبير غير لائق، لعلهم اشتقوه من كلمة «عجوز»، لكن فى اللفظ أيضا معنى العجز فإذا قصر المجتمع فى رعاية الشيخوخة حتى يلجأ الشيخ إلى إنهاء حياته حينئذ تكون على المجتمع مسئولية لأنه السبب فى لجوء إنسان مسن إلى إنهاء حياته بنفسه .. ولا يكون العجز فى المسن وإنما فى المجتمع؛ فنحن لا نبرر أخطاء المجتمع وبسببها ندعو إلى جريمة الانتحار.

سـؤال : أصحاب هذه الدعوة يرون أن المرض العضال والألم مبرر كافٍ كى يتخلص الإنسان من حياته، أى أن الدعوة فى الأساس تأتى على أرضية الشفقة ؟

ـ ينبغى على المريض فى ألمه الشديد أن يتجه إلى الله ويعد نفسه للحياة الأخرى بالتوبة وتنقية القلب ـ ويعتبر أن آلامه هى مجرد سداد لديون ما أخذ من لذة خاطئة فى العالم، أما من لم تكن له نقائص فى هذه الدنيا ـ وهذا احتمال وهمى ـ فلابد أن الله سيعوضه عن متاعبه فى العالم الآخر حسب عدل الله الذى نؤمن أن يقيم توازنا بين ملاذ الإنسان ومتاعبه، فهناك يتعزى من كان هاهنا يتعذب.

سـؤال : ماذا عن وضع نهاية لحياة من فقد عقله ويشكل خطرا على المجتمع ؟ ؟

– المجنون الذى فقد عقله تماما لا يحاسب عن أعماله ولا عن قتل نفسه ـ وليس من حق الطبيب ولا من حق مساعديه قتل هذا المجنون لأن مستشفى الأمراض العقلية تحمل اسم مستشفى وليست سلخانة.

سـؤال : هل يعنى ذلك أن من يروج لدعوة منح الآخرين ترخيصاً لإنهاء حياتهم يكون مجرماً فى حق البشرية ؟

ـ الشخص الذى يعطى ترخيصًا بقتل مريض أو مسن بدافع الشفقة هو إنسان مدانٌ على هذا القرار الذى ليس من اختصاصه .

سـؤال : أحياناً قد تدفع الظروف بالإنسان إلى التخلص من حياته خاصة إذا لفظه المجتمع وعاش وحيدًا فقيرًا معدماً ؟

ـ جريمة المجتمع فى إهمال الفرد لا تعالج بجريمة الانتحار من جهة الفرد ولا بجريمة القتل من جهة المشفقين عليه؛ لذلك نحن نأخذ الحقيقة بمعناها الكلى دون أن نقف حائرين أمام الجزئيات، ولعل انتحار أحد هؤلاء ينبه المجتمع إلى خطيئته فإذا لم ينتبه يضيف إلى خطيئته خطيئة أخرى هى اللامبالاة. هنا نحب أن نشكر الهيئات الإنسانية التى تعمل فى مجال تخفيف الآلام عن الناس وتتبنى ضحايا الكوارث والحروب لكى تساعدهم على البقاء فى الحياة بقدر ما

يمكن . وإن كنا نصرح بالقتل تخفيفا لآلام جسدية أو نفسية فهل يتبادر إلى البعض سؤال آخر عن قتل المعاقين الذين يتحملون آلاماً نفسية من فقد أحد أعضائهم أو إحدى حواسهم؟ لاشك أن إنساناً فقد بصره يشعر بألم نفسي وكذلك من فقد إحدى يديه أو رجليه أو كلتيهما - فهل إنقاذا لهم من الآلام النفسية نريحهم من باقي الأعضاء والحواس بقتلهم أم بتشجيعهم على الحياة وتعويض ما فقدوا بطريقة سليمة مثل جبابرة التاريخ الذين كانوا معاقين.

سؤال : أحياناً تتحول حياة البعض إلى جحيم خاصة إذا كان مريضًا وتعذر شفاؤه وانصرف عنه الجميع ؟

- جريمة المجتمع لا تبرر بالقتل، وهل لو سمحنا بقتل المعذب بدافع الشفقة هل فى هذه الحالة يصرح للابن أن يقتل أباه أو أمه المعذبة. هنا يفقد إنسانيته بدافع ما يسميه الشفقة - وهنا سنفتح الأبواب على مصراعيها إلى الجريمة بحجة الشفقة، وما أسهل أن نسبغ لقب الخطورة على أى مرض ولقب الشفقة على أى عمل إجرامى، فأيضا المدمنون يتعذبون والمرضى بأمراض خطيرة يتعذبون وكذلك الفقراء - وأقصد ذلك النوع الذى لا يجد القوت الضرورى فهل يصرح بقتل هؤلاء الفقراء إشفاقا عليهم ونعيش فى مجتمع أرستقراطى أم نصرح بأن يقتل الفقراء الأغنياء انتقاماً من عدم شفقتهم ونعيش فى مجتمع ثورى فوضوى ويعلل كل ذلك بالإشفاق على المعذبين ولو بتعذيب غيرهم، ثم لو نظرنا إلى التعذيب بهذا المنظار لابد أن الأمر سيجر البعض منا إلى التجديف على الله نفسه الذى سمح بوجود العذاب على الأرض ، تماماً مثل أولئك الملحدين الذى بدلا من أن يلوموا المجتمع على إهمال هؤلاء المعذبين كانوا يلومون الله على بقاء هذا العذاب على الأرض، وبالطبع سوف يلومون الله أيضا على الكوارث الطبيعة وضحاياها وهى خارجة عن نطاق مسئولية الإنسان فى حدوثها وإن كان على الإنسان مسئولية فى معالجة نتائجها. إن هناك أمورا يحسن أن نحسمها من بدايتها لأننا لو خضنا فيها لا ندرى إلى أية نهاية تصل بنا .

سؤال : هذا المنطق يحصرنا فى المحدودية ؟

- ليس محدودية ، إن موضوع فلسفة الألم موضوع طويل يمكن أن يبحث بسعة فكر، فالله حينما سمح بالألم إنما سمح به لإنقاذ الإنسان منه ولكى يتجاوب المجتمع معه والمعروف أن أخطر الأمراض هى التى لا يشعر الإنسان بألم فيها فتظل تفتك به دون أن يشعر بشىء إلى أن يصل إلى نهاية يكون فيها العلاج ميئوساً منه، وقد سمح الله بالألم لكى يوجد فى قلوب

الذين يرونه مشاعر إنسانية عميقة وتجاوبا عاطفيا وعمليا ينمى الفضيلة فى حياة الناس، وسمح بالألم أيضا لكى نبحث عن أسبابه وننقيها.

سؤال : إذا كانت أسبابه ليست منا فكيف ننقيها؟

ـ لا تطلقى الكل على الجزء، فإن كانت هناك أسباب لا ندريها مثل بعض الكوارث الطبيعية فلاشك أن هناك أسباباً أخرى من صنع الإنسان، فالكوارث التى تكون نتيجة للحروب هى من عمل الإنسان، والكوارث التى تأتى من المخترعات الحديثة هى من عمل الإنسان بل إن كثيراً من الأمراض التى تأتى من تلوث البيئة هى من عمل الإنسان أيضاً كالفشل الكلوى مثلا والالتهاب الكبدى الوبائى، وكثيراً من أمراض الإيدز تأتى من أخطاء الإنسان أو إهمال الأطباء باستخدام الحقن الملوثة؛ لذلك فالنتائج المؤلمة يتحمل مسئوليتها الإنسان ولا نرجعها إلى تبارك اسمه، وأخشى أن أقول: إن بعض الكوارث الطبيعية تكون نتيجة لعمل الإنسان أيضًا لأن التمادى فى استخدام الطاقة الذرية وأمثالها وكذلك كثرة المصانع وتلوث الجو بالكربون كانت له نتائج بالنسبة للأوزون أيضًا وبالتالى للسيول والفيضانات وما إلى ذلك مما نسميها كوارث طبيعية، بينما هى نتائج أخطاء إنسانية وليست كلها من الطبيعة.

فالإنسان بلا شك تدخل فى الطبيعة التى خلقها الله جميلة ومفيدة.

ونحن هنا نتكلم عن الإنسان فى جميع أنحاء العالم، وبعض الدول تحصد ما تفعله دول أخرى مثل التخلص من النفايات الذرية بدفنها فى بلاد تقاسى نتائجها.

سؤال : تقول إن الله خلق الطبيعة جميلة .. ولكن ألا ترون أنه خلق فيها ثغرات بسيطة يمكن أن ينجم عنها كوارث؟

ـ أولاً ـ لا أوافقك على عبارة ثغرات ولكنى أقول: إن كل ما يحدث من مثل هذه الكوارث التى تعنيها هى نتيجة سوء الاستخدام، فالله خلق النار، مثلاً، يمكن أن نستخدمها فى الخير وفى الوقت نفسه يمكن أن تحرق. فهل كنت تريدين ألا يخلق الله النار تحسبًا لما ينتج عنها من حرائق، وفى سبيل ذلك تضيع كل فوائد النار والطاقة الحرارية فى العالم كله. صدقينى لو أن الإنسان أحسن استخدام ما فى الطبيعة ما كانت لتحدث كوارث إطلاقًا ، ولكن الثغرات التى تتحدثين عنها هى ثغرات فى عقل الإنسان وإرادته مما يتسبب عنها من

استخدام الخير الذى خلقه الله لكى يؤدى بسوء استخدام الإنسان إلى شر يلحق بالإنسان أو بغيره حتى أن الأعشاب البرية التى لا يظن أحد أن لها فائدة يمكن أن يستخرج من بعضها دواء للناس. وطبعًا مر وقت لم يكن يعرف الناس فيه فوائد هذ النباتات وكانوا يتساءلون فى جهل لماذا خلق الله هذه النباتات البرية؟ ولم يكن العيب فيها وإنما فى جهلهم بفائدتها وقد صدق ذلك الأديب الذى قال: حتى الأشواك يمكن أن تصلح سماداً للحقل؛ وذلك طبعًا بحرقها وتحويلها إلى رماد يكون سماداً، فتراب الفرن يصلح لأن يكون سماداً لأنه بقيه أخشاب احترقت وكلها مواد عضوية.

الهندسة الوراثيـة

يدلي البابا شنودة هنا برأى الكنيسة فى الهندسة الوراثية، والتى باتت عنصرا يتدخل فى خلق الله . ولا يدرى المرء تأثيرها بعد ذلك على الإنسان . وهناك الاستنساخ الذى يضع رجال الدين أمام إشكال . ويدعى البابا على كل من يأخذ بذلك و يتساءل إلى أى مدى يسمح للعلم أن يتسع فى مجاله وتفكيره بلا ضوابط د ينية وخلقية واجتماعيه و إنسانية ؟

سـؤال : فى أعقاب الجدل الذى كان قد أثير حول حظر لحم البقر لإصابته بالجنون والخشية من انتقال المرض إلى الإنسان قال أطباء وخبراء بأنه لا علاقة بين ما يتردد من مرض جنون البقر وبين الإنسان وأنه لا حاجة بنا إلى المخاوف؟

ـ وكيف نثق فى صحة البيانات التى تصدر عن عدم خطورة لحوم البقر المصاحبة بالجنون وبخاصة أنها لم تصدر إلا بعد أن ساد الرعب فى كل مكان، فربما تكون بيانات هؤلاء مجرد تغطية وتهدئة لمشاعر الناس، والأسلم أن نبقى على عنصرى الحذر والحرص من أجل ضمان سلامة الشعب، وبهذه المناسبة سألت أحد كهناتنا فى لندن هل هذا المرض أصاب الدواجن أيضا ؟

سـؤال : هل يمكن أن يكون التدخل الإنسانى فى الطبيعة هو الذى أدى إلى تفشى الأمراض والأوبئة مثل مرض جنون البقر؟

ـ هناك أمور لا نستطيع فيها أن نخلط الرأى الدينى أو الفكر الروحى بمسائل تتعلق بالعلم فى أعماقه، ولكننا على الرغم من هذا نلاحظ أن أخطاراً حاقت بالعالم من الناحية الصحية ماكانت موجودة إطلاقا من قبل، مثال ذلك مرض الإيدز وانتشاره وإصابة مئات الملايين به وأيضا النمو الكبير فى انتشار السرطان والفشل الكبدى والكلوى مما أدى إلى أن

أصبحت هذه الأمراض شبه أوبئة أدت إلى وفاة أعداد لا تحصى، ونجد مرض جنون البقر الأمر الجديد علينا تماما، وقبله سمعنا عن مرض «الأيبولا» الذى فتك بأعداد مهولة من الناس وبسرعة.

كل هذا يجعل فكراً قوياً يدخل فى أعماق الناس مفاده هل وراء هذه الأمراض الفتاكة غضب من الله على ما وصلت إليه البشرية من فساد وانهيار خلقى ؟!

ومهما حاول بعض العلماء أن يرجعوا هذه الأمراض إلى أسباب علمية معينة إلا أن تفكير الناس فى غضب الله لايزال مسيطرا لا تقوى المبررات العلمية على نزعه من العقول ومن القلوب.

سؤال : فى كثير من الأحيان يلجأ المرء إلى الاستعانة بمركبات وهرمونات تعويضية على أساس أنها الركيزة للشعور بحياة أفضل وحيوية أكبر؟

ـ هناك قاعدة يتفق فيها العلم مع الدين وهى أن الله خلق الجنس البشرى بطبيعة معينة، وكل ما فى جسد الإنسان من تركيبات سواء من معادن أو هرمونات أو جينات أو كروموزمات أو فيتامينات أو أملاح أو دهون، كلها تسير معا بطريقة طبيعية معينة وبكميات محدودة، وإذا ما سار الجسم بطريقة طبيعية كان له الخير فى صحته، وكل ما يغير هذه الطبيعة له نتائجه الضارة حيث إن الأطباء يتحدثون باستمرار عن التأثيرات الجانبية لكثير من الأدوية، ولقد ذكر كثير من الأطباء تأثير الأدوية المضادة للروماتيزم على أمراض الكلى وغيرها.

وذكروا أيضا تأثير الهرمونات سواء الذكرية أو الأنثوية على صحة الإنسان، ويتحدثون أيضا عن نسبة الماغنسيوم والبوتاسيوم التى لا يصح أن تزيد أو تنقص فى الجسم وأضرار ذلك، لهذا فإن المبالغة فى تعاطى الأدوية وبدون استشارة طبيب أمر له خطورته، كذلك النباتات التى يتغير تركيبها الطبيعى لأسباب معينة تحدث تأثيراتها على صحة الإنسان ويجب مراعاة عمل «الميتابوليزم» فى الجسم أو ما يمكن أن نطلق عليه التنظيم الغذائى.

سؤال : إحدى القضايا التى أثيرت أخيرا دارت حول إمكان نقل الأعضاء من إنسان ميت إلى إنسان حى.. ما الحكم فى ذلك بالنسبة للمسيحية؟

ـ الكتاب المقدس لم يتعرض لهذا الموضوع، لأنه لم يكن موجودا فى هذا الزمان، ولكن حسب تعاليم المسيحية لا مانع إطلاقا من نقل أعضاء بشر إلى بشر آخرين مادام فيها إنقاذ

حياة، والشخص الذى يضحى بحياته كلها من أجل آخر لا يمانع فى أن يضحى بعضو من جسده لإنقاذ حياة إنسان آخر، وإذا كان جميع الناس من جميع الأديان لا يمانعون من نقل دم الإنسان إلى آخر، فبالتالى يمكن نقل أى عضو غير الدم، هذا بالنسبة إلى الأحياء. أما بالنسبة إلى الموتى فإن كانت أعضاء الإنسان سيأكلها الدود بعد موته أو تتحول إلى تراب الأرض بعد موته فلا مانع أن تتحول إلى جسم إنسان آخر لإنقاذ حياته على أن يكون ذلك بطريقة شرعية وبعد التأكد تماما من الموت.

وذلك إما بطريق الوصية كأن يوصى إنسان بأن تؤخذ أعضاؤه بعد موته لإنقاذ آخرين أو بطريق موافقة أسرة الميت، ولكن لا تؤخذ عن طريق السرقة، ويستثنى من هذا الأشخاص الذين لا أسرة لهم.

سؤال : يقال إن المهمة هنا يجب أن توكل للنيابة ؟

- يجب أن نضع فى الاعتبار أن أخذ أعضاء ميت لنقلها إلى جسد حى - يستلزم سرعة فائقة بحيث يصبح الاتصال بالنيابة لأخذ تصريح منها مستبعدا؛ حيث إن ذلك سيستغرق وقتا طويلا يكون العضو المنقول أثناءه قد فقد صلاحيته؛ وعليه فإما أن يكون هناك تصريح سابق من النيابة لمريض مشرف على الموت وإما أن يوجد اتصال آخر سريع لا يدخل فيه الروتين.

سؤال : ماذا عن استخدام الإنسان لأعضاء الحيوانات؟

- طبعا نقل مخ أو كبد أمر غير مقبول ، وهو مسألة تحتاج إلى رأى العلم فيها. وعلى أية حال فهو مزج طبيعة بطبيعة أخرى ولكل منهما خصائصها، ومع ذلك فالموضوع يحتاج إلى بحث.

سؤال : ورأيك فى الهندسة الوراثية والتحكم فى درجة الذكاء والغباء؟

- لا نستطيع أن نحكم حكما سريعا على الهندسة الوراثية مادامت لها فوائدها فى بعض نواحى الحياة كالنبات مثلا. أما بالنسبة للإنسان فهى تدخل صريح فى خليقة الله وبخاصة من جهة محاولاتها لإنتاج عناصر بشرية معينة، وليس فقط أن الهندسة الوراثية تتحكم فى مسألة الذكاء أو عدمه وإنما تتحكم أيضا فى الشكل واللون.. وتوجد بنوك عند هؤلاء العلماء بحيث يمكن أن تأتى إليه إحدى السيدات مثلا لتطلب ابنا بأوصاف معينة من حيث طوله أو

لون بشرته أو لون عينيه أو نوع ذكائه، وتنقل إلى رحمها بويضة مخصبة تحمل هذه الأوصاف المطلوبة ويدعى علماء الهندسة الوراثية أنه يمكنهم أن يوجدوا جيلا من البشر بأوصاف معينة وأن يصلوا إلى السوبرمان، وهذا لا شك تدخل فى عملية الخلق الخاصة بالله وحده.

سؤال : أود أن أسمع رأى الكنيسة القبطية فى المجالات الجديدة التى تدخلها الهندسة الوراثية بدعوى الارتقاء والتطور فى صفات الإنسان؟

ـ لقد أصبحت الهندسة الوراثية عنصراً يتدخل فى خلق الله، ولنأخذ ما يمكن أن تنتجه فى مجال الزراعة مثلا واستنباط نباتات جديدة بطرق متعددة لا ندرى ما تأثيرها فيما بعد على الصحة، قد يفرح الإنسان حاليا بإنتاجها ولكن الوضع غير الطبيعى لا نعرف نتائجه فيما بعد، كذلك تدخل الهندسة الوراثية فى النسل البشرى أو الحيوانى وما وصلت إليه حالياً من موضوع الاستنساخ وتطور هذا الأمر من شاه إلى بقرة إلى التفكير فى استنساخ بشرى، وكل هذا يضع رجال الدين أمام إشكال؛ ما رأيهم فى كل ما يحدث؟ وما مدى قدرة الإنسان على التدخل فى موضوع الخليقة ؟ ثم ما أوجده هذه التدخل من إنشاء بنوك للبويضات المخصبة من البشر بحيث تذهب أى امرأة إلى هذا البنك وتطلب بويضة مخصبة من أى نوع تشاء من أى صنف بشرى، من جهة الطول والعرض والذكاء ولون البشرة والعينين والشعر والأنوثة أو الذكورة لكى تدخل هذه البويضة فى رحمها وتنتج مولودا بالوصف المطلوب بغض النظر عن طريقة إخصاب هذه البويضة بواسطة مَنْ مِن الناس؟! وهل له علاقة شرعية بها؟ وطبعا لا توجد علاقة، وكأننا هنا قد تدخلنا فى زواج غير شرعى ينتج نسلا غير شرعى بطريقة غير شرعية ولكنه العلم والتكنولوجيا.

سؤال : هناك من يذهب فى معرض حديثه عن الهندسة الوراثية إلى القول بأن الإنسان سيكون بحاجة إلى تحسين صفاته العقلية والجسدية حتى يمكنه التعامل مع عالم يزداد تعقيدا ؟

ـ يصل الغرور بهؤلاء الناس إلى أنهم يقولون ما أسهل أن نوجد جيلا من الأذكياء أو السوبرمان، أو جيلا من الأغبياء أو تكوين مخلوقات جديدة هى خليط من الإنسان والحيوان بالتحكم فى الجينات والكروموزومات والهرمونات، وإنى لأتساءل إلى أى مدى يسمح للعلم أن يتسع فى مجاله وفى تفكيره بلا ضوابط دينية ولا خلقية ولا علمية ولا اجتماعية ولا ضوابط إنسانية، ورغم ذلك لا تزال التكنولوجيا تعمل.

سؤال : وجود سلبيات لا ينفى الإيجابيات الكثيرة للتكنولوجيا فى عالمنا اليوم ؟

ـ نعم، ونحن لا يمكن أن ننكر الفوائد التى قدمتها التكنولوجيا فى مجال الفاكس وتوصيل رسالة مكتوبة بالخط نفسه وفى اللحظة نفسها عبر محيطات أو قارات فتسهل كل شيء، ولا ننسى ما قدمته فى الاتصال التليفونى بحيث يمكن للإنسان وهو مسافر فى سيارته الخاصة أن يتصل تليفونيا بإنسان آخر فى قارة من القارات ويتم هذا الاتصال بكل سهولة، وطبعا هذا يسهل الكثير من المعاملات والاتفاقات التجارية والشخصية، يضاف إلى هذا التليفون المحمول، ولا ندرى شيئا عن مخاطره الصحية التى تصل إلى الأذن ثم إلى المخ، والذين يشجعون انتشار التليفون المحمول يقولون إنه إذا استخدم لمدة بسيطة أو عن طريق سماعات خاصة بحيث لا تصل ذبذباته إلى الأذن مباشرة فإن الخطورة تقل ومع ذلك فالخطورة قائمة وستظهر فيما بعد فى عالم يشكو من أمراض لا علاج لها، وفى الوقت الذى نتذكر فيه كل ما قدمته التكنولوجيا الحديثة من تسهيلات كثيرة فى مجال الرى والبناء، وغير ذلك لا ننسى ما أحدثه كل ذلك من توفير للطاقة البشرية وتحويل نتاج هذه المخترعات إلى بطالة يشكو منها الناس. فبعد أن كان الفدان يرويه ستة من الفلاحين أصبح الرى بالرش يمكن أن يروى عشرات الأفدنة بواسطة شخص يشرف على الآلة وآخر يشرف على الزراعة؛ ولا حاجة إذن لمئات الفلاحين الذين يزرعون. وكذلك فى البناء والتعمير حلت الآلة محل العمال، وما يقوم به اللودر والجرارات الزراعية والأجهزة الخاصة بنقل الخرسانة كل هذا يسهل عمل البناء وهو تقدم صناعى بلا شك لا ننكره ولكن أيضا نتيجته البطالة، وإذا بالعالم يرى أمامه الملايين من الأيدى العاملة وليس لها عمل ثم تأتى تكنولوجيا الحروب، وبعد أن كان أخطر ما يخافه العالم هو القنابل والصواريخ إذا بهذه القنابل والصواريخ تتحول إلى قنابل حارقة وجرثومية وإلى أسلحة كيماوية وإلى قنابل ذرية وهيدروجينية وأسلحة دمار متعددة قوامها الرقى العلمى الذى يساء استخدامه والذى يهدد البشرية بالفناء أو بالأوبئة أو بالخراب وما شاكل ذلك.

غيبيات

فى هذا الفصل يعرض البابا شنودة إلى حدود المعرفة الإنسانية والفرق بينها وبين معرفة الله ؛ فمعرفة الإنسان قد تأتى بالتدريج، أما معرفة الله قد تأتى دفعة واحدة وهى شاملة ومحيطة لأن الله يعرف كل شىء عن كل شىء، ويعطى الله المعرفة بقدر احتياج الناس وليس بالطريقة المطلقة الخاصة بالله لأن المعرفة المطلقة ربما تؤذى الإنسان . و الغيب لا يعرفه سوى الله ومن يرجم بالغيب من البشر فهو فى ضلال . والسحر هو استخدام لقوى شيطانية لها القدرة على هذه الأعمال السحرية . أما المعجزة فلا يدركها المنطق ولكن يدركها الإنسان، وهى ليست ضد العقل ولكنها فوقه بحيث إن العقل لا يدركها و مع ذلك لا تتناقض معه فهى مستوى أعلى من العقل.

سؤال : معرفة الإنسان غاية فى المحدودية إذا قيست بمعرفة الله؟؟

ـ تختلف معرفة الإنسان عن معرفة الله فى أمور متعددة فمعرفة الإنسان أيا كان عالما هى معرفة محدودة، أما معرفة الله فهى معرفة غير محدودة. أعلم الناس كما يقول البعض يعرف شيئا عن كل شىء وكل شىء عن شىء فى دائرة التخصص ولو أننى أعارض هذا التعبير؛ لأنه لا يوجد إنسان يعرف شيئا عن كل شىء، ولا يوجد إنسان يعرف كل شىء عن كل شىء مستحيل ويعرف عن شىء كل شىء مستحيل. أما الله فمعرفته شاملة محيطة؛ فالله يعرف كل شىء عن كل شىء.

سؤال : معرفة الإنسان جزء من كل ؟

ـ الله يعرف الغيب والمستقبل والإنسان لايعرف كذلك. معرفة الفكر ونوايا الإنسان ومشاعر قلبه وغير المرئيات كلها أشياء لاتدخل فى نطاق معرفة الإنسان. معرفة الإنسان قد

تأتى بالتدريج نقطة تقود إلى نقطة أما معرفة الله فدفعة واحدة ولا تحتاج إلى تدريج . معرفة الله معرفة يقينية أى كاملة الصحة أما الإنسان فكثير من معارفه ليست يقينية ويمكن أن تكون موضع مناقشة ويمكن أن تكون خاطئة. معرفة الإنسان تأتى عن طريق وسائط أحيانا تكون أجهزة أو كتبا أو أشخاصا آخرين. أية وسائط ! أما معرفة الله فلا تحتاج إلى وسائط. معرفة الله بالأشياء هى معرفة الخالق الذى وضع فيها الخواص.

سؤال : معرفة الله مسبقة ؟

ـ ليست فقط مسبقة، وإنما هو أيضا مصدرها. معرفتنا أيا كانت واسعة هى خاصة بهذا الكون الذى نعيش فيه بينما الله يعرف أكواناً أخرى لم تتطرق إلى ذهننا إطلاقا، ويعرفها بتفاصيلها لأنه هو الذى خلقها بتفاصيلها وهو الذى منحها التفاصيل؛ ولذلك قد يكون الإنسان عالًما وعلمه كله جهالة عند الله.. والله أعلم .

سؤال : معرفة الإله مسبقة وتحوى كل الخواص التى أوجدها وخلقها سلفا، وهذا أول ما يصدق على الإنسان الذى خلقه الله ووضع فيه كل الخواص.. هل يمكن فى هذا الإطار أن نجرد الإنسان من وضعه؛ لأن الله سبحانه هو الذى تسبب للإنسان فى أن يميل إلى شر وشهوة ؟

ـ الله وضع فى الإنسان قوى كثيرة، وهذه القوى مجردة يمكن أن تميل إلى الخير ويمكن أن تميل إلى الشر حسبما يدفعها الإنسان فى مسارها، مثلا الإنسان لديه طاقة غضبية فيمكن أن يستخدم الغضب فى العنف الخاطئ أو فى الإيذاء، ويمكن أن يستخدمه فى الثورة الداخلية على الشر فيثور على نفسه وعلى أخطائه ويمكن أن يستخدمه فى الإصلاح بدون عنف. فالاستخدام الخاطئ لم يضعه الله فى داخل الإنسان.

سؤال : أعلى الله الإنسان والإنسانية. إذا تحدثنا فى هذه السياق عن أهم السمات التى ميز الله بها الإنسان دون سواه فما هى؟

ـ من المميزات التى ميز الله بها الإنسان أنه حر وعاقل؛ ولذلك فهو مسئول لأنه لايوجد مسئول عن أعماله إلا المخلوق الحر العاقل، ولكن حريته مقيدة بحريات غيره، فهو حر شريطة ألا يتعدى على حريات الآخرين.

سؤال : كيف يمكن أن يطوع الإنسان أعماله فى الأرض كمسئول وحر وعاقل لتزداد علاقته وثوقاً بالله ؟

- حياة الإنسان على الأرض ما هى إلا فترة تمهيدية للحياة الأخرى، أو هى فترة اختبارية تمتحن فيها إرادة الإنسان واتجاهاته، وهل هو يستحق الحياة مع الله فى الأبدية أم لا يستحقها؟ وهل يقوى عليها أم لا؟ وهل تذوق حلاوة العشرة مع الله واختبرها فى ممارساته الروحية ؟ وهل تمتع على الأرض بما يمكن أن يسمى مذاقة الملكوت أى مذاقة الأبدية التى وضع الله محبتها فى قلبه، فإن كان قد اختبر كل هذا فإنه ولاشك سيشتاق إلى امتداد حياته مع الله فى الأبدية أما إن كان الإنسان لم يستطع إطلاقا أن يحتمل مجرد مذاقة الملكوت على الأرض فكيف يمكنه أن يحيا هذه الحياة كاملة فى ملكوت السموات.

سؤال : وعلاقة الإنسان بالطبيعة ؟

- من جهة علاقة الإنسان بالطبيعة فهو ولاشك ممثل الأرض كلها أمام الله ونائبها والمتحدث باسمه، وفى الإنسان كثير من خواص الطبيعة نباتا أو حيوانا أو جمادا، فيه من الطبيعة الجامدة صلابتها أحيانا وتأثرها بالأجواء أحيانا أخرى.. وقد نجد فى داخله زلازل وبراكين وعواصف ورياحًا، وفيه من الكائنات الحية صفات النمو والتكاثر؛ ولذلك يسمونه العالم الصغير Micro Cosmos .

سؤال: تسترعى المرء ظواهر كثيرة فى المجتمع تبعد أفراده عن الموضوعية والنهج العملى المنطقى الذى يساير العصر وتعكس انطباعًا واضحا على تخلف المجتمع وتعثره . هل يمكن القول بأن الأرضية خصبة لإنماء ظاهرة كالعشوذة والدجل ؟

- تنتشر الشعوذة والدجل لأنه يوجد الوسط الذى يؤمن بها، والذين يؤمنون بها على الأقل طائفتان: إما مجموعة من الجهلاء والبسطاء الذين يصدقون أمثال هذه الأمور، وإما مجموعة من أية طبقة مهما كانت عالية فى الثقافة أو الدرجة الاجتماعية ولكن تدركها حالة من اليأس فتظن أن هناك عملاً قد عمل من أجلها وتدخل فى دائرة الأرواح الشريرة فتضل، مثال ذلك: إنسانة خطبت أكثر من مرة وفكت الخطوبة دون زواج فلجأت إلى الدجالين ووقعت فريسة سهلة فى أيديهم، مثلها مثل إنسان لم يوفق فى وظيفة أو فى الحصول على درجة علمية فيلجأ إلى نفس المجال.

سؤال: أحيانا يؤمن هؤلاء بأنه إذا تعذرت الحلول وسدت السبل بدت العشوذة والدجل بديلا أمثل للحل ومنفذًا أوحد للخروج من الاستعصاء؟

ـ العجيب أن هذا السبيل لا يوصل إلى حل، فالحل هنا هو مجرد أمنية يتمناها إنسان فى حالة نفسية معينة ترضيه أية كلمة طيبة ولو على غير أساس، وقد يختفى الأمر وراء العلم، مثلا كالذين يتحدثون عن تحضير الأرواح لكشف مجهول من عالم آخر. وتحضير الأرواح أصبح فى أيامنا علمًا له متخصصوه وتوجد فى التوراة آيات تمنع هذا الأمر وتعتبره رجسا.

سؤال : التعامل مع الأرواح ومن خلالها أحد الأطوار التى احترفها البعض كوسيلة لإنجاز أمر أوتخطى حواجز؟؟

ـ فى نظرنا أن الأرواح إما خيرة وإما شريرة، فالأرواح الخيرة هى فى مستوى أعلى من مستوى البشر الذين على الأرض، ولايمكن أن نخرجها من مكانها الأسمى لتنزل إلى الأرض بين الحين والآخر تنشغل بتفاهات الناس وليس لأهل الأرض سلطان عليها فى إنزالها من عليائها إلى دنياهم. أما الأرواح الشريرة فهى حبيسة فى انتظار دينونتها فى اليوم الآخر. وإنزالها إلى العالم للالتقاء بأقاربها وأصحابها ومريديها ـ هو نوع من الإفراج المؤقت.. وأتساءل من من البشر له مثل هذا السلطان؟!

ولهذا فإن الروح التى تأتى لابد أننا نحتاج منها إلى إثبات شخصية، فما أدرانا ؟ ربما تكون روحًا من الشيطانية بحيث انتحلت اسما، وأدلت بمعلومات هى فى مستوى معرفتها. ومن العلوم الأخرى التى يلجأ إليها الناس فى هذا المجال التنويم المغناطيسى وهو سيطرة روح أكبر على روح تخضع لها.

سؤال : ولكن اللجوء إلى كل هذه المجالات التى يحترفها فى الأغلب أناس عبثيون كوسيلة مثلى للكسب المادى ليس مبررًا وبالتالى فهو أمر مكروه ؟

ـ لا أريد أن أدخل كثيراً فى هذه المجالات، ولكنى أقول إن كل هذه المحاولات إنما هى لجوء إلى طريق غير إلهى.

فالمفروض فى الإنسان أن يلجأ إلى الرب لمعونته ولا يلجأ إلى قوة أخرى لايعرف مدى خيريتها أو شرها. وكم من أناس لجئوا إلى السحر والسحرة وهؤلاء مكروهون فى كل دين. ومهما حاول الناس أن يقسموا السحر إلى سحر أسود وسحر أبيض، كما يصنفون الكذب أحيانا فيقولون إن هناك نوعاً من الكذب يسمى الكذب الأبيض فالسحر أيا كان هو اللجوء إلى قوى غير الله، وارتماء الإنسان تحت سلطان هذه القوى هو إعلان عن خروجه من نطاق

المعونة الإلهية ويأسه من رحمة الله فيلجأ إلى رحمة البشر أو الأرواح، وكم من أناس احترفوا مهنة الدجل ليكسبوا من ورائها كسبا ماديا ومعنويا فى التعامل مع اليائسين اللاجئين إلى هذه الطرق، ومع الأسف قد يرتدى بعض هؤلاء المحترفين ملابس رجال الدين ويخدعون الناس ربما بصلوات يقولونها لاتكون فى حقيقتها صلوات موجهة إلى الله وإنما هى تلاوات تعطى قائليها مسحة خاصة، وقد يلجأ البعض إلى الأحجبة والتمائم وربما ما يكتب فى هذه الأحجبة لايكون له معنى خاص ولكن الناس يستخدمونها لكى تحجب عنهم أذى أو لكى تجلب لهم خيراً، والمهم أنهم يستريحون نفسيا راحة تشبه من يأخذ مخدرا يبعد عنه الإحساس إلى حين.

سؤال: والتنجيم أيضا من وسائل الدجل؟

- نعم، من وسائل الدجل أيضا ما يسمى بالتنجيم وما يعرف بضرب «الودع» وقراءة الفنجان.. وهناك أيضا من يقدمون عاما خاصا يسمى علم قراءة الكف وضعت فيه كتب وله أيضا محترفون.. وأمام كل هؤلاء تقف عقيدة ثابتة عند جميع المتدينين، وهى أن الغيب لايعرفه سوى الله ومن يوحى إليهم من الأنبياء فى حدود رسالاتهم، ولايدخل فى معرفة الغيب مايمكن استنتاجه بالذكاء البشرى أو بالخبرة أو بالحدس. ولكن هناك من يرجمون بالغيب ويصدقهم الناس فى صغر أنفسهم، وكلا الفريقين على ضلال. وبعض المشعوذين يلبسو ن ملابس معينة تعطى تأثيراً نفسيا خاصا أو يوجدون أنفسهم فى مجال يعطى نفس التأخير أو يحيطون أنفسهم بجماعة من الدعاة الذين يضفون عليه هالة نورانية أو قدسية قبل أن يقابلوا عملاءهم أو ضحاياهم.

سؤال: هذا ضرب من ضروب الإجرام الذى يكشف انتشاره عن نسيج اجتماعى منهك ومرهق ومريض.. ما رأيك ؟؟

- إننى هنا أحب أن أقول إن الإجرام أصبح فنا وعلما، يحترفه فى أيامنا أذكياء مدربون تدريبا خاصا لهذا الغرض، ولم يعد كما كان قبلا مجرد انحراف خلقى، إنما الإجرام الآن له قواعده وتخطيطه وعلمه ويجرى على أيدى خبراء مدربين.

سؤال: الإيمان بالغيبيات قد يؤدى بالضرورة إلى موقف معاد للعلم؟

- الإيمان بالدين شيء والثقافة بالغيبيات شيء آخر، فهناك فرق بين أن يؤمن الإنسان بالمعجزات وما هو فوق الطبيعة وبين إنسان فى إيمانه ببعض الغيبيات يثق بالخرافات.

سـؤال : الإيمان بالجنة والنـار أو الحيـاة فى العـالم الآخـر هل يمكن أن يكون معاديا للعلم ؟

ـ ما يوصى به الله لابد أن يكون صدقًا بلا أدنى شك، وموضوع الحياة الأخرى لا يدخل فى نطاق العلم؛ لأن العلم يبحث فى المرئيات والماديات وما يختص بعالمنا الحاضر مما تصل إليه تجارب العلماء، فإن دخل العلم فى أمور إيمانية يكون قد دخل فى غير اختصاصه ويكون كلامه عن غير علم.

سـؤال: هل هناك إذن تعارض بين الدين والعلم ؟

ـ لا يوجد تعارض بين العلم السليم والدين السليم، فإن حدث تعارض فى وقت ما يكون هناك خطأ فى فهم الدين أو تجاوز من جهة العلم، فإن قال عالم إنه لا يوجد جنة أو نار نقول له: اثبت ذلك علميا، ولن يستطيع أن يثبت ذلك.

سـؤال: يمكن أن يصدق الشىء نفسه على رجل الدين بحيث إذا قال بأن هناك جنة ونارا نقول له: اثبت هذا علميا ؟

ـ هو يثبته إيمانيا عن طريق الوحى الإلهى، والإيمان درجة أعلى من العلم تدخل فى ميدان آخر لايتطرق إليه العلم، أما ما يقدمه بعض العلماء غير المتدينين فما هو إلا مجرد شكوك بسبب عدم إيمانهم بالوحى الإلهى.

سـؤال : وما القيمة الحقيقية للدين فى حياة الإنسان المتحضر؟

ـ فى الدين قيم ومثاليات تصقل كل ما فى العالم من ثقافة وحضارة بحيث لا يخرج التحضر عن دائرته فيتحول إلى فساد وتكون لهذا الفساد أضراره، فمثلا من قيم الدين الصدق، والإنسان المتحضر إذا كان صادقا يكون موضع ثقة من الجميع فى شخصه وفيما يقوله والصدق يحمى المجتمع من الشك والقلق، ومن قيم الدين أيضا الحرص على حقوق الآخرين وحرياتهم، ولا شك أن الإنسان المتحضر يستفيد شخصيا من هذه النقطة كى ينتفع أيضًا من يتعامل معه. وفى الدين أيضا قيمة أخرى هى الأمانة وهى لازمة أيضا للإنسان المتحضر.. كذلك باقى الفضائل التى ينادى بها الدين كالرحمة والعفة والاعتدال.. إلخ .

سـؤال : ولكن الدين فى انحسار. والمرعب فى التساؤل القائل ماذا إذا اختفى الدين كرادع، وكذلك القانون فما العاصم عندئذ من الزلل ؟

ـ أولا أختلف معك فى عبارة انحسار الدين. ومن يقرأ التاريخ يرى أنه كلما كان يحدث خروج إجماعى على الدين كان يوجد رد فعل يتمثل فى نهضات متمسكة بالدين أكثر وأكثر ومتحمسة له. ومع ذلك كله فإن لم يكن هناك رادع من جهة الدين أو القانون فقد أوجد الله فى داخل الإنسان شريعة أدبية طبيعية هى الضمير ونحن نرى أن «يوسف الصديق» ارتفع عن مستوى الشهوة الجسدية قبل أن يرسل الله التوراة على فم موسى النبى وقبل أن يعرف الناس الوصايا العشر.. وكذلك عندما قتل «قابيل» أخاه «هابيل» اعتبرت جريمة ولم تكن هناك وصية إلهية مكتوبة تمنع القتل ولكنه الضمير؛ وعلى الرغم من كل ذلك حتى إن ضعف الدين والقانون والضمير أيضا فإن هناك الرادع المتمثل فى عقوبة إلهية ترد الإنسان إلى عقله وضميره.

سؤال : مصطلح الغيبيات تتباين تفسيرات العامة بالنسبة له، وأتساءل: إلى أى حد يمكن تطويعه مع ما يعتقده البعض فى مجال السحر وكشف المستور؟

ـ كلمة الغيبيات مأخوذة من الغيب وهو ما يغيب عن معرفة الإنسان سواء من جهة حواسه أو إدراكه العقلى؛ ولذلك فالغيبيات بالنسبة إلينا هى نوع من الكشف الإلهى أو الانكشاف الروحى لمن لديهم طاقة روحية تمكنهم من إبصار ما لا يبصر، ورؤية ما لا يرى.

سؤال : ماذا لو خرج الأمر عن هذه الحدود ؟

ـ هنا يكون لونا من الشعوذة، وهناك من يتكلمون عن الغيبيات بلون يتناسب وطبيعة تفكيرهم بأن يسندوا كل ما يحدث لهم إلى أسباب غيبية ربما تدخل فى معتقداتهم أو تقاليدهم وقد لا تكون كذلك إطلاقا، وهناك آخرون فى غيبياتهم يرجعون كل شىء إلى المشيئة الإلهية.

سؤال : هناك من يؤمن بالسحر والأعمال السفلية ؟

ـ الإيمان «بالعمل السفلى» وبالسحر نوع من التفكير فى الغيبيات أو إسناد الأمور إلى غيبيات وقد لا يكون هناك «عمل» ولا سحر ولكن هناك عقيدة فى أعماق الذهن تدعو إلى هذا التفكير أو هناك إيحاء من البيئة بمثل هذا التفكير، ومثال ذلك فتاة كلما جاءها خطيب يرحل فتقول: إن هناك «عمل»، أو امرأة لا تحمل ولا تلد فتقول إن هناك «عمل»، أو بالنسبة لرسوب الطلبة، أو عدم العثور على وظائف، وأنواع الفشل المتعددة.

سؤال : قد يلجأ البعض إلى إبطال مفعول هذه الأعمال للتخلص من السحر!!

ـ فى هذه الحالة فإن اليائسين والملتمسين حلاً قد يدخلون فى مجال المحتالين الذين يدعون القدرة على «فك الأعمال» وما أسهل لمثل هؤلاء إلقاء بعض من الماء أو التراب أما مبيت هذا الملتجئ إليهم أو إلقاء قطعة من العظم، فإذا وجدوا ذلك يقولون فعلا وجد «العمل» فهو نوع من النصب والاحتيال.

سؤال : هناك من يعتقد بجدوى السحر خاصة أن اليائسين يلوذون به لإنجار مهمة ما !!

ـ لا ننكر أن السحر ورد فى قصة موسى النبى، وورد كلام عن سحرة مصر وقدراتهم والبعض يعتقد أن السحر علم عميق وتدريب روحى واستلهام من جيل العارفين به إلى المتتلمذين عليهم، لكنى أنا شخصيا لا أعتقد بشىء من هذا وأرى أن السحر قد يكون استخداما لقوى شيطانية لها القدرة على هذه الأعمال السحرية.

سؤال : ولكن يظل هناك سحر !!

ـ نعم، ولكن ليس سببه علما أو استلهاما.

سؤال : هل هناك نصوص فى الإنجيل تشير إلى السحر والحسد؟

ـ نعم، الحسد كشعور موجود؛ فيوسف الصديق حسده إخوته وغالبية الناجحين والمتميزين يوجد من يحسدهم ولكن الحسد بمعنى «ضربة عين» أمر لا نؤمن به وإلا كان جميع الأوائل عرضة لأن يحدث لهم مكروه.

سؤال : كيف يمكن أن يقى الإنسان نفسه من السحر والحسد؟

ـ بالإيمان وحده حيث يؤمن بأنه توجد قوى إلهية تحمى الناس من القوى الشريرة، والإيمان بأن القوى الشريرة ليست مطلقة الحرية ولا مطلقة القوة، فالله أيضاً هو ضابط الكل، خلق العالم ومازال يعتنى به ويحميه.

سؤال : قد ينظر إلى الساحر بوصفه متحديا للإرادة الإلهية؟

ـ السحر مصادقة للشياطين الذين هم أعداء الله وأعداء الخير والله يريد الخير دائما، والله الذى خلق الكون وجد أن الحرية نعمة لا يحرم الإنسان منها، ولكنه يحاسبه عليها، يثيبه إن أحسن ويعاقبه إن أساء، ولم يكن من الخير أن يحرم الإنسان من نعمة الحرية.

سؤال: كيف يمكن استخدام أرواح شيطانية خاصة أنها غير محسوسة؟

ـ إن الشيطان يعرف أعوانه من البشر الذين يمكن أن يدخل إلى قلوبهم وأفكارهم ويستخدمهم لأغراضه فيما يشعرهم بأنهم يستخدمونه، فالمبادرة تأتى منه وليس من البشر أو قد تأتى من البشر الذين يشعرون أنهم فى حاجة إلى قوة خفية شريرة تساعدهم على ما يريدونه من شر فتكون قلوبهم مستعدة لعمل الشيطان فيهم، وقد يكون استعداد قلوبهم هو أيضا من عمل الشيطان.

سؤال : كيف يمكن معرفتهم لكى يحذرهم المرء ؟

ـ من يفشل فى العمل البشرى العادى غالباً هو الذى يلجأ إلى هذه الأمور، وفى يأسه يلجأ إلى قوة خفية أو يكون مستعدا لعمل هذه القوة الخفية فيه.

سؤال : كيف يمكن للمرء معرفة هذا الإنسان حتى يتجنبه ؟

ـ الفاشلون نوعان فى الالتجاء إلى الشر: نوع يلجأ إلى الشر الواضح الممكن، مثل تدبير المؤمرات أو إيذاء الغير، ونوع يلجأ إلى قوى خفية.

سؤال : هل يمكن إدراج الحسد تحت موضوع الغيبيات؟

ـ نعم، فمن ضمن الأمور التى يدخلها الناس فى موضوع الغيبيات الحسد و «ضربة العين »ونحن نؤمن بوجود الحسد ولكن ليس بضربة العين، فكثير من الناجحين يحسدهم غيرهم، وكثير من المتفوقين يحسدهم منافسوهم، ولكن ليس معنى هذا أن الحسد يضر المتفوقين والناجحين وإلا كان يتعرض لهذه الضربة الغيبية أول الثانوية العامة كل عام، وملكة الجمال وبطل المونديال فى كرة القدم. إنما الحسد كمشاعر موجود، لكن ليس له ضرر مباشر إلا لو فكر الحاسد فى أن يؤذى المحسود بطريقة عادية، ولكن غالبا ما يكون الحاسد هو الذى يرهق نفسيته بمشاعره ويتعب نفسه دون جدوى وكما قال الشاعر:

اصبر على كيد الحسود   فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها   إن لم تجد ما تأكله

ســؤال : إلى أى حـد يمكن أن تتحقق للحاسد أمنياته الشريرة فى زوال النعمة عن الآخرين ؟

ـ تعريف الحسد لغويا هو: أن الحاسد يشتهى زوال النعمة التى يحظى بها المنعم عليه لكى ينالها هو بدلا منه، وعمليا لا يكون قادراً على إزالتها ولا على نقلها إليه، وإنما هى مشاعر آثمة تتعب قلبه دون أن تؤذى غيره.

ســؤال : هل هناك تعويذة ضد الحسد؟

ـ يمكن للإنسان أن يصلى من أجل أن ينجيه الله من الحسد، من هنا كان الذين يتقون شر العين الحاسدة إنما يؤمنون بشىء من الغيبيات التى هى من صنع خيالهم، وقد يلجئون فى ذلك إلى غيبيات أخرى لصدها من أمثال الرقى وغيرها. ومن أمثلة الإيمان بالغيبيات الإيمان بالبخت والفال وما يقرءونه كل يوم فى الصحف عن حظهم من واقع الفلكيين والنجوم، وأيضا ما يؤمنون به من جهة الأبراج وحظ مواليد كل برج فى ذلك اليوم، وبعضهم يتفاءل بورقة بخت توجد فى قطعة شيكولاته ويتأثر بها، ومن أمثلتها أيضا من يلجئون إلى ضرب الرمل و وشوشة الودع ومن يلجئون أيضا إلى قراءة الكف وكثيرون يقولون إنه علم من العلوم.

ســؤال : ماذا عن تحضير الأرواح ؟

ـ تدرج أيضا تحت الغيبيات، واستشارة الأرواح أمر محرم فى المسيحية واليهودية، فأرواح الذين انتقلوا من عالمنا الحاضر نوعان: إما أرواح أبرار وإما أرواح أشرار، فأرواح الأبرار توجد فى مكان فى السماء أسمى من أن تنزل إلى تفاهات البشر، وأسمى من أن يستدعيها بعض الناس لإقلاق راحتها كى تشترك معهم فى أمور دنيوية قد تركتها.

ســؤال : إلى أى حـد يمكن للناس العاديين أن يكون لهم سلطان على أرواح الأبرار؟

ـ ليس للناس سلطان على أرواح الأبرار أيا كان علمهم. أما أرواح الأشرار فهى حبيسة فى الجحيم، ويتطلع البعض منها لمن يستطيع أن يفرج عنها بعض الوقت من هذا الحبس وينزلها لتلتقى بأصدقاء أو معارف وتجيب على أسئلتهم، والواضح لمن يدعون هذا أن هذه الأرواح لا تكون فى حالة عذاب أو قلق أو اضطراب. وفى رأيى الشخصى أنهم يستخدمون

أرواحا شريرة أو ألوانا من الشياطين يمكنها أن تقلد الأصوات أو تعرف الأخبار، فالماضى يمكن أن يعرفه الشيطان وأيضا يمكن أن يكشف لهم ما فى بيوتهم وما لديهم من أسرار، وكلها أمور قديمة معروفة لهم، أما أن تتحدث تلك الأرواح عن المستقبل فإن ذلك مجرد استنتاج قابل للخطأ والصواب.

سـؤال : التنويم المغناطيسى هل يدخل فى الغيبيات أيضا؟

ـ النتائج التى يحصل عليها البعض من التنويم المغناطيسى تدخل فى الغيبيات، وقد قرأت فى أحد الكتب عن شخص نوم تنويما مغناطيسيا، وسألوه عن اسمه وحياته فذكر حيوات متتابعة له فى عصور عديدة تمتد من وقت تنويمه إلى آلاف السنين التى خلت حينما كان فى العصر اليونانى ويعبد بعض آلهة اليونان.

سـؤال : ما الذى تعنيه قوة الله إزاء هذه القوى ؟

ـ قوة الله كلها للخير وهى غير محدودة، أما قوى الأرواح الشريرة فليست للخير حتى وإن بدت به فى أمثال هذه الأحداث لمجرد الخديعة وجعل الإيمان ينحرف إلى مسالك أخرى، إذ يجد المرء نفسه أمام أشياء محسوسة ولكن ما يدرينا صدق ما يقولون ؟

سـؤال : تحت أى بند يمكن أن ندرج تناسخ الأرواح ؟

ـ تسمى فلسفة وعند البعض الآخر عقيدة ودين..

سـؤال : من أكثر الناس عرضة للإيمان بالغيبيات واعتناقها؟

ـ أمور الغيبيات إما أن يعتنقها أشخاص بسطاء لا يفكرون بعمق وإما أشخاص ورثوا عن البيئة والمجتمع مسلمات رسخت فى أذهانهم وأصبحت بالنسبة إليهم غير خاضعة لحوار أو نقاش أو بحث علمى إنما هو قبول شبه فطرى أو تلقائى لما يسمعون، وإما أشخاص يئسوا من السبل المعقولة السوية العقلانية فلجئوا إلى الغيبيات، أو قد يلجأ إليها البعض باسم الدين. وينبغى التفريق الشديد بين ما يقوله الدين وما ترويه الأفكار الشعبية أو بعض الأفكار الفلسفية.

سـؤال: الملائكة والأرواح هل يمكن أن نعتبرها تحت بند الغيبيات التى تتعلق بالفكر البشرى ؟

ـ هناك أمور من الغيبيات تذكر فى الأديان كالملائكة والأرواح وما يختص بالسماء، ولكنها أمور قدسية لا تدخل فى مجال التفكير البشرى إلا بما قاله الوحى الإلهى؛ ومع ذلك هناك أمور أخرى يقولها الناس عن الجان والشياطين فى أحاديثهم وأخبارهم تدخل فى مجال الغيبيات.

سؤال : ألا تعتبر شفافية البعض فى الاطلاع على ما قد يحدث ويقع عن طريق الرؤى نوعاً من الغيبيات ؟

ـ هناك غيبيات يكشفها الله للناس عن طريق الرؤى والأحلام.. ولكن ليست كل الرؤى وا لأحلام من الله، ويحلو للناس عموماً أن يدخلوا الأحلام فى الغيبيات، وقد تؤثر على حياتهم، وقد توجههم إلى طريق ما وقد تفرحهم بعض الأحلام وتحزنهم أحلام أخرى، وربما أحلام ثالثة تلقيهم فى القلق والاضطراب، بينما الأحلام على أنواع: هناك أحلام من الله كأن يوحى الله إلى البعض فى حلم بأمر ما، وهناك أحلام من الشيطان لخديعة الإنسان، وهناك أحلام من العقل الباطن مما اختزن فيه من أخبار ومشاعر وصور وأحداث سابقة، أو ما وجد فى العقل الباطن من أحاسيس ومشاعر سواء من خوف أو قلق أو اشتهاء أمر ما، ويظهر كل ذلك كحلم، وهناك أحلام تكون نتيجة لوضع الجسد، على أن الناس من جهة الغيبيات قد استغرقوا فى موضوع تفسير الأحلام ووجد من يصفهم البعض بالقدرة على تفسير الأحلام ومعرفة تأويلها، ويشبه ذلك أيضا من يقرءون فنجان القهوة ويستوحون منه أخبارا تحدث فى المستقبل أو ما يصادف الإنسان فى حياته من البخت والنصيب.

سؤال : ما البواعث وراء لجوء البعض منهم تلقائيا إليها وتلمس نتائجها؟

– قد يدفع إليها الخوف أو القلق فبسبب قلق الإنسان على مستقبله، فهو يريد أن يطمئن فيلجأ إلى البخت أو إلى من يقرأ له الفنجان أو يقرأ له البخت أو يعرف بخته عن طريق ورق الكوتشينة، أو إنسان من خوفه يريد أن يدفع عن نفسه شرا فيلجأ إلى الحجاب كى يحجب عنه الشر، وهناك أناس يتخصصون فى مسألة الحجاب، ويكتبون فيه أى كلام أو يرسمون خطوطاً لا تعطى معنى أو أرقاماً معينة، والبعض يلجأ فى سبيل منع الشر عنه إلى تعاويذ أو رقى أو إلى البخور. ومن الأشياء العجيبة أن الأم فى بعض الأماكن تخطو على الرضيع سبع خطوات كتعويذة، ولمنع الشر قد يلجأ البعض إلى السحرة وإلى من يعمل عملا أو يفك عملا وهناك من يلجأ إلى اتقاء الشر بالوشم، كما تفعل بعض القبائل الإفريقية مثل من يدق على جبهته عصفورة لكى تأخذ الشر وتطير، كل ذلك يأتى من عدم وجود العقلانية فى التفكير أو

أن الإنسان يصدق كل ما يقال، ويدخل فى هذا اعتقاد الشخص فيما قد قدر له وما قد كتب على الجبين وما تأتى به الأيام، فهو إنسان لا يتحكم فى مصيره وإنما مصيره هو الذى يتحكم فيه، أى يعتقد أن هناك مصيراً مقدراً له لا يفلت منه فيريد أن يطمئن على هذا المصير، وقد يلجأ إلى الطالع وإلى النجوم وإلى الأبراج، أو قد تأتى إنسانة بوردة تظل تقطف أوراقها ورقة ورقة واحدة «نعم» والأخرى بـ«لا» لكى تستقر على حال ينتهى بها إلى تبنى الإيجاب أو السلب.

سـؤال : هل يمكن لنا أن نطلق على الغيبيات أنها علم له قواعد وأصول مرعية ؟!

– كلمة الغيب يسميها البعض Super Stition والغيبة أخذت مما غاب عنا إدراكه أو ما يتعلق بالغيب أو ما خبئ لنا أو ما يرجع إلى أسباب غيبية لا نعرفها، والعجيب جدا أن البعض يحاول أن يطلق على فروع هذه الغيبة علما فيقول علم الكف والنجوم، وعلم الأرواح، وعلم التنويم المغناطيسى، بينما هى «علمى علمك» لا نستطيع أن نسميها علما؛ لأن العلم يبنى على أسس عقلية، بينما هذه فى منطقة خارج العقل، وبعضها يدخل فيما نطلق عليه ما وراء الطبيعة.

سـؤال : ماذا عمن يشكك فى مبدأ التفكير المنطقى بدعوى أن المنطق يعارض الدين ويناقضه وفقًا للمقولة التى تقول «من تمنطق تزندق» ؟

– المنطق هو استخدام العقل، والعقل هو هبة من الله، والذى لا يسير حسب العقل لا يكون تدينه سليما، فلست أدرى على أى أساس يقولون إن هناك تناقضًا بين المنطق والدين ولو كان هناك تناقض بين المنطق والدين ما كان الدين ليقبله العقلاء على الإطلاق ولاقتصر الدين على السذج والبسطاء، ولكننا نبحث أمور الدين بطريقة منطقية أى بطريقة عقلية منظمة، أما الذى قال من تمنطق فقد تزندق، فكلامه لا يمكن أن يستقيم أبدا إذا أخذ بطريقة مطلقة.

سـؤال : ولمـاذا ؟

– لأنه بهذا قد ألغى المنطق تماما وألغى العقل تماما وأصبح الدين بعيدا عن العقل، ربما يقصد صاحب هذه المقولة أن الإنسان إذا أراد أن يحوى كل أمور الدين داخل العقل المحدود يتزندق.

بمعنى أن الله غير محدود، وعقولنا المحدودة لا تستطيع أن تسع كل ما يختص الله به، ولكن الله أعطانا قدرة فى عقولنا بحيث نفهم ما يكفينا معرفته عن الله وكفى. نحن لا يمكن أن نعرف كل ما يحيط به الله فهو غير محدود، لكننا نعرف ما يلزمنا فى حياتنا وهذا الأمر يدخل فى حدود المنطق والكثير من الفلاسفة عرفوا الله عن طريق المنطق. وليس كل منطق خطأ، كذلك ليس من «تمنطق تزندق» العبارة غير مقبولة. أمامى حتى بمعناها البسيط لأن معناها أنه لايوجد سوى التناقض بين الدين والعقل وهذا أمر غير مقبول..

سـؤال : قد يقصد بالعبارة التطرف فى تغليب المنطق على ما سواه؟

– يعنى سيادة المنطق بطريقة مطلقة ؟ ربما هذا وربما يقصد شيئا آخر يظهر فى أن هناك أموراً فوق العقل مثل المعجزة، فالمعجزة لا يدركها المنطق ولكن يدركها الإيمان. ورأيى فى المعجزة أنها ليست شيئا ضد العقل ولكن شيئا فوق العقل؛ بحيث إن العقل لا يدركها ولكن مع ذلك لا تتناقض معه، فهى مستوى أعلى من العقل.

سـؤال : أو من أجل ذلك سميت معجزة ؟

– لأن العقل عجز عن فهمها.، وهناك أمور ثابتة فى حقيقتها والعقل لم يصل إلى إدراكها بعد. الله مثلا - تبارك اسمه - حقيقة ثابتة ومع ذلك فالعقل لا يدركه؛ ولذلك نقول عنه: أنه غير المدرك وغير المحوى، والروح مثلا حقيقة ثابتة ومع ذلك لا ندركها، فهناك أمور كثيرة تبدو فوق العقل بالنسبة للعديدين. والملايين لا يدركونها وهى حقائق ثابتة، مثال ذلك منطقة انعدام الوزن فى الجو عندما يخرج رائد الفضاء ليمشى عليها فى الهواء، من يستطيع أن يدرك هذا الأمر ولكنه حقيقة ثابتة علميا، إن ما لا يدركه العقل يمكن أن يدركه الإيمان فالإيمان يكمل قصور العقل.

سـؤال : المنطق قد لا يفهم عملية الخلق من العدم ؟

– خلق الإنسان من عدم هو الإيجاد من عدم، ربما المنطق لا يفهم هذا الأمر؛ لأنه فوق العقل. قدرة الله على الخلق نقبلها بالإيمان ولكن التفاصيل لا يدركها العقل، لابد أن نشعر بأن عقولنا محدودة، ولكن فى الحدود التى يسير فيها العقل نقبل المنطق تماما.

سـؤال : أحد مكونات الإيمان هو العقل ؟

ـ قال بعض المفكرين: «آمن لكى تعقل وتعقل لكى تؤمن» فالإيمان والعقل يتبادلان العطاء ويتبادلان المواقف بطريقة خذ وهات.. فالإنسان العاقل تماماً يمكن أن يدرك حقائق إيمانية مثل وجود الله.. ولكنه يقف عند هذا الحد ويبدأ الإيمان يشرح له بقية الطريق، وما يعرفه بالإيمان يجد أن العقل يمكن أن يؤكده ويثبته ويمنحه مفاهيم وتأملات وهكذا بالنسبة للعقل والإيمان.

سؤال : تأسيسا على هذا فإن العلم لا يتعارض مع الإيمان ؟

ـ نحن لا نستطيع أن نقول إن العلم يتعارض مع الإيمان، وإنما نقول إن العلم الصحيح تماما لا يتعارض مع الإيمان، كما أن الإيمان الصحيح تماما لا يتعارض مع العلم، على أن العقل أقوى من العلم، فالعلم بعض نتاج العقل ولكن العقل هو الأصل، وقد يوجد أشخاص نسميهم بسطاء أو أميين لم ينالوا قدراً كبيراً من المعرفة ومع ذلك فهم عقلاء وحكماء بالفطرة، وكلما تقدم إليهم معارف يحللها عقلهم فيقبلون منها ما يقبلون ويرفضون ما يرفضون؛ لذلك فالذين لهم عقل ناضج يمكن أن يصيروا علماء فى الدين أو فلاسفة فى الدين. وهذا يدل على تعاون العقل والإيمان معا، أما الذى يريد بعقله فقط أن يحوى كل أمور الإيمان فلابد أنه سيعجز لأن الله غير المحدود لا يمكن أن يستوعبه عقل محدود. والعقل المحدود أيضا قد يقف عاجزا أمام بعض الأمور المطلقة مثل ما هو الحق المطلق؟ وما أسهل أن تختلف أو أن تتنوع مفاهيم كثير من العقلاء لمعنى الحق المطلق، وأيضا ما معنى كلمة الوجود؟

سؤال : والخلق من العدم.. أى أن يخلق شيئا من لا شىء ؟

ـ العدم لا شىء، ولكنه بالخلق منه انتفت صفة العدم، ويخلق شيئًا من لا شىء، أى يوجد كائنا غير موجود دون استخدام أية واسطة، إنما يقول الله فليكن الشىء الفلانى فيكون، أى أن الله يكون مصدر الكينونة أو يوجد كيانا غير كائن؛ لأنه لو خلق من شىء فذلك الشىء الذى يخلق منه من الذى أوجده. لابد أن الله أوجد هذا الشىء أولا، فمثلا خلق الله التراب من لا شىء، ثم خلق الإنسان من تراب ووهبه نفسا بشرية لم تكن موجودة ولكن الله أوجدها، فالله إذن هو علة هذا الوجود أو سبب أو مصدر هذه الوجود.

الوجود المطلق هو الله نفسه ثم أوجد الله أشياء وكائنات ونفوسا وأرواحا وملائكة وبشرا لهم وجود داخل الزمن، أما وجود الله فهو فوق الزمن.

الله هو الوحيد الذى نستطيع أن نقول عنه واجب الوجود؛ لأن وجوده هو الذى يفسر وجود جميع الكائنات الأخرى، وبدونه لا توجد. كل كائن آخر غير هذا الإله الواحد غير واجب الوجود لأنه مر عليه وقت لم يكن موجوداً قبل أن يخلقه الله، إذن فوجوده غير واجب لأن الكون كان كونا من غيره.

سؤال : أى أن هذا الكائن ليس له أهمية ؟

ـ الله هو الذى أعطى هذه الأهمية لهذه الكائنات.. والله لم يكن محتاجا إليها، لكنه من وجوده خلقها، والعجيب أن الله لم يشأ أن يبقى وحده مع أنه مكتف بذاته له الكمال ولا ينقصه شيء.

هذه الكائنات التى أوجدها الله إنما تمجده فى دقة صنعها وكفاءة عملها دون أن تتكلم: فالسماوات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه دون أن يلقى محاضرة عن مجد الله، وقبل الفلك كانت الملائكة تمجد الله، وقبل أن يخلق الله الملائكة أو أى كائن آخر كانت ولا تزال تمجده صفاته، فالله ممجد فى ذاته لا ينقصه مجد خارجي ولا يحتاج إليه.

ومهما قالت المخلوقات فى مجده فهى محدودة لا تستطيع أن تصف غير المحدود الذى هو الله.. وهى حينما تتكلم عن الله تكون كرسام يرسم ضوء الشمس على لوحة وشتان بين ما يرسم وحقيقة الشمس.. والقياس مع الفارق..

سؤال : ماقولكم فيمن يقول إن العقل الإنسانى زائل والقدرة على اكتساب المعرفة هزيلة ولهذا فإن العلم الحديث يخدعنا ويدفعنا بعيدا عن الإيمان ؟

ـ العقل زائل تعبير خاطئ لأننا نؤمن بأن لنا أرواحا خالدة وهذه الأرواح أرواح عاقلة، فالإنسان فى الأبدية، فى العالم الآخر هل سيكون بدون عقل؟! غير معقول، يعنى الإنسان فى الأبدية فى العالم الآخر فى حالة أسعد من عالمنا الحاضر؛ لابد أن يكون عقله موجوداً، فمن غير المعقول أن نقول إن العقل زائل !!

العقل سيستمر فى الأبدية مع الإنسان ولا يمكن أن يزول وإلا سيكون الإنسان فى الأبدية بلا عقل، ولا يمكن أن تحوى الأبدية مجموعة من المجانين والسذج البلهاء، فالعقل ليس زائلا، نقول محدودا لكن تعبير زائل تعبير خاطئ، العقل زائل فقط فى الخانكة أو فى العباسية، لكن بوجه عام لا يمكن أن نقول إن العقل زائل بل على العكس فالعقل ستنضج

مواهبه فى الأبدية حينما تزول كثير من العوائق التى توجد أمامه فى الحياة الحاضرة، وأيضا فإن شهوات الدنيا تبسط ضبابا على معرفة العقل فلا يستخدمه الإنسان، بينما فى الأبدية عندما تزول هذه الشهوات الأرضية يكون العقل أكثر صفاء ونقاء.

سؤال : بعيدًا عن الأبدية وفى إطار الحديث عن الحياة الحاضرة هل يمكن أن يخدعنا العلم الحديث ويدفعنا بعيدا عن الإيمان ولا تحصل إلا معرفة هزيلة؟

ـ أريد أن أفرق بين العقل والعلم.. فعبارة العقل غير العلم: فالعقل موجود حتى إذا لم يوجد علم، ويخلق الإنسان بعقل حتى لو لم يكتسب علما، واكتساب العلم يأتى على مراحل أثناء عمره، والعقل عند الناس متفاوت، فهناك الأذكياء وهناك العاديون وهناك العباقرة، فالعقل يختلف فى قدرته وفى جودته من إنسان إلى آخر. ولكن لا يمكن قبول أن العقل زائل أو أن القدرة على اكتساب المعرفة هزيلة؛ فهذا الأمر يتفاوت من إنسان لآخر.. ومع ذلك فإن العقل الحالى الذى وصل إلى سفن الفضاء وأعاجيب الكومبيوتر والمخترعات الحديثة لا نستطيع أن نقول إن معرفته هزيلة !!

سؤال : هزيلة قياسا مع المعرفة الإلهية ؟

ـ كل شيء هزيل إذا قيس بالإلهيات. ولكن الله يعطى المعرفة بقدر احتياج الناس وليس بالطريقة المطلقة الخاصة بالله؛ لأن المعرفة المطلقة ربما تؤذى الإنسان؛ ولذلك ربما لو عرفنا أكثر لتعبنا.. مثال ذلك إذا عرف الإنسان ساعة وفاته فإنه يعيش فى قلق ورعب قبل الموت، أيضا إذا عرف الإنسان كل ما فى الجو من ميكروبات وكل ما فى الأرض من أخطار سيتعب، فهناك بعض المعارف ليست لازمة للإنسان وقد تتعبه، الله يعطينا المعرفة التى تفيدنا فى الحياة واللازمة لنا.

سؤال : ولكن لا شك فى أن العقل يتقلص ويضعف ويخبو وميضه؟

ـ نستطيع أن نقول إن هناك أشياء يمكن أن توقف العقل قليلا أو تسيطر عليه، فمثلا الشهوة إذا سيطرت على إنسان والعقل يعرف أنها تضره فإن الشهوة تسيطر على العقل أيضا وتوقف عمله لكى تستمر هى فى عملها، فى هذه الحالة لا نقول إن العقل قد زال إنما نقول إنه قد أوقف أو لم تعد له السيطرة على الموقف، وبالمثل نقول عن الضمير إذ تستطيع الخطيئة وإغراءاتها الكثيرة أن توقف الضمير ولو قليلا أو تخدره لبعض الوقت أو لطويل من الوقت

لكى تأخذ هى فرصتها ، ثم فى حالة الندم يستيقظ العقل ويستيقظ الضمير ويبدأ الإنسان يفكر فى خط مغاير تماما لما كان فيه أثناء الخطأ، إذن العقل لم يزل.

سؤال: إلى أى حد يمكن التركيز على المرأة كعنصر غواية ومصدر إغراء يثير الشهوة ويحركها وبالتالى يخدر العقل أو يوقفه إلى حين؟

ـ أريد أن يسمو فكر الرجل عن المرأة ويرى أنها إنسان له قدراته ومواهبه وعمله فى المجتمع وفكره بعيدا عن النظرة الجنسية، وهكذا يتعامل مع أية امرأة دون أن يخطئ فكرا ولا قلبا. بل يحترمها ويحترم شخصيتها ومكانتها. المرأة ليست مصدر إغراء أو غواية، من يقول إن وجه المرأة يغريه أو يوقعه فى الخطيئة. فى الواقع إن الخطيئة توجد فى قلبه وليس فى وجه المرأة الذى يراه غيره ولا يسقط بسببه، فالقلب النقى لا يثيره وجه امرأة ولا صوتها.

سؤال : إلى أى حد يمكن القول بأن هناك صلة بين العقل الإنسانى، وهو يسعى إلى المعرفة، وعقل الإنسان وهو يبحث عن الحقائق الدينية.. أى أن هناك صلة بين المعرفة فى الحياة وبين اليقين الإيمانى؟

ـ العقل دائم العمل ولا يمكن أن يتوقف، إنما المهم فى أى اتجاه أدفعه، فهناك أشخاص يتخصصون فى المعرفة الدينية وأشخاص يتخصصون فى المعارف العالمية وأشخاص يجمعون بين هذه وتلك ولكن لا يمكن أن نقول إن العقل وهو يبحث عن الحقائق العالمية يفقد طريقه إلى المعرفة الدينية، فهناك علماء متدينون وهناك علماء دين علماء. ويمكن للإنسان أن يجمع بين المعرفة العالمية والمعرفة الدينية لأنه لا يوجد تناقض بينهما. بل على العكس إن الإنسان إذا ازداد فى المعرفة العالمية يزداد يقينا فى الدين للخط الواصل بين المعرفة والإيمان،مثال لهذا : لو بحثنا علميا مثلا فى تركيب جسم الإنسان وفى وظائف الأعضاء وفى العجب الموجود فى كل هذا لازددنا إيمانا بأن هناك خالقا كلى القدرة استطاع أن يوجد هذه الأعضاء، ولو أدركنا أن العين وقدرتها على النظر والعالم بكل ما يستطيع من علم أن يخلق عينا، ولو رأينا الفن بكل ما يملك التصوير والإبداع لا يمكن أن يعطى صورة حقيقية ناطقة حية لزهرة أو وردة فى ألوانها الطبيعية - ندرك حقائق العلم مثلا إ ذا درسنا الفراشات فى ألوانها أو الطيور فى أصواتها أو الأسماك فى ألوانها. وكلما تمعنا وجدنا أن قوة إلهية خارقة تزيد من إيماننا، وأيضا الفلك ولذلك قديما كانوا فى كليات اليهود التى تدرس الدين يدرسون الفلك ويدرسون الطبيعة على اعتبار أن دراسة الطبيعة تعطى فكرة عن عظمة الخالق، والفلك يعطى فكرة على عظمة الخالق وكذا الطب. فالعلم يمكن أن يقوى الإيمان، لكن هناك بعض الحقائق العلمية التى لا يعرف الناس لها تفسيرا، وهنا ربما يستنتجون أن هناك تناقضا بين العلم والدين؛ وأقول لا يوجد تناقض قد يكون نقص فى الفهم ولكن إذا تكامل الفهم لا يوجد تناقض.

الفهـــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org
E - mail : info @egyptianbook.org

الإيداع بدار الكتب ١٨٣٢٩ / ٢٠٠٥

I.S.B.N. 977 - 01 - 9862 - 5



● قداسة البابا شنودة الثالث.



● البابا شنودة على اليمين عندما كان فى السادسة من عمره فى المنتصف شقيقه الكبير روفائيل جيد الذى رباهم ثم شقيقه شوقى الذى صار فيما بعد القمص بطرس جيد.



● البابا شنودة ضابط فى الجيش المصرى.



● شنودة معلم فى المدرسة.

صـور وثائقيـة



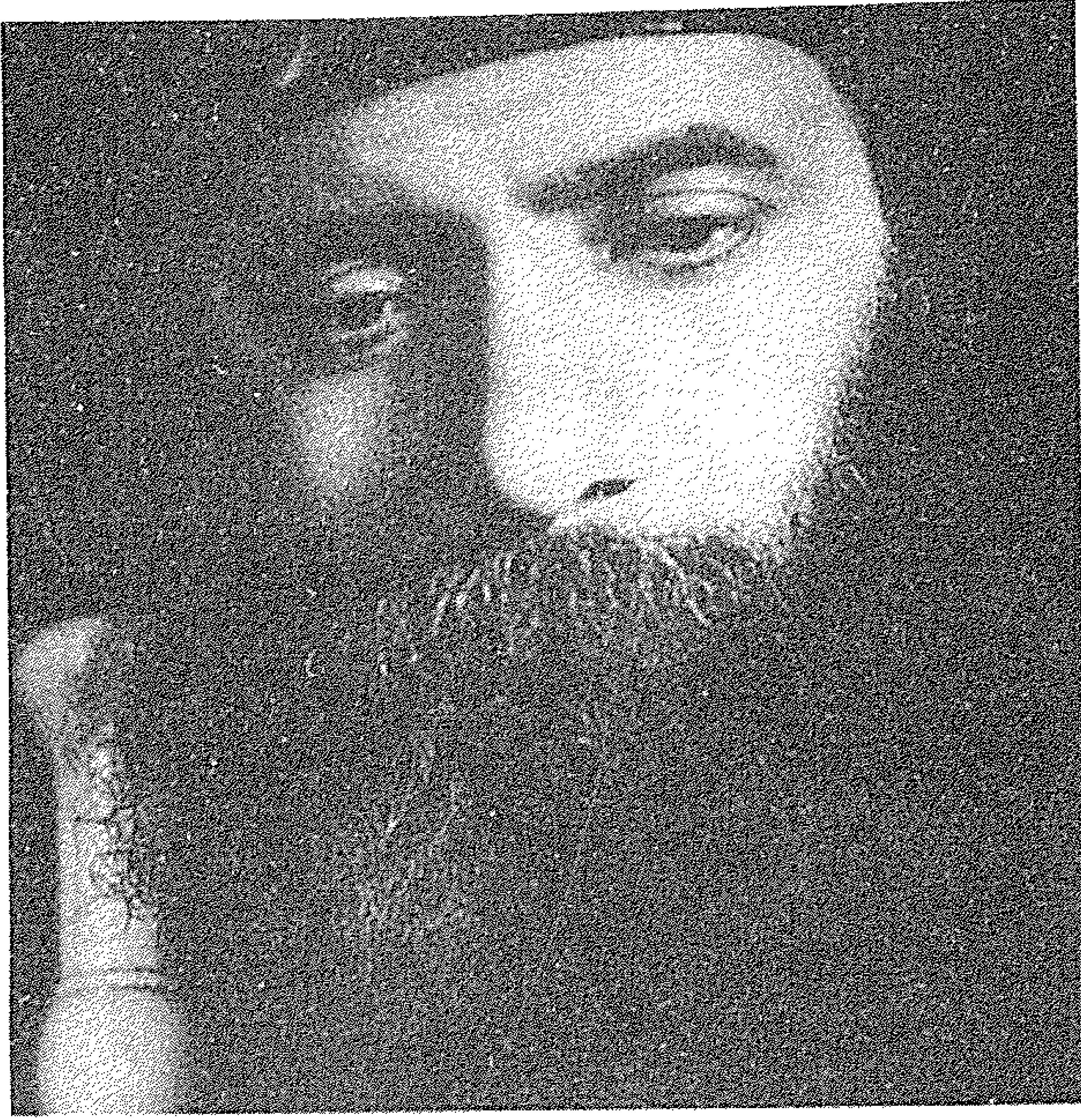
● قداسة البابا شنودة فى الجبل.



● قداسة البابا شنودة فى «دير السريان».



● صورة لقداسة البابا شنودة.



● البابا شنودة فى لحظة تأمل.

● قداسة البابا شنودة مع قادة «مدارس الأحد» سنة ١٩٤٩.





● قداسة البابا شنودة فى
«دير السريان» سنة ١٩٦٨.

● قداسة البابا شنودة
يجلس فى «دير السريان».





● قداسة البابا شنودة الثالث.



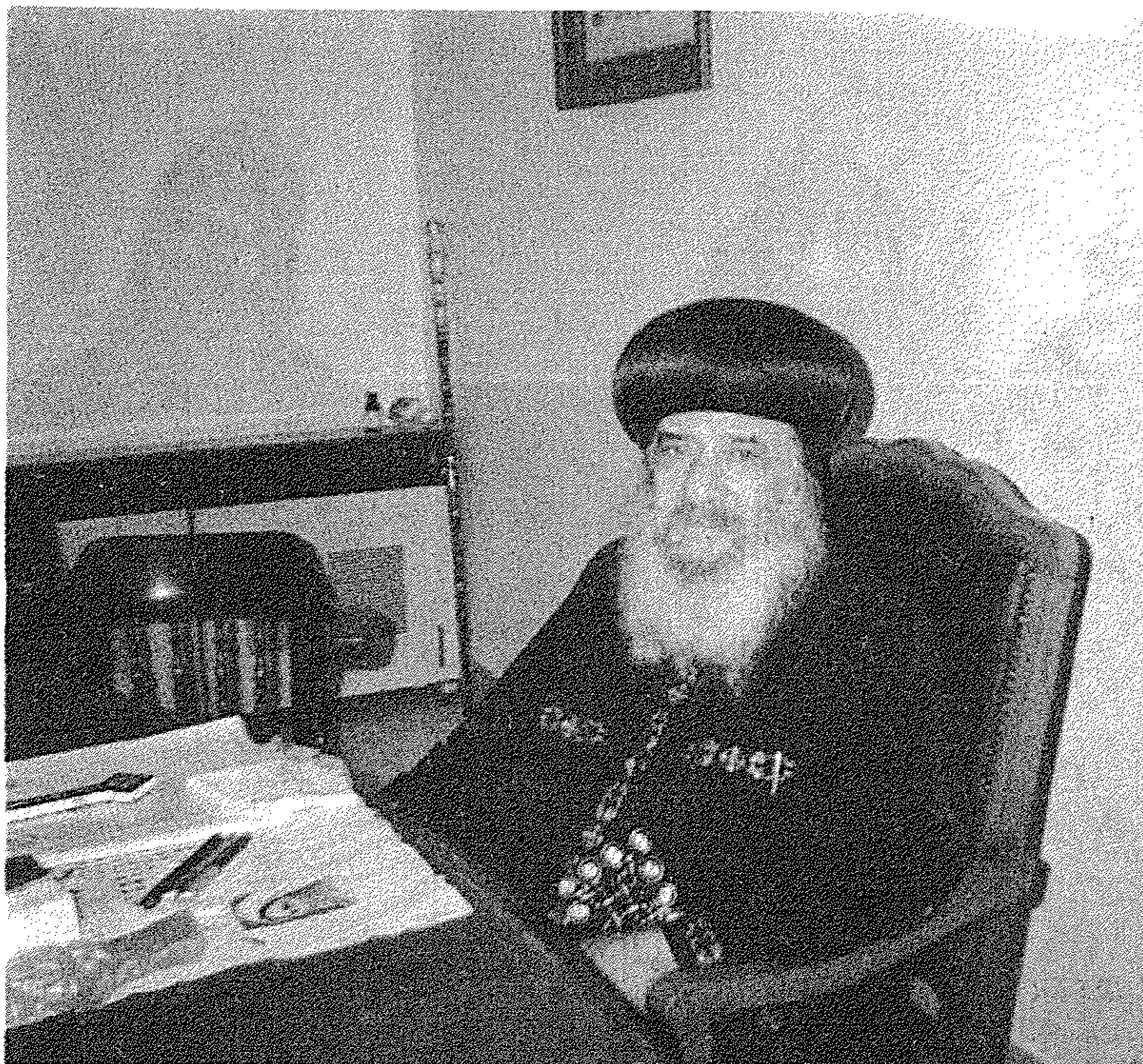
● صورة لقداسة البابا شنودة مع شقيقه
القس «بطرس جيد» يوم رسامته سنة ١٩٧٢.



● قداسة البابا شنودة فى تتويج بطريرك إيرتريا.



• قداسة البابا شنودة مع الرهبان.



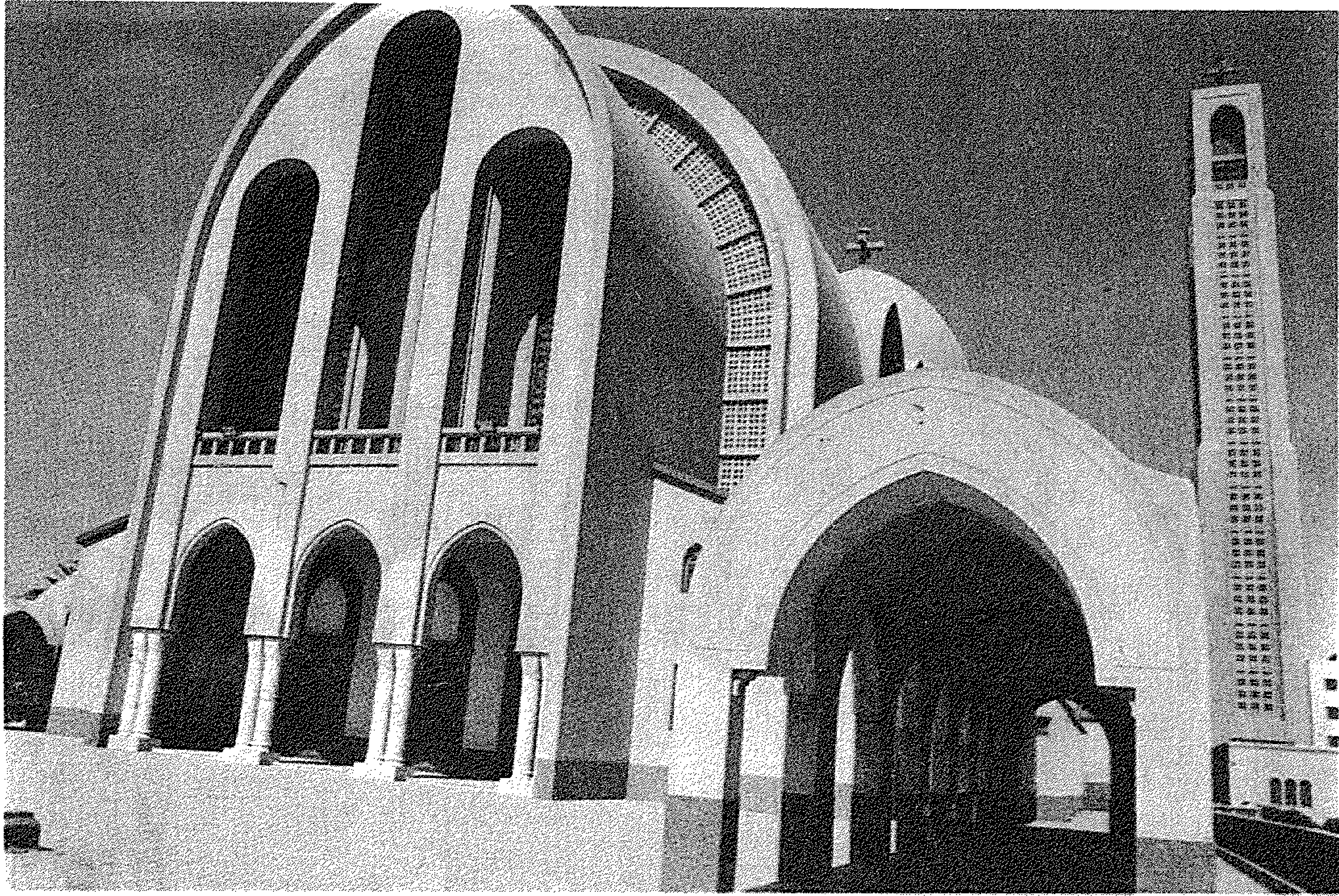
● قداسة البابا شنودة فى مكتبه.



● قداسة البابا شنودة فى صورة جماعية للمجمع المقدس.

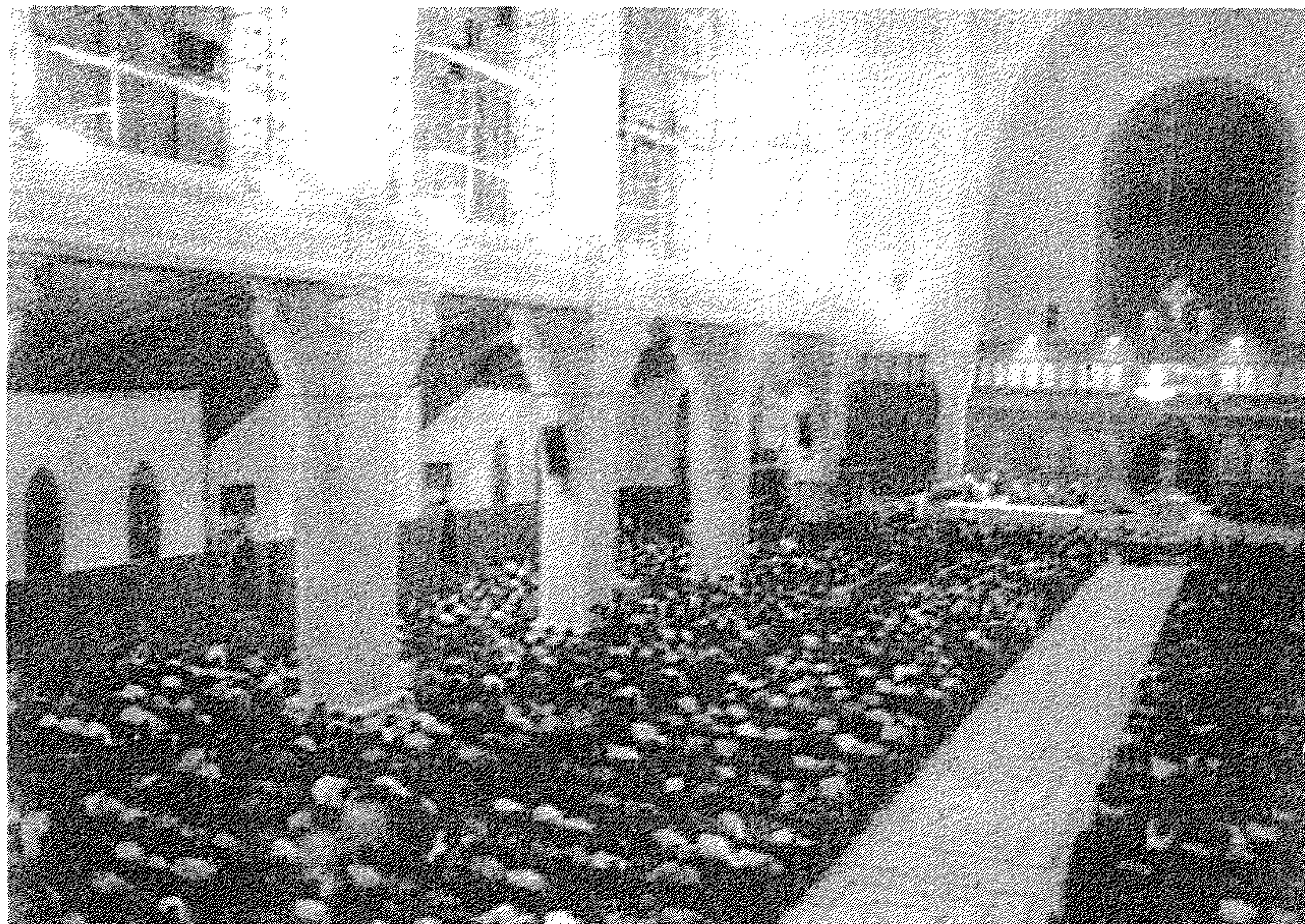


● قداسة البابا شنودة فى الكاتدرائية المرقسية فى الاحتفال بحلول عيد الميلاد عام ٢٠٠٠.



● صورة للكاتدرائية المرقسية.

● الكاتدرائية المرقسية بالعباسية



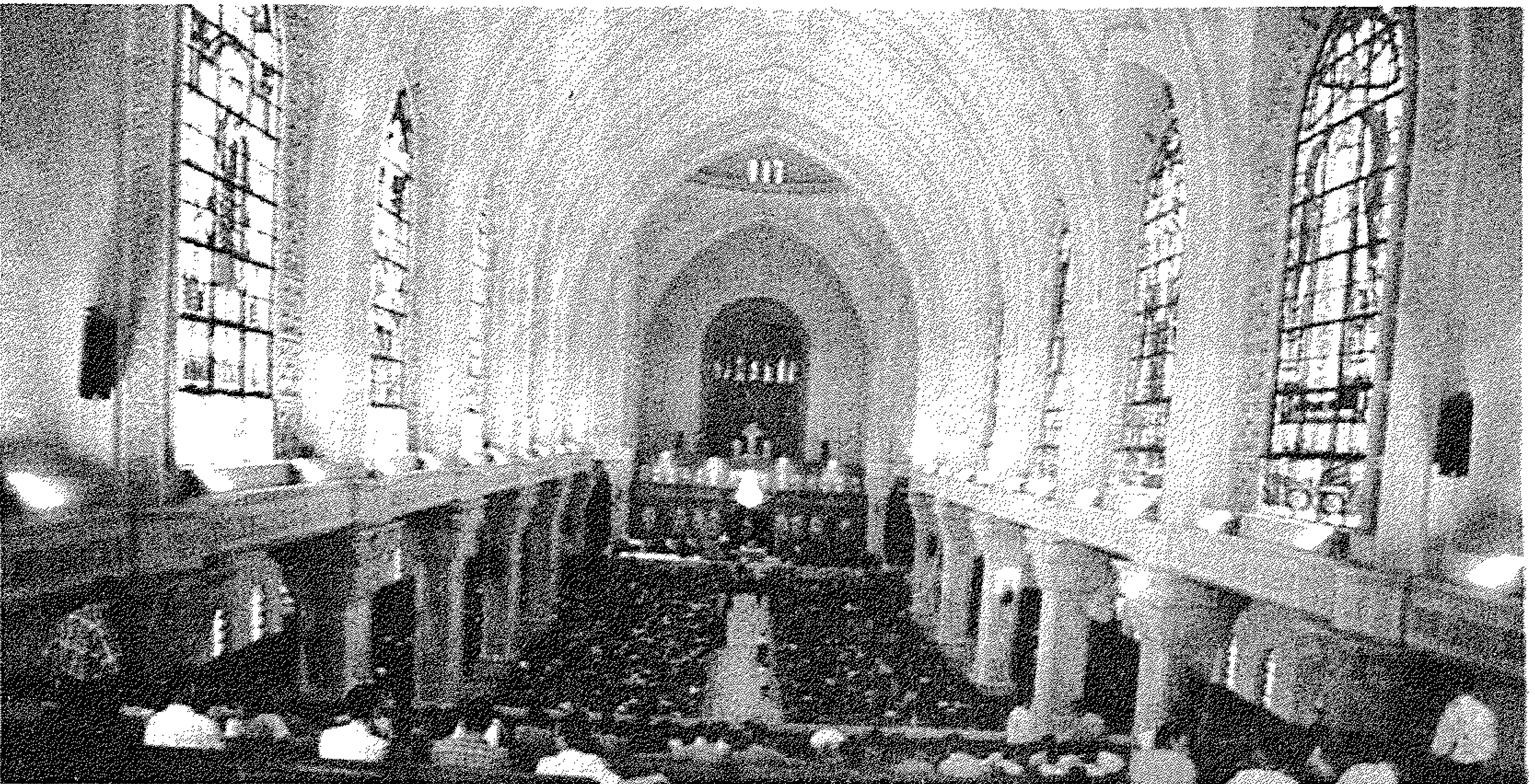


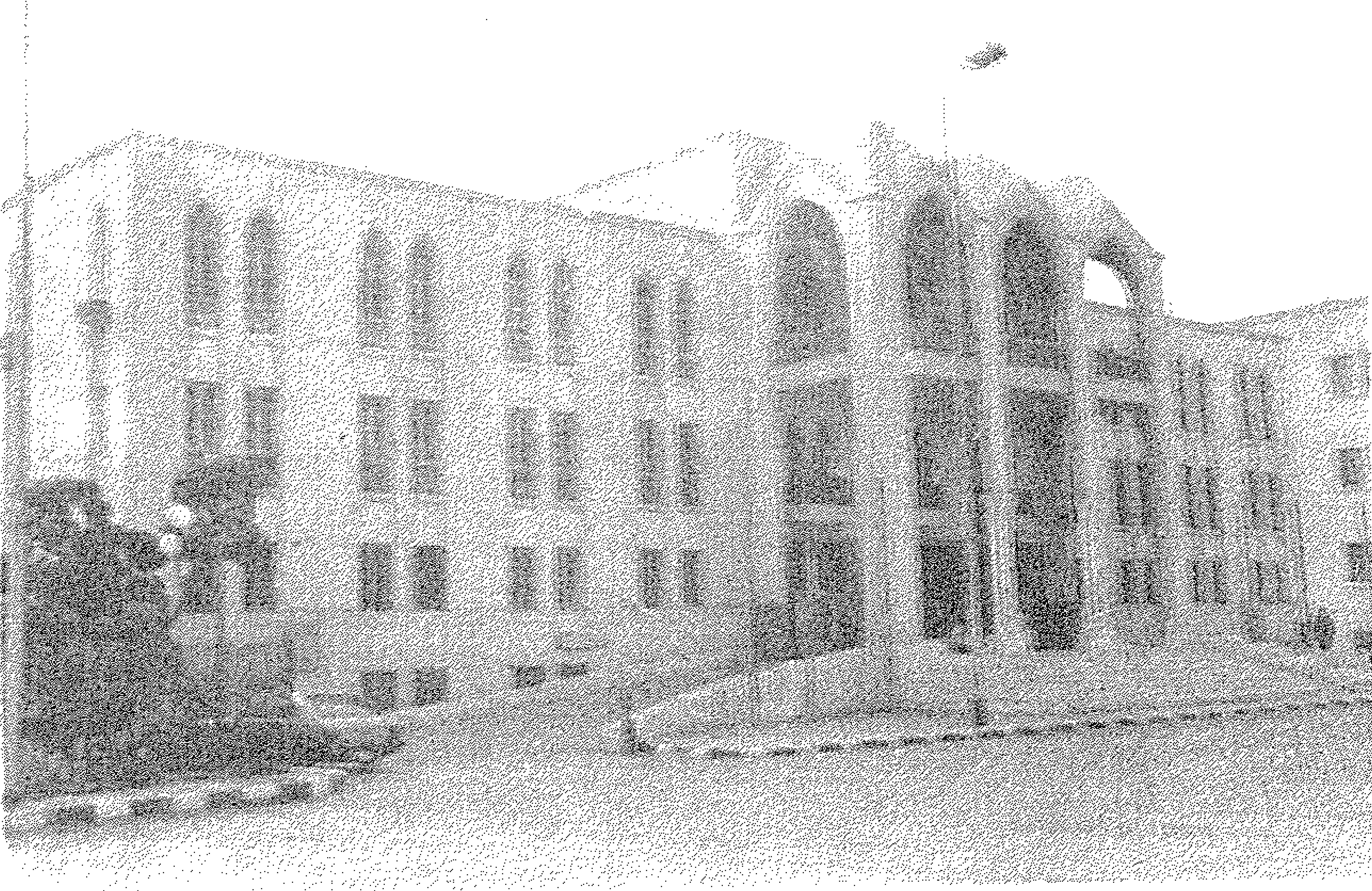
● قداسة البابا شنودة فى رسامة أسقف «ملبورن» فى استراليا.



● قداسة البابا داخل الكاتدرائية.

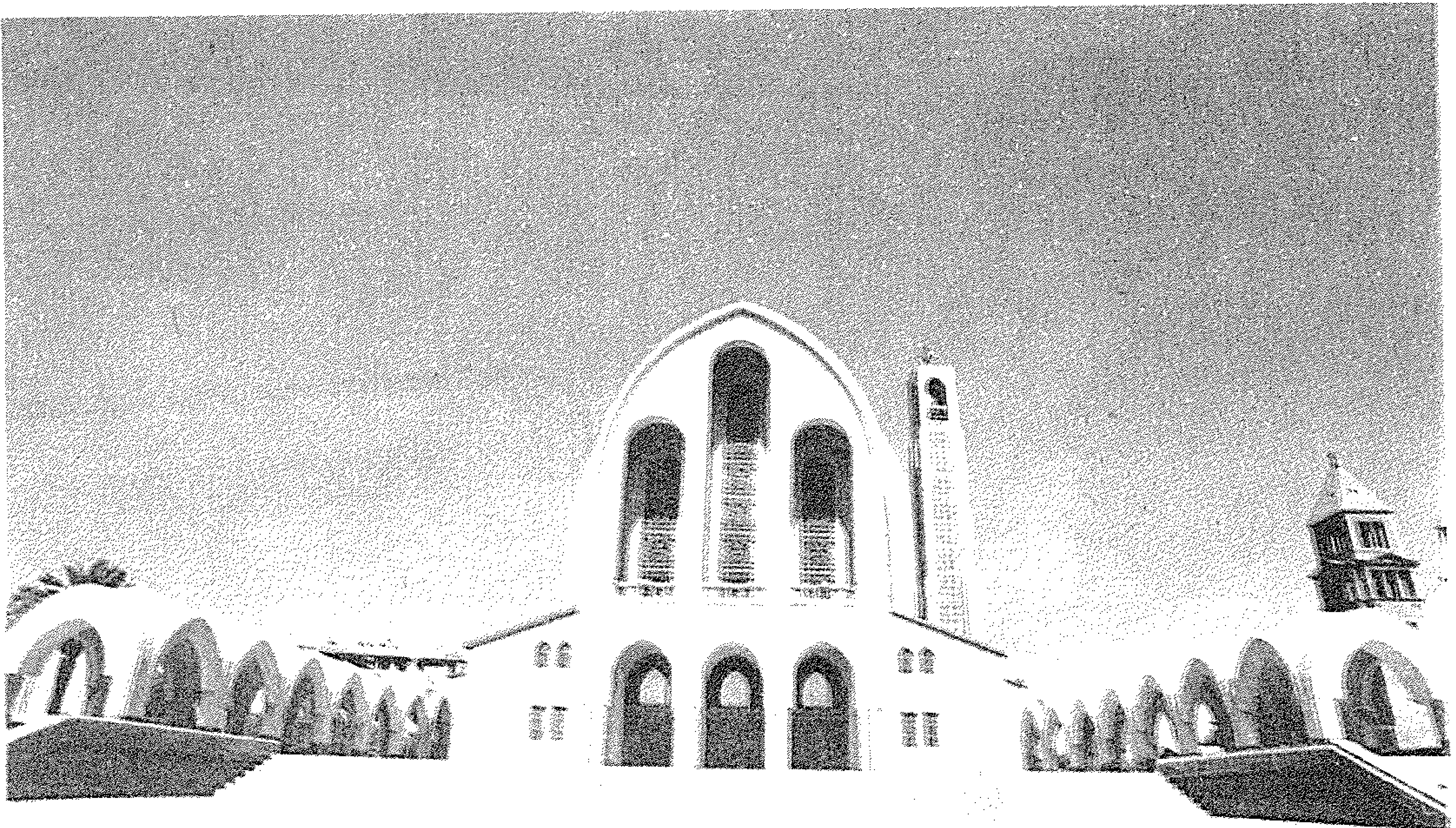
● صورة للكاتدرائية.





● «المقر البابوى».

● صورة للكاتدرائية المرقسية.





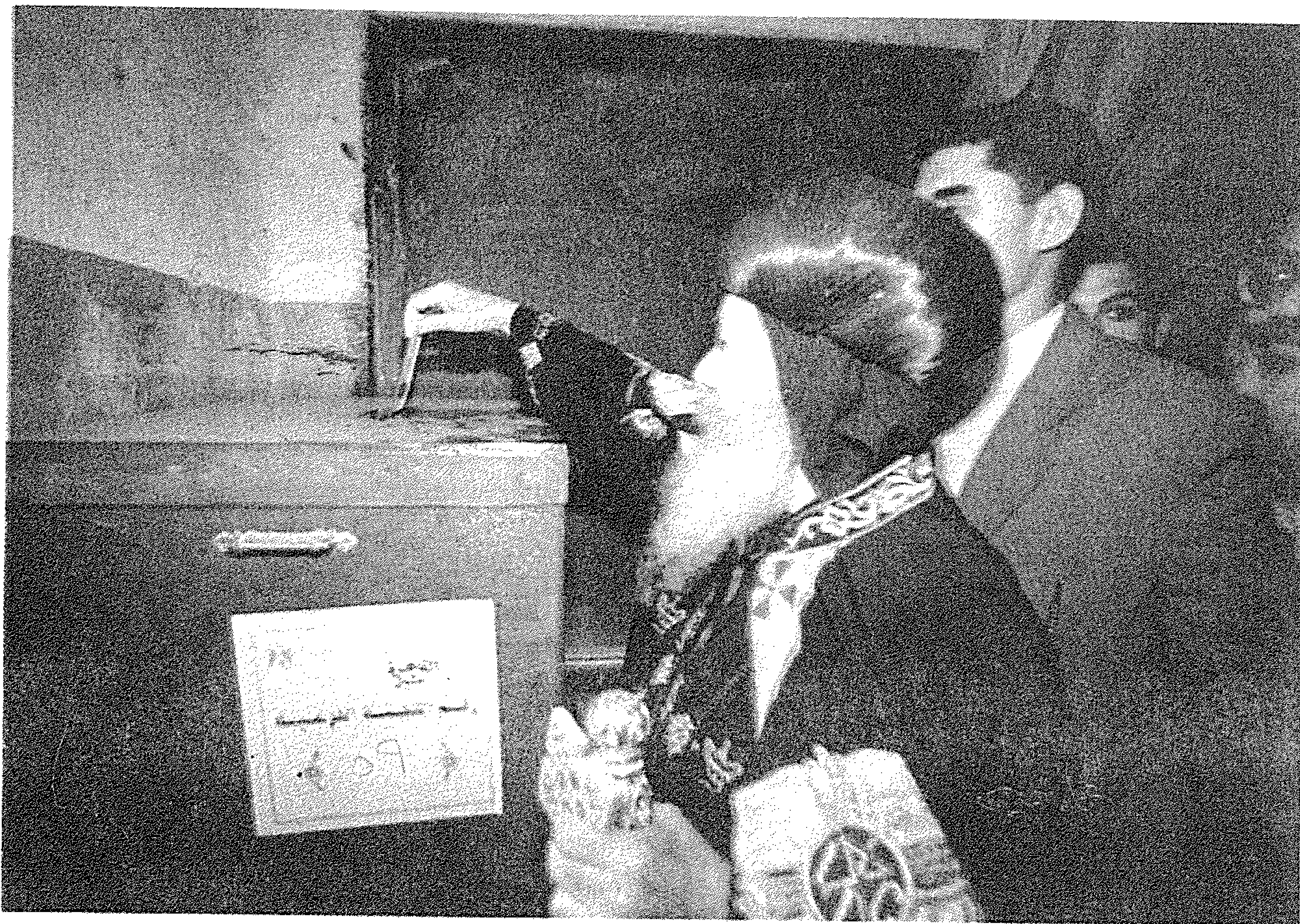
● قداسة البابا شنودة مع
أحفاد وكيل البطرياركية المتوفى
القمص «داود تادرس».

● قداسة البابا شنودة فى زيارة لأحد المرضى بالمستشفى.



● قداسة البابا شنودة في مؤتمر للمسنات.





● قداسة البابا شنودة وهو يجدد البيعة للرئيس مبارك.

● قداسة البابا شنودة مع د. سمير سرحان رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب فى المعرض الدولى للكتاب لعام ١٩٩٩.





● قداسة البابا شنودة فى أمريكا عام ١٩٩٧ يلقى محاضرة على آباء كهنة ويجيب على الأسئلة.



• قداسة البابا مع اللجنة التنفيذية لمجلس كنائس الشرق الأوسط.



● في استقبال الرئيس مبارك



● قداسة البابا شنودة والرئيس مبارك وإلى جوار فضيلة الأمام الأكبر شيخ جامع الأزهر والدكتور مصطفى كمال حلمى رئيس مجلس الشورى.



● صورة لقداسة البابا شنودة في ترشيح المجلس الملى العام للرئيس مبارك لفترة رئاسية رابعة وإلى جواره وكيل المجلس الملى.



● الرئيس مع رموز الكنيسة المصرية.

● وضع الحجر الأساسى لمستشفى مارى مرقص.





● مع الرئيس الراحل أنور السادات.



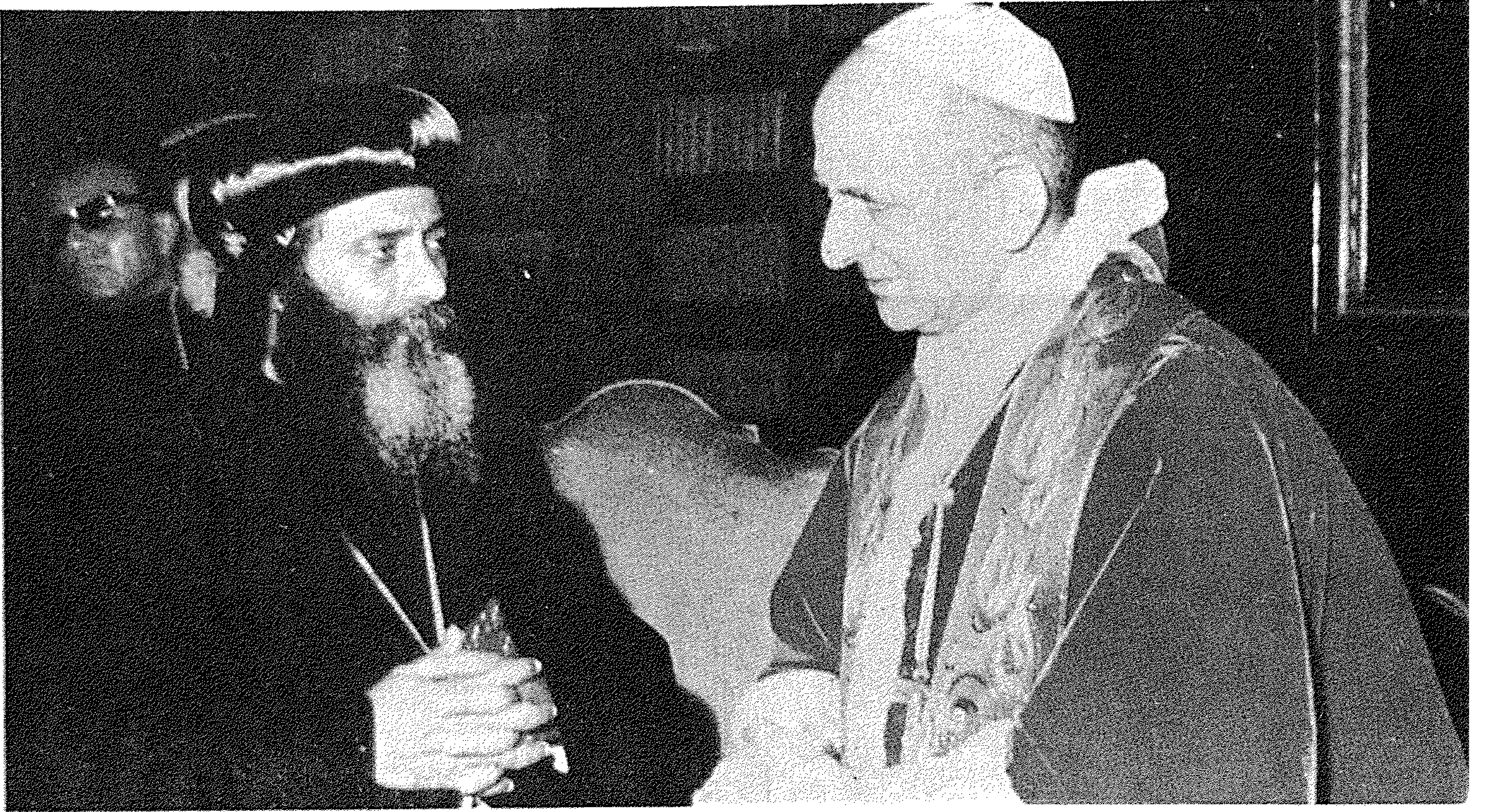
● قداسة البابا شنودة مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر.



● للتهنئة بحلول عيد الميلاد المجيد ٢٠٠٠.



● قداسة البابا شنودة يزور فضيلة الإمام الأكبر فى مشيخة الأزهر للتهنئة بعيد الفطر المبارك.



● قداسة البابا شنودة في لقاء وبابا الفاتيكان بولس السادس في ١٥ مايو ١٩٧٣.

● في كنيسة القديس بطرس في الفاتيكان وموكب الكرادلة أمام البابا شنودة عام ١٩٧٣.





● قداسة البابا شنودة وهو يصافح «آل جور» نائب الرئيس الأمريكى كلينتون وفى الصورة يظهر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر.



● قداسة البابا مع الرئيس الأسبق «كارتر».



● قداسة البابا شنودة مع الرئيس الأمريكى الأسبق «كارتر»



● قداسة البابا شنودة مع الرئيس الأمريكى السابق «بوش» .

● قداسة البابا مع الأمير «تشارلز» ولى عهد بريطانيا.





● قداسة البابا شنودة فى لقاء والرئيس عرفات.



● قداسة البابا شنودة مع السيد رئيس الوزراء للتهنئة.

● قداسة البابا مع الدكتور يوسف والى للتهنئة بعيد الميلاد المجيد.





● قداسة البابا شنودة مع د. فتحى سرور للتهنئة بحلول عيد الميلاد المجيد.

● قداسة البابا شنودة مع د. أسامة الباز للتنهئة بحلول عيد الميلاد عام ٢٠٠٠ وإلى جواره الأنبا يوآنس سكرتير البابا.





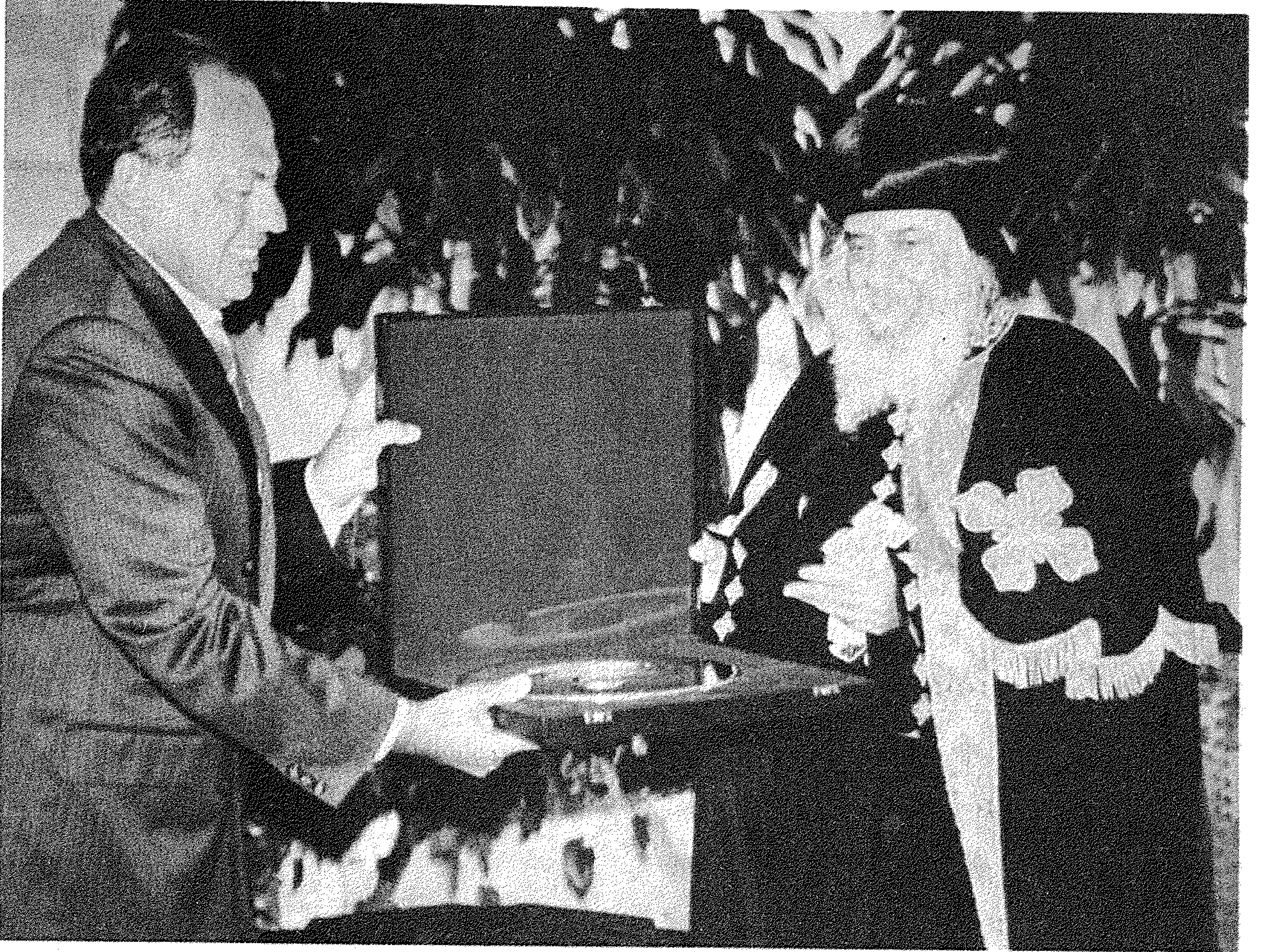
● قداسة البابا شنودة مع د. مصطفى كمال حلمى رئيس مجلس الشورى.

● قداسة البابا شنودة مع بطرك الروم الأرثوذوكس بطرس السابع.





● قداسة البابا شنودة مع بطريارك الكاثوليك وسفير الفاتيكان بالقاهرة.

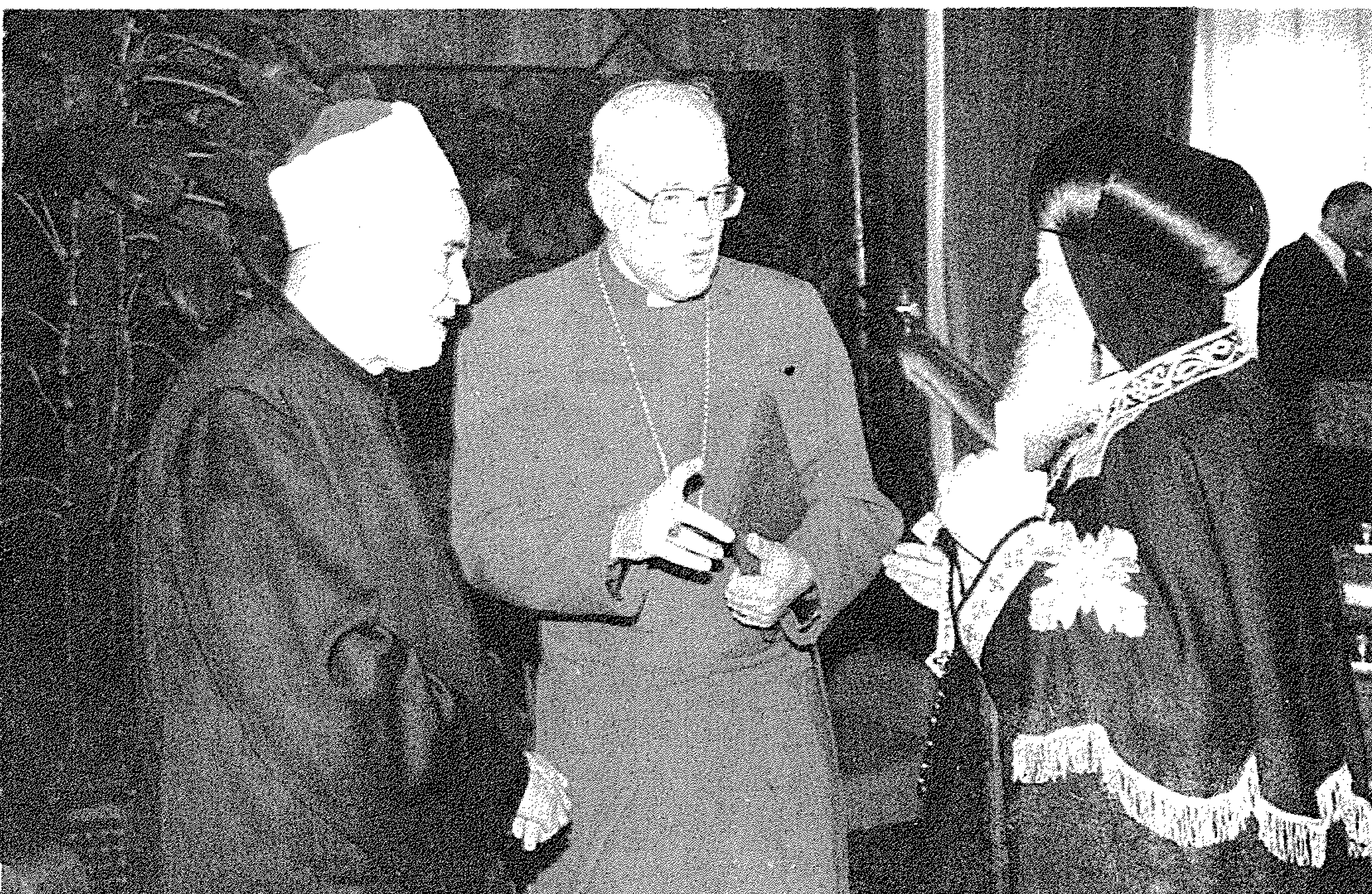


● قداسة البابا شنودة مع الرئيس اللبنانى «إيميل لحود».



● قداسة البابا شنودة مع رئيس جمهورية المجر.

● قداسة البابا شنودة مع رئيس أساقفة «كانتربرى» بحضور شيخ الجامع الأزهر.





● قداسة البابا شنودة فى زيارته إلى دولة أثيوبيا وإلى جواره الإمبراطور «هيلاسيلاسى».

● قداسة البابا شنودة يصافح . كمال هنرى بادير، أحد الوزراء السابقين.





● البابا في إحدي زياراته الخارجية



● قداسة البابا شنودة مع الكاتب الإسلامى الكبير خالد محمد خالد.

● قداسة البابا شنودة مع الأستاذة «سناء السعيد» حيث تجرى حديثا معه بعد أن أنهى الرئيس مبارك تحديد إقامته فى «وادى النطرون» فى ٥ يناير ١٩٨٥.





- قداسة البابا شنودة يزور المفكر الإسلامى الكبير خالد محمد خالد أثناء وجوده بمستشفى «المقاولون العرب» قبيل وفاة المفكر الإسلامى فى فبراير ١٩٩٦ .
- قداسة البابا شنودة مع رئيس محكمة النقض السابق ونوابه.



● قداسة البابا شنودة مع كهنة كندا وبعض الآباء الأساقفة.

● قداسة البابا شنودة مع «جورج جالوى» عضو مجلس العموم البريطانى والوفد المرافق له عند زيارتهم للكاتدرائية.



سناء السعيد

هذا الكتاب يضم رؤى وأفكار « قداسة البابا شنودة الثالث » فى أمور دينية ودنيوية. فهو يتطرق إلى مناقشة الكثير من القضايا؛ بدءا بقانون الأحوال الشخصية للمسيحيين، والوضع فى الكنيسة، وقانون الاضطهاد الدينى، وعلاقته بالرئيس السادات، وعلاقته بالرئيس مبارك الذى أنهى تحديد إقامته فى وادى النطرون فى الخامس من يناير ١٩٨٥.

كما يتطرق الكتاب إلى مواقف البابا الوطنية فى عدة قضايا تتعلق « بإسرائيل »، وبروتوكولات حكماء صهيون، والحظر الذى أصدره بمنع زيارة القدس، وملف قتل الأسرى المصريين والموقف من أمريكا. هذا بالإضافة إلى قضايا روحية يتحدث فيها عن الإرادة، والجبر والاختيار، والخير والشر، والمعرفة، والهندسة الوراثية، والتكنولوجيا، والغيبيات.

ومن أروع العبارات التى أوردها البابا شنودة الثالث » فى هذا الكتاب:

- الله خالق الخير، والشر دخيل على العالم؛ فهو ليس شيئا طبيعيا بل هو خروج عن الطبيعة.
- الحياة الروحية ليست إلا استبدال شهوة بشهوة، تحل شهوة العلاقة مع الله محل شهوة العالم والأمور التى يعج بها.
- كبت الشهوة ليس توبة حقيقية. التوبة الحقيقية تكون بتنقية القلب بحيث لا يشتهى خطأ.
- إسرائيل دولة دينية وتكوينها دينى وهذا لا يخيف؛ ما يخيف أمور ثلاثة: التفوق العسكرى، عدم وحدة العرب، ومساندة أمريكا لإسرائيل.
- السياسة تحكمها المصالح لا العدل، ولن يكون سبيلنا أن نلتمس من الدول الكبرى نسيا
- القوة لا تكون فوق الحق إلا إذا كان الحق ضعيفا.
- أقباط مصر يرفضون أن يمارس أحد وصاية عليهم، ولا يقبلون حماية من أى دولة أج مسيحيى مصر هم مسلموها، والحكومة، والقيادة فى مصر.
- لكل دولة الحق فى أن تشرع ما تشاء من قوانين؛ لتطبقها لديها لا لتفرضها على دول أ
- قانون « مكافحة الاضطهاد الدينى » تدخل صريح فى شئون مصر الداخلية.

Bibliotheca Alexandrina
0553486

١٨ جنيها